نشاط العرب

في

العلوم الاجتماعية

في مائة سنة

بقلم

أمين الحافظ — برهان دجاني

أحمد السمان — خير الدين حسيب

محمد حلمي مراد

لطفي دياب — فاخر عاقل

عبد العزيز البسام — يوسف مراد

سمير خلف — عبد الكريم اليافي

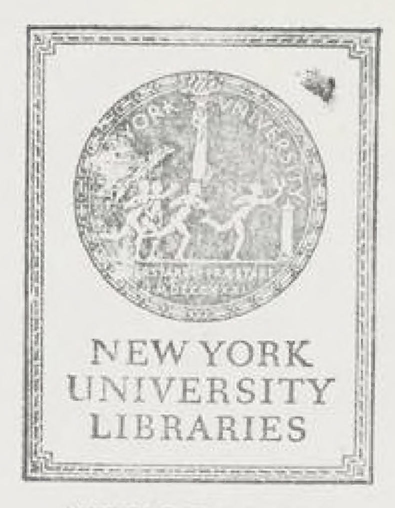
اشرفت على اخراجه

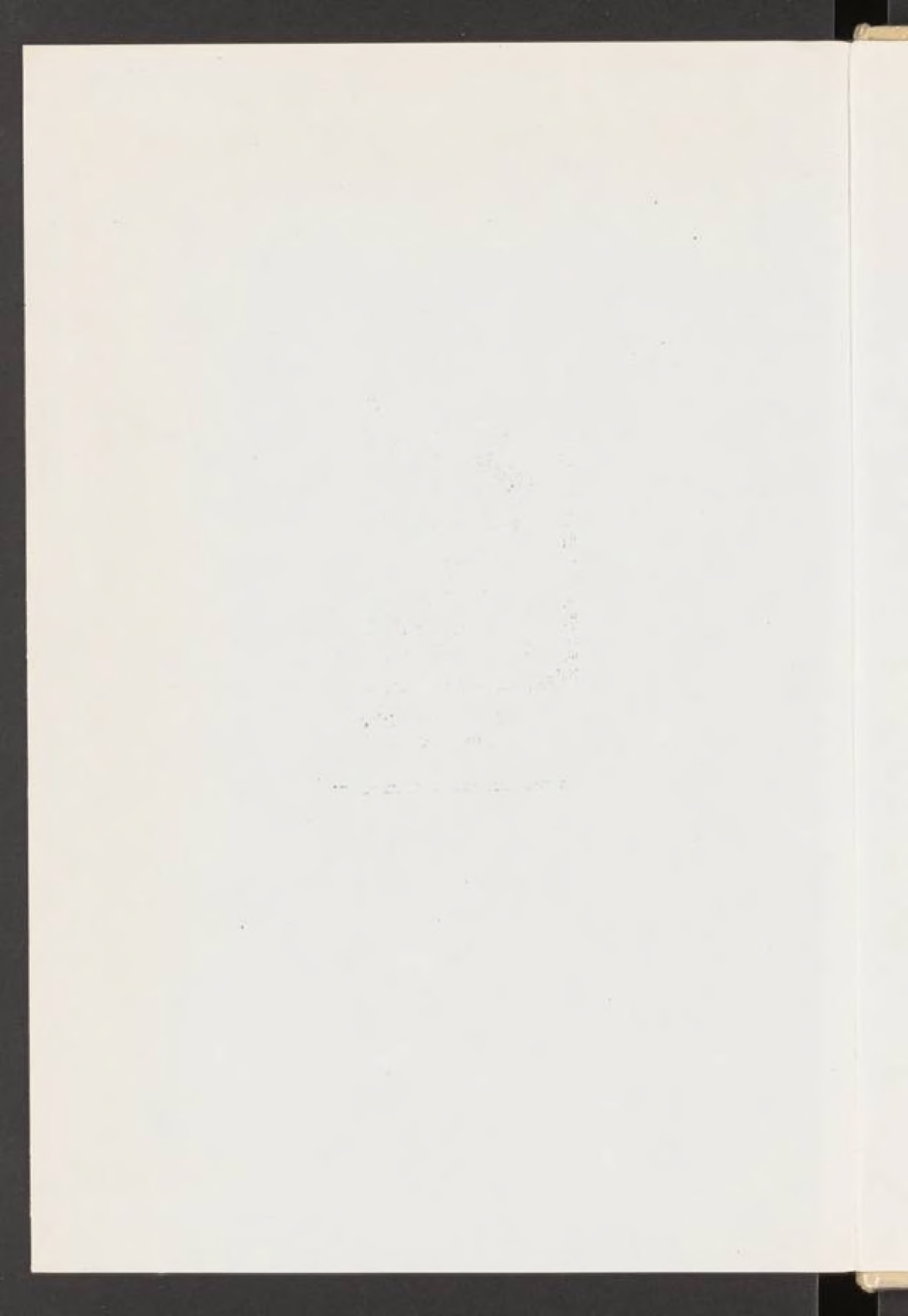
هيئة الدراسات العربية في الجامعة الأميركية

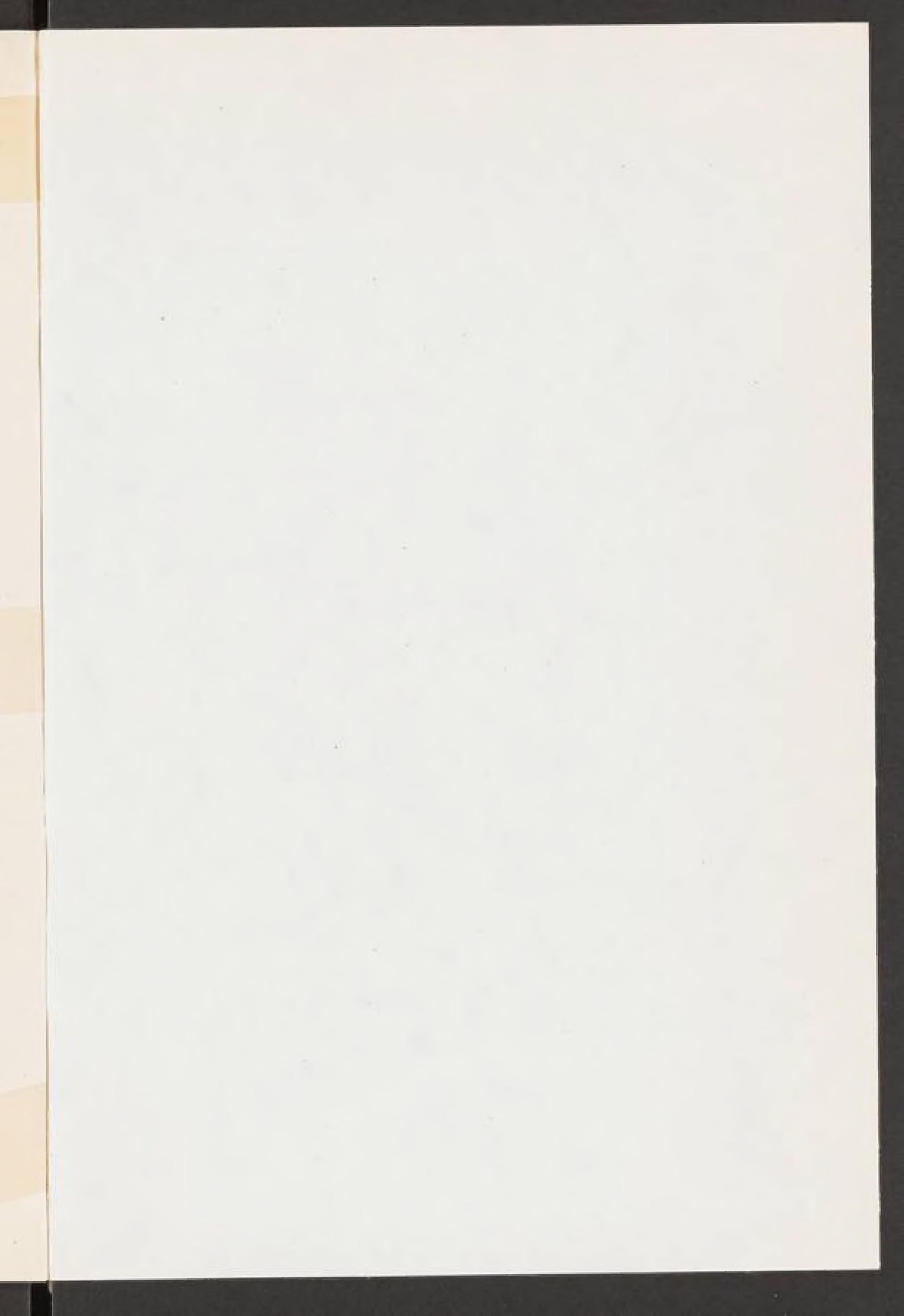
بيروت

١٩٦٥









جامعة بيروت الأميركية

منشورات كلية العلوم والآداب



سلسلة العلوم الشرقية الحلقة الثالثة والاربعون

/Nashat al-'Arab fi al-ulum al-ijtima'iyah/

نشاط العرب
في
العلوم الاجتماعية
في مائة سنة

ا - ع

بقلم

أمين الحافظ — برهان دجاني

أحمد السمان — خير الدين حسيب

محمد حلمي مراد

لطفي دياب — فاخر عاقل

عبد العزيز البسام — يوسف مراد

سمير خلف — عبد الكريم اليافي

اشرفت على اخراجه

هيئة الدراسات العربية في الجامعة الأميركية

بيروت

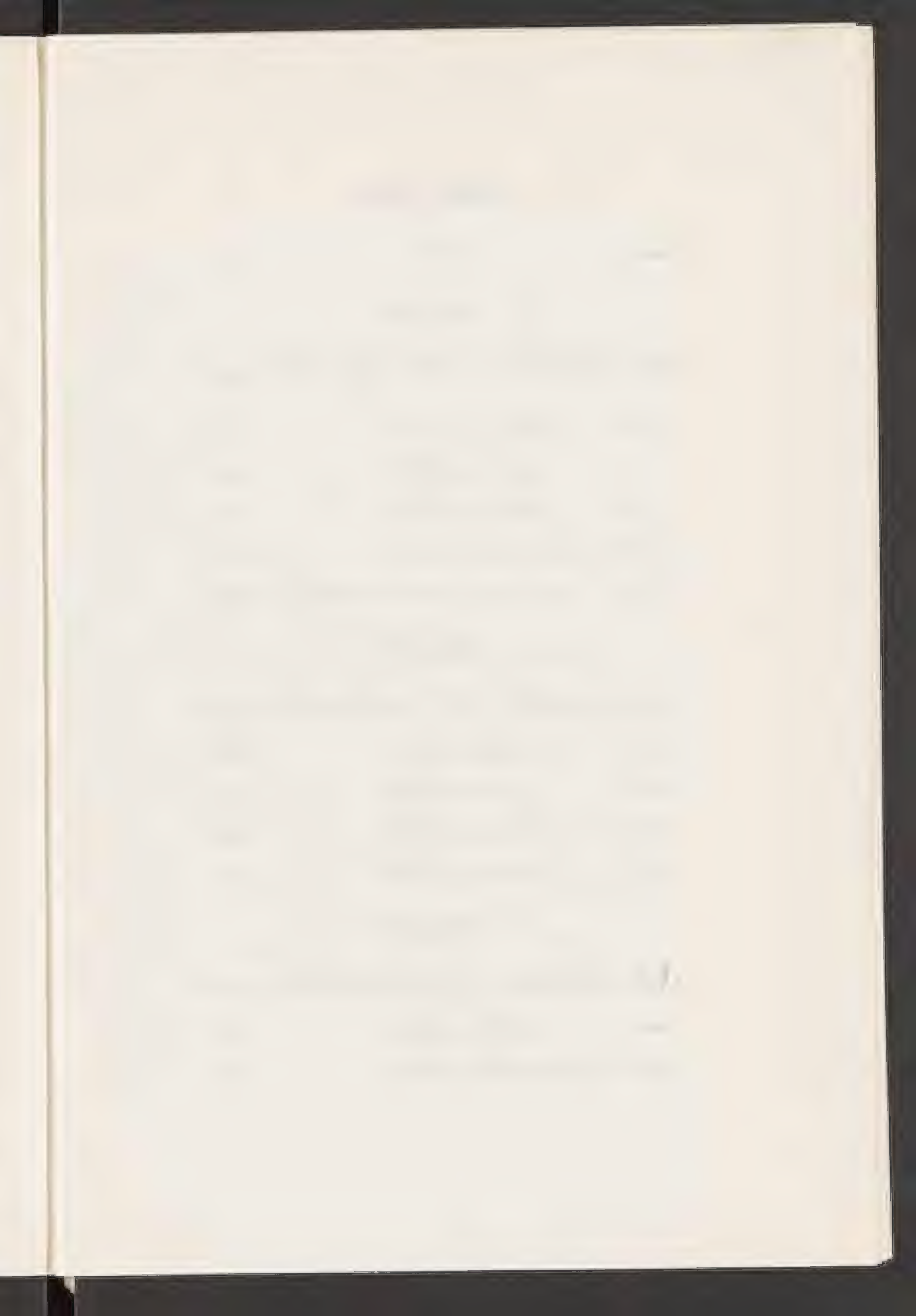
١٩٦٥

رعاة الهيئة
لسنة ١٩٦٣ - ١٩٦٤

امير دولة الكويت
باسم أمين فارس
بنك الاتحاد الوطني
بنك إنترا
البنك العربي
شارل كتانه
شركة التأمين العربية
شركة شرق المتوسط
شركة المقاولات والتجارة
عبد الحميد شومان
كتانه إخوان
نجيب علم الدين



محتويات الكتاب



مقدمة

اخذت هيئة الدراسات العربية على عاتقها تتبع مجرى التطور الحضاري لدى العرب في المائة السنة الاخيرة فخصصت حلقاتها السنوية منذ ١٩٥٩ لهذه الغاية وتناولت الجهود العربية في دراسة التاريخ والادب والفلسفة والعلوم النظرية والطبيعية . اما وقائع هذه الحلقات فقد ظهرت تباعاً في كتب اربعة . وها نحن نضع امام القارىء وقائع الحلقتين اللتين انعقدتا في سنة ١٩٦٣ ، الاولى من ٢٠ الى ٢٤ أيار والثانية من ٩ الى ١٣ كانون الاول . وقد تناولت الاولى ما اسهم به المؤلفون العرب في المائة السنة الاخيرة في دراسة علم الأقتصاد وتناولت الثانية نشاط العرب في الفترة نفسها في دراسة علم النفس وعلم الاجتماع .

ولم يكن لهذه العلوم الثلاثة حتى الامس القريب وجود مستقل قائم بنفسه لدى العرب على الرغم من عدد من معلومات وملاحظات ، هي من صميم هذه العلوم ، جاءت في بطون المؤلفات على سبيل العرض ولم تنل من القدامى عناية خاصة منفردة الا فيما ندر .

نجد بعض هذه المعلومات والملاحظات التي قد تدخل في علم الاقتصاد في التآليف الشرعية والقانونية لا سيما تلك التي وضعت لخدمة المحتسب ، وعرفت بكتب الحسبة ، واستخدمت في تنظيم المعاملات التجارية . ومن افضل هذه الكتب واقدمها كتاب « الاشارة الى محاسن التجارة ومعرفة جيد الاعراض ورديئها وغشوش المدلسين فيها » لجعفر بن علي الدمشقي الذي ازدهر في النصف الثاني من القرن الثاني عشر . ويتميز هذا الكتاب بأنه لا يقتصر على عرض القوانين لمراقبة الاسواق التجارية بل يتعداها الى بحث مسائل اخرى كحقيقة

المـال وانواع الممتلكات واصل النقد وكيفية الاحتفاظ بالبضائع وتعيين معدل اثمانها وكيفية حماية العقارات والممتلكات .

وبقي علم النفس دفيناً في ثنايا كتب الفلسفة ، اذ جرى العرب في ابان نشاطهم الحضاري من القرن التاسع الى اواسط القرن الثالث عشر عـلى منوال القدماء ، فاخذوا عنهم الكثير من العلوم وتبعوهم في تقسيمها وترتيبها . ولذلك لا نجد لدى العرب القدامى لعلم النفس وجوداً مستقلاً عن الفلسفة .

ولم يكن نصيب علم الاجتماع كعلم مستقل قائم بنفسه خيراً من نصيب علم الاقتصاد وعلم النفس ، على الرغم من اعتراف العلماء المعاصرين بأن واضع اسسه انما هو ابن خلدون . والواقع ان العرب لم يتميزوا قيمة ما جاء به هـذا العالم المبدع الا بعد أن اشار الى ذلـك المستشرقون في اواسط القرن التاسع عشر ، ولم يقبلوا على دراسة آثاره ويعيروها ما تستحقه من عناية وانتباه الا في الامس القريب . ولم يصبح لعلم الاجتماع لدى العرب كيان مستقل الا بعـد الحرب العالمية الاولى

وقد يجد القارىء في صفحات هذا الكتاب عرضاً سريعاً لتطور هذه العلوم الاجتماعية الثلاثة ، اي علم الاقتصاد وعلم النفس وعلم الاجتماع ، لدى العرب في المائة السنة الاخيرة ، ومحاولة جدية لتقويم نشاطهم العلمي في كل منها . ومما لا جدال فيه وذلك ما يبدو واضحاً جلياً في ثنايا هذا الكتاب ، أن العرب قـد اخذوا يشقون طريقهم ثانية الى جادة العلم واقبلوا اقبالاً جارفاً على جميع شعابه وعقدوا النية على القيام بقسط يتناسب مع صفحاتهم المجيدة في تاريخ الحضارة . وكل من سار على الدرب وصل .

٢٢ كانون الاول ١٩٦٤ — نبيه امين فارس

ما اسهم به المؤلفون العرب في المائة سنة الاخيرة
في دراسة الاقتصاد



لبنان

بقلم الدكتور امين الحافظ

ان العمل المتواضع الذي اقدمه هنا ليست له أية قيمة اذا ما بقي منفرداً غير منضم الى ما يقدمه السادة المشتركون معي في الدراسة ، فالبحث في الاقتصاد اللبناني ما كان يوماً الا متصل الحلقات بالبحوث الاقتصادية الشاملة التي تتناول عدداً من الاقطار العربية المجاورة ، والتي تأثرت الى حد بعيد بالظروف الفنية والبشرية لهذه المنطقة من العالم .

والواقع ان ما نشر ووقع بين ايدينا من دراسات للاقتصاد اللبناني قد كان في معظمه بمثابة جزء من كل ، ولا غرابة في ذلك ؛ لأن مثل هذه الدراسات التي تتناول اكثرها اموراً عملية ، متصلة باوضاع سياسية واجتماعية وتشريعية ، قد كانت مجبولة على ان تنسجم مع التطورات التاريخية لهذه المنطقة من العالم خلال المائة سنة الماضية .

واقد كنت ميالاً بادىء الامر الى ان اقسم بحثي في هذا الموضوع اقساماً ثلاثة وفقاً للعهود التي مر بها لبنان خلال قرن ، فاتحدث عما اسهم به المؤلفون العرب في دراسة الاقتصاد اللبناني خلال الحكم العثماني ، ثم خلال الانتداب الفرنسي ، ثم خلال سني الاستقلال . وكانت حجتي في ذلك ان الاقتصاد — وهو علم اجتماعي — انما يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالتطورات الوضعية السياسية لكل بلد ، وتصنف مراحله وفقاً لتصنيف مراحل الحكم .

لكن ما ثناني عن سلوك هذا النهج كان الواقع وحسب ذلك نظراً للاسباب التالية :

اولا – ان المساهمة الحقيقية في دراسة الاقتصاد اللبناني لم تبدأ فعلاً الا في اواخر سني العقد الرابع من هذا القرن ، اما ما سبق ذلك فانما كانت شذرات ملتقطة من هنا وهناك لا تسوغ ان تقرن باي مرحلة وليس لها من سياق منطقي متواصل .

ثانياً – ان علم الاقتصاد اساساً لم يدخل بصورته الجدية المنفردة الى بلادنا ولم يقبل عليه المتفرغون المتخصصون الا حديثاً .

ثالثاً – لم يكن بالامكان ان تبدأ حركة البحث الاقتصادي ما لم تتوافر لها الادوات الصالحة التي لا يمكن الاستغناء عنها في كل بحث ، وتفي بها المعلومات والاحصاءات والاجهزة المهيأة لجمعها ، وهذا اصبح ميسوراً – وعلى درجات متواضعة في الجودة والدقة – منذ ان اصبح في لبنان حكومة وادارة ، سواء اكانت مستقلة او منتدباً عليها .

لهذه الاسباب رأيت ان انصرف في تقسيم بحثي هذا الى ثلاثة اقسام اتبعت في تصنيفها الواقع قبل كل شيء ، وارتأيت ان تكون المراحل كالآتي :

اولاً – ما اسهم به المؤلفون العرب في دراسة الاقتصاد اللبناني قبل صدور كتاب « النظام الاقتصادي في سوريا ولبنان » للأستاذ سعيد حماده .

ثانياً – ما اسهم به المؤلفون العرب في دراسة الاقتصاد اللبناني منذ صدور كتاب « النظام الاقتصادي في سوريا ولبنان » للأستاذ سعيد حماده وحتى صدور كتاب «التصميم الانشائي للاقتصاد اللبناني واصلاح الدولة» للاستاذ جبرائيل منسى .

ثالثاً – ما اسهم به المؤلفون العرب في دراسات الاقتصاد اللبناني منذ صدور كتاب « التصميم الانشائي للاقتصاد اللبناني واصلاح الدولة » للأستاذ جبرائيل منسى حتى يومنا هذا .

اولا – ما اسهم به المؤلفون العرب في دراسة الاقتصاد اللبناني قبل صدور كتاب « النظام الاقتصادي في سوريا ولبنان » للاستاذ سعيد حماده .

هذه الحقبة الطويلة بسنيها ولكنها تكاد تكون فارغة من المادة التي نبحث عنها في هذه الدراسة ، ففي خلال السنين السبعين التي سبقت سنة ١٩٣٦ لا نكاد نعثر الا على بعض المؤلفات العامة التي تتناول موضوعات اجتماعية وسياسية لا تحاو بعض الاحيان من فقرات عابرة تتناول الناحية الاقتصادية ، ثم استطعنا ان نطلع على بعض التقارير التي كانت تضعها الدوائر المختصة في المفوضية السامية الفرنسية خلال الانتداب الفرنسي والتي لم تكن تعني سوى عرض سريع لاوضاع سنوية زائلة ليس لها أي أثر في ما بعد، وليس لها أية صفة من صفات التحليل الاقتصادي الصحيح. وكذلك اطلعنا على بعض التقارير التي وضعتها كل من شركة مرفأ بيروت وبنك سوريا ولبنان عن احوال لبنان وسوريا الاقتصادية ، لكنها ايضاً ذات صفة عابرة تخص السنوات التي وضعت فيها ولا تتعداها الى ما بعدها ، وكذلك تقارير عصبة الامم

غير ان هناك بعض الكتب التي استرعت انتباهنا خلال هذه الحقبة والتي استحقت ان نعرضها في هذه الدراسة ، وقد لا يكون هناك من دافع لنا في تقدير هذه الكتب ، وهل هي تشكل بالفعل مساهمة في البحث الاقتصادي المتعلق بلبنان الا كونها ذات طابع رائد يبعد عما كان يتمخض في الماضي بين الفينة والفينة في سبيل معالجة الاوضاع الاقتصادية للبنان .

واول كتاب « رائد » في هذا المضار يستحق ان نثبته هنا هو كتاب « ذخائر لبنان » — **تأليف ابراهيم بك الاسود — المطبعة العثمانية ، بعبدا سنة ١٨٩٦ .** وهو يتحدث عن لبنان باسلوب « الجغرافيا الاقتصادية » ، لا سيما في مطلعه ، ويبدأ بالسبب الجغرافي لتسمية لبنان باسم لبنان، ثم يحدد تخومه ، ويخصص فصولاً عن سهوله وجباله وتربته وهوائه ونباتـه وشجره وحاصلاته ومعادنه وحيواناتـه وطيوره وانهاره وتقسيماته .

ولعل قيمة الكتاب هو انه اول ما تحدث عن وقائع جغرافية اقتصادية خاصة بلبنان ، وذلك باسلوب حديث دون اسهاب معني بالوشي في الكتابة مـع جهد لحصر البحث في نطاقه العلمي الذي انشيء الكتاب من اجله . ومـع ان هذه الموضوعات لم تحتل من الكتاب الا جزءاً غير كبير ، الا انها تكاد تكون افضل جزء فيه واقربه الى ما توخيناه من استقصاء لبدء التأليف الاقتصادي عن لبنان .

ونمضي بعد ذلك في التفتيش عن مؤلفات اخرى فلا نجد ما يستحق الذكر ، فترد ذلك الى عدم استقرار الاوضاع الادارية في لبنان ، والى توالي تغير السلطات والى الخلافات السياسية المحلية التي كانت تعم لبنان في ذلك الزمن . ثم نجد ان لبنان قد اخذ يبحث عن نفسه وعن اوضاعه عندمـا بدأ يشعر ببعض الاستقلال الذاتي الذي افرده عن بقية مناطق الامبراطورية العثمانية . وعندما استقر الامر لعهـد المتصرفين الاجانب الذين كانوا يترأسون جهازه الاداري . جرى هنـاك نوع من البحث عن امكان القيام بعمل ما من أجل ابراز وضع اقتصادي ما في هذا البلد ، ولمـا كان مثل هذا العمل يستدعي تنظيماً معيناً فانه كان يندر ان نعثر على دراسة مدونة تتناول الوضع الاقتصادي اللبناني ، ما خلا تقريراً وقع في يدنا وهو على شكل كتاب : **تقرير عن مالية لبنان** — وضعه سعيد باشا شقير وقدمه الى دولتلو اوهانس قيومجيان باشا متصرف جبل لبنان مؤرخ في ٦ اوكتوبر سنة ١٩١٣

ونفهم من المقدمة ان المتصرف المذكور كان قد كلف واضع هذا التقرير ان يقدم له شرحاً مفصلاً للوضع المالي في لبنان ، فقام سعيد شقير بالمهمة وقدم التقرير في صيغة تكتنفها « المبادىء العامة في الاقتصاد السياسي » مشفوعة بآراء وتوصيات للاصلاح على ضوء التعاليم الحديثة للاقتصاد السياسي ، على الرغم من عدم موافقة البعض لهذا المنحى ، وارتيابهم في موافقة هذه الآراء والتعاليم للبنان نظراً الى ما كان عليه من التأخر ، لكن سعيد شقير حرص في سياق كتابه على ان يدحض هذا الرأي وان يثبت ان القويم من المبادىء المالية قويم في كل مكان وزمان مهما كانت حالة السكان .

بيد ان ما يلاحظ في الكاتب هو حرصه على ان يبقى متطوراً مع الزمن ، وتشديده على وجوب التكيف المتواصل مع التقدم الداخلي والخارجي وفقاً لنشوء حاجات جديدة تستدعي اعادة النظر بالتشريعات والقوانين ، بغية تحقيق ما هو اضمن لحقوق الافراد وصيانة ارواحهم واموالهم .

ولعلّ ما يلفت نظر القارىء للكتاب كلمة ما كنا نظنها قد ظهرت الى عالم الكتابة الاقتصادية العربية الا مؤخراً ، وعلى وجه التحديد منذ سنوات العقد الرابع من هذا القرن ، وهذه الكلمة هي « الانماء » . لكننا نجدهـا مثبتة في كتاب سعيد شقير ، ونراه قد ادرك معناها بالمفهوم الحديث وحث على تحقيق مدلولها على لبنان . ثم اننا نجده قد ادخل الى مفهوم سياسة الدولة المالية الشق الثاني الذي نعنى اليوم عناية شديدة بالتحدث عنه ، ونريد به العدالة الاجتماعية ، بالاضافة الى زيادة دخل الخزينة . فيقول عن بعض الضرائب ان من الواجب ابطالها لشدة ثقلها على الفقير وسوء تأثيرها في معيشته ويقول عن ضرائب أخرى انه يجب فرضها أو زيادتها للقيام بالنفقات التي يقتضيها التمدن الحديث والارتقاء الادبي والمادي وراحة الامة

ورفاهيتها من غير ان تقع على الذين لا يستطيعون حملهـا أو ليس من العدل ان يحملوها .

وبعد أن يقدم المؤلف نبذة عن نظام لبنان الاقتصادي خلال نصف القرن السالف لوضع التقرير ، اي منذ مولد نظام دولة لبنان سنة ١٨٦١ ينتقل الى تقسيم بحثه الى ثلاثة اقسام .

اولاً : في أفضل الطرق لايجاد المال اللازم للخزينة اللبنانية وسد مـا اقتضته المصلحة العامة من زيادة نفقات الحكومة .

ثانياً : في ضرائب الدولة الحالية وما تحتاج اليه من الاصلاح .

ثالثاً : في ميزانيتها ونظامها المالي .

ففي القسم الاول يبحث المؤلف عن أفضل الطرق لاعداد المـال اللازم للزيادة الضرورية المتواصلة في النفقات وللتوفيق بين دخل الحكومة ونفقاتها ، وعن النفقات التي يمكن الاستغناء عنها أو الاقتصاد فيها ، ثم عن الموارد التي يمكـن ان يستعان بها على زيادة دخل الحكومة دون أن يكلف المواطنون حمل شيء من الضرائب فوق ما يحملونه .

وفي القسم الثاني يعدد المؤلف انواع الضرائب المفروضة ويعلق عليها وعلى تفاصيلها ثم يقدم بعض التوصيات بشأن اصلاحها وتطويرها واستحداث ضرائب جديدة عرفها العالم المتمدن في ذلك الزمن .

وفي القسم الثالث نرى المؤلف يفند ابواب الميزانية باسلوب حديث يثير الدهشة، بل ان الاغرب من ذلك ان التقارير المالية التي عثرنا على بعضها خلال السنوات التي

تلت الحروب العالمية الاولى ليست بافضل منها ، بل ان بعضها أقل شأناً وعمقاً وابعد عن جادة العلم والتطور .

ونمضي بعد ذلك في تفتيشنا عن مؤلفات تستحق الذكر فنجد ان الحرب العالمية الاولى قد شلت كل جهد في هذا الميدان وان نهاية هذه الحرب التي كانت ايذاناً بنهاية الحكم العثماني قد حملت أحد المؤلفين على أن يجري تقييماً لهذا الحكم في الميادين كافة ، وكان للميدان الاقتصادي نصيب ، ولعلّ مثل هذا التقييم — مهما كانت صحته — كان ضرورياً لكي تختتم مرحلة وتفتتح مرحلة جديدة ، ولعلّ فائدته الاولى هي في وجوده قبل فائدة مضمونه . على ان ما تضمنه لا يخلو من حصر لتطور الاوضاع الاقتصادية البشرية والمادية الذي طرأ خلال الحكم العثماني الطويل :

كتاب « **الدولة العثمانية في لبنان وسوريا ـ حكم اربعة قرون ١٥١٧ - ١٩١٦** » **بقلم المسعودي او بولس مسعد سنة ١٩١٦** . وفيه — من الناحية الاقتصادية — وصف عابر متناثر هنا وهناك عن الاحوال الاقتصادية في لبنان :

« وتاريخ سورية في عهد بني عثمان انما هو حلقة من سلسلة البلايا والارزاء التي توالت عليها في عصر المماليك فقد ذهبت بالضرع والزرع واوردت العباد موارد الضنك والشقاء »

« ومن البلية ان الحكام كانوا يعلمون حق العلم ان المال في الدولة عماد الحق ودعامته الكبرى فكانوا يقدمونه في الاعتبار على حقوقهم الموروثة في الولاية فيتنافسون في احراز النصيب الاوفر منه واستمالة رجال الدولة بما يتحفونهم به منه طمعاً في الظفر بمساعدتهم لهم على بلوغ مناصب الحكم وكان هؤلاء الطغاة السفاحون يتفننون في اساليب النهب والسلب اشباعاً لمطامعهم واملاء لجيوبهم من مال الرعية على يد اولئك الحكام . وقلما كان يستتب الامر لواحد منهم بنسبة الهدايا المالية

التي كانوا ينفحون بها زمرة الوزراء والنواب . وكانت مباراتهم وبذلهم في هـذا السبيل باعثاً لهم على ظلم الرعية وارهاقها بالضرائب الفادحة والرعية تئن تحت هذا النير الثقيل . وكثيراً ما كانت تنتقض على حكامها فيقاسون الشدائد في ردها الى الطاعة . واذا لم يمكن لها قبل بمناهضتهم هجرت اوطانها الى حيث تأمن جورهم وتتقي نقمتهم وهو ما يعلل به انتقال جماعات كبيرة من جهة الى جهة اخرى من لبنان وسوريا واستيطانهم لها الى اليوم . ومن نكد الطالع ان هـذه العادة تأصلت في الديار الشامية الى عهدنا هذا (١٩١٦) مع ان اهلها يعلمون يقيناً انها في مقدمـة البواعث الرئيسية على تقهقر بلادهم وبلوغها من الفوضى السياسية والانحطاط الادبي درجة ليس بعدها زيادة لمستزيد » .

وهكذا نجد ان المؤلف قد قادنا عبر هذه المقدمة ومن خلال مختلف الوقائع التاريخية في كتابه الى استخلاص الاسباب المعيشية والاقتصادية التي حدت باللبنانيين الى تبني الهجرة والى نمو هذه العادة وتمكنها في نفسيـة الشعب اللبناني والعائلات اللبنانية ، مع ما جر ذلك على لبنان فيما بعد من نتائج اقتصادية واجتماعية ، منهـا السيء ومنها الحسن .

والخليق بالملاحظة ان وصف الحالة الاقتصادية السيئة خلال حكم العثمانيين لم يخل منه اي كتاب تاريخ ، لا سيما الكتب المدرسية التي تقـدم لتلامـذة المدارس الثانوية ، ولو ان الاشارة الى ذلك كانت مقتضبة وعابرة .

ثم يأتي كتاب : **« لبنان وسوريا قبل الانتداب وبعده » بقلم بولس مسعد** المطبعة السورية بمصر الجديدة ١٩٢٩ وهو استطراد لكتابه الاول وفيه تطرق الى الناحية الاقتصادية في موضوع استقلال لبنان سياسياً عن المنطقة المحيطـة به فهو يقول مثلا (ص ٨٣) .

ان استقلال لبنان عن الدول السورية ليس من شأنه ان يعرقل سير المعاملات الاقتصادية بينه وبينها ويشل الحركة التجارية في البلاد الشامية لان المجال متسع لعقد اتفاقات مخصوصة بينه وبين هذه الدول تضمن العلاقات الاقتصادية والا فماذا تعلل المعاهدات التجارية والجمركية والاتفاقات الاقتصادية المتنوعة التي تعقد بين البلدان العامرة والامم الراقية على ما بين كل بلد وآخر من التباين في الاخلاق والتقاليد الموروثة واللغات والمذاهب الدينية والانظمة الاجتماعية والسياسية .

ثم يتحدث عن الوضع الاقتصادي في البلاد خلال السنوات الاولى من الانتداب الفرنسي ، فيذكر اسباب استياء اللبنانيين ومظاهر احتجاجهم التي قابلوا بها الجنرال غورو لدى عودته ثانية من فرنسا الى المشرق في ربيع سنة ١٩٢٢ ،ومن الاحتجاجات التي يوردها المؤلف ويعتبرهـا من اسباب النقمة نقاط ذات صبغة اقتصادية اذ يقول : (ص ١١٢)

« ... الضرائب وفي مقدمتها ضريبة الطرق التي زادت على ما كانت عليه قبل الحرب اضعافاً مضاعفة ، وضريبة المباني ولم يكن لها اثر قبـل الحرب وضرائب الدخولية وغيرها مما احدث في عهد الانتداب لسد نفقات لا طائل تحتها ولا عهـد للبلاد بها من قبل واهمها نفقات الادارة الخ .. »

« .. وفي جملة ما كان اللبنانيون يحتجون عليه ويعارضون فيه .. اغفـال ولاة الامر المسائل الاقتصادية مع شدة افتقار البلاد الى معالجتهـا والعناية بها ، واهمالهم للشؤون الزراعية ... وتخويل البنك السوري الحق المطلق في اصدار ورقة النقد على اساس الفرنك مع ما كان عليه من التقلب والانحطاط حتى فقدت البلاد من جراء ذلـك ومن خطر التعامل بالذهب واستئثار هذا البنك بذهبهـا وتصديره الجانب الاكبر منه الى فرنسا زهاء ٧٥ في المئة من ثروتها ... وسادت

حصة البلاد مما آل عليها من ديون الدولة العثمانية وهـو ما يعده ... اللبنانيون مجحفاً بحقوقهم ...

ثم افراد المؤلف لمسألة حصة البلاد في ديون الدول العثمانية فصلاً خاصاً نظراً لما كان اللبنانيون يعلقون عليها من خطورة اقتصادية وبسبب الضجة التي كانت قائمة حولها في ذلك الحين .

والواقع ان القارىء لكتابيه انما يلمس الروح العصرية المتجلية فيهما على الرغم من ان المؤلف ليس اقتصادياً بل مؤرخاً مما خلا نظيره في تلك الحقبة من الزمن الذي لم يكن بعد قد تصدى لبحث المسائل الاقتصادية اللبنانية أحد على حدة ، وانما كانت ترد عرضاً في الكتابات التاريخية والادبية مما هو تافه القيمة من الناحية العلمية وزهيد الاثر قديم النهج .

اما بولس مسعد فكأننا عندما نقرأه انما نقرأ كاتباً ما برح يعيش بين ظهرانينا من حيث اسلوبه في العرض ووضوح فهمه المسألة الاقتصادية في سياق التاريخ اللبناني .

وهكذا نرى ان ما اسهم به المؤلفون العرب في دراسة الاقتصاد اللبناني خلال الفترة التي امتدت من سنة ١٨٦٠ حتى ١٩٣٦ لم يكن له طابع الاستمرار والتواصل ولا صفة الكفاية والتخصص . بل ظهرت هنا وهناك بوادر ولمعات كانت لها قيمة « الرائد » اكثر مما لها القيمة الموضوعية التخصصية أو العلمية أو العملية .

ثانياً ـ ما اسهم به المؤلفون العرب في دراسة الاقتصاد اللبناني منذ صدور كتاب « النظام الاقتصادي في سوريا ولبنان » للاستاذ سعيد حماده وحتى صدور كتاب « التصميم الانشائي للاقتصاد اللبناني واصلاح الدولة » للاستاذ جبرائيل منسى .

لعل من المفيد المبادرة الى الاشارة إلى ان هذه التقسيمات لا تدل على المراحل الزمنية بقدر ما تعبر عن نوع التأليف ، وبديهي ان يكون « نوع » التأليف مرتبطاً بتطور الاوضاع الاقتصاديـة في لبنان وبشكل الادارة المسؤولة عن الشؤون الاقتصادية . ولقد رأينا كيف ان انعدام اهتمام السلطة العثمانية بالشؤون الاقتصادية قد أخرّ التأليف الاقتصادي في بلادنا الى ما بعد الحرب العالمية الاولى ، ثم لاحظنـا كيف ان الادارة الجديدة في ظل الانتداب الفرنسي كان عليها ان تهيء الجو الصالح لقيام عملية وصفية وعرضية ، مهمتها الاولى المبادرة الى حصر المعطيات والاوضاع الاقتصادية للبلد ، من طبيعية وزراعية وتجارية وصناعية ومالية ونقدية وبشرية . وكان لا بد من عمل جماعي لعملية الحصر هذه ، التي قد تبدو لنا اليوم سهلة ولكنها وفي وقتها وحيال العدم في المراجع والوسائل كانت عملية شاقة اذا اريد لها ان تكون مجدية وجيدة وجدية . ولقد تمت هذه المحاولة بفضل كتاب جامـع اعده وحرره الاستاذ سعيد حماده :

النظام الاقتصادي في سوريا ولبنان - حرره سعيد حماده - المطبعـة الاميركانية في بيروت سنة ١٩٣٦ .

وفي هذا الكتاب فصول تولى اعداد كل واحد منه مؤلف ، فهناك فصل عن السكان ، وآخر عن ثروة البلاد الطبيعية للاستاذ حسني الصواف ، وفيه يتحدث عن التربة والمياه والمعادن والغابات وما الى ذلك ، وفصـل عن الاراضي وانظمة حيازتها للاستاذ الفرت خوري وفيها يتحدث عن اقسام الاراضي والوقف والمشاع والالتزام والمسح والتسجيل ، وفصل عن الزراعة للاستاذ الفرت خوري ايضاً يسهب فيه عن الاراضي المزروعة والاراضي المهملة والغلال الرئيسية وطرق الزراعة والايدي العاملة والري وتربية المواشي والاوبئة ، وفصل عن الصناعة للاستاذ جورج حكيم يعرض فيه الصناعة قبل الحرب الاولى وبعدها ويسهب عن أهم الصناعات الرئيسية

ثم يتحدث عن المرافىء . وفصل عن النقل والمواصلات وفصل عن التجارة الداخلية للاستاذ باسم فارس وفيه عرض للعوامل الرئيسية التي تؤثر في التجارة الداخلية والتصريف واجهزته ومراكز التجارة ، وفصل عن التجارة الخارجية ، وفصل عن النظام النقدي والصرافي للاستاذ سعيد حماده وقد اقتبس الكاتب في وضعه هذا الفصل كثيراً من كتابه « **النظام النقدي والصرافي في سوريا** » (**بيروت ١٩٣٥**) وفيه عرض للنظام النقدي وبذلك الاصدار ومؤسسات الصرافة وما الى ذلك . وفصل اخير عن النظام المالي الحكومي للاستاذ جورج حكيم .

ولا نظن احداً الا لمس وقدر الأثر الذي تركه هذا الكتاب في ميدان الدراسة الاقتصادية . فلقد بقي مرجعاً اساسياً ضخماً لكل دارس وكل مهتم بالشؤون الاقتصادية اللبنانية ، ولا يبرح هو المعتمد الاساسي في الدراسة على الرغم من تقادم عهده وعلى الرغم من صدور مؤلفات اخرى مستحدثة . ولعل الفضل الكبير في هذا يعود الى الاستاذ الشيخ سعيد حماده الذي قام بهذه الفكرة ونفذها وفتح بذلك عهداً جديداً في تاريخ التأليف الاقتصادي لهذه البلاد .

وانطلق المؤلفون والباحثون بعد هذا الكتاب يستقصون المعلومات – وان لم تكن آنذاك غزيرة – ويصنفون بفضلها الكتب ويدبجون المقالات والبحوث في المجلات والصحف ، وكانت في معظمها تنحصر في اثبات الاوضاع وعرض المشكلات ، وكانت الحلول والتوصيات ترد في بعض الاحيان عرضاً دون ان تمثل صلب الموضوع . ولقد شهد لبنان في تلك الاثناء تمخضات كثيرة ، منها اندلاع الحرب العالمية الثانية ونيل الاستقلال ثم المفاوضات المالية والنقدية بين لبنان وسوريا من جهة وفرنسا من جهة اخرى ، تلك المفاوضات التي ادت الى توقيع الاتفاق النقدي بين لبنان وفرنسا في ٢٤ كانون الثاني سنة ١٩٤٨ ، والذي كان بمثابة تمهيد لحدوث الانفصال الاقتصادي والجمركي بين لبنان وسوريا .

كل هذا جرى في ظروف لم تتح للتأليف الاقتصادي ان يأخذ مداه ، بل كان هذا التأليف مقتصراً على تدوين وقائع هذه التطورات من جهة واستطراد ما بدأه كتاب « النظام الاقتصادي » من جهة أخرى ، ولقد ساعد على هذا ما كان الطلاب المنتهون من دراساتهم يساهمون به من بحوث واطروحات لنيل شهادات جامعية ، فكتب **بول خلاط** بحثاً موضوعه : « **حيازة الارض في سوريا ولبنان وآثارها الاقتصادية والاجتماعية مع بعض الاقتراحات للاصلاح** » (**جامعة اكسفورد - ايار ١٩٤٨**) وفيه يعرض نبذة تاريخية ويتناول التشريعات القائمة وتوزيع ملكية الارض واشكال استخدام الارض . وكان قد كتب ايضاً تقريراً عن حيازة الارض في كفرصغاب بشمال لبنان في كانون الاول سنة ١٩٤٤ وعرض فيه اشكال ملكية الارض وصافي دخل الفلاح ومستوى معيشته واهم حاصلاته والوسائل الزراعية التي يستخدمها . والواقع ان هذين البحثين كانا من اول ما كتبه المؤلفون العرب عن الشؤون الاجتماعية والتشريعية والاقتصادية للحياة الزراعية في لبنان . اما ما يكتنف هذا الموضوع من شؤون المياه والري ، فقد تناوله بحث الاستاذ صبحي مظلوم : « **مشكلة المياه في لبنان وسوريا** » (**بيروت - جامعة القديس يوسف . الزراعة : ثروة وافية . بيروت ، الآداب الشرقية ، ١٩٤٢**) .

Le probleme de l'eau au Liban et en Syrie, par Soubhi Mazloum (Université St. Joseph. L'agriculture: richesse nationale, les lettres orientales Beyrouth, 1942.)

والبحث عبارة عن دراسة موضوعية لموارد المياه في لبنان . تلاه بعد ذلك كتاب **الاستاذ موريس الجميل** : « **التصميم الشامل للمياه اللبنانية سنة ١٩٥١** » ، الذي يعرض فيه بالتفصيل مشروعات المهندس الاستاذ البير نقاش ، ويتناول آثاره الاقتصادية والاجتماعية والمالية على الاوضاع اللبنانية . وكذلك كتاب الاستاذ **ابراهيم عبد العال** : (**الليطاني**) بيروت المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٤٨ .

Le Litani : étude hydrologique Presse Catholique, 1948

وهو دراسة عن نهر الليطاني من أجل استغلال مياهه على افضل وجــه لزيادة الانتاج الزراعي وامداد الصناعة اللبنانية بالطاقة اللازمة لنموها. وكذلك بحث الاستاذ جان دبانة : **(تجوبة وتعليم) ١٩٤٢**

Experimentation et enseignement (Université St. Joseph, L'agriculture; richesse nationale, Beyrouth: Les Lettres orientales, 1942).

وهو دراسة عن وسائل تحسين التكنولوجيا الزراعية في لبنان يعرض فيــه الجوانب العملية من هذا الموضوع باسلوب يدخــل الى فهم المزارع العادي . وبحث الاستاذ ايون سراد : **الظروف الاقتصادية للزراعة في لبنان وسوريا**

Les Conditions économiques de l'agriculture au Liban et en Syrie (Université St. Joseph. L'agriculture; richesse nationale. Beyrouth, Les lettres orientales, 1952).

وهو بحث كما يدل اسمه عليه يتشعب الى موضوعات اقتصادية عامة مصدرها الزراعة واوضاع الفلاح ودخله . وهناك ايضاً كتاب الاستاذ حليم نجار : **تراثنا الاجتماعي واثره في الزراعة** — بيروت، دار الكشاف ١٩٤٩ وهو دراسة قيمة لاهم مشكلات العالم العربي الاجتماعية واثرها في القرية ، مع عناية خاصة بوضع لبنان في هذا المجال ، وقد قرنت هذه الدراسة بين التعاليم النظرية الاساسية وبين الواقــع العملي الذي نشأت عنه مشكلاتنا الاجتماعية . ثم لا بد من الاشارة الى اطروحة **الاستاذ عصام عاشور : بقايا النظام الاقطاعي في فلسطين وسوريا ولبنان ، ١٩٤٦ .**

The remnants of the feudal system in Palestine, Syria and the Lebanon.

التي وضعها لنيل شهادة استاذ علوم من جامعة بيروت الاميركية ، وفيها يقدم عرضاً عاماً للاوضاع الباقية من النظام الاقطاعي في لبنان ، بما في ذلك نظام حيازة الارض والتصرف بها وآثار هذا النظام واسباب بقائه وبعض الاقتراحات للاصلاح .

اما في حقل القطاعات الاقتصادية الاخرى فان هناك عدداً ليس بالكبير من المؤلفات الجديرة بالاهتمام ، والتي تتناول الاجهزة والامكانات الاقتصادية للبنان وصفاً وعرضاً. ومن أهمها الاطروحة التي وضعها **الاستاذ سامي العلمي** : « **امكانات التصنيع داخل اتحاد للجمارك يضم العراق وسوريا ولبنان وفلسطين وشرقي الاردن** » - **١٩٤٦**. Possibilities of industrializaion within a customs union of Iraq, Syria, Lebanon, Palestine, and Transjordan وذلك لنيل شهادة استاذ من جامعة بيروت الاميركية ، وهي تعرض الاوجه الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لنظام اتحاد جمركي بين العراق وسوريا ولبنان ، ولعل مكانتها مستمدة من انها اول عمل يقدم به باحث عربي واضعاً نصب عينيه قضية التخصص في الصناعة تمهيداً للادراك بان نجاح الصناعة في اي بلد عربي انما يتطلب سوقاً اوسع من سوق البلد نفسه . وكذلك اطروحة **الاستاذ صلاح الدين طرزي** : (**المرافق العامة اللبنانية السورية**) Les services publics libanais - syriens. وهي تعرض اصل وتطور المرافق العامة لا سيما الاقتصادية في سوريا ولبنان . وهذه ايضاً من اولى المحاولات في هذا الميدان . وفي أيام الحرب ظهرت في موضوعها مع ما جرّته من مشاكل الاسعار أطروحة **الاستاذ بول خلاط** : (**السياسة الاقتصادية للحرب في سوريا ولبنان**) **١٩٤٤** War economic policy in Syria and Lebanon التي وضعها لنيل شهادة استاذ من جامعة بيروت الاميركية وهي دراسة عن التشريعات والقيود التي كانت موجودة في البلدين ، لا سيما تلك التي تتناول مراقبة الاسعار والاعاشة والايجارات والاجور . وكذلك تقرير **الاستاذ سعيد حماده** : « **تقرير عن طرق مراقبة الاسعار في لبنان** » - ١٩٤٣ وهو يتحدث عن ارتفاع الاسعار وتكاليف المعيشة واسبابها والطرق المتبعة للمراقبة والتدابير المقترحة لمعالجتها في لبنان . ثم تبعت ذلك في موضوع الاسعار بعد الحرب مذكرة **للدكتور البرت**

بدر : « احصاءات عن الاسعار والانتاج في سبعة اقطار من الشرق الاوسط» Statistics of prices and production in seven Middle Eastern countries . ۱۹٥۲

ومن هذه الاقطار لبنان ، وفيها عرض لاحصاءات اسعار الجملة والانتاج الصناعي. ولا يفوتنا في هذا المضمار العمل القيم الذي قام به معهد الابحاث الاقتصادية باشراف الدكتور الجبت بدر وفيه عرض مفصل للاحصاءات الصناعية في لبنان والذي تناول عام ١٩٥٥ .

وهناك مؤلفات عامة ضمت بحوثاً اقتصادية عن لبنان وهي كثيرة لا تشكل بنظرنا مساهمة جدية في التأليف الاقتصادي عن لبنان نذكر منها على سبيل المثال كتاب الاستاذ : منير الشريف : « **القضايا الاقتصادية الكبرى في سوريا ولبنان** » **١٩٤٧** .

اما البحوث والمقالات التي ظهرت في النشرات الدورية فمن البديهي ان لا تكون كلها عبارة عن مساهمة حقيقية في التأليف الاقتصادي في لبنان ، ولعل في كثير منها ترداداً أو ايجازاً لكثير مما ورد في المؤلفات ، لكن هناك بعضها مما يستحق التسجيل على اساس انها مساهمة فعالة، ونخص بالذكر محاضرة **الاستاذ ابراهيم عبد العال : وسائلنا اللبنانية** – ١٩٥٠ التي القاها في الندوة اللبنانية ونشرت في المجموعة الدورية لهذه الندوة ، وهي دراسة موضوعية للمشكلات الاقتصادية التي يواجهها لبنان مع بعض الاحصاءات عن السكان والري والقوى الكهربائية. وكذلك بحث **الاستاذ سعيد حماده : مشاكل لبنان الاقتصادية وكيفية معالجتها** وقد نشر – في سلسلة « الابحاث الاجتماعية » عدد كانون الاول ١٩٤٦ وهي تحليل لمشكلات فائض السكان والزراعة والمال والتجارة مع بعض الاقتراحات بالحلول العملية . والواقع ان هذا البحث يعد عماداً اولياً للمرحلة التالية التي سوف نعرضها

والتي هي عبارة عن الانتقال من العرض وحصر الامكانات الى التحليل ثم التخطيط والتوصية . ثم يلي هذا البحث ، بحث آخر للاستاذ سعيد حماده ايضاً نشر في مجلة « الابحاث » ، عدد حزيران ١٩٤٨ وعنوانه : « **فوائد لبنان وسوريا من الوحدة الجمركية والروابط الاقتصادية الاخرى بينهما** » ، وهي ايضاً تعتبر بمثابة قواعد عاد الاستاذ وغيره ممن اعتنقوا نظرية الابقاء على الوحدة الجمركية بين البلدين فتوسعوا بها لدى كتاباتهم في هذا الموضوع اثناء وقوع القطيعة ونهاية الوحدة الجمركية والاقتصادية عام ١٩٥٠ ، وهذا ما نراه في مقالة الاستاذ سعيد حماده التي نشرها في « المجموعة السنوية لمجلة غرفة تجارة حلب » عام ١٩٥٠ وعنوانها : هل من مبرر للانفصال الجمركي بين سوريا ولبنان » وفيها يعرض سيئات هذا الانفصال وحسنات الوحدة الجمركية والاقتصادية . وفي هذا الموضوع بالذات القى **الاستاذ موسى مبارك** محاضرة في الندوة اللبنانية موضوعها : « مزايا ومساوىء الوحدة الجمركية » Avantages et inconvenients d'une union douaniere نشرت بعد ذلك في المجموعة الدورية لهذه الندوة لشهر حزيران ١٩٥٠ . وهي تعرض وجهة النظر المعاكسة التي تقول بان استقلال اي دولة ليس مضموناً الا بالاستقلال الاقتصادي ايضاً .

والواقع ان هذا الموضوع قد جر معه بحثاً مطولاً عن اختلاف السياسات الاقتصادية ما بين سوريا ولبنان ، فبينما كانت سوريا تتزعم سياسة الاقتصاد الموجه كان لبنان حريصاً على المضي في سياسة الحرية الاقتصادية ، ولقد كتب بهذا الشأن كثير من المقالات والبحوث الا أن اهمها على سبيل المثال المقالة التي كتبها **الاستاذ محمد سعيد الزعيم** : « اقتصاديات سوريا ولبنان بين الحرية المطلقة والحماية المقيدة » والتي نشرها في المجموعة الاقتصادية السنوية لمجلة غرفة تجارة حلب ، وفيها يعرض الاوضاع الراهنة للصناعة والزراعة والتجارة وكافة الموارد الاخرى خاصاً من ذلك الى ابداء

رأيه في سياسة حماية مقيدة

اما على الصعيد الفني التطبيقي فهنالك عدة ابحاث هامـة ظهرت في المنشورات الدورية وأهمها البحث الذي نشره الاستاذ ابراهيم عبد العال في المجلة الجغرافيـة Geographical Review في عدد كانون الثاني ١٩٥٠ بعنوان L'aridite et l'ecoulement dans les pays du Moyen Orient وفيها وصف للمناطق المائية في لبنان وسوريا وكيفية الحصول على المياه في فصل الجفاف . وكذلك المحاضرة التي القاهـا في الندوة اللبنانية عام ١٩٥١ والتي نشرت في مجموعة الندوة عدد حزيران ١٩٥١ بعنوان Les amenagements hydroliques dans l'economie libanaise وهي دراسة عن الانشاءات المائية مع اقتراحات وتصاميم لتحسين الغائها .

وفي القطاع الزراعي كتب **الاستاذ جان دبانه** مقالة في مجلة غرفـة التجارة والصناعة في بيروت عدد تشرين الاول ١٩٥١ بعنوان . « معضلة الحمضيات في لبنان » هي عبارة عن دراسة لانتاج الحمضيات في لبنان وكيفية تصريفها في الداخل والخارج . وكتب الاستاذ **جان موهج** مقالة بعنوان « **شجرة الزيتون** » في مجلة « الشجرة » في عدد تموز — آب — ايلول ١٩٤٩ . وفيها عرض لانتاج الزيتون وزراعته ووسائل انماء هذه الزراعة . والقى الاستاذ **جوزف نجار** محاضرة في الندوة اللبنانية بعنوان « التجهيز الاقتصادي للبنـان » L'equipement economique du Liban نشرت في مجموعة الندوة في عدد تموز ١٩٤٨ وفيها يلقي نظرة شاملة على اقتصاد لبنان الزراعي ووسائل زيادة انتاجيته وزيادة الغلة والدخل الفردي منه . وكتب الاستاذ **عفيف طنوس** مقالة في مجلة علم الاجتماع الاميركية في عـدد تشرين الاول ١٩٤١ مقالة بعنوان : التغيرات الاجتماعية في قرية عربية ، نهوض وافول صناعـة الحرير في لبنان .

Social change in an Arab village, rise and fall of the silk industry in Lebanon

وفي القطـاع الصناعي كتب الاستاذ **احسان بهاء الدين الجابري** مقالة في المجموعة السنوية لمجلة غرفة تجارة حلب لسنة ١٩٥٠ بعنوان : « **سياسة القوى المحركة والوقود في سوريا ولبنان** » وفيها تقديرات للقوى المحركة المتوفرة ، ومقدار ما يتطلبه التقدم الصناعي منها . والواقع ان الابحاث والمقالات الجدية الـتي كانت تنشر في المنشورات الدورية عن الصناعة اللبنانية لم تكن كثيرة، وذلك لانصراف الكتاب عنها الى معالجة الشؤون الانشائية والسياسية والاقتصاديـة الاخرى التي تمخضت عنها الاحداث الاقتصادية في ذلك الحين .

ثالثاً – ما اسهم به المؤلفون العرب في دراسة الاقتصاد اللبناني منذ صدور كتاب « التصميم الانشائي للاقتصاد اللبناني واصلاح الدولة » للاستاذ جبرائيل منسى حتى يومنا هذا

تمخضت الاحداث الاقتصادية بعد نيل لبنان لاستقلاله وتلاحقت الى ان وقع الانفصال الجمركي والاقتصادي مع سوريا . وكان قد سبق هذا الانفصال حوار طويل بين الاقتصاديين والمشتغلين بالشؤون العامة لا سيما عندما وقع لبنان الاتفاق المالي منفرداً مع فرنسا كما سبق واشرنا . والواقع ان هذا الانفصال قد وضـع لبنان امام تحدي التجربة ، وحمله اذ وقف وحيداً يعالج شؤونه الاقتصادية على ان يتدبر ما ينبغي له ان يفعل على ضوء استقلاله الاقتصادي الجديد . ولعل هذه الهزة هي التي دفعت الكتاب العرب الى الانتقال من مرحلة جمع المعلومات وحصر العناصر المقومة للاقتصاد اللبناني والانطلاق الى البحث عن الوسائل والسياسات الملائمـة في نظرهم للبنان . وبدأنا نقرأ عن التخطيط والتصميم ، وأخذت لفظة « الانما. » تحتل

مكانها الرئيسي في الكتابات ، وطفقنا نستمع الى شكوى الكتاب من انعدام « سياسة اقتصادية » ينتهجها لبنان ، والى دعواتهم الى وضع سياسة ، واطلعنا على كثير من الاقتراحات والتوصيات ، كل هذا كان دافعه الشعور الجديد بالمسؤولية حيال الاستقلال سواء اكان استقلالا ، سياسياً ام اقتصادياً . وتدفقت المقالات والبحوث في هذا المضمار ، وان كانت في معظمها لا تشكل « مساهمة » بعيدة الاثر في التأليف ، الا انها كانت ظاهرة جديدة تستحق التسجيل ، لان كثيراً من اصحاب الاقلام الذين لم يكونوا يهتمون بالشؤون الاقتصادية قد اقبلوا عليها ، متجهين ان القطاع الاقتصادي اصبح يحتل مكانة اساسية في جهاز لبنان وانه بات يعكس تطورات واثارا جسيمة على مختلف الحقول الاخرى التي لها مساس بالحكم والشعب على السواء . ولم يعد ميدان هذه الاقلام محصوراً في الكتب والمنشورات المتخصصة والمجلات الدورية ، بل اتسع الميدان الى الصحافة اليومية ، واخذت المساجلات والآراء والردود على هذه الآراء تتقافز هنا وهناك ويطلع عليها القارىء العادي الى جانب المستقرىء المتفرغ . وكانت فاتحة هذه المرحلة الجديدة كتاب الاستاذ جبرائيل منسى : « التصميم الانشائي للاقتصاد اللبناني واصلاح الدولة » ، الذي وان كان قد صدر سنة ١٩٤٨ اي قبل وقوع الانفصال وبعد توقيع الاتفاق المالي اللبناني — الفرنسي ، الا انه كان بمثابة استهلال المرحلة الجديدة التي نحن فيها ، وانطلاق من المعلومات والاحصاءات المتوفرة قدر الامكان بعد حصرها الى ميدان التحليل والاقتراح والتصميم والتخطيط . وهي محاولة لحمل لبنان من واقعه الاقتصادي الى ما ينبغي له ان يكون من اجل انماء ثرواته وادخال الجديد عليها وتعميم هذه المنافع على كافة القطاعات والفئات والمناطق .

وكتاب الاستاذ جبرائيل منسى : « التصميم الانشائي للاقتصاد اللبناني واصلاح الدولة » — ١٩٤٨ ، الذي وضعه بمعاونة الاستاذ جوزف نجار واعضاء لجنة

الدروس الفنية في جمعية الاقتصاد السياسي اللبنانية ، هو كتاب ضخم يقع في ٦٥٢ صفحة ، يتضمن دراسة عامـة للاقتصاد اللبناني من ناحيتي هيكله وميزان مدفوعات لبنان الدولية ، ثم يتناول ماهية المشاكل الاقتصادية المباشرة وغير المباشرة التي تسيطر على الاقتصاد اللبناني وتعيق نموه ، ويعرض من ثم الشروط الضرورية لانشاء اقتصاد لبناني سليم ، والخطوط العامة لتصميم يتناول التنظيم والنمو الاقتصادي . وهو يضيف بعد ذلك جزءاً يشرح فيه نظريته في اصلاح الدولة ، ليقينه بعدم نفع اي مشروع يهمل التنفيذ والتطبيق .

ولقد ثارت حول هذا الكتاب في حينه عاصفة كبيرة من المناقشات والاخـذ والرد ، ذلك لان الآراء التي تضمنها انما هي مجموعة متكاملة من المدرسة اللبنانية التقليدية التي تنادي بالاستقلال الاقتصادي المطلق مع البلاد العربية ومشاركة هذه البلاد في الخطط الانمائية على شكل منطقة اقليمية او سوق مشتركة او وحـدة اقتصادية شاملة بما يتبع من تشريعات متشابهة او متقاربة او موحدة . ولعل اول ما لهذا الكتاب من قيمة هو انه يرمز الى المدرسة الاولى ، ويعبر عن آرائهـا ونظرياتها بالتفصيل ، ويخطط لمستقبل اقتصادي للبنان على اساس هذا الاتجاه .

وللاستاذ جبرائيل منسى مؤلفات اقتصادية اخرى اهمها : كتاب « **الاقتصاد اللبناني على مفترق الطرق** » ١٩٥٠ ، فيه يحـاول المؤلف ان يبرهن على ان لبنان باستطاعته ان يعيش بدون وحدة جمركية مـع سوريا شريطة ان يتبع سياسة اقتصادية مستقرة . وواضح ان هذا الكتاب قـد اتى في غمرة المناقشات التي كانت دائرة في تلك السنة وبعدها على اثر انتهاء الوحدة الجمركية والاقتصادية بين لبنان وسوريا . وكتاب « **من اجل تجديد اقتصادي لبناني بالتعاون مع لبنان ما وراء البحار** ١٩٥٠ » Pour une renovation economique libanaise avec la

collaboration du Liban d'Outre-mer وهو يشدد على خطورة المساهمة المرتقبة للمهاجرين اللبنانيين في الاقتصاد اللبناني وعلى ضرورة نشوء تعاون مثمر بين لبنان ومغتربيه في استثمار رؤوس اموالهم في لبنان .

ولقد تتابعت المؤلفات بعد هذه الفترة ومنذ بدء التجربة الجديدة ، وطفق المؤلفون يكتبون في هذا الاتجاه ، ضامين ما يحصلون عليها من وقائع ومعلومات الى استنتاجاتهم الشخصية وآرائهم المنسجمة مع مذاهبهم الاقتصادية المتنوعة . وان كاتب هذه الدراسة ليستأذن لكي يشير الى كتابه الذي صدر في تلك الاثناء وعنوانه : **« الجهاز الاقتصادي والسياسة الاقتصادية في سوريا ولبنان » ١٩٥٣** La stucture et la politique economiques en Syrie et au Liban وهو يعرض مقومات الجهاز الاقتصادي في قطاعات الزراعة والصناعة والتجارة والاوضاع المالية والنقدية ، ويحلل الظروف الاساسية والطارئة التي ادت الى انتهاء الوحدة الجمركية والاقتصادية بين لبنان وسوريا ويقدم بعد ذلك مقترحات وتوصيات فيما يتعلق بالمستقبل الاقتصادي اللبناني .

ومن اهم الدراسات التي تناولت بحثاً موضوعياً في عدد من قطاعات الاقتصاد اللبناني هي السلسلة التي اعدها **الدكتور البرت بدر** بعنوان : **« الدخل القومي للبنان »** National Income of Lebanon ويقع في سبع حلقات ، الحلقة الاولى بعنوان : « **رفع الدخل في القطاع الزراعي** » ، اشترك معه في اعدادها الاستاذ اغوبيك الطونيان وهي تتضمن تحقيقات احصائية على القيمة الصافية للغلات الزراعية وعلى الدخل الاجمالي والصافي من الزراعة . والحلقة الثانية بعنوان « **رفع الدخل في قطاع البناء** » اشترك معه في اعدادها **الاستاذ اغوبيك الطونيان** وهي تقدم تقديراً للمساحات المبنية وتكاليف البناء . والحلقة الثالثة بعنوان : « رفع الدخل في

القطاع الصناعي » اشترك معه في اعدادها **الاستاذ اسعد نصر**، وهي تتضمن تقديرات لحجم الصناعات والحرف ومجال زيادة الدخل من هذا القطاع . والحلقة الرابعة بعنوان : « **رفع الدخل في قطاع الخدمات** » ، اشترك معه في اعدادها الاستاذ اسعد نصر ، وهي تتضمن تحقيقات احصائية على رفع الدخل في قطاع الخدمات بما في ذلك المدارس والمستشفيات والمؤسسات ودور الدعاية وشركات الاعمال والتجارة وغير ذلك . والحلقة الخامسة بعنوان : « **رفع الدخل في القطاع الحكومي** » ، اشترك معه في اعدادها **الاستاذ اسعد نصر** ، وهي تتضمن تحليلاً وتحقيقاً في مختلف موارد الدولة وفي سبل زيادة هذه الموارد . والحلقة السادسة بعنوان : « **رفع الدخل في قطاع النقل والمواصلات** » وهي تتضمن معلومات عن اجور ورواتب المستخدمين في كافة مؤسسات هذا القطاع وعن الايجارات المدفوعة وقيمة المواد المستعملة كالوقود واستهلاك الآلات والاجهزة . والحلقة السابعة بعنوان : « **رفع الدخل في القطاع العقاري** » وهي تتضمن معلومات عن سياق تزايد الدخل الاجمالي من الايجارات والنفقات العقارية واستهلاك العقارات . وقد استغرق اعداد هذه السلسلة من الدراسات طيلة الفترة الممتدة من سنة ١٩٥١ الى سنة ١٩٥٤ ، وهي بلا شك مجهود من نوع جديد على لبنان ، تستحق ان تسجل في صدر المساهمة الجدية للتأليف الاقتصادي اللبناني ، ولو ان كثيراً من الاحصاءات والمعلومات لم يكن بالامكان اثباتها الا على وجه التقريب بالنظر لعدم توفر الاجهزة الكافية والظروف الملائمة لتحقيق الدقة العلمية التامة .

ومثل هذا القول ينطبق ايضاً على الدراسة التي وضعها الاستاذ **بول خلاط** بالاشتراك مع الاستاذ ادوارد فاي Edward Fei بعنوان : « ميزان المدفوعات اللبناني ١٩٥١ و١٩٥٢ The balance of payments of Lebanon 1951 and 1952 » فلقد كانت الارقام التي اتى بها هذان الاستاذان لا سيما بالنسبة للمداخيل غير المنظورة

ارقاماً تقريبية تقديرية ولكن شرح هذه الارقام وتفسيرها كان لها قيمة تأليفية تلفت النظر .

وانطلق كذلك طلاب الاقتصاد في الجامعات يبثون اطروحاتهم في موضوعات اقتصادية هامة لها علاقة بمختلف اوجه الجهاز الاقتصادي اللبناني ويهمنا هنا ان نثبت بعضها على سبيل المثال لا الحصر ، فنذكر اطروحة **الاستاذ نبيل سعاده** : **« التسليف الزراعي في لبنان »** ١٩٥٣ Agricultural credit in Lebanon وهي تتضمن دراسة موفقة عن الصفات العامة المميزة للزراعة اللبنانية والعوامل التي تؤخر تدفق التسليف الى مختلف قطاعات الاقتصاد ، ودور الحكومة في تمويل الزراعة والتدابير الواجب اتخاذها لتحسين الوضع . ولقد تناولت الوضع التجاري اللبناني ثلاث اطروحات توزعت فيما بينها مختلف العناصر المؤلفة بهذا الموضوع ، اولها اطروحة **الدكتور سمير مقدسي** : **(التجارة الخارجية اللبنانية بعد الحرب والانماء الاقتصادي) ـ ١٩٥٥** Post - War Lebanon foreign trade and economic development التي وضعها لنيل شهادة استاذ من الجامعة الاميركية في بيروت ، وفيها تحليل ممتاز لتجارة لبنان الخارجية بعد الحرب وعرض موفق للدور الذي تقوم به هذه التجارة في التقدم الاقتصادي العام للبنان . ثم اطروحة **الاستاذ خليل سالم** : **(اجراءات التبادل الخارجي في الاقتصاد اللبناني)** ١٩٥٥، التي وضعها لنيل شهادة استاذ من الجامعة الاميركية في بيروت Foreign exchange practices in the economy of Lebanon وقد تطرق الكاتب فيها الى النواحي الفنية عارضاً لها باسلوب التفهم للظروف الاقتصادية التي ينفرد بها لبنان . واخيراً اطروحة **الاستاذ يوسف لحود** : **« الاتفاقية التجارية في لبنان ـ دراسة تحليلية »** ـ ١٩٥٦ ، التي وضعها لنيل شهادة استاذ من الجامعة الاميركية Trade agreement in Lebanon, an analytical study

وهي دراسة عن اسباب ادخال الاتفاقات الثنائية في التجارة الخارجية اللبنانية والاشكال التي تأخذها هذه الاتفاقات وآثارها على التجارة الخارجية اللبنانية .

وفي المضار النقدي والمالي كتبت اطروحتان هامتان : الاولى **للاستاذ الياس سابا : (متطلبـــات وجود نقد لبناني قابـــل للتحويل) – ١٩٥٦**

Requirements and desirability of a convertible Lebanese currency

التي وضعها لنيل شهادة استاذ من الجامعة الاميركية في بيروت وفيها عرض نظري يمتاز بالجودة للشروط العامة التي يجب ان تتوفر لكي يصبح النقد قابلا للتحويل وفيها ايضاً بحث عما اذا كان لبنان يستطيع ان يبقي رسمياً على نقده قابلا للتحويل وعما اذا كان ينبغي له ذلك ، والواقع ان الكاتب قد وفق في اطروحته هذه الى حد يؤهلها لان نعتبرها مساهمة اساسية في التأليف الاقتصادي للبنان لا على الصعيـد التطبيقي كغيرها فحسب ، بل ايضاً على صعيد البحث النظري البحت الذي يمهد لقيام نظريات خاصة بمناطق اخرى من العالم كمنطقة العالم العربي ومنها لبنان . اما الاطروحة الثانية فهي **للاستاذ زهير مكداشي : النظام النقدي في لبنان** ١٩٥٦ التي وضعها لنيل شهادة استاذ من الجامعة الاميركيـة في بيروت The monetary system of Lebanon وهي تتضمن وصفاً تحليلياً للمؤسسات النقدية في لبنان ، وقد تحدث فيها في الوضع الحاضر والمرتقب للسياسة النقدية اللبنانية .

ثم هناك اطروحات تناولت موضوعات اقتصادية لبنانية متنوعة ، اجدرها بالذكر اطروحة **الاستاذ جورج خلف : (التسليف الطويل الاجل في لبنان) – ١٩٥٧** Long term credit in Lebanon التي اعدها لنيل شهادة استاذ من الجامعة الاميركية في بيروت ، وهي تتضمن تحليلا للتدابير التي اتخذت لجعـل التسليف الطويل والمتوسط الاجل اكثر توفراً بين ايدي القطاعات الانتاجية في الاقتصاد اللبناني مع توصيات لا بأس بها من اجل تحسين هذه الاوضاع .

ولا يفوتنا ان نذكر ايضاً الاطروحتين اللتين وضعهما كل من الاستاذين زهير مكداشي والياس سابا لنيل شهادة (B. Litt.) من جامعـــة اكسفورد . الاولى للاستاذ مكداشي : « عائدات النفط وتكاليف نقله في الشرق الاوسط وبصورة خاصة فيما يتعلق باقطار المرور » ١٩٥٨ .

Oil revenues and transport costs in the Middle East with special reference to transit countries

وفيها معالجة لموضوع يهم لبنان وهو عائدات المرور . والثانية للاستاذ الياس سابا :
تطورات ما بعد الحرب في انظمة التجارة الخارجية اللبنانية والسورية – ١٩٥٨

Post-war developments in the foreign exchange systems of Lebanon and Syria

وفيها شرح نظري وتطبيقي للاوضاع الخاصة التي حدت بلبنان الى اتبـــاع نظام التبادل الحر في تجارته الخارجية .

وفيما خلا هذه الاطروحات ، فان تأليف الكتب الاقتصادية التي تستحق ان تدخل في مضمار المساهمة الحقيقية كان ضئيلاً نسبياً وفيما يلي مثالان عـلى نوع هذه الكتب : كتاب **الاستاذ ارماند حنا : النظام المصرفي والتنظيم الاقتصادي في لبنان – ١٩٥٣** Banking and the economic organization of Lebanon
وفيه عرض لانظمة المصارف التجارية والحسم واعادة الحسم وبحث عن موقع المصارف في الاقتصاد اللبناني وعلاقات لبنان بالبنك الدولي للتعمير والانماء .

كتاب **الاستاذ كامل المقدم : سلسلة الدراسات التوجيهية في الاقتصاد والمال والاجتماع** – ١٩٥٩ وهو محاولة قام بها الكاتب للتوفيق بين الاقتصاد الموجه والاقتصاد الحر في لبنان .

واذا كان التأليف نادراً في تلك الفترة فان كتابة البحوث والمقالات الجديــة ونشرها في المجلات الدورية والمجموعـات المتخصصة كانت اغزر بكثير ، وبديهي اننا لا نستطيع الاحاطة بها جميعها ولكننا نذكر ابرز ما يلفت النظر منهـا . وجدير بالملاحظة ايضاً ان عدداً من هذه البحوث والمقالات قد اعيد نشرها في عــدة امكنة ، ولكننا نكتفي بذكر مكان واحد لتعذر حصر جميع هذه الامكنة ، وقد ترجم بعضها الى لغة اخرى . ومن ابرز النشرات الدورية التي عثرنا فيها عـلى هذا النوع من التأليف نذكر على سبيل المثال لا الحصر : مجلة « الابحاث » ، ومجلة « الاقتصاد اللبناني والعربي » التي تصدرها غرفة التجارة والصناعـة في بيروت ، والمجموعة السنوية التي يصدرها معهد الابحاث الاقتصادية التابع للجامعة الاميركية في بيروت بعنـوان Middle East Economic Papers وجريـدة تجارة المشرق Le Commerce du Levant نصف الاسبوعية والشهرية ، ومجموعة محاضرات الندوة اللبنانية .

فلقد نشرت الندوة اللبنانية في مجموعتها بتاريـخ ١٦ ايار ١٩٥٣ المحاضرة التي القاها **الاستاذ اميل بستاني بعنوان : لبنان والعالم العربي** ، وهي دراسة عـن العلاقات الاقتصادية والصناعية التي تربط لبنان بالعالم العربي ، وفيها تتضح وجهـة نظر البستاني في ماهية دور لبنان الاقتصادي الذي يرتأي ان يقوم به في الاقطار الشقيقة .

وفي الميدان الزراعي نشرت الندوة اللبنانية في مجموعتها بتاريخ ٣١ آذار ١٩٥٣ المحاضرة التي القاها الاستاذ **ابراهيم عبد العال بعنوان : الحياة القروية اللبنانية** La paysaunerie Libanaise تحدث فيها عن الظروف التي تكتنف حياة الفلاحين في لبنان وطريقة كسبهم ومستوى دخلهم .

وكان الاستاذ **جوزيف ابي فاضل** قد القى محاضرة في جامعة كاليفورنيا عام ١٩٥٢ خلال انعقاد المؤتمر الدولي للتسليف الزراعي والتعاوني وقد نشرت في مجموعة اعمال هذا المؤتمر. والمحاضرة قيمة تستحق الانتباه وهي بعنوان : **الزراعة والتسليف الزراعي والتعاونيات الزراعية في لبنان**. وفي هذا الموضوع ايضاً كتب الاستاذ **فؤاد سعاده** مقالة في مجلة « الشجرة » عدد كانون الثاني ١٩٥٣ بعنوان « **القروض الزراعية والاصلاح الزراعي في لبنان** » قدم فيها اقتراحاً مفصلاً بانشاء تعاونيات التسليف الزراعي بين تأثير ذلك على الاقتصاد الوطني . ثم نشرت للاستاذ **فؤاد سعاده** ايضاً المحاضرة التي القاها في برنامج « الاسابيع الاجتماعية اللبنان » Semaines sociales du Liban الذي اقامته الجامعة اليسوعية سنة ١٩٥٥ وطبعت بعد انتهائه مجموعة المحاضرات التي القيت فيه . وعنوان محاضرة الاستاذ سعاده : **ظروف الزراعة اللبنانية ومواردها** Les conditions et les revenues de l'agriculture libanaises وهي دراسة موضوعية مركزة للزراعة اللبنانية من اهم نواحيها ، ثم كتب الاستاذ **ابراهيم عبد العال** بحثاً نشرته له مجلة « الاقتصاد اللبناني والعربي » في عدد تشرين الثاني ١٩٥٩ بعنوان : « الثروة المائية في لبنان وامكان تعميم فوائده على كل بيت لبناني » ، وهو بحث تناول مباشرة مصادر المياه في لبنان واقترن ببرنامج يفصل كيفية استخدام هذه المصادر على افضل وجه . ونشرت مجلة « الاقتصاد اللبناني والعربي » في عدد ايار ١٩٦٠ مقالة **للاستاذ اديب سركيس** بعنوان : « ثرواتنا الضائعة : امكانات جديدة لاستثمار الثروات الطبيعية في لبنان » استعرض الكاتب فيها المياه والجو والوسائل الممكنة لاستغلال هذين الموردين على افضل وجه .

واما في الميدان الصناعي فقد نشرت الندوة اللبنانية في مجموعتها بتاريخ ١٦ نيسان ١٩٥٣ المحاضرة التي القاها الدكتور **البرت بدر** بعنوان : « **الانماء الصناعي**

في لبنان » وهي محاضرة تعد من اولى المحاولات الجدية التي قامت على الصعيد العلمي بعد الحرب من اجل ايضاح امكانات الانماء الصناعي في لبنان ودور الحكومة في هذا المجال ووسائل تمويله . وقد انطلق الكتاب بعد ذلك يعالجون موضوع الانماء الصناعي من كافة وجوهه النظرية والاقتصادية والفنية ، ولعل من اهم هذه الكتابات التقارير العامة التي يصدرها معهد البحوث الصناعية والتي تتناول قطاعات متنوعة من الصناعة بالتحليل الاقتصادي والفني ، ولقد كتب **الدكتور منير عطيه** مقالة هامة نشرتها مجلة « الاقتصاد اللبناني والعربي » في عدد ايلول ١٩٥٥ بعنوان : دور البترول في مستقبل الانماء الصناعي في لبنان » وهو بحث فريد من نوعه تطرق الى ناحية الانماء الصناعي اللبناني عن طريق مختلف اوجه الواردات من البترول ، ثم نشرت الندوة اللبنانية في مجموعتها بتاريخ آذار ١٩٥٥ المحاضرة التي القاها **الدكتور منير عطيه** بعنوان : **التصنيع في لبنان ، موجباته ومقوماته** ، وفيه يرسم خطة عامة مفصلة لحركة التصنيع التي يحتاجها لبنان . ثم كتب **الدكتور منير عطيه** في مجلة « الاقتصاد اللبناني والعربي » عدد شباط ١٩٥٨ مقالة بعنوان : « اسس الانطلاق الصناعي في لبنان » تحدث فيها عن الشروط الكفيلة بتقوية قواعد النمو الصناعي في لبنان . ونشرت الندوة اللبنانية في مجموعتها بتاريخ ١٦ نيسان ١٩٥٣ المحاضرة التي القاها **الاستاذ مصطفى النصولي** بعنوان : « **التراث اللبناني من الحرفة الى الصناعة** » وهي دراسة شاملة لمختلف انواع الصناعات في لبنان مع اقتراح بالتدابير اللازمة للتحسين . وكتب الاستاذ **ادمون عصفور** بحثاً في المجموعة السنوية لمعهد الابحاث الاقتصادية Middle East Economic Papers لعام ١٩٥٥ بعنوان « **الانماء الصناعي في لبنان** » ابرز ما فيه الانتباه الذي وجهه الى ناحية السوق والتصريف ، مشدداً على ان صناعة سليمة لا يمكنها ان تعيش مزدهرة في سوق ضيقة . وكتب **الدكتور طلحه اليافي**

بحثاً مطولاً بعنوان « التسليف الصناعي في لبنان » في عدة اسكتناماً مجلة « الاقتصاد اللبناني والعربي » عدد ايلول ١٩٥٦ وفيها يلقي نظرة على جهاز التسليف في لبنان ثم يحلل بعض المشكلات التي تحد من امتداد التسليف الطويل والمتوسط الاجل في لبنان ، ثم يتحدث عن اثر بنك التسليف الزراعي الصناعي العقاري في التخفيف من حدة هذه المشكلات . ونشرت مجلة « الاقتصاد اللبناني والعربي » في عدد حزيران ١٩٥٨ المحاضرة التي كان **الاستاذ كمال سعد** قد القاها في مؤتمر المواصفات والمقاييس الذي عقد في معهد البحوث الصناعية سنة ١٩٥٨ وعنوانها : « دراسة عدة حالات ومشكلات سببها عدم وجود مقاييس في صناعات الاقطار العربية » Etude de quelques cas typiques et problemes occasionees par le manque de normes dans les industries des pays arabes وهو يبين في هذه المحاضرة المشكلة والتأخر الفني الذي يحيق بالصناعة من جراء عدم توفر مقاييس وقد استمد امثلته من وقائع حدثت في الصناعة اللبنانية وكتب الاستاذ بول خلاط بحثاً في المجموعة السنوية لمعهد الابحاث الاقتصادية امام ١٩٥٩ بعنوان « التشريع العمالي في لبنان » Labour legislation in Lebanon عرض فيه بالتفصيل كل ما يهم معرفته في هذا الصدد على الصعيد الاقتصادي . وكتب في هذا الموضوع ايضاً **الدكتور يوسف صايغ** مقالة في المجلة الاسلامية Islamic Review في عدد آذار ١٩٥٩ بعنوان : « العلاقات بين العمال والادارة في العراق ولبنان والاردن ومصر » وتحدث **الاستاذ الياس سابا** في مقالة نشرها في مجلة « الكلية » Middle East Forum: al-Kulliyah في عدد تشرين الاول ١٩٥٩ عن **« الصناعة السياحية في لبنان »** فضمت تحليلاً وتوصيات لتوسيع هذه الصناعة .

واما في الميدان التجاري فقد نشرت **للاستاذ بول خلاط** في مجموعة « الاسابيع الاجتماعية للبنان » ١٩٥٥ المحاضرة التي القاها في ذلك البرنامج بعنوان : « التجارة

وتأثيراتها الاجتماعية « Le commerce et ses incidences sociales وهي دراسة موفقة تحلل الوضع التجاري في لبنان وتشرح الآثار العميقة التي تخلقها التجارة في حياة لبنان الاقتصادية والاجتماعية . وميزة هذا البحث انه نهج في تحليله اسلوباً جديداً لم يعهده التأليف الاقتصادي من قبل وقد جمع الحقائق مع النظرة العلمية المشارقة . ونشرت مجلة « الاقتصاد اللبناني والعربي » في عدد آذار ١٩٦٠ مقالة **للاستاذ يوسف حلباوي** بعنوان : « **نظرة تاريخية لمشكلة الترانزيت العربي** » Aperçu historique sur le problème du transit inter-Arabe يتضمن تحليلاً لمشكلات الترانزيت العربي والحلول المتنوعة التي تم التوصل اليها في الماضي ، ثم تحليلاً للاتفاقية التي وقعت سنة ١٩٥٩ بين سوريا ولبنان والسعودية والاردن بهذا الصدد ونشر **الدكتور البرت بدر** في مجلة « الابحاث » عدد ايلول ١٩٦٠ بحثاً بعنوان : « تحدٍّ جديد للاقتصاد اللبناني » وفيه تحليل بعض اوجه التأميم وتأثيرها في نظام ادارة الاعمال في بلد كلبنان ، وهو بحث جديد من نوعه يستحق التأمل والمناقشة على صعيد اوسع . وكتب الدكتور سمير مقدسي في مجلة « الكلية » Middle East Forum عدد شباط ١٩٦٠ ، مقالة بعنوان : سياسات التجارة الخارجية السورية اللبنانية : هل هي متلائمة مع بعضها ام متعارضة ؟ Syrian-Lebanese foreign trade policies: compatible or conflicting ? وفيها يحلل بعض اوجه الجهازين الاقتصاديين السوري واللبناني ، ويخلص الى ان نقاط التعارض فيما بينهما لا تستدعيان بالضرورة تعارضا على الصعيد الاقتصادي الدولي . وكتب **الاستاذ الياس سابا** بحثاً في المجموعة السنوية لمعهد الابحاث الاقتصادية لعام ١٩٦٠ بعنوان « الوحدة الجمركية السورية اللبنانية واسباب فشلها » .

The Syro-Lebanese customs union; causes of failure وفي هذا البحث يحاول الكاتب ان ينظر الى هذه المشكلة بعد ان بعد العهد بما فيه الكفاية عن حادثة انتهاء الوحدة الجمركية السورية اللبنانية ، بحيث يستطاع ان يعطى رأي عملي مجرد

عن الملابسات الآنية التي تكتنف بالحادثة . ولقد شرح الكاتب لماذا فشلت الوحدة وتحدث عن المحاولات التي بذلت لاعادتها .

واما في الميدان المالي والنقدي فقد نشرت للاستاذ **فرانسوا دباغ** في مجموعة « الاسابيع الاجتماعية البنان » ١٩٥٥ المحاضرة التي القاها في ذلك البرنامج بعنوان : « المالية العامة واعادة توزيع المداخيل » Finances publiques et redistribution des revenus وهي دراسة تناولت الآثار التي تترتب على توزيع الدخل من جراء النظام الضرائبي ، ولا يخفى ما لهذا الموضوع من اثر في الوضع الاقتصادي عامة . وفي الموضوع نفسه وفي المجموعة ذاتها ايضاً المحاضرة التي القاها الاستاذ الياس غناجة بعنوان « اعادة توزيع الدخل في لبنان » La redistribution des revenus au Liban وهي تتناول ذات الحقل وتعالج باسلوب موفق الآثار التي تترتب على توزيع الدخل من النظام الضرائبي وهي في الواقع دراسة اجتماعية اقتصادية على مستوى رفيع . وفي ذات البرنامج ايضاً نشرت المحاضرة التي القاها الدكتور البرت بدر بعنوان « الدخل القومي في لبنان » Le revenu national au Liban وهي دراسة تحليلية للدخل القومي اللبناني ، وذلك على ضوء مختلف الدراسات التي قام بها والتي تحدثنا عنها آنفاً . ونشر في المجموعة السنوية لمعهد الابحاث الاقتصادية لعام١٩٥٦ مقالة بنفس العنوان تتضمن جزءاً من خلاصة الدراسات التي قام بها في هذا الشأن مع اعضاء معهد الابحاث الاقتصادية . ونشرت له الندوة اللبنانية في مجموعتها بتاريخ آذار ١٩٦٠ محاضرة القاها بعنوان « نحو آفاق اقتصادية جديدة » يرى فيها هذه الآفاق على ضوء طبيعة الاقتصاد اللبناني المميزة وعلى ضوء التطورات والتغيرات التي طرأت على المنطقة المحيطة بلبنان ، مشيراً الى ضرورة تكييف لبنان مع المحافظة على وضعه وفقاً لهذه التطورات والتغيرات . وكتب الاستاذ الياس سابا مقالة في مجلة « الكلية » عدد تشرين الثاني ١٩٦٠ مقالة بعنوان **« المغتربون والاقتصاد اللبناني »**

Emigrants and Lebanon's economy عرض علمي للاستثمارات التي ينتظر ان يأتي بها المغتربون للتوظيف في لبنان . وكتب **الدكتور طلحه اليافي** بحثاً في المجموعة السنوية لمعهد الابحاث الاقتصادية لعام ١٩٥٨ بعنوان A case for banking reform in Lebanon وهو يتضمن وصفاً مقتضباً لماضي وحاضر النظام النقدي والمصرفي في لبنان مع تحليل لمختلف المراحل التي تمت من اجل انشاء بنك اصدار لبناني .

هذا ، وقد تناول الكثيرون من الكتاب الاوضاع الاقتصادية العامة للبنان ، في مقالات كثيرة جداً لا يمكن حصرها لا سيما المقالات التي تعالج ظروفاً آنية واحداثاً اقتصادية طارئة او تناقش تدابير اقتصادية اتخذتها السلطات او تعلق على تطور التجارة الخارجية او على تفاصيل الاسواق المالية والنقدية . ولكن يهمنا ان نذكر من هذه الموضوعات العامة المقالة التي كتبها **الدكتور بشير الداعوق** في مجلة « الكلية » عدد صيف ١٩٥٨ بعنوان « **النتائج الاقتصادية للازمة اللبنانية** » وفيها شرح للآثار التي تركتها ازمة ١٩٥٨ السياسية على مختلف قطاعات الاقتصاد اللبناني . وكذلك البحث نشره **الدكتور يوسف صايغ** في المجموعة السنوية لمعهد الابحاث الاقتصادية لعام ١٩٥٧ بعنوان : لبنان ، « **مشكلات اقتصادية خاصة ناشئة عن تركيب اقتصادي خاص** » ، وهو من افضل البحوث العامة في الاقتصاد اللبناني نفذ فيه الكاتب الى حقائق وضع المجتمع اللبنانية وحقيقة الجهاز الاقتصادي وخلص من ذلك الى عرض مشكلات الانماء الخاصة التي ينفرد بها لبنان على غيره من الاقطار الساعية الى الانماء . اما فيما يتعلق بسياسة الانماء الاقتصادي نفسها فان من افضل المقالات التي كتبت بهذا الصدد مقالة **الاستاذ الياس سابا** التي نشرها في مجلة « الثقافة العربية » عدد تموز – ايلول ١٩٥٩ بعنوان « سياسة الانماء الاقتصادي في لبنان » وفيها شرح وتقييم لسياسة الانماء الاقتصادي ، لا سيما من خلال برنامج

السنوات الخمس للانماء الاقتصادي ، فقــد امتازت هذه المقالة بالاحاطة والعمق والوضوح .

هذا ، ولا يسعنا الا ان نشير الى المقالات الكثيرة الــتي نشرت في المجلات والصحف لمعالجة الشؤون الاقتصادية الآنية او الطارئة ، والتي ان جمعت على مدى فترة معينة يمكن ان نعدها مساهمة حقيقية في تاريخ التطور الاقتصادي اللبناني ،ومن ابرز الكتاب الذين ساهموا في تحرير هذه المقالات الاستاذ برهان الدجاني، والامير مالك شهاب والدكتور احمد ملك لا سيما في مجلة « الاقتصاد اللبنــاني والعربي » والاستاذ كسروان لبــكي في مجلة تجارة المشرق (الكومرس دي ليفان) والاستاذ جان زياده في المجلات المتخصصة بالزراعة والاستاذ مروان اسكندر وغيرهم .

وقد توقفنا في بحثنا هذا عند سنة ١٩٦٠ ، وذلك لسببين : اولهما خوفاً من ان يفوتنا شيء هام مما صدر خلال السنتين الماضيتين مؤثرين ان تندمج هاتان السنتان في الفترة المقبلة التي قد يدرس ما ساهم به الكتاب العرب خلالها في التأليف الاقتصادي لبنان ، والسبب الثاني والاهم هو حرصنا على عدم ابداء رأي في اعمال حديثة العهد جداً قبل ان يمر وقت كاف للحكم عليها .

هذا هو ما اسهم به المؤلفون العرب خلال المائة سنة الاخيرة في دراسة الاقتصاد اللبناني ، والجدير بالملاحظة ان معظم كتاباتهم ان لم يكن كلهــا كانت تدور في الفلك التطبيقي ، ومنها مايصح ان نعتبره او نعتبر جزءاً منه « تاريخاً اقتصادياً » ولعل مرد ذلك الى حداثة عهد لبنان لا بالتأليف الاقتصادي فحسب ، بــل بالتنظيم الاقتصادي والمؤسسات الاقتصادية ، ناهيك عن الوعي الاقتصادي والمهني اساسا . لذلك فاننا وجدنا ان آثار هؤلاء الكتاب تكاد تخــلو من الدراسات النظرية او المذهبية ، الا اذا اعتبرنا الخلاف الذي كان قائماً بين لبنان الرسمي وسوريا الرسميــة

من سنة ١٩٤٨ الى ١٩٥٠ وما نتج عن ذلك من كتابات ومناقشات انها ذات اصل نظري او مذهبي . لكننا شخصياً لا ننظر الى مثل هذه الامثلة على انها معبرة عن نشاط في ميدان التأليف لم يبدأ اندفاعه في الدول المتخلفة الاسيوية والافريقية الا حديثاً ، فأخذت المحاولات تبذل من اجل الطلوع بنظريات ومذاهب تخص المناطق المتخلفة من العالم ،ولا يسعنا الا ان نهيب بالكتاب العرب ان يلحقوا بهذا الركب ويسهموا فيه عملياً بعد ان اكتسبوا من الخبرة التطبيقية مـا يؤهلهم للتمعن العلمي العميق واستخلاص العبر النهائية والاساسية مما مر بهم من تجارب واحداث .

التأليف الاقتصادي عن فلسطين

بقلم الاستاذ برهان دجاني

ان علم الاقتصاد علم حديث نسبياً، اذ ان ظواهر الحياة الاقتصادية بدأت تخضع للتحليل المنظم في نهاية القرن الثامن عشر تقريباً . ولقد جاء اهتمام العرب بهذا العلم بالذات متأخراً نوعاً ما عن اهتمامهم بالعلوم الطبيعيـــة ، ومتأخراً ايضا عن اهتمامهم بالظواهر السياسية ومشاكل التنظيم السياسي عموماً. ومما يدل على ذلك ان الاهتمام بنوع المحتوى الاقتصادي للحياة أمر حديث نسبيا ، ويكاد يبتدىء بعـد الحرب العالمية الثانية . اما قبل ذلك فان التفكير الذي كان يدور حول اعادة تنظيم الحياة كان ينصب في الدرجة الاولى على الاطار السياسي ، اما من خلال نظرية قوميـــة ، او من خلال المبادىء الليبرالية التي أخذ بها بعض المفكرين العرب ، من مصادر الفكر والحياة السياسية في فرنسا ، والعالم الانكلوسكسوني بشطريه الانكليزي والاميركي .

ويمكن القول بأن اهتمام العرب الحديث بالتأليف في علم الاقتصاد يعـود الى أصول اربعة : هي الاقتصاد النظري ، والاقتصاد التطبيقي ، وما نسميه بالاقتصاد السياسي أي القضايا الاقتصادية المتفرعة عن السياسة كالاستعمار ، والاقتصاد الاجتماعي اي التنظيم الاقتصادي للحياة في المستقبل .

فمن ناحية علم الاقتصاد النظري كان انشاء الجامعات الحديثة سببا هاما في هذا الاهتمام ، وذلك لان هذه الجامعات اقتبست على وجه العموم البرامج الجامعية المطبقة في الجامعات الحديثة في الخارج ، وكانت برامجها تتكيف باستمرار مع عودة الافواج الجديدة من الاساتذة واستجلابهم معهم وجهات نظر جديدة ومعلومات جديدة . ولقد ألحق علم الاقتصاد في بادىء الامر بكليات الحقوق ، ثم أنشئت كليات التجارة ، ثم انشئت في بعض الاحوال كليات اختصاصية لهذا العلم وحده . وكان تدريس هذا العلم منذ البداية يجري باللغة العربية ، واوائل المحاولات التاليفية تتضمن محاضرات الاساتذة في هذا العلم في الصفوف الجامعية .

ومن ناحية الاقتصاد التطبيقي وضعت كتب عديدة تهدف في الدرجة الاولى الى وصف معالم الحياة الاقتصادية في بلاد عربية مختلفة . وتتراوح هذه الكتب على وجه العموم بين مجرد الوصف الواقعي الذي يدخل في باب الجغرافيا الاقتصادية — لا التحليل الاقتصادي المستمد من علم الاقتصاد سواء من حيث مواضيع البحث ، ام من حيث اساليب المعالجة، الى الكتب التي تتناول بعض مظاهر الحياة الاقتصادية الخارجة عن نطاق الجغرافيا الاقتصادية كالنقد والصرافة والانظمة الضرائبية ، وتستعمل اساليب علم الاقتصاد ومفاهيمه في بحثها .

ومن ناحية الاقتصاد السياسي أحب ان اشير اولاً الى ان هذا المصطلح مستعمل بالمعنى الحرفي، أي مزيج الاقتصاد بالسياسة ، لا بالمعنى الذي كان متعارفاً عليه سابقاً من تسمية علم الاقتصاد نفسه بالاقتصاد السياسي . ويتفرع عن هـذا النوع من البحث ، دراسة التأثيرات الاقتصادية للهيمنة او السيطرة السياسية الغرب على البلاد العربية ، وما قامت به الدول والمؤسسات الغربية من مشاريع مرتبطة بحاجاتها الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية ، كشق قناة السويس وادارتها ، والحصول على

امتيازات البترول ، ومن وسائل مختلفة لاستغلال ثروات البلاد التي هيمنت عليها لمنافعها التجارية والمالية . ويدخل في هذا الباب ايضا تقييم العواقب الاقتصادية للغزو الصهيوني لفلسطين .

واخيراً جاء بتأثير الاتصال بتجاري الفكر الاجتماعي والاقتصادي في الغرب نوع آخر من البحث في قضيتين ، فالقضية الاولى اجتماعية اقتصادية وهي تتناول نوع الاطار العام الذي من ضمنه يعاد بناء الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، سواء من حيث ملكية عوامل الانتاج ام ادارة عملية الانتاج والاشراف عليها وتوزيع الناتج القومي ، والمؤسسات المختلفة التي قد يجب انشاؤها لتحقيق ذلك كله . اما القضية الثانية فتتناول التنمية الاقتصادية ووسائل النهوض بالانتاج واستغلال الموارد وزيادة الدخل القومي وتوزيعه بين مختلف القطاعات ، وما يتفرع عن ذلك كله من اعتبارات فنية بحت ، بقطع النظر عن الاطار الاجتماعي .

هذا هو الاطار العام الذي نشأ من ضمنه البحث الاقتصادي في البلاد العربية عموماً . اما بالنسبة لفلسطين ، فان الابحاث العربية في الاقتصاد اقتصرت على النوعين الثاني والثالث فقط . وسبب ذلك انه لم يكن في فلسطين جامعة وطنية تنبثق عنها دراسات او ترجمات في الاقتصاد النظري . كذلك لم يتطور التفكير الاقتصادي الاجتماعي فيها تطوراً هاما . فالواقع ان معظم التأليف العربي العام في هذا الحقل بالذات وقع بعد اغتيال فلسطين وكان عرب فلسطين منصرفين في تفكيرهم الى الناحية القومية دون غيرها ، لانها تتناول الوجود ذاته ، والوجود يأتي قبل تنظيم الوجود ، الا ان كارثة فلسطين بالذات كانت سببا في ظهور عدد من الكتب القيمة التي تناولت هذه المواضيع بالنسبة لتنظيم الكيان العربي عموما ، اتقاء لكوارث جديدة وأملا باستعادة فلسطين .

من باب الاقتصاد التطبيقي ظهر مؤلف بارز عن كل ما كتب في هذا الحقل، بل هو أبرز ما ألف عن اقتصاد فلسطين في فترة ما بين الحربين في أية لغـة من اللغات . وهذا المؤلف هو الكتاب الذي حرره الاستاذ سعيد حماده بعنوان « النظام الاقتصادي في فلسطين » والذي نشر في خريف عـام ١٩٣٩ وكان ، كما جاء في مقدمـة الكتاب « الثالث من ثلاثة ابحاث اقتصادية شاملة قررت وضعها دائرة الابحاث في العلوم الاجتماعية في جامعة بيروت الاميركية ... والكتابان الآخران احدهما يبحث عن سوريا ولبنان ... والآخر يبحث عن العراق » .

وجاء في مقدمته انه « وضع ... باللغة الانكليزية اولاً » وعلى ذلك فهو ، من الناحية الشكلية البحت ، كتاب مترجم . وقد ذكر الاستاذ محرر الكتاب في المقدمة ايضاً بأنه « مدين في اعداد هذه الطبعة العربية الى السيد شاكر خليل نصار » . وقد وضع المؤلفون العرب معظم ما فيـه من بحوث ، اذ كتبوا ستة من فصوله العشرة . والظاهر ان اختيار لغة الاصل جاء نتيجة اعتبارات عمليـة في الغالب ، واشرف محرر الكتاب ، الاستاذ حماده ، الذي كتب بنفسه فصلين من فصوله ، اشرف على نقله الى اللغة العربية . ويبدو على ذلك ان عملية النقـل الى العربية لم تكن عملية ترجمة صرفة بل مراجعة دقيقة للنص بحيث يصدر متطابقاً في اللغتين .

يتألف الكتاب من عشرة فصول تتناول بالوصف والتحليل جميع نواحي الحياة الاقتصادية في فلسطين . وهذه الفصول هي : السكان، ثروة البلاد الطبيعية، حيازة الاراضي، الزراعة ، الصناعة ، النقل والمواصلات ، التجارة الداخلية ، التجارة الخارجيـة ، النظام النقدي والصرافي والنظام المالي . وكتب اثنان من الموظفين البريطانيين في حكومة فلسطين فصلي السكان والزراعـة ، والكاتبان هما لستر هوبكنس ،

ومونتا كيوبراون . وكتب اثنان من اليهود فصلين هما حيازة الاراضي الذي كتبه موسى دوخان ، والتجارة الداخلية الذي كتبه ب . فيسمناس. اما الفصول الستة الباقية فقد وزعت كما يلي :

١ – ثروة البلاد الطبيعية	للاستاذ سعيد حماده
٢ – الصناعة	للاستاذ سعيد حماده
٣ – النقل والمواصلات	للاستاذ حسني صواف
٤ – التجارة الخارجية	للاستاذ حسني صواف
٥ – النظام النقدي والصرافي	للاستاذين جورج حكيم ومحمد يونس الحسيني
٦ – النظام المالي الحكومي	للاستاذ ميشال ابكاريوس

وستقتصر المراجعة على الفصول التي وضعها المؤلفون العرب ومن ثم النقـد العام للكتاب والفرضيات التي يقوم عليها .

قدم الاستاذ سعيد حماده في الفصل المتعلق بثروة البلاد الطبيعية ، وصفاً مفصلاً لكل ما كان معروفاً من ثروات فلسطين في ذلـك الحين . ولقد كان يثور آنذاك جدل كبير حول احدى ثروات فلسطين بصورة خاصةوهي الارضي القابلة للزراعة.ولم يبحث الاستاذ حماده بتفاصيل القضايا المتفرعة عن هذا الموضوع لان بحثه اقتصر على الوصف الموضوعي لهذه الثروة . لقد كانت الدوائر الصهيونية حينذاك تتعمد المبالغة في تقدير مساحة الاراضي القابلة للزراعة في فلسطين ، لتستغل هذه المبالغة للزعم بأن اراضي فلسطين الزراعية كافية لاستيعاب المهاجرين اليهود،والايحاء بأن هذا الاستيعاب لا يلحق ضرراً بالفلاحين والمزارعين العرب ، والايحاء ايضاً بأنه لم يقـع ظلم لهؤلاء الفلاحين والمزارعين العرب من جراء انتقال ملكية الاراضي من العرب ، الى اليهود ،

والاستنتاج اخيراً بأنه يجب التمسك باعطاء اليهود حرية شراء الاراضي من العرب ، وذلك في وجه المطلب العربي القومي آنـذاك بتشريع قانون يقضي بمنع انتقال الاراضي من العرب الى اليهود .

وقد اظهر الاستاذ حماده في فصله ان مبالغات الصهيونيين تتعارض مع التقديرات الواقعية التي قامت بها حكومة فلسطين ، فان حكومة فلسطين قـدرت الاراضي القابلة للزراعة بـ ٨ر٧٦٠ر٠٠٠ دونم بينما قدرها خبراء الوكالة اليهودية بـ ٩ر١٩٠ر٠٠٠ دونم . واذا بـدا ان الفرق بين التقديرين غير كبير ولا يكاد يتجاوز نصف مليون دونم ، فلقد كانت اهميته العملية كبيرة ، لان المهم بالنسبة للصهاينة آنذاك كان عدم اغلاق المجال لشراء الاراضي ، ولو الى حين . وقد اشار الاستـاذ حماده في معالجته لموضوع الاراضي الى اختلاف التقدير بين الوكالة اليهودية وحكومـة فلسطين ، ولكنه لم يبحث في دوافعه وأسبابه مكتفيـاً بالبحث الموضوعي في الارقام ، مجردة من المعاني .

ان من اهم المواضيع التي كانت تطرح على بساط البحث حينـذاك ، الموضوع المسمى – مقدرة فلسطين على الاستيعاب الاقتصادي – نظراً لان حكومة فلسطين كانت تزعم ان سياستها نحو الهجرة اليهودية تقوم على السماح بهذه الهجرة الى الحد الذي تسمح به قدرة فلسطين الاقتصادية على استيعاب المهاجرين ، ومـا قضية الاراضي سوى الجانب الحاد من هذا الموضوع . غير انه كان بشكله الواسع يتناول موارد فلسطين كلها ، وفي مقدمتها مواردها الطبيعية ، الزراعية وغير الزراعية . ولم تكن الدوائر الصهيونية تبالغ في تحديد مساحة اراضي فلسطين الزراعية ، بـل كانت تبالغ ايضاً في ثرواتهـا الاخرى . الا ان استعراض الاستاذ حماده لم يتعرض لهذه القضية ، بل اكتفى بالوصف الجغرافي لموارد فلسطين، دون الخوض في مشكلة

العلاقة بين الموارد والسكان . وسنلمح في التقييم الختامي لهذا الكتاب الى ما نعتقد بانه السبب لعدم البحث في هذا الموضوع .

الفصل الثاني الذي كتبه الاستاذ سعيد حماده هو دراسته البارزة للصناعة في فلسطين الواقعة في مئة وعشرين صفحة ، والتي نعتبرها نموذجاً لاعلى مستوى للتأليف الاقتصادي التطبيقي . وقد استعرض في مطلع المقال صناعات فلسطين قبل الحرب العالمية الاولى ، وكانت معظمها ، فيما عدا صناعة الخمور ، بيد العرب ، الا انها كانت ما زالت في الغالب تعتمد الاساليب اليدوية أو غير العصرية . وكانت هذه الصناعة تتضمن صناعة النسيج والبسط في المجدل وغزة ، والصابون في يافا ونابلس ، والصناعة المعدنية للحدادة وتصليح المحركات الحديثة في يافا والدباغة . ثم تناول العقبات المانعة للصناعة في العهد العثماني ، وانتقل بعد ذلك الى ذكر العوامل التي ساعدت النمو الصناعي في عهد الانتداب . ويسجل الكتاب ان نصيب العرب من مجموع الصناعة بلغ ٦٥ بالمئة في سنة ١٩٢٧ ، وبالرغم من التدفق الهائل لرؤوس الاموال اليهودية والفنيين اليهود بعد ذلك فقد ظلت الصناعة العربية تشكل قسما لا يستهان به في صناعة فلسطين ، وذلك خلافاً للصورة التي كانت تعطى آنذاك وتزعم ان الصناعة الفلسطينية كلها صناعة يهودية . واستعرض المؤلف في هذا الفصل بالتطويل الوافي الصناعة القائمة ومشاكل كل منها منفردة ، والاطار الصناعي بأكمله ومشاكله العامة ، وأوضاع العمال الصناعيين وتنظيمهم ، وقوانين العمل وظروفه ، مشيراً في ذلك كله الى اختلاف الاوضاع بين العرب واليهود .

وقد كتب الاستاذ حسني صواف فصلين : احدهما يتناول النقل والمواصلات بالوصف والتحليل والثاني يتناول التجارة الخارجية . كذلك درس الاستاذان جورج حكيم ومحمد يونس الحسيني أوضاع النقد وقوانينه وأوضاع المصارف وودائعها ومدى

توفر حاجات الاقتصاد الى مختلف انواع القروض في مختلف القطاعات. واخيراً درس الاستاذ ميشال ابيكاريوس في فصل النظام المالي الحكومي للضرائب وانواعها واعداد الميزانية والنفقات العامة .

ان الاهمية الاولى لهذا الكتاب تكمن في انه اظهر مدى قدرة العلماء العرب على معالجة مواضيع الحياة الاقتصادية ،معالجة فنية ، موضوعية ، عميقة ، ملتزمة لجميع اساليب البحث العلمي . فلقد استطاع المؤلفون تجميع المصادر الاولية التي كان بحثهم في حاجة اليها ، وغربلتها واستخراج الادق منها . وليس هذا بالامر الهين نظراً لكثرة ما كتبه الصهيونيون ومأجوروهم . وقد اعتبر هذا الكتاب المرجع الموثوق عن اقتصاد فلسطين في جميع الدوائر العلمية المتجردة . وحتى نقاد اليهود انفسهم ، لم يستطيعوا الا ان يعترفوا بعلو مستواه .

الا ان اهم ما ينتقد عليه الكتاب ، انه عالج موضوعاً غير عادي بالاساليب النهجية التي لا يمكن ان تؤدي كل الفائدة الا في المواضيع العادية مثلاً . فان تقسيمات الفصول وطريقة البحث تتطابق مع التقسيمات والطريقة المطبقتين في الكتابين الآخرين المماثلين اللذين حررهما الاستاذ سعيد حمادة وهما النظام الاقتصادي في سوريا ولبنان ، والنظام الاقتصادي في العراق . في هذه البلاد كان هنالك نظام اقتصادي يمكن وصفه وتحليله ، ضمن اطار كبير من العزل عن مواضيع السياسة العامة . اما بالنسبة الى فلسطين فلم يكن هذا الشيء ممكناً . فلقد كان واضحاً حتى آنذاك انه ليس هنالك نظام اقتصادي لفلسطين ، بل هنالك حملة غزو سافرة ترمي الى تهديم كيان العرب واجلائهم عن ارضهم وبناء كيان جديد مكانه . ولقد تحقق الجانب الاعظم من هذا المقصد بعد ثماني سنوات من وضع الكتاب . مثلاً ليس في الكتاب اشارة واحدة الى ان دستور فلسطين نص على « وضع البلاد في ظروف سياسية واقتصادية

تساعد على انشاء الوطن القومي اليهودي » . وهذا النص الدستوري هو بطبيعة الحال المبدأ الاساسي للسياسة الاقتصادية . ومن هنا ابتعد الكتاب عن كل ذكر للسياسة الاقتصادية . فهل السياسة الاقتصادية موضوع غير اقتصادي حتى يتجنب بحثها . اننا في الواقع لو حللنا الاجراءات والتنظيمات والقوانين الاقتصادية التي وضعتها وشرعتها حكومة فلسطين اثناء الانتداب ، لوجدنا في كل منها مظاهر تطبيق هذا النص . ولكننا نكتفي بابراز مسألة واحدة سبقت الاشارة اليها لما تتضمنه من وضوح حاد ، وهذه هي مسألة حيازة الاراضي . لقد كانت في فلسطين مشكلة مستميتة ناجمة عن تجريد العرب من ارضهم ونقلها الى اليهود ، وعن تحويل الفلاحين العرب الى فلاحين لا ارض لهم ، وقد كانت هذه المشكلة التي هي مشكلة اقتصادية ، واجتماعية ، وسياسية ، موضوع بحث عدد من اللجان البريطانية الرسمية ، وكانت هذه المشكلة بالذات احد الاسباب الداعية لثورتين عربيتين هما ثورة عام ١٩٢٩ وأعوام ١٩٣٦ — ١٩٣٩ ، وخاصة هذه الثورة الاخيرة التي يمكن القول عنها بأنها كانت ثورة فلاحين ، بمقدار ما كانت ثورة وطنية قومية ، حتى لقد كان جميع قادة الميدان فيها تقريباً من الفلاحين ، امثال عبد الرحيم الحاج محمد ، ويوسف ابو درة ، وعارف عبد الرزاق . وقد نالت هذه المشكلة اخيراً اعترافاً رسمياً في الكتاب الابيض لعام ١٩٣٩ الذي قسم اراضي فلسطين الى ثلاثة اقسام : قسم يسمح فيه ببيع الاراضي الى اليهود بحرية ، قسم لا يسمح فيه ببيعها اليهم الا باذن ، وقسم ثالث لا يسمح فيه ببيعها اليهم اصلاً. هذه المشكلة لم تشاهد حتى اشارة الى وجودها في الكتاب كله . وليس في الفصل المخصص لبحث موضوع حيازة الاراضي ، وكاتبه اجنبي ، أي ايراد لذكر الموضوع ، بل الفصل كله عبارة عن دراسة قانونية صرف لموضوع حيازة الاراضي والقوانين المتعلقة بها ، من عثمانية واسلامية وفلسطينية والذي نراه ان فصل حيازة الاراضي هذا كان يصلح لكتاب حقوقي عن قوانين

فلسطين ، وليس فيـه فائدة تذكر للباحث الاقتصادي . وهذا مثال لوضـع غير طبيعي واجهه الكتاب بالاساليب الطبيعية .

من هنا نرى ان الكتاب استبعد من نطاق البحث جميع المواضيع الاقتصادية المتداخلة بقضية فلسطين بمعناها الاعم . ولا شك ان الاستاذ الفاضل محرر الكتاب والاساتذة العرب الذين ساهموا في كتابته قد ولجوا هذه القضية ، وحددوا مـن كامل نطاق الحياة الاقتصادية في فلسطين مجـالا محصورا للبحث ، وعزلوه عن غيره من القضايا ، وربما اعتقدوا ان هذا اسلم من ناحية التزام الاسلوب العلمي والموضوعية . ولكن هل ابعاد المواضيع المتضمنة الجدل والاختلاف ، عمل موضوعي ؟ طبعا لا . الموضوعية ليست الابتعاد عن المواضيع الجدلية ، بل بحثها بتجرد . بل ان الابتعاد عن المواضيع الجدلية قرار غير موضوعي ، لانه يجزىء الصورة بصورة انتقائيـة ، وقد لا يكون الجزء الذي يعوزه منها أهم اجزائها .

مع ذلك يبقى هذا الكتاب عملاً جليلاً من الناحية القومية فضلاً عن اهميته من ناحية العرض الاقتصادي ، وذلك لانه وضع في متناول القادة الوطنيين مجموعة ضخمة من الوقائع المغربلة بدقة ، كما وفر لهم مثالا عالياً من امثلة البحث بالاسلوب العلمي . وكانت هذه المعلومات والاسلوب ، اساساً لدراسات وتحليلات اخرى في المجالات الـتي لم يتطرق اليها الكتاب . وسنظهر ان نفراً من تلاميذ الاستاذ حماده وزملائه وغيرهم من المفكرين العرب ، قاموا بالفعل بهذه المهمة فيما بعد .

الى جانب كتاب الاستاذ سعيد حماده عن النظام الاقتصادي في فلسطين ، هناك كتابان آخران يحتويان معلومات اقتصادية عامة عن فلسطين ، وهذان هما كتاب : فلسطين وتجديد حياتها ، وقد حرره الاستاذ حنا صلاح نيابة عن الجمعيـة الفلسطينية لمقاومة الصهيونية في نيويورك ، ونشر في نيويورك عام ١٩١٩ . وساهم في فصول

الكتاب عدد من الاساتذة العرب من فلسطينيين وغير فلسطينيين ، ومن مقيمين ومغتربين وقدم له الاستاذ فيليب حتي . ويتألف الكتاب من خمسة عشر فصلاً ستة منها تتعلق بالحياة الاقتصادية في فلسطين ، وهي : جغرافية البلاد ، الزراعة ، التجارة ، الصناعة ، صناعة الصدف ، النقل والاتجار . وبالرغم من ان الكتاب مليء بالمعلومات الطريفة ، فانه خال من الاشارة في ذيول الصفحات الى المراجع التي استقيت منها المعلومات . الا ان المتون تحتوي ايضاً اشارة عامة الى المراجع . والظاهر ان معظم المعلومات فيه مستقاة من كتب ومراجع اخرى كتقارير القناصل الانكليز والاميركان سبق وضعها ، وليس فيه تسجيل مباشر لظاهر الحياة الاقتصادية . وبالرغم من ان قيام جمعية فلسطينية لمقاومة الصهيونية بالاشراف على وضع الكتاب يدل على انه كان يتوخى مقصداً وطنياً ، فليس فيه ربط بين ما احتواه من معلومات اقتصادية وبين الخطر الصهيوني . ولكن فيه توجيها واضحاً الى الاصلاح الاقتصادي ، واصلاح نواحي الحياة عموماً ، على افتراض ان تقوية الكيان العربي في شتى نواحي الحياة هي السبيل الى مقاومة الصهيونية . ويبدو لنا ان اهمية هذا الكتاب الاولى لا تعود الى ما فيه من معلومات اقتصادية بل الى كونه تسجيلاً مبكراً لشعور العرب العام ازاء الحركة الصهيونية ، وهو بالتالي يهم مؤرخ الحركة الوطنية الفلسطينية اكثر مما يهم مؤرخ الاقتصاد أو الفكر الاقتصادي العربي الفلسطيني .

واما الكتاب الثاني فهو كتاب التطور الاجتماعي والاقتصادي في فلسطين العربية ، للاستاذ محمد يونس الحسيني الذي نشرته مكتبة الطاهر اخوان بيافا عام ١٩٤٦ . وهو محاولة لتتبع تاريخ عرب فلسطين منذ اقدم الازمنة الى الآن ، مع وصف اسلوبهم المعيشي ، وخاصة تنظيم جهدهم الاقتصادي .

وقد تناول المؤلف الوصف الاقتصادي في فصلين سمى احدهما اسباب المعيشة ،

ودرس فيه جميع الموارد الاولية واساليب التنظيم الانتاجي ، والانتاج الاولي في الرعي وصيد الاسماك واستثمار الاحراج والتعدين والزراعة ،ثم درس الصناعة والتجارة العربيتين ، وعنوان الفصل الثاني هو مستوى المعيشة ، ودرس المؤلف فيه الناتج النهائي للجهد الاقتصادي العربي في فلسطين والمحتوى الاقتصادي لحياة العربي الفلسطيني.

ومع ان الكتاب لا يحتوي ثبتا بالمراجع، الا ان فيه بعض الملاحظات الذيلية التي تشير الى المراجع المستقاة منها المعلومات ، احياناً لا دائماً . والقسم الاقتصادي من الكتاب قيم جداً ، ومعلوماته مزيج من التاريخ الاقتصادي والجغرافيا الاقتصادية ، والعرض الاجتماعي ، وهو يشكل مرجعاً هاماً لدراسة نوع الحياة التي كان يحياها العرب ، والجهد اليائس الذي كانوا يبذلونه منفردين لتطوير حياتهم . غير انه لا يتضمن التحليل الاقتصادي الفني . كذلك فانه تجنب على وجه العموم بحث القضايا الناجمة عن تعرض المجتمع العربي الفلسطيني للغزو الصهيوني ومع ان الكتاب ألف في نهاية عهد الانتداب فانت لا تكاد تلمح فيه شيئاً من الصراع اليائس العنيف بين العرب والصهيونية في شتى مجالات الحياة. ومن الناحية الاقتصادية لم يتطرق الكتاب الى أي من القضايا الاقتصادية المتفرعة عن الغزو الصهيوني ، فهو من هذه الناحية تأريخ جزئي وعرض جزئي، يفيد مؤرخ المستقبل في التعرف الى ناحية من نواحي الحياة في المجتمع العربي الفلسطيني . وظهر باللغة الانكليزية كتاب آخر للاستاذ نقولا قطان وهو (Nicola Kattan, "The Geography of the M. E. With Special Reference to Palestine".

نشر (The Palestine Educational Co. Jerusalem 1945) والقسم الخاص بفلسطين فيه يتضمن عرضاً شاملاً مفصلاً لجغرافية فلسطين الطبيعية والاقتصادية. كذلك صدر للاستاذ باسم فارس كتاب باللغة الانكليزية هو Basim Faris, Electric Power in Syria and Palestine وهو من منشورات جامعة بيروت الاميركية ، وقد نشرته (American Press, Beirut, 1936) وفيه استعراض للشركات التي كانت آنذاك تعمل في حقل توليد الطاقة الكهربائية

ولاسعار الطاقة الكهربائية وآثارها، ومصادر هذه الطاقة وسوقها ووسائل تنميتها، وهو بحث قيم مستوف في هذا الموضوع.

وفي نهاية هذا الجزء من البحث لا بد لنا من الاشارة الى ثلاثة أدلة تجارية احتوت بعض المقالات عن الاقتصاد العربي الفلسطيني، فضلاً عن المعلومات الاعلانية عن عدد كبير من المؤسسات الصناعية والتجارية العربية في فلسطين..

فاولها دليل التجارة والصناعة والحرف والمهن العربية في فلسطين الصادر برعاية الغرفة التجارية العربية في القدس، م ١٩٣٧ ـ ١٩٣٨. وتشتمل المقالات التي تضمنها الدليل على معلومات جغرافية واقتصادية عامة، وفصلاً عن قانون البنوك للاستاذ محمد يونس الحسيني، وفصلين للاستاذ عادل جبر احدهما بعنوان « بوادر النهضة الاقتصادية في فلسطين »، والثاني بعنوان « مستقبل تجارة الحمضيات » وفصلاً عن صناعة زيت الزيتون للسيد محمد بن تومارت، وآخر عن التعريفات الجمركية لحماية الصناعات في فلسطين، لشكري التاجي الفاروقي. ولا تعتبر هذه الفصول من باب الدراسات، بل من باب المعلومات العامة.

والدليل الثاني هو دليل المعرض الصناعي العربي الذي اقيم في يافا في نيسان عام ١٩٤٥ ونشرته شركة النشر الفلسطينية المتحدة. وفيه كسابقه معلومات اعلانية ومقالات عامة هي تقدم الصناعة العربية للاستاذ حسن ابو الوفا الدجاني، والصناعة الزراعية العربية في فلسطين للاستاذ يعقوب التاجي الفاروقي، واستعراض سريع للصناعة في فلسطين للاستاذ برهان الدجاني، فضلاً عن معلومات عن صناعتي الدخان والصابون وعن الصناعات العربية المسجلة في لوائي اللد والجنوب.

الدليل الثالث يسمى مرشد العامل: اعلام الصناعة الوطنية في البلاد العربية، وهو من وضع الاستاذ رفعت السلي، وقد نشر في بيروت عام ١٩٤٥. وفيه ايضاً

معلومات اعلانية ومقالات غير متناسقة لعدد من الكتاب . وهو اوسع نطاقاً من فلسطين اذ يضم لبنان وفلسطين ، وقد جاء في اهداء الدليل انه مهـدى الى حضرة صاحب السمو الاخلاقي الشيخ نجيب علم الدين ، وجاء في خاتمته قول المؤلف : «اما ما روجه نفر من الاخوان بانني وقفت نفسي للدعاية البريطانية ، فهـذا الكلام لا يستند الى الحقيقة وان المديح والاعتراف بالجميل ليس معناه كما فسره هذا النفر من المغرضين . وهل الانكليز بحاجة الى دعاية وهم المثل الاعلى في مضمار حركتنا الاستقلالية ؟ »

ولا بد قبل الانتهاء من هذا البحث من الاشارة الى مجلة اقتصادية اختصاصية صدرت في القدس في العقد الرابع من القرن باسم « الاقتصاديات العربية » باشراف الاستاذ فؤاد سابا ، وكانت تحتوي مقالات في الاقتصاد النظري ، مقتبسة بالطبع من التأليف الاقتصادي الغربي ، وتوجيها اقتصادياً تطبيقياً ، فكانت بذلك تساير النهضة الاقتصادية التي ظهرت بوادر كثيرة لها في فلسطين ، رغم الكابوس المريع المخيم عـلى الحياة فيها . ولم نستطع الحصول على نسخة تحديد تاريخ صدور هذه المجلة واغلاقها ، ولا مراجعة المقالات التي نشرت بها لاننا لم نستطع الحصـول على نسخة منها . وقد اشرنا اليها من الذاكرة .

ننتقل الآن الى النوع الثـاني من التأليف الاقتصادي ، وهو ما اسميناه الاقتصاد السياسي ، الذي يتناول المواضيع الاقتصادية المتفرعة عن قضية البلاد الوطنية .

لم يظهر باللغة العربية كتاب واحد مختص بمعالجة هذه المواضيع وحدهـا ، بل انها كانت تعالج بطبيعة الحال بصفتها جانباً من القضية الفلسطينية .

وقد تناول الاستاذ فؤاد سابا هذه الامور في دراسة تقدم بها بشكل شهادة الى اللجنة الملكية في مطلع عام ١٩٣٧ ، وهي منشورة في « مجموعة شهادات العرب امـام اللجنة الملكية » دمشق ١٩٣٨ . وقد قـدم لدراسته بقـوله ان العرب يعتقدون « بأن اسباب عدم الاستقرار في البلاد ليست سياسية فقط ، بل اقتصادية ايضاً ، والى حد بعيد ، وهم ينظرون الى الانتداب على فلسطين ، ليس كاداة ترمي الى سحقهم سياسيا واجتماعيا فحسب ، بل الى القضاء عليهم اقتصادياً قضاء مبرماً » .

وقد ايد الاستاذ فؤاد سابا هذا الرأي مبيناً سوء حال الفلاح العربي وثقل دينه ، مستقياً معلوماته بذلك كله عن دراسة قامت بها لجنة رسمية الفتها حكومة فلسطين لهذا الغرض وتدعى لجنة جونسون كروسبي ، ثم بين وطأة الضرائب على الفلاحين وتزايدها المضطرد ، وانتقل بعد ذلك الى السياسة الجمركية المسخرة لحماية الصناعة الصهيونية على حساب المستهلك العربي ، وثقل الضرائب على جميع فئات الشعب وابتزاز الارض من الفلاحين مسترشداً بدراسة الخبير جون هوب سمبسون وقد قدمت لنفس هذه اللجنة دراسة اخرى للاقتصاد المالي اعدها الاستاذ جورج منصور ، وهي دراسة قيمة وفذة ، وكثير منها مستقى من البحث المباشر وفضلاً عن ذلك تناولت معظم الدراسات العربية المقدمة للجنة هذه الامور بصورة عامة . والدراسات كلها ينقصها التعمق والدرس الجدي للوقائع .

وقد تناول الاستاذ عيسى السفري هذه المواضيع في كتابه التأريخي القيم « فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية » ، الذي نشرته مكتبة فلسطين الجديدة بيافا سنة ١٩٣٧ في عدد من فصول الكتاب الاول هي الفصل الثامن والعشرون وعنوانه اليهود ومنابع الثروة في البلاد ، الفصل الثامن والثلاثون وعنوانه « تقرير لجنة شو » الذي بحث مشكلة الاراضي فيما بحث . والفصل الحادي والاربعون المخصص لبحث تقرير سمبسون عن الهجرة ومشاريع الاسكان والعمران ، والفصل الثالث والاربعون لبحث تقارير

لجان رسمية اخرى تناولت الامور الاقتصادية وهي لجنة جونسون كروسبي ولجنة ستركلند والمشروع الانشائي ، والفصل الرابع والاربعون وعنوانه «ميزانية حكومة فلسطين » والمعلومات الواردة في هذه الفصول مفيدة ولكنها استعراضية لا تحليلية

لم يكتب العرب اهم معالجاتهم الجدية لهذه المواضيع باللغة العربية ، بل كتبوها باللغة الانكليزية والسبب في ذلك واضح ، اذ ان المخاطب فيها هو الجمهور السياسي الانكليزي . فالعرب كانوا يعرفونها بالتجربة والممارسة، وبالدم المراق على مدار السنين، ولكن جهاز الدعاية الصهيونية العاتي كان يطمس الحقائق ويشوهها ويبتدع الاكاذيب، ويزودها بالارقام والجداول والرسوم البيانية لتأخذ شكلاً خادعاً ، ظاهره العلم وباطنه الترويج السياسي . العرب لم يكونوا في حاجـة الى من يقنعهم بأن الارض تستلب منهم ، وتضيق بهم ، ولم يكـونوا بحاجة الى من يقول لهم انهم لم يستفيدوا اقتصادياً ولم يترقوا بنتيجة الغزو الصهيوني ، بـل بالعكس انهم يتعرضون للفناء الاقتصادي، ولم يكونوا بحاجة الى من يخبرهم بأن فلسطين لا قدرة لها على استيعاب اليهود لان استيعابها لليهود معناه اخراجهم منها. هذه الامور التي تحققت كلها، ولو الى حين، بنتيجة كارثة عام ١٩٤٨ كانت معروفة للعرب ولكنهم كانوا مضطرين الى ان يثبتوها للسياسيين البريطانيين الذي كانوا يملكون مقادير الامور في فلسطين ، وللجان التي كانت حكومة بريطانيا ترسلها الواحدة تلو الاخرى ، سراباً خادعاً ، يقصد منه إلهاء العرب وامتصاص جانب من غضبهم . وقد ظهر كتابان باللغة الانكليزية ، متناولين هذه المواضيع بالبحث الجدي في بعض فصولهـا ، وهما كتاب الاستاذ ميشال ابكاريوس :

Palestine Through the Fog of Propaganda' Hutchinson & Co.Ltd. ,1946.

الفصل السادس وعنوانه سياسة الاراضي ، والسابع وعنوانه الزراعة ، والثامن

وعنوانه الصناعة ، والتاسع وعنوانه المساهمة في ايرادات الحكومة ، والعاشر وعنوانه الهجرة وزعم الازدهار .

اما الكتاب الثاني فهو (The Future of Palestine) الذي اعده المكتب العربي في لندن ونشر في سويسرة عام ١٩٤٧ . وقد خصص الملحق منه لدارسة مسألة قدرة فلسطين الاقتصادية على الاستيعاب والملحق لدراسة قضية الاراضي . ومع ان البحثين غير موقعين فالذي نعلمه ان الذي كتب البحث الاول هو الاستاذ شارل عيساوي ، والذي كتب البحث الثاني هو الاستاذ برهان دجاني .

كذلك فان الكتب التي وضعها المؤلفون العرب لتاريخ قضية فلسطين بعد الكارثة تناولت هذه المواضيع كجزء من تاريخ قضية فلسطين . ونشير في هذا الصدد الى كتاب القضية الفلسطينية للاستاذ اكرم زعيتر الذي نشرته دار المعارف بمصر عام ١٩٥٥ .

بعد كارثة فلسطين انهار بالطبع الاقتصاد العربي الفلسطيني ، وتغير بالتالي نوع المواضيع الآنية المتفرعة عن القضية الفلسطينية . وقد استمر البحث في الاقتصاد السياسي لقضية فلسطين بعد الكارثة ، ذلك البحث الذي كان قد بدأ في النضوج حين وقوعها كما رأينا . ولكنه بطبيعة الحال انصرف الى تتبع اسرائيل من عدة نواحي : ناحية كونها خطراً اقتصادياً واهماً يهدد البلاد العربية كلها ، وينذر بتقويض حياة كل بلد عربي مثلما قوضت حياة عرب فلسطين ، وناحية ضرورة تفهم هذا العدو الاسرائيلي ، ومعرفة حقيقة امكانياته وموارده الاقتصادية ، لان جانباً من المعركة مع اسرائيل يعتمد على مدى القدرة الاقتصادية التي تستطيع اسرائيل ان تعبئها في الداخل والخارج ، وناحية ملاحظة النمو الاقتصادي لاسرائيل بالنسبة الى النمو العربي ، والعمل على ان لا يزيد النمو العربي في جميع المجالات عن النمو

الاسرائيلي ، وناحية تتبع النشاط الاقتصادي الاسرائيلي ، من خلال المقاطعة العربية لاسرائيل في الاسواق العربية ، ومن خلال الانتقال اللاحق الى منافسة اسرائيل في الاسواق التي تحاول الدخول اليها ، خارج نطاق البلاد العربية، كلما كان ذلك ممكناً، وذلك كله بالتعرف الى انواع منتجات اسرائيل ومستوى نوعيتها واسعارها ووسائل تصريفها .

اول هذه الكتب ، كتاب اسرائيل : خطر اقتصادي وعسكري وسياسي ، الذي اعده المكتب الدائم لاتحاد غرف التجارة والصناعة والزراعة في البلاد العربية ونشرته دار العلم للملايين عام ١٩٥٢ . ومع ان الكتاب غير موقع ، الا اننا نعلم ان محرره هو الاستاذ برهان الدجاني ، وانه هو والاستاذ درويش الشامي كتبا جميع فصوله . ويقع الكتاب في ثلاثة اقسام دعي اولها « المثلث السياسي العسكري الاقتصادي » والثاني « الوضع الاقتصادي » والثالث « موقف العرب من اسرائيل » .

وقد بين القسم الاول ان الاختلال الظاهري في التركيب الاقتصادي الاسرائيلي لا يعني ضعف اسرائيل ، بل هو نتيجة حتمية لتخصيصها معظم مواردها للاستعداد الحربي ولاستقبال المهاجرين الجدد ، املاً في توسيع رقعتها والحصول على المزيد من الموارد . وان ظاهر اعتمادها على الهبات والقروض الاجنبية ايضاً لا يقلل من قوتها في شيء ، بل هو سبب لزيادة هذه القوة لان جانباً عظيما من المساعدات الاجنبية اليها هو ضرائب تفرضها المنظمات الصهيونية العالمية على يهود العالم، وتتواطأ الحكومة الاميركية بشكل خاص فيها ، اذ انها تتخلى عن جانب من ايرادها من رعاياها اليهود ليدفعوا هذا الايراد الى المنظمات الصهيونية ، وذلك من خلال اعفائها لما يدفعونه الى

هذه المنظمات من ضريبة الدخل ، التي كانت ستحصل لولا ذلك منهم لحساب الخزينة الاميركية .

كذلك يبين الكتاب ان جهداً كبيراً قد بذل ويبذل في اسرائيل لخلق قوة اقتصادية ذاتية الى جانب استجلاب الاموال من الخارج . كذلك بيّن هذا الجزء مدى اعتماد اليهود على العلم في استغلال الثروات وتحقيق التفوق على العرب . وراجع جميع مصادر القوة في اسرائيل والحركة الصهيونية عموماً ثم تناول في القسم الثاني بالتفصيل تحليل الاوضاع الاقتصادية في اسرائيل تحليلاً علمياً موضوعياً من الناحيتين المجموعية والتفصيلية متتبعاً تطور الدخل القومي ومصادر الثروة – في الداخل والخارج ، وميزانيات الدولة ، والصناعة والتجارة والزراعة والخدمات والاتفاقيات التجارية . وقد كتب هذا القسم برمته الاستاذ درويش الشامي وراجعه المحرر مع عدد من الاساتذة العرب . وذيل الكتاب ملحق فيه مقارنات لبعض مؤشرات النمو الاقتصادي بين اسرائيل وعدد من الدول العربية .

ان ما يمكن اخذه على هذا الكتاب انه لم يثبت في الذيول المراجع التي استقيت منها المعلومات ، ولكن معلوماته كلها دقيقة وصحيحة ، وموضوعية . وليس لنا ان نقيمه باعتبار اننا حررناه واشتركنا في كتابته ، ولكن يكفي ان نشير الى انه اول دراسة عربية للقوى الكامنة في الحركة الصهيونية واسرائيل ولتكامل نطاق التفاعل بين هذه القوى ، ولوسائل استغلالها في سبيل الاهداف ، والاهداف التي حددتها الصهيونية لنفسها .

ولقد توخى الكتاب غرضين : اولها التنبيه الى الخطر الصهيوني على الامة العربية باسرها بعد انهيار فلسطين ، واظهار بطلان الموقف الذي يهون من اسرائيل اطلاقاً ،

وثانياً دراسة اسرائيل والحركة الصهيونية بتعمق يحـاول تفهم القوى الكامنة ، وبموضوعية تتوخى معرفة الحقائق ومواجهتهـا . وقد راجع كاتب يهودي صهيوني مستشرق هو الاستاذ مارمرشتين هذا الكتاب في مجلة (International Affairs) التي يصدرها (Royal Institute of International Affairs) وبدا في مراجعته غير مصدق بانه جهد عربي ، اذ ربما خيل اليه ان العرب لم يكونوا يستطيعـون دراسة اسرائيل بتجرد وسبر غور .

الكتاب الثاني عن اسرائيـل ظهر في نفس الوقت تقريباً في مصر باسم « اسرائيل : العدو والمشترك » . وقد وضعه القائمقام اركان حرب محمـد صفوت ، ونشرته مكتبة النهضة المصرية عام ١٩٥٢ . والكتاب دراسة قيمة عن اسرائيل ، موضوعة بالدرجة الاولى من الزاوية العسكرية . الا ان به فصلا بعنوان اقتصاديات اسرائيل (الفصل التاسع) تناول المؤلف فيه الزراعة والصناعة والتجارة في اسرائيل ، وفيه تقييم مختصر صائب للاوضاع الاقتصادية في اسرائيل .

وظهر بعد ذلـك كتاب للاستاذين هاني الهندي ومحسن ابراهيم بعنوان « اسرائيل : فكرة ، حركة ، دولة » نشر دار الفجر الجديد للطباعة ببيروت سنة ١٩٥٨ ، وفيه فصل تناول المؤسسات الاقتصادية الصهيونية الـتي تشكل جزءاً من كامل التنظيم السياسي الصهيوني ، والتي أعدت للقيام بدور محدد في الغزو والتوطيد الصهيونيين .

وأخيراً الكتاب الضخم ، حجماً ومحتوى بعنوان « اسرائيل » الذي اصدرتـه القوات المسلحة في الجمهورية العربية المتحـدة – الجيش الاول – الشعبة الثانية ، والذي قدم له قائد الجيش الاول الفريق اركان حرب جمال فيصل بقوله « انـه

يحوي معلومات وتفاصيل وأرقاماً عن اسرائيل . » وهي معلومات تشمل شتى مظاهر الحياة في اسرائيل : تنظيماتها السياسية والاجتماعية وتخطيطها الاقتصادي ومؤسساتها العلمية ، وطرق معيشتها ، وعلاقاتها الخارجية . . . ثم اهدافها . . . وقد روعي ان يكون هذا الكتاب سرداً موضوعياً لاعطاء القارىء اكثر فاكثر ، صورة واقعية صحيحة . . وهي معرفة لا بد منها للمواطن العربي

وقد خصص قسم كامل من الكتاب لدراسة الاقتصاد الاسرائيلي . ويقع هذا القسم في خمسمائة صفحة ويتألف من عدد من الفصول هي : الشؤون المالية ، التجارة الخارجية ، الصناعة ، الزراعة ، المواصلات ، سوق العمل ، التموين والاستهلاك . وتتضمن هذه الفصول عرضاً وافياً للشؤون الاقتصادية التي تناولتها بالدراسة باسلوب وصفي موضوعي ، وتعطي بالتالي فكرة شاملة وصحيحة عن الاقتصاد الاسرائيلي وليس في ذيول الدراسة اشارة الى المراجع التي استقيت منها المعلومات .

ولا بد لنا من الاشارة ايضاً الى فصل للاستاذ ادمون عصفور في كتاب :

Polk, Stamler, Asfour, "Backdrop to Tragedy" (Part IV), Beacon Press. Beacon Hill, Boston (1957).

يتناول الاستاذ عصفور في هذا الفصل من الكتاب دراسة تطور الوضع الاقتصادي في فلسطين قبل سنة ١٩٤٨ وبعدها ، كما يتناول مجمل القضايا الاقتصادية الناجمة عن القضية الفلسطينية ، وفي طليعتها قضية اللاجئين العرب . وقد حرص المؤلف على اظهار أهم المشاكل الاقتصادية التي تعانيها اسرائيل والبلدان العربية من جراء الوضع السياسي في المنطقة ، وفي مقدمتها السباق الى التسلح الذي يستنزف سنوياً قدراً كبيراً من الاموال ، كان بالامكان استخدامها لاغراض التنمية . وهو بمجموعه عرض قيم للقضايا الاقتصادية المتفرعة عن مشكلة فلسطين قبل الكارثة وبعدها .

ونشير اخيراً الى كتاب الاستاذ يوسف صايغ :

The Economic Impact of the Arab Refugee Problem on Lebanon, Syria, and Jordan '' Pakistan Institute of International Affairs, Karachi (1954).

وفيه يستعرض آثار كارثة فلسطين على اقتصادات الدول العربية المذكورة في عنوان الكتاب .

ومن باب المقالات نشير الى عدد من المقالات الاقتصادية عن اسرائيل بينهامقالان للاستاذ عدنان العلمي ، عنوان احدهما « الحضيات في اسرائيل » وهو منشور بالعدد رقم (٥٠) من مجلة الاقتصاد اللبناني والعربي التي تصدرها غرفة تجارة وصناعة بيروت (كانون اول ١٩٥٦) ، والثاني بعنوان « الصناعة في اسرائيل » وهو منشور بالعددين ٥٧و٥٨ من نفس المجلة (ايلول وتشرين اول عام١٩٥٧) ويتضمن دراسة مطولةوقيمة في الصناعة الاسرائيلية .

ونشير ايضاً الى عدد من الابحاث التي اعدتها ادارة فلسطين في الامانة العامة لجامعة الدول العربية ، وقد وجدنا في مجلة الاقتصاد اللبناني والعربي اثنين منهاهما : بحث في تجارة اسرائيل الداخلية ، العدد ٤٣ (آذار ١٩٥٦) ، وبحث عن العلاقات التجارية والمالية بين اسرائيل والولايات المتحدة الاميركية (عدد ٥٢ شباط١٩٥٧)

وقد ظهرت باللغة العربية سلسلة من البحوث والمعالجات لمشاريع استثمار مياه الاردن ، بينها مقال الاستاذ برهان الدجاني بعنوان « مشروع جونستون » (الاقتصاد اللبناني والعربي شباط ١٩٥٤)و كتيب الهيئة العربية العليا لفلسطين بعنوان«المطامع اليهودية في السيطرة على المياه العربية» : مشروع جونستون – دار الكتاب العربي بمصر ١٩٥٥ ، وتقرير الخبراء العرب حول الانتفاع بمياه الاردن (الاقتصاداللبناني

والعربي عدد ٢٨ تشرين الاول سنة ١٩٥٤) ، حوض وادي الاردن والمشاريع المقترحة لاستغلال مياهه للمهندس سويلم حداد (الاقتصاد اللبناني والعربي عدد ٨١ كانون الثاني ١٩٦٠) . وسلسلة مقالات للاستاذ فكتور خوري بعنوان « نهر الاردن وعده ، ووعيده » اعداد ٤ و٦ و٧ ، شباط ، ونيسان وايار سنة ١٩٥٦ – الرائد العربي . وكان المقال الثاني في هذه السلسلة (الرائد العربي عدد ٥ آذار ١٩٦١ للاستاذ نبيل ابو النصر . ومقال آخر بعنوان « آخر تطورات قضية الاردن » للاستاذ فكتور خوري (الرائد العربي) عدد ١٨ – نيسان ١٩٦٢) .

وتعالج هذه المقالات والدراسات والبحوث جميع النواحي الاقتصادية والفنية المتفرعة عن قضية استغلال مياه الاردن . وكانت هذه الدراسات نتيجة لمشروع موحد لاستغلال مياه الاردن عرضته الحكومة الاميركية على الدول العربية واسرائيل ، وتوزيع مياهه من ثم بينهما . وكان هذا المشروع بالذات تراجعا عن مشروع سابق اقترحته بعثة النقطة الرابعة الاميركية على حكومة الاردن لاستغلال مياه اليرموك ، رافد الاردن . وان الدراسات الدقيقة الممتازة التي تقدم بها العرب حول هذه المسألة لتدل على مدى التقدم العربي في الحقلين التكنولوجي والتحليلي ، وفي اساليب معالجة المشاكل .

ونشير اخيراً الى مقال قيم للاستاذ يوسف صائغ بعنوان « الاقتصاد الاسرائيلي في الميزان » (التقرير الاقتصادي العربي – كانون اول ١٩٦١) ويحتوي تحليلاً متعمقاً لوضع اسرائيل الاقتصادي الحالي ولما انجزته اسرائيل في ميدان الحياة الاقتصادية منذ تأسيسها مقارناً بمنجزات غيرها ، والمشاكل التي ما زالت تجابهها .

لقد اشرنا الى ان كارثة فلسطين كانت سبباً في نشوء فكر عربي اجتماعي يدعو الى اعطاء القومية العربية محتوى اقتصادياً قائماً على اساس من تنمية الموارد

ورفع مستوى الانتاج ومن العدل في توزيع الثروة القومية بين جميع فئات المجتمع . ونذكر بهذا الصدد سلسلة الكتب المتدئة بكتاب الدكتور قسطنطين زريق ، معنى النكبة (دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٤٨) فكتاب قدري طوقان ، بعد النكبة ، فكتاب وليد قمحاوي « النكبة والبناء » فهذه الكتب كلها جاءت بوحي كارثة فلسطين . ولكنها جميعاً اشارت الى الفكرة بمعطياتها العامة ، من حيث الحاجة الى بناء اقتصاد قومي متين وعدالة اجتماعية ترسخ ايمان الافراد بقوميتهم واستعدادهم للبذل في سبيل وطنهم وامتهم . الا ان البحث الجدي في المحتوى الاقتصادي الاجتماعي للقومية العربية بدأ بالفعل بعد ان شقت الجمهورية العربية المتحدة الطريق بالممارسة الفعلية ، وبالتجربة والخطأ ، وجسدتها في اطارات وتنظيمات ومؤسسات وتشريعات .

اخيراً سنتناول التآليف البارزة التي صدرت عن اساتذة فلسطينيين عرب في مجال الاقتصاد عموماً .

ان ثلاثة من الفلسطينيين العرب قد اهتموا بالتأليف الاقتصادي وهم الدكتور عصام عاشور ، والدكتور يوسف صائغ والاستاذ برهان الدجاني . وقد نشر الدكتور عصام عاشور كتاب يجمع محاضرات القاها في معهد الدراسات العربية العالية سنتي ١٩٦٢ و ١٩٦٣ ، بعنوان « النقد والائتمان في البلاد العربية مع تأكيد خاص على سوق بيروت النقدية والمالية » . وهو عبارة عن عرض واف لتطور النظم النقدية والمصرفية في البلاد العربية عموماً ، مع تحليل لاوضاعها الحالية ، ومدى ملائمتها لحاجات النمو الاقتصادي في البلاد العربية التي يتناولها بالبحث .

وللاستاذ يوسف صائغ كتابان في المجال الاقتصادي احدهما باللغة العربية والثاني باللغة الانكليزية .

فالاول هو كتاب « الخبز مع الكرامة : المحتوى الاقتصادي والاجتماعي للمفهوم القومي العربي » دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٦٢ . وهو معالجة للمشاكل الاقتصادية والاجتماعية الناجمة عن مجهود التنمية العربي ، ويتضمن اقتراحات توازن بين حاجات التنمية الاقتصادية ، وحاجات التغير الاجتماعي .

والثاني كتاب : "Entrepreneurs of Lebanon" Harvard University Press, 1962. وهو بحث اقتصادي سوسيولوجي تحليلي لارباب الاعمال اللبنانيين ، والبيئات التي نشأوا فيها ، يقصد منه تطوير الدراسة المختصة بدور ارباب الاعمال في التنمية الاقتصادية .

وللاستاذ برهان الدجاني ثلاثة كتب باللغة العربية هي :

« الاقتصاد العربي ، السكان والانتاج » اتحاد الغرف العربية ، بيروت ، ١٩٥٧ . وهو عرض واسع وتحليلي للاقتصاد العربي في مجالات الانتاج والزراعة والصناعة والبترول ، وقد كتب الاستاذ الدجاني فصول الكتاب الثلاثة الاولى ، اما فصل البترول فقد كتبه الاستاذ سهيل ناصر .

« التنمية الاقتصادية في الاردن » ، معهد الدراسات العربية العالية القاهرة ١٩٥٧ ، وهو محاضرات القيت في المعهد تتناول اوضاع الاردن الاقتصادية في شتى المجالات وتبحث مشاكل تنميته .

« تحليل بعض اوجه العلاقات الاقتصادية بين البلاد العربية » معهد الدراسات العربية العالية ، القاهرة ، ، ١٩٦١ ، وهو محاضرات القيت في المعهد تعرض مختلف المحاولات لتنظيم التعاون الاقتصادي على المستويين الثنائي والجماعي ، وتتناولها بالبحث والتحليل .

سوريــة

بقلم الدكتور احمد السمان

لقد قسمت البحث فيما اسهم به العرب في القطر السوري في الدراسات الاقتصادية اقساماً ثلاثة حاولت في اولها استعراض التراث العربي في المعرفة الاقتصادية في العهد العثماني ، وحاولت في ثانيها استعراض هذا التراث في عهد الانتداب ، واستعرضت في الثالث الثورة الفكرية الاقتصادية التي وضعت في عهد الاستقلال من مؤلفات او نشرات موقوتة . ولم اختر هذا التقسيم لسهولته وحسب ، ولكن لانــه يمثل في الواقع فترات متميزة في الحياة الاقتصادية والسياسية ، فكان التأليف العلمي صورة عن الواقع وانعكاساً لاحداث السياسة ، واثراً للتطور الاجتماعي الذي نشأ عن كل من الفترات الثلاث . ولذلك حاولت اثناء الكلام على كل من هذه الفترات ان اصور الجو الذي احاط بالحياة الفكرية وكان ذا اثر فيها .

ثم الحقت بالبحث ملاحق اربعة استقصيت في اولها ما ألف باللغة العربية من الكتب والنشرات ، وفي الثاني ما الف باللغات الاجنبية ، وفي الثالث رسائل وضعها متخرجو جامعة دمشق في مواضيع اقتصادية ، وفي الرابع المقالات التي نشرتها باللغة الفرنسية مجلة مركز الدراسات الاقتصادية الصادرة بدمشق . وقد حرصت ان لا يفوتني مؤلف اقتصادي ، وقد اكون فشلت في استقصاء كل ما وضع ، وحسبي اني بذلت الجهد ليكون عملي اقرب الى الواقع .

القسم الاول

التراث الفكري الاقتصادي في العهد العثماني

احتلت الدولة العثمانية البلاد العربية في زمن تحولت فيه طرق المواصلات من المتوسط الى الاطلسي ، بعد اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح وبعد اكتشاف العالم الجديد، فسارت البلاد العربية نحو الاضمحلال واصيبت في صميم كيانها الاقتصادي فتعطلت فيها الصناعة والتجارة وبارت الزراعة . وقد اورد الرحالة الاوربيون من امثال سافاري وفولني في قصص رحلاتهم صوراً واضحة من هذا التأخر والجمود ، فتكلموا عن سذاجة المصنوعات اليدوية ، وغلاء اثمانها مع قلة اتقانها بالنسبة للبضائع المستوردة ، وفقدان الحاذقين والاختصاصيين وندرة المتعلمين .

وزاد في ركود الحياة الاقتصادية ظهور الثورة الصناعية في اوربا ، وضعف الصناعات الوطنية المحتضرة وعجزها عن مزاحمة الانتاج الآلي ، يضاف الى ذلك اثر الامتيازات الاجنبية في عرقلة كل تصنيع ومنع كل تقدم وتطور .

ثم جاء افتتاح ترعة السويس سنة ١٨٦٩ ليجهز على المواقع التجارية الاخيرة التي كانت تتولى المتاجرة بين آسيا واوربا ، اذ أحكم اتصال اوربا بالشرق الاقصى بصورة مباشرة وعطل الموانئ العربية وجعل انتاج الهند والصين من المواد الاولية في متناول مراكز الصناعة الاوربية .

ولقد اصاب الحياة العلمية في البلاد العربية في العهد العثماني ما اصاب الحياة الاقتصادية من الجمود والركود ، اذ لما كانت الدولة تركية اللسان ، فقد كان بديهياً أن تنشط حركة التأليف بين علماء الاتراك وباللغة التركية ، وأن يضعف التأليف باللغة العربية .

ولكن القرن التاسع عشر حمل معه الى البلاد العربية روح الثورة والرغبة بحياة أفضل ، فظهرت فيه حركات فكرية تجلت بتيارين تقدميين مختلفين : كان احدهما ثمرة مبادىء الحرية التي نادى بها رجال الثورة الافرنسية فحمل الى البلاد العربية ثمرات الفكر الاوربي في العلم والمعرفة والسياسة وطرائق النضال وأساليب البحث ، ودعا الى بعث المجد العربي والافادة من مقومات الحضارة الحديثة واساليبها ، وكان ثانيهما ثمرة نهضة الفكر الديني ، والتماس الاصلاح ، والعودة بالاسلام الى مبادئه الاصيلة التي كانت سبيل النهضة العربية الاولى .

الفكر الاقتصادي : ولقد تصدى التياران المذكوران للحياة السياسية والاجتماعية والعلمية في البلاد العربية ، ولا سيما في بلاد الشام ، ونشر رجالهما الكتب والابحاث والمقالات الصحفية . وكان لا بد أن ينال الفكر الاقتصادي والاجتماعي نصيبه المتواضع ، فلامس البعض منهم السياسة الاقتصادية والمشكلة الاجتماعية بصورة عارضة ، وتصدى النادرون للتأليف الاقتصادي المستقل .

بيد اننا نستطيع ان نخص بالذكر ثلاثة من عباقرة هذه الفترة الذين اسهموا في انماء الفكر الاجتماعي والاقتصادي هم : السيد عبد الرحمن الكواكبي ، والشيخ جمال الدين القاسمي ، والشهيد رفيق رزق سلوم .

عبد الرحمن الكواكبي : جابه « السيد عبد الرحمن الكواكبي » المشكلة

الاجتماعية في كتابيه « ام القرى» و « طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد » وهو في رأيي ، رائد من رواد الفكر الاشتراكي في المشرق العربي ، اذا وصف اسباب الاكتناز وعوامل الادخار ، وتكلم على الطبقات واثر الزكاة في تحقيق الاشتراكية وقيود حق المالك ، وتحديد الملكية الزراعية ، وصلة الرأسمالية بالاستعمار .

الزكاة والاشتراكية : بحث الكواكبي في كتابه « ام القرى » (١) مشكلة الغنى والفقر في المجتمع ، والتمس حلها الاشتراكية الاسلامية ، او ما يدعوه « بالاشتراك العمومي المنتظم » وقال : «ولو عاش المسلمون مسلمين حقيقة أمنوا الفقر وعاشوا عيشة الاشتراك العمومي المنتظم التي يتمنى ما هو من نوعها اغلب العالم المتمدن الافرنجي ، وهم لم يهتدوا بعد لطريقة نيلها مع انه تسعى وراء ذلك منهم جمعيات وعصبيات مكونة من ملايين باسم (كومون وفنيان ونيهلست وسوسيا ليست) كلها تطلب التساوي او التقارب في الحقوق والحالة المعاشية ذلك التساوي والتقارب المقررين في الاسلامية ديناً ، بوسيلة انواع الزكاة والكفارات . ولكن تعطيل ايتاء الزكاة وايفاء الكفارات سبب بعض الفتور ، كما سبب اهمال الزكاة فقد الثمرات العظيمة من معرفة ميزانية ثروته سنوياً فيوفق نفقاته على نسبة ثروته ودخله (ص٥٢)
اما في كتابه « طبائع الاستبداد ، ومصارع الاستعباد » (٢) فقد عرض لمشكلة

---

(١) عبد الرحمن الكواكبي القاهرة ١٩٣١ وهو كتاب وصف فيه الكواكبي مؤتمرا اسلاميا تصور انعقاده في مكة سنة ١٣١٦ هـ (قبل الحرب الاولى) وسرد فيه مناقشات موضوعات تهم العرب والمسلمين

(٢) وهو مجموعة مقالات نشرها في الصحف المصرية قبل الحرب العامة الاولى وجمعها في كتاب « هدية للناشئة العربية » واشار في العنوان الى انها : صيحة في واد ، ان ذهبت اليوم مع الريح ، فقد تذهب غدا بالاوتاد .

الطبقات الاجتماعية ، في الفصل المتعلق « بالاستبـداد بالمال » ، فوصف التفاوت الاجتماعي بين الفئات الممتازة وبين الجمهور ، وحلل اسباب الاكتناز ، ووجه اليه حملة شديدة ، وطالب بالغاء الفروق الكبيرة بين فئات الامة ، ثم تكلم عن الادخار واطلق عليه اسم « التمول » وعدد اسبابه .

ملكية الارض في الاسلام : وبعد ان تكلم على الزكاة وانها سبيل للاشتراكية في المعنى الذي سبق ان ذكره في « ام القرى » ، اضاف انه « لا يخفى على المدقق ان جزءاً من اربعين من رؤوس الاموال (الزكاة) يلحق فقراء الامة باغنيائها ويمنع تراكم الثروات المفرطة المولدة للاستبداد المضرة باخلاق الافراد . وكذلك تركت الاسلامية معظم الاراضي الزراعية **ملكاً لعامة الامة** يستنبتها ويتمتع بخيراتها العاملون فيها فقط وليس عليهـم الا العشر او الخراج الذي لا يجـوز ان يتجاوز الخمس لبيت المـال » .

مشروعية قيود حق الملك : ثم بحث في التمول المشروع فقال « ان التمول لاجل الحاجات السالفة الذكر محدود بثلاثة شروط : الاول ان يكون احراز المال بوجه مشروع حلال اي باحرازه من بذل الطبيعة أو بالمعاوضة أو في مقابل عمل او في مقابل ضمان . الشرط الثاني ان لا يكون في التمول تضييق على حاجات الغير كاحتكار الضروريات او مزاحمة الصناع والعمال الضعفاء او التغلب على المباحات مثل امتلاك الاراضي التي جعلها خالقها ممرحاً لكافة مخلوقاته وهي امهم ترضعهم لبن جهازاتها . فجاء المستبدون الاولون ووضعوا اصولا لحمايتها من ابنائها ، فهذه ايرلندة مثلاً قد حماها الف مستبد مالي مـن الانكليز ليتمتعوا بثلثي او ثلاثة ارباع ثمرات اتعاب عشرة ملايين من البشر الذين خلقوا من تراب ايرلندة ، وهذه مصر وغيرها تقرب من ذلك حالا وستفوقها مآلا » .

تحديد الملكية الزراعية : وبعد أن طالب بتحديد الملكية الزراعيـة اسوة بالصين وبولونيا ذكر الشرط الثالث وهو ان لا يتجاوز المال قدر الحاجة لان افراط الثروة مهلكة للاخلاق الحميدة في الانسـان . فانه ليطغى أن رآه استغنى

الرأسمالية او الاستعمار : ويرى « ان الشرائع السماوية كلها و كذلك الحكمة السياسية والاخلاقية والعمرانية حرّمت الربا بقصد حفظ التساوي والتقارب بين الناس في القوة الماليـة » ورغم فوائـد الاقراض الـتي لا ينكرها فانـه يقـول « ان هذه الثروات يكتنزها الافراد تمكن الاستبداد الداخلي فتجعـل الناس صنفين عبيداً واسيادا ، وتقوي الاستبداد الخارجي فتسهل التعدي على حرية واستقلال الامم الضعيفة مالاً وعدة . وان تحصيل الثروة في عهد الحكومة العادلة عسر جداً وقد لا يتأتى الا عن طريق المرابـاة مع الامم المنحطة او التجـارة الكبيرة التي فيها نوع احتكار او الاستعمار في البلاد البعيدة مـع المخاطرات » (ص ٦١) .

الشيخ جمال الدين القاسمي : ان المكتبة العربية مدينة للشيخ جمـال الدين القاسمي بأثر يتصل بالفكر الاقتصادي هو كتاب « قاموس الصناعات الشامية » الذي نشره « معهد الدراسات العليا التطبيقية في باريس » . وقال عنه « لويس ماسينيون » في المقدمة التي قدم بها الكتاب انه « يوم ينشر هذا القاموس الاجتماعي فلسوف يهدي الباحثين الى تنظيم مجموعات مصورة عن ادوات الحرفيين التقليدية ، ويوجه العمل على تأسيس متحف تاريخي للاساليب الفنية ، بل انـه يوحي بدراسات في علم النفس الاجتماعي وتنظيم جداول للاحصاء المهني ، وبوضع مصورات طبوغرافية عن التوزيع التاريخي للمنظمات الحرفية » .

هذا القاموس عمل جماعي اسهم في تأليفه ونشره ثلاثة اجيال من اسرة القاسمي : فقد ألف الجزء الاول منه الشيخ محمد سعيد القاسمي (١٨٤٣ - ١٩٠٠) من علماء دمشق ، واتبع في تأليفه الاسلوب العلمي الحديث فزار بنفسه جميع الصناعات والحرف في مدينة دمشق ، وسجل مختلف المعلومات عن سيرها واصلها وكل ما يتعلق بها . واستمر بذلك عشر سنوات انجز خلالها الجزء الاول المشتمل على مائة واحدى واربعين حرفة . بدأ من حرف الالف حتى حرف السين ، الا ان المنية عاجلت الشيخ سعيد قبل ان يتم عمله فتصدى ابنه علامة الشام جمال الدين القاسمي (١٨٦٦/١٩١٤) لاكمال ما بدأه والده مستعيناً بصهره السيد خليل العظم ، فانجز الجزء الثاني المشتمل على مائتين واربع وتسعين حرفة ، ثم حقق الكتاب حفيد المؤلف الاستاذ ظافر القاسمي نقيب محامي دمشق ، ووضع مقدمته وعلق عليه سنة ١٩٦٠ .

والقاموس يتكلم على اربعمائة وسبع وثلاثين صناعة او حرفة كانت موجودة في مدينة دمشق ، في مجلدين وخمسمائة صفحة ، ويشرح تاريخ هذه الحرف وطرائق مزاولتها وما تحتاج اليه من آلات وادوات ، ويفصل اسماءها ومواسمها واسواقها الداخلية والخارجية . ويصلح ان يكون مصدراً علمياً للحياة الاقتصادية والتجارية والاجتماعية لدمشق خلال القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين ، ويجد فيه المنقب ذكراً لاسعار بعض الحاجيات ، واجور بعض فئات العمال ، ومعدلات بعض الضرائب ، واحكام بعض العقود التجارية مثل عقود تجارة الاغنام ، او مزارعة الارض ، او تجارة الحنطة ، او السمسرة ، ومثل الاسواق الموسمية وامكنتها والبضائع التي تتعامل بها ومثل حرف نقل البضائع ، وما اعتادت البلاد تصديره او استيراده من السلع والمنتجات .

وفي الكتاب فوائد تاريخية مثل تاريخ البدء بحصر التبغ والتصوير وانشاء الخط الحجازي واول معمل للزجاج واول معمل آلي للغزل والنسيج ، وآثار استعمال ماكينة الخياطة قبل ثمانين عاما .

الشهيد رفيق رزق سلوم : ترك الشهيد رفيق رزق سلوم ، احد شهداء السادس من ايار كتاباً اسماه « حياة البلاد في علم الاقتصاد »(١) واهداه الى العلامة الاجتماعي الكبير السيد عبد الحميد الزهراوي ، الذي كان ايضاً احد شهداء ايار . وكان المؤلف وقتئذ طالباً في كلية الحقوق بالاستانة . والكتاب بجملته ، وكما ذكر مؤلفه على غلافه « ملخص باختصار عن احدث المؤلفات في هذا العلم » فقد رجع مؤلفه الى كتب اساتذته في الاستانة ولخصها في كتابه وقال في المقدمة « اما المؤلفات في لغتنا العربية فقليلة جداً في هذا الموضوع لا سيما الكتب التي يمكن ان يستفيد منها طلبة المكاتب والمدارس في تلخيص هذا الكتاب . . . » ووعد بان يكون « هذا المختصر مقدمة لمطول في هذا العلم » ولكن عاجله الاعدام قبل ان يحقق هذه الامنية .

جعل المؤلف تقسيم كتابه على غرار كتب الاقتصاد السياسي قبل الحرب العامة الاولى ، فقسمه الى اربعة اقسام هي : انتاج الثروة (استحصالها) وتوزيعها (انقسامها) ، وتداولها واستهلاكها » ، ووزع مواضيع علم الاقتصاد بين هذه الاقسام الاربعة ، واطلق على كل موضوع اسم « الدرس » ، وعقب على كل درس

---

(١) رفيق رزق سلوم : حياة البلاد في علم الاقتصاد . مطبعة قسطنطين يني - حمص ١٩١٣

بامثلة وتمرين ، فالاسئلة تتناول ابحاث الدرس والتمرين يتناول موضوعاً انشائياً . وكانت مواضيع التمارين موجهة نحو الحياة العملية او الاقتصاد الوطني ، ففي درس الطبيعة كعامل من عوامل الانتاج مثلاً يستعرض الانشاءات والزراعة والمعادن والاقاليم والمواقع الجغرافية والقوى الطبيعية ، ثم يقترح التمرين التالي : « لماذا اندثرت مدنية اجدادنا العرب العظام وماذا يجب أن نعمل حتى نعيد تلك المدنية المجيدة» .

القسم الثاني

التراث الفكري الاقتصادي منذ نهاية الحرب العامة
حتى نهاية الانتداب الافرنسي (١٩٤٣)

انتهت الحرب العامة الاولى بقيام الدولة العربية الاولى في سورية ، ثم عاجل الاستعمار الدولة الفتية فوقعت البلاد تحت الانتداب الفرنسي، وشمل الحياة الاقتصادية ضمور وركود كانا من طبيعة نظام الانتداب ونظام الباب المفتوح في التجارة الخارجية، ولم تتخلص منها البلاد الا بعد التخلص من الانتداب. ويكفي لبيان مدى هذا الركود ان نذكر أن رأس المال الصناعي لسورية بعد خمس وعشرين سنة من الاحتلال لم يتجاوز عشرين مليون ليرة. ورافق ركود الحياة الاقتصادية وفقدان الحرية السياسية ركود الحياة العلمية ولا سيما البحث الاقتصادي ، فلم يظهر خلال فترة الانتداب الا مقدار ضئيل من المؤلفات الاقتصادية، واستعراض ما وضع من الابحاث الاقتصادية في هذه الفترة يدل على ما ذهبنا اليه من ضآلة ما كتب في الفكر الاقتصادي في سورية ، سواء في اللغة العربية أو في اللغات الاجنبية .

يتجلى ما وضع خلال هذه الفترة بما ألف من الكتب باللغة العربية وباللغات الاجنبية ، من نشرات ومقالات في المجلات او الصحف :

آ – فنجد في اعقاب الحرب العالمية الاولى ظهور كتاب الامير علي عبد العزيز

الحسني « تاريخ سورية الاقتصادي » المطبوع بدمشق عام (١٣٤٢ هـ - ١٩٢٣م) وهو المرجع الرئيسي في التاريخ الاقتصادي للقطر السوري منذ القديم حتى الحرب العامة الاولى . فقد قسم المؤلف كتابه اقساما خمسة بحث في أولها :

حالة سورية الاقتصادية منذ الازمنة القديمة حتى ظهور الدعوة الاسلامية (ص ٩ - ٥٢) وبحث في ثانيها حالة سورية الاقتصادية منذ ظهور الدعوة الاسلامية حتى زمن الحروب الصليبية (٥٣ - ٩٥) وبحث في الثالث حالة سورية الاقتصادية منذ الحروب الصليبية حتى اكتشاف خط الهند البحري (٩٦-١٣٥) وفي الرابع بحث حالة سورية الاقتصادية منذ اكتشاف خط الهند البحري الى حين افتتاح ترعة السويس (١٣٦-٢٢٢) وفي الخامس بحث حالة سورية الاقتصادية منذ افتتاح ترعة السويس الى الحرب العامة الاولى (٢٢٣ - ٣٢٨) .

ولقد صور المؤلف الحياة الاقتصادية الزراعية والصناعية والتجارية في كل دور من هذه الادوار بتفصيل وتقص يدلان على الجهود المبذول في سبيل الكتاب ، وقد اورد ، بصور خاصة ، احصاءات ثمينة عن المبادلات الاقتصادية في العهد العثماني ، تعطي فكرة حقيقية عن الواقع الاقتصادي في العهد المذكور .

ب - ثم نجد ثلاثة كتب اقتصادية باللغة الفرنسية هي رسائل لنيل الدكتوراه . الكتاب الاول وضعه الدكتور محسن البرازي تحت عنوان « الاسلام والاشتراكية » (باريس عام ١٩٢٩) : Mohsen Barazi: Islamisme et socialisme, Paris 1929. عرض فيه موقف الاسلام من المشكلة الاجتماعية فقال ان الاسلام لم يقف موقف الخصم او الحيادي من حوز الثروة ولكنه اهتم بهذا الامر وخصه بكثير من الاحكام ، ورجع الى موقف الاسلام من الثروة ، ومن الغنى والفقر ، في الصدر الاول من الاسلام ، وأشار الى رفض تقسيم الثروات ، والى رفض السلف مبادي.

أبي ذر . ثم بحث في النصوص نفسها وتكلم على الملكية الفردية وحصانتها وحدودها وقيودها وأسسها في الشرع الاسلامي ، ثم على مايدعى بالدخل الرأسمالي على اختلاف مظاهره . وبعد ان تكلم عن بعض انواع الملكية التي تقارب الاشتراكية كالحمى والوقف وعلى الزكاة كضريبة اشتراكية ، فصل دور الدولة الاسلامية في النطاق الاقتصادي .

والكتاب الثاني وضعه الدكتور احمد السمان كاتب هذا البحث بعنوان « النظام النقدي في سورية » عام ١٩٣٥

Ahmad Samman: Le régime monétaire de la Syrie, Paris 1935

وبدأه بلمحة عن النظام النقدي في الدولة العثمانية ، ثم وصف تطور هذا النظام من القواعد النقدية المتعددة ، والنقود المتنوعة ، الى قاعدة الذهب فالى النظام الورقي .

ثم استعرض تاريخ النقد السوري في مطلع عهد الانتداب حتى اصلاحه بالنظام الذي وضع عام ١٩٢٨ ، ووصف طبيعة هذا النظام وسيره ، سواء فيايتعلق بالمبادلات الفرنسية السورية او فيا يتعلق بابدال النقد السوري . وقارنه بالنظم النقدية في الكتل النقدية الاستعارية ، كما وقارن المصرف السوري بالمصارف الاستعارية أمثال مصرف الجزائر والهند الصينية ، وبعد أن بحث في طبيعة النظام النقدي السوري وخصائصه وذكر الصلة بينه وبين النظام النقدي الفرنسي أفرد حيزاً واسعاً لاصدار النوع الثاني من النقود الذي هو « النقود الخطية » فعرض للاعمال التجارية لمصرف الاصدار ، وتكلم على عملياته النقدية والصرافية واحكامها .

والكتاب الثالث وضعه الدكتور محمد السراج بعنوان « في ضرورة اصلاح زراعي في سورية » سنة ١٩٣٥

Mohamed Sarraje : De la nécessité d'une réforme agraie en Syrie, Toulouse 1935.

وهو بحث رائد عرض فيه المؤلف تجارب الامم في الاصلاح الزراعي في اعقاب الحرب العامة الاولى ، وطالب بالاستفادة من هذه التجارب في معالجة مشكلة الارض في سورية .

جـ - ماوضعه أساتذة الاقتصاد في جامعة دمشق :

لانجد في هذه الفترة كلها الا كتابين في الاقتصاد و كتابا في علم المالية فقد وضع السيد عارف الخطيب كتيبا بعنوان « علم الاقتصاد » وهو كتاب شديد الايجاز ، ملخص عن بعض الكتب التركية يضم محاضرات ألقاها في معهد الحقوق العربي بدمشق وطبعها عام ١٩٢٥ . ثم وضع الاستاذ عبد القادر العظم كتابا في « علم الاقتصاد » في خمسة اجزاء هي المقدمة ، والانتاج والتوزيع والتداول والاستهلاك ، على غرار كتاب جاويد بك ، الذي قسم دروسه في جامعة الاستانة الى خمسة اجزاء ايضا ، وقد رجع المؤلف الى كتاب جاويد بك وغيره من المؤلفين الاتراك والى كتاب شارل جيد الموجز في الاقتصاد ، ويمثل كتابه باجزائه الخمسة المرحلة العلمية في التأليف الاقتصادي قبل الحرب العامة الاولى (١).

ولم يوضع كتاب في مستوى جامعي غير هذا الكتاب في الفترة بين ١٩٢٤ و ١٩٤٠ . أما كتاب « علم المالية » فقد وضعه أستاذنا فارس الخوري سنة ١٩٢٤ ثم اعاد

---

(١) عبد القادر العظم ـ مطبعة الجامعة السورية (١٩٣١ - ١٩٤٠) .

طبعه سنه ١٩٣٨ . وقد كان الكتاب مرجعاً كاملا لعلم المالية يتضمن الابحاث الرئيسية في هذا العلم : الموارد العامة ، والنفقات العامة والميزانية ، مع مقارنة بين نظم الضرائب في سورية وفي البلاد الاجنبية وفي الشريعة الاسلامية. وقد صدر المؤلف كتابه بطائفة من القواعد الكلية ، على غرار القواعد الكلية التي صدرت بها مجلة الاحكام العدلية ، هي ضوابط عامة تبنى عليها أحكام مالية . أما لغة التأليف فتمتاز بالوضوح والسلامة والجزالة ومداناة اللغة الادبية وقد أصبح ذلك من تقاليد التأليف في كلية الحقوق بجامعة دمشق .

د - ويمكن أن نضيف الى ماتقدم بعض الابحاث الاقتصادية مثل نشرتين وضعها المهندس السيد احسان الجابري عن «نقابات العمال وأثرها في حل المعضلة الاجتماعية» عام ١٩٣٩ و « مسألة عمال المدن » عام ١٩٣٩ ايضا ، ومثل كتاب وضعه مؤلف مشهور بكثرة انتاجه الاقتصادي هو الاستاذ منير فهمي الشريف بعنوان «الضائقة الاقتصادية السورية، اسبابها وعلاجها » (٢) درس فيه الوضع الناشىء عن النظام الانتدابي ، وما يقترحه من حلول ، في المرحلة التي كانت تنتقل فيها سورية من حكم الانتداب الى حكم ذاتي وطني الصبغة . ونشرة وضعها السيد « محمد هجراوي » عام ١٩٣٧ وكان مديراً للاقتصاد في حلب عن « اصلاح الزراعة السورية » . وترجمة وضعها « الاستاذ حنا خباز » (١٨٧١ - ١٩٥٥)

---

(٢) منير فهمي الشريف « الضائقة الاقتصادية السورية ، اسبابها وعلاجها » دمشق ١٩٣٧ .

مؤسس الكلية الانجيلية في حمص الكتاب « جمهورية أفلاطون » ونعتبرها ذات صلة بالفكر الاقتصادي التاريخي .

هـ – ولا بد أن نضيف الى ماذكر كتابا وضع في لبنان وأسهم في كتابته الاستاذ حسني الصواف أحد الاقتصاديين السوريين ويدعى الكتاب«النظام الاقتصادي في سورية ولبنان» . وقدوضعه باللغةالانكليزية قسم الاقتصاد والتجارةفي جامعة بيروت الاميركية وحرره رئيس القسم الاستاذ سعيد حماده ، ثم نقل الى اللغة العربية عام ١٩٣٦ . هذا العمل الجماعي الاصيل يقدم بحثا شاملاً عن النظام الاقتصادي في سورية ولبنان بما في ذلك سكان البلدين ومرافقهم الطبيعية ومعداتها الرأسمالية ونظمها الزراعية والصناعية والتجارية والمالية ، وابتغى منه مؤلفوه ان يكون اساسا لتنظيم برامج لمدات طويلة أو قصيرة ومرجعاً للاقتصاديين والتجار ، وعملا ذا قيمة تاريخية اذ يرصد اقتصاديات البلدين في زمن معين بحيث يمكن ان يستخدم في المستقبل كأساس للمقابلة والقياس . اما البحث الذي اسهم به الاستاذ حسني الصواف في الكتاب فيتناول « ثروة البلاد الطبيعية » ويفصل فيه الكلام على التربة والمناخ والمياه والمعادن وصيد الاسماك والثروة الحراجية والحيوانية وموارد الاصطياف . وقد بقي الكتاب مرجعاً رئيسيا لكل باحث في اقتصاديات سورية ولبنان ، أفاد منه كل من وضعوا ابحاثا أو دراسات أو برامج تتصل بالاقتصاد السوري فيما بعد .

و – والى جانب هذا العدد الضئيل من الكتب الذي لايتجاوز عدد اصابع اليدين ، نجد كثيراً من الابحاث الاقتصادية في مجلات الغرف التجارية في دمشق وحلب وفي الصحف اليومية . فقد كان النضال الوطني في عهد الانتداب يتجلى بمظاهر شتى أهمها المظهر الاقتصادي ، فكان التجار يعبرون عن مقاومتهم للاستعمار بمؤتمراتهم التي كانوا يطالبون فيها بالاخذ بسياسة التصنيع ، وحماية الانتاج المحلي

الزراعي والصناعي ، والمحافظة على مكانة سورية كوسيط للتجارات بين الشرق والغرب وكان ذلك كله يقتضي وضع الدراسات الاقتصادية لدعم حجج المناضلين من رجال الصناعة والتجارة والزراعة. ويكفي لتكوين فكرة واضحة عن هذه التقارير والدراسات ان نرجع الى المجلدين اللذين جمع فيهما السيد لطفي الحفار مقالاته وتقاريره الاقتصادية تحت عنوان « ذكريات » ونشرهما عام ١٩٥٤(١) واستعراض بعض عناوين الابحاث فيها يتصور مواطن المعركة الاقتصادية في عهد الانتداب . فنجد في الجزء الاول المقالات التالية : « التجارة عند العرب » محاضرة ألقاها في حفلة التجار لسمو الامير فيصل ،« الاندية التجارية »« احتجاج دمشق » (هذا الاحتجاج كان المقاومة الاولى لعمل الفرنسيين ، وقد قررته اللجنة التجارية الدمشقية ، ضد عقد الاتفاق الجمركي مع المفوضية العليا في فلسطين عام ١٩٢١ ويقصد به وضع حاجز جمركي بين سورية وبين فلسطين ونشرته (جريدة سورية الجديدة)ـ ٢٠ ك ١)) و « معضلة الجمارك بين سورية ولبنان » و « المصرف السوري : تجديد امتيازه »و« الشرق والاعمال الاقتصادية» ص ٨٩ تكريما لطلعة حرب و « التقرير الاقتصادي للمؤتمر الصناعي التجاري» ص ١٢٦ و « حديث عن ادارة الجمارك » ص ١٤٨ و « احياء الصنائع الشرقية» ص ١٥٥ و « احتكار التبغ » ص ١٦٤ و « علاج الازمة الاقتصادية »ص ١٩٩ و « حالة البلاد الاقتصادية : داؤها ودواؤها » ص ٢٠٥ و « العلاقات الاقتصادية بين مصر والشام »ص ٢١٧ و « المؤتمر الاقتصادي العام الذي عقد في بيروت ١٩٣٣ »ص ٢٥٣. وكذلك نجد في الجزء الثاني بحثاً

---

(١) لطفي الحفار ـ ذكريات ـ مطابع ابن زيدون ـ دمشق ١٩٥٤ .

عن الاتفاق الاقتصادي بين سورية ولبنان ص ١٠٥ و « حديثا عن قضية النقد واستقلاله »ص ٢٦٦ . ويمكن أن نسلك في هذا السلك كتاب « المراحل » الذي وضعه الدكتور عبد الرحمن الكيالي وأرخ فيه للنضال الوطني الذي قادته الكتلة الوطنية أيام الانتداب الافرنسي خلال ثلاث عشرة سنة بدءا من عام ١٩٢٦ حتى نهاية عام ١٩٣٩ . والكتاب يتضمن « اعمال السلطة المنتدبة وما جرى في سورية من وقائع وحوادث ، كان لها التأثير في تطور القضية السورية منذ ايام (بونسو) سنة ١٩٢٦ الى نهاية ايام (دومارتل) في سنة ١٩٣٩ » وقد سماه « المراحل » وجعله في اربعة اجزاء ، تضمنت عدة مراحل لكل منها مسماها المستخرج من حوادثها وما حوته من امور سياسية . وقد ظهر الكتاب في السنوات الاخيرة بدءا من عام ١٩٥٨ (١) . وقد عرض المؤلف في تضاعيف كتابه الى طائفة من الوقائع الاقتصادية التي حدثت ايام الانتداب وما ادت اليه من نتائج وما اثارته من ردود فعل تهم الباحث الاقتصادي . ومثل ذلك كتاب « القضايا الاجتماعية الكبرى في العالم العربي » الذي نشره في أواخر عام ١٩٣٦ الدكتور عبد الرحمن الشهبندر (١٨٨٢ـ١٩٤٠) وجمع فيه مقالات نشرها في مجلة المقتطف في تواريخ مختلفة تبحث في الاشتراكية والبلشفية والفاشيستية والنازية والكمالية .

---

(١) مطبعة الضاد ـ حلب

القسم الثالث

ما أسهم به العرب السوريون في المعرفة الاقتصادية منذ الاستقلال ١٩٤٣ حتى الوقت الحاضر (نهاية عام ١٩٦٣)

لقد عرفت سورية منذ عام ١٩٣٦ حتى ١٩٣٩ فترة من الحياة السياسية تراخت فيها قيود الحكم الانتدابي وبدأ فيها شكل من الحكم الوطني ، قام بالمفاوضات مع فرنسا لعقد معاهدة ثنائية تنهي حكم الانتداب، واتجه الحكم في تلك الفترة نحو نشر العلم والبدء بتحقيق ديموقراطية التعليم وتعريبه ، وايفاد البعوث العلمية الى الخارج. ولما رأت سلطات الانتداب ان المفاوض السوري لم يقبل تقييد البلاد بقيود اقتصادية وسياسية وعسكرية ، تراجعت عن موقفها ، وسحبت مشروع المعاهدة ، وعادت الى الحكم المباشر، والى سياسة قمع الحركة الوطنية . وجاءت الحرب العامة الثانية ، واحتل الديغوليون والبريطانيون سورية ، ثم اشتدت معركة مقاومة الانتداب وانتهت باعلان حكم وطني نعمت فيه سورية بوسائل انشاء دولة حديثة حرة في آب ١٩٤٣ . وقاد الحكم والشعب معركة اجلاء الجيوش الاجنبية الذي تم يوم ١٧ نيسان ١٩٤٦ . وفي ظل الحكم الاستقلالي نشطت الحركة الاقتصادية وكثر الطلب على الانتاج ، وتحسن ميزان المدفوعات بسبب المبالغ الضخمة من

العملات الاجنبية التي انفقتها جيوش الاحتلال لقاء بضائع وخدمات، وقامت حركة عامة في البلاد للتوسع في الزراعة ولا سيما في مناطق الجزيرة التي كانت محرمة على رأس المال الوطني واليد العاملة الوطنية، والقيام بالتصنيع الشامل، فاستثمرت مبالغ كبيرة من مدخرات البلاد في انشاء الصناعات الغذائية وصناعات الغزل والنسيج ومواد البناء، وكثير من الصناعات الصغيرة، وبدأ السعي للتنمية الاقتصادية، ووضع البرامج الانمائية، والاستكثار من البعوث العلمية لتكوين الاخصائيين الاقتصاديين. وفي ظل الحكم الديمقراطي الاستقلالي الجديد، والحريات السياسية، أنشئت الاحزاب السياسية ونشط التأليف والبحث الاقتصادي مع نشاط الحركة العلمية والنهضة الاقتصادية. وان نظرة سريعة نلقيها على تواريخ الدراسات والمؤلفات والنشرات الاقتصادية التي صدرت في القطر السوري، والتي تتضمنها الجداول الملحقة، تعطينا فكرة عن تطور حركة البحث الاقتصادي، فبينما لا نجد قبل الحرب العامة الاولى الا كتابين في الاقتصاد والتاريخ الاقتصادي، وبينما لا نجد خلال عهد الانتداب الا بضعة مؤلفات، نجد بعد الاستقلال تسارع حركة البحث الاقتصادي، ونستطيع القول ان ثمانين بالمائة من الانتاج الفكري الاقتصادي قد وضع بعد عام ١٩٥٠. ولو أجرينا احصاء آخر لاستقصاء عدد من يصح ان يطلق عليهم اسم « الاقتصاديين » لما تجاوز عددهم قبل الاستقلال العشرة في الجامعة وفي ميدان الحياة الاقتصادية، بينما نستطيع في الوقت الحاضر أن نحصي منهم العشرات أمكن تكوينهم خلال سنوات قصيرة، ولا شك أن مما يهم مؤرخ البحث الاقتصادي أن يلم بالعوامل المتعددة التي أدت الى تكوين الصفوة الوطنية من الاقتصاديين السوريين في هذه الفترة من الزمن، ولقد حاولنا ذلك جهد الامكان، فوجدنا ان طائفة من الظروف تعاونت على ذلك فقد بدأ الراغبون بتعلم الاقتصاد، يتجهون نحو البلاد والجامعات الاجنبية يتزودون من العلم بما يخدمون به وطنهم، كما استكثرت الدولة من ايفاد

الشباب المتطلعين الى العلم ، ثم بدأت البلاد تستفيد من هذه الناشئة التي تكونت في هذه الحقبة من الزمن ، فعادت الى البلاد حوالي منتصف القرن العشرين كتائب من الشبان المختصين بالاقتصاد تلقت النظريات الحديثة في مختلف بلاد العالم ، واعطت نتائج مجهودها عملاً واعياً في اجهزة الدولة والمشاريع الخاصة ، وبحثاً دائباً في المجلات والمؤلفات ، وحاضرها الشاب يبشر بحصاد رائع من المعرفة الاقتصادية .

ثم ان تدريس الاقتصاد كان منحصراً بكرسي واحد في كلية الحقوق ، ومنظماً في اطار برنامج الدراسة الحقوقية ، فكان أثره ضئيلاً في تكوين الاختصاصيين في الكمية والكيف ، ثم تطور الامر مع الزمن . وانشئت كليات جديدة في الجامعة السورية بعد عام ١٩٤٦ وأصبح الاقتصاد يدرس في كليات الحقوق والتجارة والآداب والتربية والشريعة ، وبانشاء جامعة حلب اضيف مركز جديد للدراسة الاقتصادية في كليات هذه الجامعة الناشئة

ولا شك انه سيكون من شأن ذلك كله نشر المعرفة الاقتصادية ، وخلق الوعي العلمي الاقتصادي الذي سيتولد منه مزيد من البحث والدرس واغناء العلم .

وقد كانت كليات الجامعة السورية منذ عام ١٩٥٠ تطالب كلا من المتخرجين بوضع رسالة علمية في اختصاصه ، واستمر ذلك بضع سنوات ، وقد أدى ذلك الى قيام بعض المتخرجين من كليتي الحقوق والآداب ، بوضع طائفة من الدراسات الاقتصادية الهامة ، اوردنا ثبتها في ملحق مرافق . والقيمة العلمية لهذه الرسائل التي تحتفظ بها مكتبة جامعة دمشق متفاوتة ولكنها في جملتها تطرق مواضيع مفيدة ، وتبعث في المواطن روح البحث والتنقيب والتطلع الى الافضل ، وتضيف الى التراث الفكري الاقتصادي ثروة قيمة .

ثم ان اطلاق الحريات العامة في فجر الاستقلال أتاح تأسيس الاحزاب السياسية ، فأنشىء حزب البعث العربي عام ١٩٤٣ وانشئت جمعية الاخوان المسلمين ، وأعيد تأليف الحزب الشيوعي الذي أقر ميثاقاً وطنياً جديداً في العام نفسه ، وتلا ذلك تأليف الحزب الوطني ١٩٤٧ وحزب الشعب سنة ١٩٤٨ وغير ذلك من الاحزاب وبديهي ان الاحزاب مسوقة الى نشر مبادئها والدفاع عنها ، بمختلف وسائل النشر ، فأفادت المكتبة العربية ثروة كبيرة من ثمرات التأليف والترجمة .

وكذلك ، فان سير الدولة في طريق التنمية الاقتصادية ، وابتغاءها القيام بالمشروعات الاساسية أدى الى توسيع نطاق القطاع العام ، وبالتالي ، ادى الى ظهور كثير من التقارير العلمية الباحثة في تنمية الاقتصاد والتي تعد الدوائر العامة التي تتولى التأليف والبحث الاقتصادي مثل وزارات الاقتصاد والتخطيط والدفاع والثقافة .

والى جانب المجهود الجامعي والفردي في التأليف الاقتصادي ، أقبلت غرف التجارة والصناعة والزراعة في دمشق وحلب وغيرهما على اصدار نشرات اقتصادية تتضمن ثروة من الابحاث الاقتصادية ، وكذلك لا نستطيع ان نتجاهل عملاً كبيراً ، هو تأسيس الدكتور شفيق الاخرس « مركزاً للدراسات الاقتصادية » بدمشق ، يصدر نشرة شهرية باللغة العربية منذ عام ١٩٥٨ هي :

L'Économie et les Finances de la Syrie et des pays Arabes.

وصحيفة اسبوعية اقتصادية باللغة العربية منذ عام ١٩٦٣ هي « الاقتصادي العربي » .

وكما تطور الانتاج العلمي الاقتصادي من حيث الكمية ، نحو الزيادة والنماء ، كذلك تطور نحو التجدد والاختصاص . فقد كان البحث الاقتصادي في اول الامر لا يتعدى كلية الحقوق من جهة ، وغرف التجارة من جهة ثانية ، وكان الجيل الاول

قد تكون في العهد العثماني فكانت الكتب التركية وقتئذ مرجعه الرئيسي، فألف في الاقتصاد وفق كتب جاويد بك المستمدة من جيد ولوروا بوليو وغيرهما من المؤمنين بصلاح التوازن العفوي ، والمسمى الفردي ، ثم جاء جيل ثان ، تكون قبل الحرب العامة الثانية ، شهد اصطراع المذهب الحر والاقتصاد الموجه ، وتجربة روزفلت وظهور النظم الفاشستية والنازية ، وولادة التخطيط الاقتصادي ، فتأثر بهذا الجو الفكري ونقل تأثره الى الجيل الجديد الذي تكون في اعقاب الحرب الثانية ، في جو نظريات كينز ، واتجاهات المدرسة الهولندية ، وتوسع في الاقتصاد الرياضي ، واستعمال أساليب ليونتييف وكان تبحره في نظريات النمو الاقتصادي ، حافزاً له على الاسهام في ابحاث التنمية الاقتصادية ، والدخل القومي في القطر السوري .

ولا شك ان الجيل الثاني والثالث في القطر السوري قد تأثرا الى حد كبير بوسائل المعرفة الاقتصادية التي انبثقت عن القطر المصري ، فقد كانت المصطلحات الاقتصادية التي استعملها في مصر المؤلفون والمترجمون مراجع لمؤلفينا ومترجمينا ، وكانت المؤلفات الاقتصادية والمجلات الاقتصادية المصرية مدرسة تلقى فيها جيلنا ، ولا يزال ، قسطاً كبيراً من المعرفة . ولا نزال نجد في مؤلفات الدكتور احمد صالح والدكتور عبد الحكيم الرفاعي ومؤلفات الجيل الجديد من الاقتصاديين امثال خلاف والشافعي ومراد والنجار ومحجوب وشقير ونصر جواً علمياً يعكس أحدث الاجواء العلمية وغناها . يضاف الى ذلك كله ، الثروة الفكرية التي يعج بها لبنان ، والتي انطلقت من قسم الاقتصاد في الجامعة الاميركية في بيروت بقيادة الاستاذ سعيد حماده والمؤلفات والنشرات التي يصدرها معهد الدراسات الاقتصادية باشراف الدكتور ألبرت بدر ، سابقاً ، والدكتور يوسف صائغ حالياً ، والدراسات التي تنشرها مجلة « الابحاث » في الجامعة نفسها ثم الجهود الضخم الذي يبذله مكتب اتحاد

الغرف الاقتصادية العربية في بيروت بقيادة سكرتيره الاستاذ برهان الدين الدجاني، في دراسة الاقتصاد العربي دراسة منظمة علمية متصلة في نشرات المكتب ، مثل الكتاب الاول الذي حرره الاستاذ الدجاني واسهم فيه عدد من الشباب الاقتصاديين، ومثل السلسلة الذهبية حقاً، سلسلة «تقرير عن الاقتصاد العربي» التي ترصد الاقتصاد العربي سنة فسنة ، مع تطور الاقتصاد في كل بلد عربي وتتبع مشاريع التنمية فيه ، ولا ننسى كذلك مجلة « الاقتصاد اللبناني والعربي » التي تصدرها غرفة تجارة وصناعة بيروت باشراف الامير مالك شهاب .

واذا اضفنا الى ذلك كله الجهود القائمة في الترجمة والتأليف والاقتباس في ميدان المعرفة الاقتصادية في لبنان وغيره التي تناقش فيها المشاكل الاقتصادية ، والتي يتابعها الاقتصاديون في الجمهورية العربية السورية بشغف واعجاب ، عرفنا العناصر الفكرية التي تعاونت على تكوين الاقتصادي السوري في الوقت الحاضر ، وعلى اعداده للقيام برسالته العلمية والانسانية .

والآن وقد وصفنا الجو الاجتماعي والعلمي الذي احتضن حركة التأليف الاقتصادي منذ عام ١٩٤٣ نستطيع ان نشير الى امهات المؤلفات التي اصدرها السوريون العرب، وان نقومها كمعالم رئيسية في طريق الزحف الكبير العلمي .

هذا التراث الفني الذي وضع منذ اعقاب الحرب الثانية حتى الوقت الحاضر ، وتألق مع الجلاء يمثل تطور الفكر الاقتصادي العربي السوري في مساوقته للفكر الاقتصادي العالمي او في محاولته تفسير الواقع السوري ، ويعكس الحياة الاقتصادية النشيطة التي تعهدها روح الابداع والطموح الفردي ، وانعشها وحماها عهد الاستقلال والوعي القومي .

وسنستعرض هذا التراث حسب مختلف موضوعات علم الاقتصاد ، مقسمين البحث بين ما ألف باللغات الاجنبية ، وما الف باللغة العربية ، او ما ورد بنشرات دورية ، وسنحاول تلخيص بعض الابحاث التي تمثل نموذجاً معيناً من التفكير، حريصين على ان لا يتناول ذلك ، في الغالب ، الا المؤلفات المطبوعة .

اولاً ما الف باللغة الاجنبية :

يتجلى ما الف باللغة الاجنبية برسائل الدكتوراه التي وضعها الجيل السوري الذي نذر نفسه للمعرفة الاقتصادية ، وهذه الرسائل الموضوعة بمختلف اللغات تمثل الواناً متعددة من الفكر ، واساليب متفاوتة من البحث ، وتكاد تغطي مختلف المواضيع الاقتصادية . والكثرة الغالبة في هذه المؤلفات قد اختارت الاقتصاد السوري موضوعاً للبحث ، والقليل منها اختار المواضيع العامة في الاقتصاد ، وبه سنبدأ استعراضنا التراث العربي السوري في البحث الاقتصادي .

فقد تصدى الدكتور محمد دياب للتحليل الاقتصادي المعتمد على الرياضيات في بحثه الفريد عن « وضع رأس مال الولايات المتحدة وتركيب تجارتها الخارجية » عام ١٩٥٦ :

M. A. Diab: The United States capital position and the structure of its foreign Trade, Amesterdam 1956.

ان هذا الكتاب عبارة عن نقد وتقويم للنتائج التي توصل اليها الاستاذ برهان ليونتيف ومساعدوه بشأن التجارة الخارجية للولايات المتحدة لعام ١٩٤٧ . فقد ذهب ليونتيف الى ان الولايات المتحدة تصدر بضائع تتضمن مقداراً كبيراً من العمل وتستورد بضائع مقابلها الوطني يتضمن مقداراً كبيراً من رأس المال، ولكن الدكتور دياب خالفه في هذا الاستنتاج ، وقدم دراسة انتقادية تتناول طريقة ليونتيف في

البحث ، وخطأ بعض الامثال التي استعملها ، وبالتالي تضع موضع الانتقاد آراء ليونتيف بشأن نظرية اوهلن عن النسب المتحولة لعوامل التجارة الخارجية ولانتاجية العمل في الولايات المتحدة ووضع أعماها حيال بلاد العالم بفضل الرجوع للاحصاءات المتوافرة عن الانتاج وعن رأس المال الاحتياطي واليد العاملة المستجدة في بعض البلاد المختارة .

وأثبت في نهايتها أن تركيب تجارة الولايات المتحدة يعكس غناها بالموارد الطبيعية أكثر مما يعكس ضخامة كمية رأس المال بالنسبة للعامل الواحد اذا ما قورنت ببلاد العالم الاخرى .

ودراسة الاستاذ دياب المذكورة ، في رأيي ، تفتتح فصلاً جديداً في البحث الاقتصادي في بلادنا ، فلم يسبق حتى الآن لمؤلف من مواطنينا أن خاض مثل هذه المواضيع ، فاحسن استعمال المعادلات والخطوط البيانية وعرف ان يستنطق الارقام والاحصاءات ويجعلها حقائق حية .

فهو في رأيي رائد عربي في هذا الفن لم يسبقه اليه عربي آخر ، واذا كان الاستاذ زكريا نصر بدأ منذ بضع سنين يبحث مفاهيم ليونتيف ويبسط مشاكل « المنتج والمستخرج »(معهد الدراسات العربية العالية ، القاهرة ١٩٦٠) فان الاستاذ دياب استطاع ان يذهب في بحثه بعيداً جداً فيجذب اسلوب ليونتيف ، ويستخدمه في دراسة الاقتصاد الاميركي ، واقتصاد البلاد الاخرى .

وتصدى الدكتور كرم توما لدراسة السياسة النقدية من حيث سياسة الصرف بدرس تطور رقابة الصرف في بلجيكا في رسالته عن « المظاهر النقدية والتجارية

لرقابة الصرف » Karam Touma: Les aspects monétaires et commerciaux du controle de change, Beyrouth 1952
وتمتاز دراسته بتحليل الاحصاءات ، واستقراء الحوادث وتسلسلها ، ومعرفة الاسباب والآثار .

فقد درس قضية رقابة الصرف في الفترة بين ١٩٤٥ و ١٩٤٩ حيث كانت الرقابة مطبقة في اكثر بلاد العالم وخص تجربة بلجيكا بالتفصيل قبل عام ١٩٤٤ وبعده، ولخص رأيه في الموضوع بخاتمة اشار فيها الى ان تعميم رقابة القطع كان ضرورة يفرضها عجز الاقتصاد العالمي بعد الحرب الثانية ، فهو الوسيلة الوحيدة التي تتخذها الدول لضبط عوامل خلل التوازن ايام الازمات الكيانية والتطورية . ويضيف أن رقابة القطع هي « وصفة » حين المرض ، وهي نوعان : نوع يبتغي الدفاع عن القيمة الخارجية للعملة واسعر الصرف اما بتدابير تقليص النقد أو توسيعه كالسوق المفتوح ، وصندوق تعادل الصرف ، واما باعداد احتياطي من العملات الاجنبية ، شأن ما كان يجري أيام نظام المذهب المدرسي أو نظام الصرف الذهبي .

ونوع ساد العالم حوالي ١٩٤٤ يبتغي الدفاع عن القيمة الخارجية للعملة بتدابير تقييد المبادلات عند العجز ، ويرى ان النوع الثاني لم يعقب الا الازمات وتقليص التجارة الخارجية ، حسب تجارب بلجيكا ،ويفضل عليه ، النوع الاول الذي اعطى النتائج المحمودة في بلجيكا نفسها .

فبعد خمس سنوات من التجارب ،ثبت ان البلاد التي صححت تركيبها الاقتصادي والنقدي على أسس ثابتة ، لم تجد ضرورة للاحتفاظ بالرقابة التي اصبحت خفيفة أو غير موجودة . والعودة الى الصحة الاقتصادية في هذه البلاد نشأت عن سياسة نقدية

خالصة ، وعن تخفيف قيود رقابة الصرف ، فيجب ان تكون رقابـة الصرف تدبيراً احتياطياً يلجأ اليه عند استحالة اللجوء الى تدبير آخر ، ودواء حين الخطر ، لا نظام صحة ، فهو تدبير استثنائي ، لا يمكن ان يكون نظاماً نقدياً جديداً يحـل محل الاسس النقدية السالفة .

وبحث الدكتور زكريا اسماعيل في « القطع والتجارة الخارجيـة ، والتوازن الاقتصادي الدولي عام ١٩٥٠ . Zakaria Ismail : Change, commerce extérieur et équilibre économique international, Paris 1955 (رسالة غير مطبوعـة) قسم البحث قسمين ، عرض في القسم الاول منهما ، وهو القسم النظري ، النظرية الفرنسية وآراء العلماء الفرنسيين في التجارة الخارجية امثال افتاليون ورويف ووبلر واوهلن ، ورسم خطوط تطورها المقبل ، وقدم في القسم الثاني وهو القسم التحليلي ، دراسة عميقة للتجارب الفرنسية في الصرف والتجارة الخارجية منذ عام ١٩١٩ .

وبحث الدكتور انطـون قسيس عن « مفهوم القانون في الاقتصاد السياسي » Antoine Kassis: La notion de loi en économie politique, Beyrouth 1954. ثم توسع في هذا الموضوع في كتاب اسماه « موضوع الاقتصاد السياسي والقانون الاقتصادي في النظام الاشتراكي : L'objet de l'économie politique et la loi économique en régime socialiste, Beyrouth 1956. لخص فيـه أسس المادية التاريخية ، وانتقد تعريف ستالين للاقتصاد السياسي ونظرته الى موضوع هذا العلم والتنظيم الاقتصادي ، وخلص الى القول بأن الموضوع الحقيقي للاقتصاد السياسي الاشتراكي هو دراسة قوانين التنظيم الاشتراكي للانتاج وسير هذه القوانين .

وبحث الدكتور نعمان الازهري عن « عدم الاستقرار الاقتصادي في سورية » Neuman Azhari: Essai sur l'instabilité économique en Syrie, Paris 1951.

(رسالة غير مطبوعة) حيث درس قضية اضطراب الاسعار الزراعية وتفاوت الانتاج الزراعي دراسة تحليلية واثر ذلك في الاقتصاد السوري .

وبحث الدكتور محمد ناصيف عن « السياسة المالية ومكافحة التضخم » (رسالة غير مطبوعة) Mohammad Nassif: La Politique financière et la lutte contre l'inflation. Paris 1955. والدكتور حنا الخوري عن « مستوى المعيشة في الشرق الاوسط » (رسالة غير مطبوعة) Hanna Khoury: Le niveau de vie du Moyen Orient. 1952. Paris وكذلك تصدى الدكتور عبد الوهاب خياطه لبحث «تصنيع البلاد غير المكتملة النمو وتمويله» (رسالة غير مطبوعة) :

Abdel Wahab Khayatah, L'industrialisation de pays sous-développés et son financement (Louvain 1953).

المؤسسات الاقتصادية الدولية :

وتصدى مؤلفون آخرون للموضوعات المتصلة بالمؤسسات الدولية ، فافتتح الدكتور عادل مصلح هذه السلسلة برسالته عن «مصرف التسديدات الدولية» عام ١٩٤٩ Abdel Mosleh : La Banque de Règlements Internationaux, Genève 1949 وتلاه الدكتور يسار البيطار برسالة عن « الاتحادات النقدية » عام ١٩٥٥ Yassar Bitar: Les unions monétaires (Louvain), Damas 1955 تكلم فيها على اشكال الاتحادات النقدية وفوائدها وعقباتها ، ثم بحث في الاتحادات النقدية الالمانية واللاتينية والاسكندنافية وبعد ان استعرض المشاكل النقدية العالمية في فترة ما بين الحربين ودرس منطقة الاسترليني بحث في المشاريع الدولية والمؤسسات الدولية النقدية بما في ذلك الاتحاد الاوربي للمدفوعات .

والدكتور ألبير قدسي عن « التعاون الفني الدولي » عام ١٩٥٥ في رسالة غير مطبوعة ، Albert Koudsi: La coopération technique internationale, Paris 1955.

وثم الدكتور عبد الغني حمور عن « النقطة الرابعة » عام ١٩٥٥ (رسالة غير مطبوعة) Abdul Hgani Hammor : Le point IV, Paris 1955 تكلم فيها على تعريف البلد المتخلف ووضع معايير اقتصادية واجتماعية لتحليل الاقتصاد المتخلف ، وعرض لبرنامج النقطة الرابعة ومداه في الزمان والمكان وأهدافه السياسية والاستراتيجية والاقتصادية. ثم تكلم على اثر التقدم التقني في التنمية الاقتصادية للبلاد المتخلفة ، وتوسع ببحث مشكلة التمويل فتكلم على تكوين رأس المال القومي ومصادره ، ودور رأس المال الاجنبي . والدراسة تحليلية استعملت فيها المصطلحات الاقتصادية الحديثة باتقان وحذق ، وما عدا هذه المؤلفات ، ولا يزيد المطبوع منها على اصابع اليد الواحدة ، فالمؤلفات تبحث في مواضيع تتصل بالاقتصاد السوري .

وفي مجال التصنيع :

تكلم الدكتور عدنان الفرا عن « التصنيع في سورية » Adnan Farra L'industrialisation de la Syrie, Genève 1950. ودراسته تشمل سورية ولبنان معاً لان البلدين حتى آذار ١٩٥٠ كانا يؤلفان وحدة جمركية ونقدية ، وكانت الاشخاص والرساميل والبضائع تسير وتنتقل بحرية دون اي حد اقتصادي وكان البلدان سوقاً واحدة للعمل ولرأس المال والبضائع فرصد حركة التصنيع الناشئة وتكلم على اطارات التصنيع ، وعوامله من موارد زراعية ومنجمية وبشرية ومالية ووصف الكيان الصناعي لسورية وحلل اهم صناعاتها ودرس مختلف العوامل التي تنشط الصناعة او تعرقلها واستعرض منجزاتها الهامة ، ورسم خط تطورها ، ثمّ اعطى تقويماً عاماً لحركة التصنيع واوجز اسبابها ، وحدودها وخصائصها ، ونتائجها ، ومصاعبها ، وخططها للمستقبل . ورسالته

رائدة لا تزال مصدراً في الموضوع، ولم يصدر بحث مطبوع في التصنيع غير هذه الرسالة الا بحث الدكتور يوسف السيوفي ، في « النمو الاقتصادي والتصنيع »
Youssef Sioufi : Le développement économique et l'industrialisation, Damas 1960. وكان وضعه بشكل رسالة لم تطبع ثم جدده ونشره عام ١٩٦٠ في مجموعة الدراسات التي يصدرها مركز الدراسات الاقتصادية في دمشق ، والكتاب يبحث في تطور الصناعة في سورية ، وعواملها وعقباتها ، ومستقبلها . وما عدا ذلك فهناك رسالتان غير مطبوعتين هما رسالة وضعها الدكتور ابراهيم العادلي في « تصنيع سورية »
Ibrahim Adli : Industrialization of Syria, Washington 1953 ورسالة وضعها الدكتور راتب النحاس عن « تصنيع سورية » Rateb Nahas : L'industrialisation de la Syrie, Paris 1954.

التجارة الخارجية :

وفي مجال التجارة الخارجية كان الدكتور واصل القتابي اول من طرق هذه المشكلة في رسالته عن التجارة الخارجية في سورية سنة ١٩٤٣ Wassel Katabi: Le commerce extérieur de la Syrie, Paris 1943. وتلاه الدكتور جورج عشي في رسالة وضعها سنة ١٩٤٩ بعنوان « المرور من الحرية الى الرقابة في مبادلات سورية الخارجية » (١٩٢٩ – ١٩٤٩) Georges Achi : Le Passage de la liberté au controle dans les échanges extérieurs de la Syrie (1929 - 1949) , Genève 1949. استعرض فيها وضع الاقتصاد السوري قبل الحرب في ظل نظام حرية المبادلات ، ثم تتبعه في ظل نظام الرقابة ايام الحرب ، وعرض لنظام رقابة الصرف ومؤسساته ، وأسسه ، وادارته ، وعقباته ، ومصاعبه ، وانهى كتابه ببحث ميزان المدفوعات الخارجية السورية منذ الحرب وتساءل في نهاية كتابه عن الدرس الذي ينبغي ان نستلخصه من تجارب الماضي فرأى ان الاقتصاد الموجه فشل في سورية ،

فلم يقلل الاستيراد او يغير نوعه ، ولم ينشط التصدير . فسار ضد اهدافه بزيادة عجز ميزان المدفوعات ومع ذلك فهو يرى في الاقتصاد الموجه الوسيلة الوحيدة للسلامة والتوازن ويعني بالتوجيه **تعقيل مبادلاتنا الخارجية وحسن ادارة اقتصادنا الوطني بتنمية مواردنا** ، فالتنظيم يجب ان يبقى ما دام ضرورياً لحماية الاصلاح الكياني وذلك بزيادة الانتاج وتحسينه، وتنشيط التصدير، واستقدام السياح والمصطافين، واموال المهاجرين ، وتنظيم الاستيراد وفق برنامج تراعى اولوياته المصلحة الوطنية ، « لان الاصلاحات الحقوقية لا تكفي في سورية بل يجب اصلاح التركيب الاقتصادي ».

ثم طرق مبحث التجارة الخارجية الدكتور نهاد ابراهيم باشا في رسالة عن « تجارة سورية الخارجية » سنة ١٩٥٩ .

Nihad Ibrahim Bacha : Syrian Foreign Trade, Columbia University, 1951.

استعرض فيها الاصناف التي تدخل في هذه التجارة ، وصلات سورية الاقتصادية ببلاد العالم ، ثم تكلم على احكام المبادلات وما يتصل بذلك من تدخل حكومي وعقبات جمركية .

ثم جاء الدكتور نعيم الشمار فتكلم في الموضوع نفسه في رسالته عن « التجارة الخارجية في سورية » وضعت عام ١٩٥٦ (غير مطبوعة) Naim Chaar : Le commerce extérieur de la Syrie, 1951

المصارف والاعتماد :

ويستحق البحث الذي وضعه الدكتور شفيق الاخرس عن « مشكلة الاعتماد في سورية » Chafic Akhras : Le problème du crédit en Syrie, Paris 1951. ان نتوقف عنده بعض الوقت وقد كان بشكل رسالة غير مطبوعة ثم طبع الجزء الاول منه سنة ١٩٥٩ بعد أن جدد وأدخلت عليه الاحصاءات المتوافرة حتى ذلك

الحين ونشر في مجموعة الدراسات التي يصدرها مركز الدراسات الاقتصادية. نحا الدكتور الاخرس في دراسته هذه المشكلة نحو الدراسة التحليلية ، ورأى ان المشكلة تتجلى بمظاهر ثلاثة : مشكلة وسائل الاعتماد ، أي جميع موارد الادخار من ودائع وتسهيلات مصارف الاصدار وتمويل خارجي وأموال خاصة ، ومشكلة تنظيم الاعتماد وتوزيعه ، أي تنظيم الاجهزة التي تتيح جمع هذه الوسائل وتوزيعها أي اعطاء البلاد مؤسسات قادرة على جمع المدخرات واعادة توزيعها على الفاعليات الاقتصادية ، ومشكلة سياسة الاعتماد أي رقابة الاعتماد وادارته على وجه يؤمن أقصى ربح للاقتصاد الوطني ورفاه المواطنين، وهو وقد استقرأ الاحصاءات المتنوعة، وأحسن الاستفادة منها ، وحلل اتجاهاتها ونزعاتها ، حاول أن يجد الحلول المقتضاة لكل مشكلة من المشاكل الثلاث بحيث يكون النظام المصرفي ، بفضل سياسة الاعتماد ، قادراً على دعم التنمية الاقتصادية

وتكلم الدكتور عدنان طعمه على « تكون رأس المال في الاقليم السوري »
Adnane Tomé : LA FORMATION DU CAPITAL DANS LA PROVINCE SYRIENNE DE LA R. A. U., Louvain 1961.
في رسالة وضعها سنة ١٩٦١ ، وتكلم فيها على مشكلة الادخار وتكون رأس المال ، ومصادر التمويل الناشئة عن القروض الاجنبية أو الوطنية أو الناشئة عن توسع نقدي .

وتكلم الدكتور أحمد ويس الصباغ على «حاجة البلاد العربية في الشرق الاوسط لرأس المال » (رسالة غير مطبوعة) Ahmad Weiss Sabbagh : Le besoin de capital des pays arabes au Moyen - Orient et ses problèmes, Paris 1953.
كما نجد الدكتور عبدالله عظمة يخصص كتاباً كبيراً وضعه عام ١٩٦١ (٤٤٠ صفحة) لبحث « تطور المصارف التجارية في نطاق سورية الاقتصادي Abdullah Azmé: L'évolution des banques commerciales dans le cadre économique de

la Syrie, Paris 1961 درس فيه تطور المصارف التجاريـة في سورية ، وتطور التركيب الاقتصادي والتنظيم المصرفي فيها ، ثم توسع في بحث الفاعليات المصرفية من مدينة ودائنة ، واظهر اثر النشاط المصرفي على الاقتصاد السوري ، في مظهره السياسي والاجتماعي والاقتصادي ، بينما تكلم الدكتور انور الصباغ عن « التسليف الزراعي في سورية » (في رسالة غير مطبوعة) Anouar Sabbagh : Le crédit agricole en Syrie, Paris 1953.

وكذلك فان الدكتور صادق الايوبي تكلم على السياسة النقدية من وجهة نظر محـدودة هي « مصرف سورية المركزي » عام ١٩٥٣ (غير مطبوعـة) ، Sadek Ayoubi : Central Bank in Syria, Washington 1953. بيـنما تكلم الدكتور راتب الشلاح عن « توحيد النظام النقدي والصرافي في الجمهورية العربيـة المتحـدة » Rateb Challah : The Unification of Currency and the Banking System in the U.A. R., 1960 (غير مطبوعة) وتكلم الدكتور كمال حصني على « رقابة المصارف في سورية » عام ١٩٦٠ (في رسالة غير مطبوعة)

Kamal Hosni : Le contrôle des banques en Syrie, Genève 1960.

وفي مجال الاقتصاد الزراعي :

وضع الدكتور عزة الطرابلسي عام ١٩٤٨ رسالة في « الزراعة السورية بين الحربين » Izzat Traboulsy : L' agriculture syrienne entre deux guerres (1914-1939) Beyrouth 1948. وقد اوجز في فصولها الاحد عشر الوضع الزراعي وتطوراته الاقتصادية والحقوقية وبحث في مقومات الحياة الزراعية وعني بالنظام الحقوقي للملكية العقارية وطرائق استثمارها وما يتصل بذلك من اسعار زراعية واسواق ورأس مال وعمال بينما درس في الخاتمة مظاهر الازمة الزراعية واسبابها ودعا الى وضع خطة اقتصادية تنهض بها اقتصادياً واجتماعياً ، والى تدخل الحكومة في الزراعة باخضاعها

للاقتصاد الموجه والاخذ باصلاح زراعي عن طريق املاك الدولة ، واكمال هذه الخطوة بسياسة تسليف زراعي تتيح لمستأجر املاك الدولة ان يؤمن استثمارها ، ويقترح حل مشكلة الملكية الواسعة التي يتصرف بها الاقطاعيون العاطلون ، بشراء الاراضي من قبل الدولة وتوزيعها على الفلاحين .

وتلاه الدكتور نافع صايم الدهر في رسالته « التركيب الزراعي في سورية » (غير مطبوعة)
Sayem Addahr, Nafeh : Agrarian Structure in Syria, (Columbia University)

أما الموضوعات ذات الاتجاه الاجتماعي

فلم يطرقها الكثير من المؤلفين وقد افتتح البحث الدكتور رشيد الدقر في رسالته « الاشتراكية العربية » : Rachid Dakr : Le socialisme arabe, Beyrouth 1946. (غير مطبوعة) درس فيها تاريخ الاشتراكية وقارن بين مختلف مفاهيمها ونماذجها ودرس بعض وقائعها في التاريخ العربي وحاول ان يثبت قابلية البلاد العربية للنظام الاشتراكي بوحي من تقاليدها ثم صور الخطوط الرئيسية للنظام الاشتراكي الامثل الذي يراه منسجماً مع العبقرية العربية .

وتلاه بعد فترة من الزمن طائفة من المؤلفين طرقوا المواضيع الاجتماعية فتكلم الدكتور طه بالي على « المبادىء الاساسية للضمان الاجتماعي وتطبيقها على سورية» باريس ١٩٥٥ Taha Bali : Les principes fondamentaux de la sécurité sociale : son application en Syrie, Paris 1955 (غير مطبوعة) ، والدكتور رفيق راتب الصبان عن « مختلف اشكال الملكية الجماعية » باريس ١٩٥٥ (في رسالة غير مطبوعة) عنوانها : Rafic R. Sabban : Les différentes formes de la propriété collective, Paris 1955.

والدكتور عدنان شومان عن « خطة مقترحة لحركة التعاون الزراعي في سورية ، من حيث التنمية الاقتصادية » Adnan Shuman : A Suggested Plan for the Syrian Agricultural Cooperative Movement with Regards to Economic Development, (Ohio State University) 1957. (غير مطبوعة) ، والدكتور شفيق الصناديقي في رسالته عن « الحركة النقابية في سورية » Chafic Sanadiki: Le mouvement syndical en Syrie, Paris, 1949 (غير مطبوعة) ، ثم الدكتور صلاح الوازن في رسالته عن التدابير التي ينبغي اتخاذها لتنمية الزراعة السورية Wazzan Saladin : Die gegen wertige lage das Syrischen Land wirlschaft und die Hoglichkeitun Ihren Entwichlung. Bonn, 1955 والدكتور انطوان ايوب في رسالته عن « التركيب الزراعي والتنمية الاقتصادية في سورية » باريس ١٩٦١ Antoine Ayoub : Structure agraire et développement économique en Syrie, Paris, 1961. (غير مطبوعة) .

وفي موضوع النقود :

افتتح السلسلة الدكتور يوسف الخوري في رسالته « الاسعار والنقود في سورية » Youssef Khoury : Prix et monnaie en Syrie, Nancy 1943.
وقد درس في هذه الرسالة تطور السياسة النقدية والاسعار في سورية منذ تثبيت الفرنك سنة ١٩٢٨ حتى عام ١٩٣٩ اي في فترتي ثبات سعر النقد حتى عام ١٩٣٦ وتقلقل سعر النقد منذ العام المذكور ، وناقش المشكلة في ضوء النظرية الكمية ، واستعمل الاحصاءات ووضع الخطوط البيانية ، وقد كان بحثه مبشراً باقتصادي دقيق لولا ان جرفته العلوم فاختص بالجيولوجيا وصار رئيس قسمها في جامعة دمشق .

وتلاه الدكتور سعيد الكنج في رسالته عن « تقلبات النقد السوري اللبناني » Said Kanj : Les fluctuations de la monnaie Syro-libanaise, باريس ١٩٤٨ ، Paris 1948. فالدكتور عمار جمال في رسالته عن « المصارف والنقد في الاقتصاد

السوري » مونبيليه ١٩٦٠ (غير مطبوعة) Ammar Jammal : Les banques et la monnaie dans l'économie syrienne ,Montpellier 1960.

التنمية الاقتصادية :

ثم تطور هذا الامر الى بحث هذه المشاكل على ضوء نظريات التنمية الاقتصادية فوضع الدكتور يوسف حلباوي سنة ١٩٥٦ رسالة اسماها « سورية ، تنمية بلد غير مستكمل النمو » Youssef Helbaoui : La Syrie : mise en valeur d'un pays sous-développé, Paris 1956. بحث فيها تنمية الاقتصاد السوري في علاقتها بالتخطيط فعرض اطار الاقتصاد السوري وتطوره وأسسه ، ووسائل تنميته وبعد أن وازن بين التخطيط والبرمجة ، رجح التخطيط ، وناقش الاولويات التي يقتضيها ، ووضع الدكتور محمد العمادي رسالة (غير مطبوعة) في « البرمجة الاقتصادية في الاقليم السوري » سنة ١٩٦٠ Mohamed Imadi : Economic Programing in Syria, Washington 1960. وتصدى الدكتور ناظم حيدر الى بحث التنمية بصورة شاملة في رسالة عن « السياسة الاقتصادية في بعض البلاد العربية المصطفاة : من حيث التصميم والتنفيذ » . Nazem Haidar : The Economic Process in Selected Arab Countries : Prospects and Fulfilments, 1960. (غير مطبوعة) ، وهدف فيها الى دراسة بعض المظاهر الرئيسية للتنمية الاقتصادية في المغرب والعراق ولبنان والجمهورية العربية المتحدة باقليميها منذ الحرب العامة الثانية .

فبعد ان عرض موارد البلاد المختلفة وقدر معدل نمو الدخل القومي والدخل الفردي ونصيب كل من عوامل الانتاج وقطاعاته تكلم عن التنمية الصناعية من حيث معدل النمو فيها وآثارها ثم بحث في تكون رأس المال ابتغاء تمويل التنمية ، فوضع دراسة تحليلية لعوامل تكون رأس المال الاجنبي خلال فترة من الزمن .

ثم بحث في التخطيط الاقتصادي في هذه البلاد، على اعتبار ان مخططات التنميـة تهدف الى تكوين رأس المال للقطاع العام.

وبحث الدكتور ادمون عصفور « التنمية الاقتصادية في علاقتهـا بالسياسة النقدية » في كتاب صدر عن مركز دراسات الشرق الاوسط في جامعـة هارفارد عـام ١٩٥٩ : Edmond Asfour, Syria : Development and Monetary Policy : Harvard Middle Eastern Series, 1959. وقد عرض في هذا الكتاب ايضـا للتركيب الاقتصادي السوري ثم درس المؤسسات النقدية ووصف دورها في تمويل التنمية.

وتتابعت الابحاث في الموضوع نفسه، فتكلم الدكتور محمد طعمه في رسالتـه التي وضعهـا عام ١٩٥٣ عن « دور الاعتماد في تنميـة سورية الاقتصادية » Mohamed Thomé: Le rôle du crédit dans le développement économique de la Syrie (Le Caire) Madrid 1953. تتبع فيها سياسة الاعتماد منذ الحرب الاولى حتى اعقاب الحرب العامة الثانية وتطور النظام النقدي السوري وسياسة الاعتماد الجديـد واثرها في الادخار والتثمير. وتكلم الدكتور احمد مراد على « مصادر وطرائق تمويل الاستثمارات الصناعية في سورية بعد استقلالها السياسي في رسالة وضعها عام ١٩٦٢ Quellen und Methodender Finanzierunf der industrie investitionen in Syrien Nach erkampfing der politischen unabhangigheit, Berlin, 1962.
(غير مطبوعة)، وتكلم الدكتور هشام متولي على « التثمير في البلاد المتخلفة » Hicham Moutwalli: L'investissement dans les pays sous-développés. عام ١٩٥٥ (غير مطبوعة)، والدكتور عدنان المارديني عن « سياسة نقدية لتنمية اقتصادية » Adnan Mardini : Monetary Policy for Economic Development, Washington 1959. عام ١٩٥٩ (غير مطبوعة)، والدكتور برهـان الشطي عن « النظام

الضريبي في سورية والتنمية » عام ١٩٥٧ Burhan Shatti: Fiscal Regime in Syria and Economic Development, Washington 1957. « غير مطبوعة ›

الدخل القومي :

ولم يهمل مؤلفونا ابحاث الدخل القومي وحساباته ، فوضع الدكتور عادل عاقل بحثه الهام عن «حسابات الدخل القومي بسورية » لعامي ١٩٥٥و١٩٥٦ (جامعة كولومبيا ١٩٥٨) (غير مطبوع) Adel Akel : National Income Accounts of Syria, 1958. بحث فيه طبيعة الاقتصاد السوري ونظام المبادلة ، وتكلم عن التنظيم الاحصائي في سورية وقارن بين التقديرات السابقة للدخل القومي التي جرت في اعوام ١٩٤٤ و ١٩٥٠ وتقديرات ١٩٥٠ ، والامم المتحدة ، وتقديرات مديرية الاحصاء في سورية .

ووضع الدكتور حمدي السقا بحثه عن المحاسبة العامة والمحاسبة القومية » .
Hamdi Sakka : Comptabilité publique et comptabilité nationale.

المواضيع المالية والضريبية :

كان الدكتور فريد الخاني اسبق من تصدوا للابحاث المالية في رسالته عن « ضريبة الدخل في سورية » التي وضعها سنة ١٩٣٩ Farid Khani : L'impot sur le revenu en Syrie, Paris 1939. ولم تكن هذه الضريبة قد طبقت فعلياً في تلك الفترة ولكن الفكرة كانت «في الجو» وكانت هناك مشاريع ومناقشات ودراسات ، فاوجز الدكتور الخاني الافكار السائدة ، وخلص الى وجوب الاخذ بهذه الضريبة في التشريع السوري .

ثم وضع الدكتور عوض بركات سنة ١٩٤٨ رسالة عن « مشكلة الميزانية في

سورية بين عام ١٩٢٠ و ١٩٣٩ » Awad Barakat : Le problème budgétaire en Syrie 1930-1939, Paris 1948. بحث فيها فن الميزانية كما يتخلص من التشريع الذي كان مطبقاً في سورية ولبنان ، مقارناً مع التشريعين العراقي والفلسطيني ، وانتقد النظام المالي والضريبي السوري ، الذي يتجاهل الصلة بين الاقتصاد وبين الضرائب ، ويؤول الى ظلم اصحاب الدخل الصغير ، وطالب بدعم الاقتصاد من قبل الدولة ، لتزدهر الحياة الاقتصادية فيؤول ذلك الى كثرة موارد الدولة فيتحقق توازن الميزانية الديناميكي الحقيقي الذي يتجلى بتوازن ميزانية الدولة والتوازن الاقتصادي .

وبحث الدكتور موفق القدسي مشكلة « الاحتكارات الضريبية في سورية » في رسالته التي وضعها عام ١٩٥٠ Mouaffac Koudsi : Les monopoles fiscaux en Syrie, Paris 1950. واستعرض فيها ادارة احتكار بعض المنتجات كالسكر والملح وغيرها ، وتعامل كثير من الدول في هذا الشأن .

بينما بحث الدكتور صلاح الدين الطرزي سنة ١٩٤٥ في « المصالح العامة اللبنانية السورية »
Salaheddine Tarazi : Les services publics libano-syriens, Beyrouth 1945.
اي في دوائر المصالح المشتركة التي كانت تعنى بادارة الامور المشتركة ولا سيما الاقتصادية والمالية بين سورية ولبنان واشترك في مناقشة الانفصال الاقتصادي بين البلدين ، ودعم فكرة اتحاد الاقتصادين ، واعتبار الحل السوري اللبناني ونجاح تجربته « نقطة انطلاق للتعاون العربي » .

وبحث الاستاذ محمد مراد الشطي في « السياسة الجمركية في سورية من عهد الاحتلال الى عهد الاستقلال » في رسالة قدمها لنيل الماجستير ، وارخ فيها لهذه الفترة بصورة تكاد تكون كاملة (غير مطبوعة) وبحث الدكتور عادل مصلح في « الضريبة على

الانتاج الزراعي » (رسالة غير مطبوعة) Adel Mosleh : L'impot sur la production agricole. Genève 1949.

العلاقات السورية اللبنانية :

وقد اتسم مطلع الاعوام الخمسين بمناقشة الصلات الاقتصادية السورية اللبنانية ، فقد كان الانتداب الفرنسي أتاح للبلدين وحدة اقتصادية كاملة ، تتجلى بسوق واحدة ونقد واحد ، وسياسة اقتصادية ومالية واحدة ، وجهاز موحد يضع هذه السياسة الموحدة للبلدين هو دائرة المصالح المشتركة التابعة للمفوضية العليا التي تجسد سلطة الدولة المنتدبة ، وكان الخلاف الوحيد بينهما قائماً حول حصة كل من البلدين من موارد الجمارك وقد وجد له المفوض السامي حلاً مؤقتاً ، ظل دائماً ، هو توزيع نسبة مئوية بينهما تعطى سورية ٥٥ في المائة ولبنان ٤٥ في المائة على ان يجري الحساب النهائي فيما بعد . ثم ادى الاستقلال السياسي الى سعي كل من البلدين لاستكمال سيادته الاقتصادية واصبحت وظيفة مجلس المصالح المشتركة تنسيق السياستين الاقتصاديتين للبلدين وانقلبت مقرراته الى توصيات تقدم الى السلطات السياسية في البلدين لتبرمها وتقرر الاخذ بها ، واستتبع ذلك نقاشاً طويلاً بين دعاة سياسة الحرية الاقتصادية في لبنان ودعاة سياسة الرقابة والتوجيه والحماية في سورية وقد صور الدكتور مراد الكاظم في رسالته عن « الوحدة الجمركية السورية اللبنانية » عام ١٩٥١
Mourad Kazem : L'union douanière syro-libanaise, Paris 1951.
والدكتور عبد الوهاب العقاد في رسالته عن « الوحدة الاقتصادية السورية اللبنانية »
عام ١٩٥١ Abdul Wahab Accad : L'union économique syro-libanaise.
هذه المعركة ، وجمعا ما قيل بشأنها ، وبحثا واقع الاقتصادين السوري واللبناني وحجج كل من الفريقين وظروفه التي املت عليه موقفه .

ثانياً – ما ألف باللغة العربية :

يتجلى ما ألف باللغة العربية بالمؤلفات الجامعية وغير الجامعية ، والدراسات الحزبية والعقائدية ، والوثائق والتقارير الرسمية :

آ – المذاهب الاقتصادية والسياسية ،

كان لاصطراع الافكار السياسية أثر كبير في ظهور دراسات في العقائد السياسية ذات المضمون الاقتصادي وكان عدد هذه النشرات والدراسات ضئيلاً أيام الانتداب الفرنسي ، ولما انتهى حكم الانتداب كثر التأليف في المذاهب السياسية في الفترة التي اعقبت عام ١٩٤٣ ، وانتقل فيها العمل الحزبي الى العلنية والمشروعية ، فنجد في هذا الصدد ثلاثة كتب هامة اثنان منها يضمان المقالات والمحاضرات التي كتبها أو ألقاها الاستاذ ميشال عفلق ونشرت في صحف الحزب أو في وسائل الاعلام الاخرى ، والتي تصور روح الفكر الاشتراكي لدى حزب البعث العربي ، في اطار مبادئه الاخرى ، هما «معركة المصير الواحد» سنة ١٩٥٨ و« في سبيل البعث» سنة ١٩٥٩ واعيد طبعها سنة ١٩٦٣ ، والثالث يجمع المقالات التي نشرها الاستاذ صلاح البيطار في كتاب واحد هو « السياسة العربية بين المبدأ والتطبيق » ١٩٦٠ . وما عدا المقالات التي نشرهـا بعض مثقفي الحزب أمثال جمال الاتاسي وعبدالله عبد الدائم وحافظ الجمالي وبديع الكسم وسامي الدروبي وعبد الكريم زهور في صحف الحزب وفي مجـلة المعرفة ، نشر الاستاذ عبدالله عبد الدايم كتاب « الاشتراكية والديموقراطيـة » (دار الآداب) سنة ١٩٦١ أبدى فيه وجهة نظره حـول التأميم وحول معنى الديموقراطية في الاشتراكية. تكلم الدكتور عبدالله عبد الدايم عن وظائف

الدولة فقال انها « منظم لعلائق الناس وموازن بين مصالحهم » غير ان قيام الدولة في المجتمع الاشتراكي لا يعني في نظرنا ان تكون هي مالكة الانتاج والمشرفة على ادارته . والموقف السليم ان يكون الانتاج ملكاً حقيقياً لمجموع الشعب تراقبه منظماته المختلفة ، وتشرف الدولة على هذه المراقبة وانفاذها . فالسبيل السليم لبناء مجتمع اشتراكي ديموقراطي هو محاربة المركزية المطلقة للسلطة والحيلولة دون سيطرة البيروقراطية ، وزوال المركزية في المجتمع الاشتراكي يعني توزيع السلطة على جميع مستويات الحياة الشعبية وجعلها مبثوثة في المنظمات الشعبية والعمالية الحقة (ص ٢٨) .

اما التأميم الذي جرى بعد عام ١٩٥٩ فان الدكتور عبد الدايم ينتقده ، من حيث انه تم بدون تعويض عادل وبذلك « خلق حالا من القلق الاقتصادي أدى الى تجميد الحركة الاقتصادية وقتل روح المبادرة الفردية التي كانت دوماً من عمد الاقتصاد القومي عندنا »(ص ٤٥) . وكان للاخوان المسلمين مساهمتهم في هذا المضار عن طريق صحيفتهم « المنار » ومجلتهم « المسلمون » و « حضارة الاسلام » اذ درسوا الافكار والوقائع الاقتصادية من وجهة النظر الاسلامية ، وظهرت لبعضهم بعض المؤلفات مثل كتاب الدكتور مصطفى السباعي الباحث في « اشتراكية الاسلام » سنة ١٩٥٩ وكتاب الدكتور نبيل الطويل عن « النظام الاقتصادي في الاسلام » ١٩٦٣ وكذلك انطلق الحزب الشيوعي يعمل على نشر آرائه وافكاره ، عن طريق بعض دور النشر في سورية ولبنان ، فصدرت ترجمات لمؤلفين من امثال لينين وانجلز وماوتسي‌تونغ وبليخانوف ، وترجم خالد بكداش

أبحاثاً لستالين حول المادية التاريخية ، بعد ان كان ترجم البيـان الشيوعي ونشره سنة ١٩٣٥ . وقامت دار اليقظة على ترجمة كتاب رأس المال لماركس .
وما عدا الدراسات التي وضعها مثقفون حزبيون ، نجد مؤلفات أخرى مثل الكتاب الذي وضعه الاستاذ عفيف البهنسي واسماه « مدخل الى الاشتراكية العربية » سنة ١٩٥٨ هو عبارة عن « عرض المبادئ الاساسية للاشتراكية العربية ، وتحليـل علمي للقوانين الاقتصادية والاجتماعيـة السائـدة من وجهة النظر العربية . ولقد بحث المؤلف في النظرية الماركسـية ، ورفض منها ما يتعلق بالصراع الطبقي ، وقال ان الاشتراكية العربية لا تمثل طبقة ما حتى ولا الطبقة الكادحة التي اعتبرها الماركسيون صاحبة الحق بالحكم والسيطرة وانما تمثل كامل الامة ولا تحمل الا مشروعية الحق الذي تحدده الامة بصورة حرة » ، كما درس مشكلة الاستثمار الماركسية وأظهر بصورة رياضية معدل الظلم في المجتمع الرأسمالي (الفوضوي) وأشار الى أن المسؤول عن زيادة معدل الظلم انما هو الشكل الاجتماعي الذي يتضمن نظام الدولة ونظام الانتاج والاستهلاك ، ومثل الكتابين اللذين اصدرهمـا الاستاذ ندرة اليازجي وتحدث في احدهما عن « النقد الفلسفي للماركسية » دمشق ١٩٦٣ وفي الثاني عن « الاشتراكية ومفهوم العدالة الاجتماعية » دار اليقظة ١٩٦٣ .

ب – مؤلفات الجامعيين :

شهدت فترة ما بعد الحرب اتساع الجامعـة السورية والتوسع في دراسة الاقتصاد في مختلف كلياتها ، واستتبع ذلك ظهور طائفة من المؤلفات في علم

الاقتصاد وما يتصل بذلك ، فقد وضع الدكتور أحمد السمان - كاتب هذا البحث - مؤلفاً في الاقتصاد ، هو بمثابة موجز يتداوله الطلاب ، يقسمه ثلاثة اجزاء يبحث اولها في الناتج القومي ١٩٤٤ والثاني في النقد والاسعار ١٩٤٧ والثالث في التجارة الدولية ١٩٥١ ثم اعاد النظر في هذا الترتيب فجعل البحث في جزئين وسنتين دراسيتين وصدرت الطبعة الاخيرة منها سنة ١٩٦٢ .

واصدر في الوقت نفسه كتاباً في تاريخ « الوقائع والنظريات الاقتصادية في العصر الحديث »١٩٤٥ وكتاباً آخر في « تشريع العمل » ١٩٤٥ اعاد النظر فيه بالاشتراك مع الدكتور جورج عشي سنة ١٩٥١ . ثم القى في معهد الدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية سنة ١٩٥٥ محاضرات في « اقتصاديات سورية » تناول فيها الاقتصاد السوري في اطاره الطبيعي والبشري وفي زراعته وصناعته وتجارته ونقده ، واشترك في ايضاح العلاقات الاقتصادية السورية اللبنانية وأسباب انقسام الوحدة الوطنية التي كانت تربط بين البلدين ، وكذلك نشر في مجلة نقابة المحامين التي تولى الاشراف على تحريرها سنة ١٩٣٦ وفي مجلة « معهد الحقوق العربي » التي أصدرها سنة ١٩٣٩ طائفة من الابحاث الاقتصادية .

ونشر في مجلة غرفة تجارة دمشق طائفة من البحوث الاقتصادية في « مشاريع الاردن واليرموك » سنة ١٩٥٣ وفي الاتحادات الاقتصادية وفي اتفاقية بريتون وودز ونشرت له الجمعية السورية دراسة في « الاقتصاد الصهيوني » سنة ١٩٥٥ ودائرة التوجيه المعنوي دراسة في « اقتصاد الحرب » سنة ١٩٥٩ وجمعية المقاصد الاسلامية ببيروت محاضرة عن « عالم عربي افضل » والقى في معهد الدراسات العربية سنة ١٩٦٠ سلسلة من الدروس في « النظريات الاقتصادية عند العرب » حلل فيها نظريات

مؤلفين هما ابن خلدون والمقريزي ، ولم يكتب لها ان تطبع ، كما وقدم لمؤتمر « التربية القومية » المنعقد في القاهرة عام ١٩٦٠ دراسة عن « التكامل الاقتصادي بين البلاد العربية » وفي عام ١٩٥٤ القى محاضرة عن « الاقتصاد العربي » (بالفرنسية) في حلقة الدراسات العربية بمدريد ونشر في الكتاب الخاص بهذه الحلقة .

وكذلك اشترك في الجزء النموذجي من موسوعة الفقه الاسلامي المنشور في القاهرة سنة ١٩٦١ ببحثين هما « التسعير » و « الاحتكار » في الفقه الاسلامي .

ونجد في مجال البحث الاقتصادي مؤلفاً آخر هو الدكتور فؤاد دهمان ينشر كتاباً في « تاريخ المذاهب الاقتصادية الكبرى » ١٩٥٩ وآخر في « تشريع العمل » سنة ١٩٦٠ وموجزاً في « الاقتصاد السياسي » سنة ١٩٥٩ ، وكذلك نجد الدكتور جورج حشي يضع كتاباً في « النظام النقدي في سورية » ويشترك مع الدكتور احمد السمان في وضع كتاب « تشريع العمل » كما نجد الدكتور نزهة شلق يضع كتاباً في « الاحصاء الاجتماعي » سنة ١٩٦١ .

اما في مجال المالية العامة فقد اصدر الدكتور رشيد الدقر سلسلة من المؤلفات الباحثة في « علم المالية العامة » سنة ١٩٥١ وفي « موازنة الدولة » ١٩٥٨ و « تشريعات الضرائب » سنة ١٩٦٠ وفي « التعاون » سنة ١٩٦٠ وموجزاً لنظام الضرائب سنة ١٩٤٩ ، واصدر الاستاذ رفيق الاختيار كتابه في « الضريبة على الدخل : اصول محاسبتها وتحقيقها » سنة ١٩٦١ .

وفي مجال الدراسات العربية الوثيقة الصلة بالاقتصاد السياسي ، نجد الدكتور عبد الكريم اليافي يضع منذ عام ١٩٥١ كتاباً في « علم السكان » ثم يعيد النظر في هذا الكتاب سنة ١٩٥٩ فيضيف اليه ويعالج علم السكان كفرع من علم الاجتماع

ويورد في نهايته معجماً يضم اكثر من مائة مصطلح عربي في علم السكان ويضيف اليه فصولاً عن الهجرة الصهيونية ولاحوال السكان في البلاد العربية .

ثم يضع كتاباً هو « تمهيد في علم الاجتماع » (مطبعة جامعة دمشق ١٩٥٢) يستعرض فيه طائفة من المؤلفين العرب ممن طرقوا الابحاث الاجتماعية سواء منهم الجغرافي أو الرحالة أو الفيلسوف ويحدد مدى سابقة العرب في مضمار المعرفة الاجتماعية ولا سيما ابن خلدون الذي يعني المؤرخ الاقتصادي والذي اثبت الباقي انه المؤسس الفعلي الواعي لعلم الاجتماع .

ثم يعالج مشكلة السكان في البلاد العربية في محاضرات له ألقاها في معهد الدراسات العربية عن « المجتمع العربي ومقاييس السكان » وازن فيها المعايير السكانية في البلاد العربية وفي البلاد الاجنبية، من وجهة النظر العربية، ووجه البحث نحو المالتوسية الاقتصادية في خاتمة الكتاب التي أجاب بها على سؤال حيوي : هل ضاقت الارض بسكانها .

ونجد الدكتور عزة النص يضع رسالة في « سكان سورية » ١٩٥١ ويجمع محاضراته التي ألقاها في معهد الدراسات العربية عن « أحوال السكان في العالم العربي » وفي كتاب طبع في القاهرة سنة ١٩٥٥ .

ونجد الدكتور مصطفى السباعي يضع كتابه عن « اشتراكية الاسلام » سنة ١٩٥٩ وقد نال هذا الكتاب جائزة الدولة التشجيعية، وترجم الى اللغة الانكليزية، والاستاذ سعيد الافغاني عن « اسواق العرب في الجاهلية والاسلام » سنة ١٩٦٠ ويصف فيه هذه الاسواق واختصاصاتها والعلاقات الاقتصادية التي كانت توثق في مناسباتها .

جـ - التقارير والوثائق الرسمية :

ان أخذ الجمهورية العربية السورية بسياسة الاقتصاد الموجه ، وتدخلها المستمر في مختلف نواحي الحياة الاقتصادية من تجارة داخلية وخارجية وزراعة وصناعة ومواصلات ، وسلوكها سبيل تأميم المصارف وبعض المشاريع الصناعية ، ولجوءها الى الاصلاح الزراعي كحل رئيسي لمشاكل الريف والمجتمع ، كل ذلك جعل من الطبيعي أن تقوم دوائر الدولة ومؤسساتها بالدراسات الاقتصادية التي تعينها على جعل سياستها الاقتصادية منسجمة مع واقع البلاد واتجاهها . ولذلك رأينا سلسلة من التقارير والدراسات الاقتصادية تصدرها مختلف دوائر الدولة أو تصدر بناء على مسعى من هذه الدوائر هي ثروة حقيقية ومصادر رئيسية لاغنية عنها ، ويتمتع كثير منها بالضمانات العلمية .

تقرير الكسندر جيب وشركائه : ففي نطاق التنمية الاقتصادية ، كان الاثر الاول الذي افتتحت به البلاد عهد دراسة التنمية الاقتصادية والبرامج الانمائية هو تقرير مشهور باسم « تقرير السر الكسندر جيب وشركائه عن تقدم سورية الاقتصادي » .

فقد عقدت اتفاقية بين وزارة المواصلات وبين هذه الشركة المعروفة بتعاطيها دراسة المشاريع الاقتصادية ، تعهدت فيها الشركة بتاريخ ١٩٤٧/٢/٢٧ ، بدراسة التطور الاقتصادي في سورية وتقديم تقرير عنه يتناول دراسة واستثمار الموارد البكر في سورية مع بذل العناية الخاصة بدراسة القوة الحرارية والقوة المائية - الكهربائية والري والمواصلات والتطور الصناعي والمباني العامة . ولتنفيذ هذه الاتفاقية قدم ثلاثة خبراء الى سورية وأقاموا فيها فترات تتراوح بين ٦ - ١٠ شهور جمعوا فيها المعلومات اللازمة ، ثم قدموا تقريرهم بتاريخ ١٩٤٧/٤/٣٠ (٣٣٠ صفحة) ، ويتناول

شؤون الطوبوغرافيا والسكان والاحوال الجوية ، كما ويتناول الموارد الطبيعية كالزراعة – المواشي – الاسماك ، الحراج – المعادن – الري والتجفيف – موارد المياه ، ويتناول الموارد الاقتصادية كالمواصلات – الوقود والقوة – المباني العامة والخدمات الاجتماعية في علاقتها بالزراعة والصناعة . وقد أرفق التقرير بخلاصة عن مضمونه مع برنامج للأولويات اللازمة لمشاريع الاستثمار ومقترحات لتحقيق التطور الاقتصادي في سورية . ولا يزال هذا التقرير ، رغم بعد العهد به ، مصدراً رئيسياً للبحث في الاقتصاد السوري وقد نهل منه كل من درسوا الاقتصاد السوري فيما بعد .

تقرير المصرف الدولي : ولم يتسن للحكومة السورية ان تنفذ ما جاء في التقرير لانشغالها بحرب فلسطين فيما بعد ، ولكنها حاولت الاستزادة من الدراسة ومن التماس موارد التمويل فلجأت الى « المصرف الدولي لاعادة العمران والانماء الاقتصادي » من اجل هاتين الغايتين ، واوفد المصرف اربعة خبراء الى سورية في اوائل شباط ١٩٥٤ لاجراء دراسة عامة لامكانياتها الاقتصادية ، وتقديم توصيات من شأنها مساعدة الحكومة في وضع برنامج انمائي طويل الامد يرمي الى زيادة موارد سورية الانتاجية ، ورفع مستوى شعبها ، وكان لهذه التوصيات ان تهتم بتعيين نسبة تقريبية للاموال التي يصح ان تنفقها سورية الى الرساميل العامة وبأفضلية انفاق هذه الاموال فيما بين قطاعات الاقتصاد المختلفة ، وبين أنواع المشاريع في كل قطاع وتهتم بالتدابير الاخرى الآيلة لتحسين الانتاج وزيادته ورفع مستويات المعيشة .

وقدمت البعثة تقريرها لرئيس الجمهورية السورية في آذار ١٩٥٥ .

يبحث التقرير بتفصيل في بنيان سورية الاقتصادي ويتضمن معلومات هامة عن

الزراعة وتربية الماشية وسياسة الارض والاستيطان والصناعة والقوة الكهربائية والنقل والمواصلات والتعليم والصحة والسكن والتخطيط وخدمة السكان ويتضمن دراسة واسعة عن قضية تمويل البرامج ثم يقدم توصيات رئيسية لتنظيم وتمويل برنامج حكومي لخمس سنوات كاملة في شؤون (الزراعة ، تربية الحيوان ، التحريج ، الصناعة ، القوة الكهربائية ، النقل والمواصلات ، التعليم والصحة ، الاسكان ، الخدمات العامة ، المالية والادارة) . وقد ظهر التقرير بشكل كتاب باللغة الانكليزية صدر عن المصرف الدولي ، وعربه ونشره مجلس النقد والتسليف في سورية .

برنامج الانماء الاقتصادي : ويمكن أن نسلك في سلك التقارير الرسمية عن التنمية الاقتصادية ، الدراسة الجماعية التي اصدرتها وزارة التخطيط باسم «برنامج الانماء الاقتصادي للسنين العشر ١٩٥٨ – ١٩٦٧ » هذه الدراسة تتضمن في قسمها الاول ابحاثاً مختلفة تتناول الاقتصاد السوري والسياسة الاقتصادية الانمائية في سورية ، تشمل : تطور فكرة التخطيط (كمال غالي) ومسألة الانماء الاقتصادي (برهان الشطي) تقدير الموارد الاقتصادية (محمد طعمة) الطبيعة (محمد طعمة) تقدير الموارد الادخارية والاستثمارية (محمد طعمة) ، تقدير الموارد المالية للقطاع العام (محمد طعمة) . وتتضمن في قسمها الثاني دراسة عن محاولة وضع خطة انمائية للاقليم السوري ، وبيان اهدافها (محمد طعمة ومحمد ابراهيم) وتتضمن في قسمها الثالث مشاريع البرنامج الانمائي والموازنة الانمائية للسنين العشر القادمة موزعة كما يلي :

اغراض البرنامج (برهان الشطي) مشاريع الزراعة والري والقوى المائية (محمد فياض) مستودعات الحبوب (عبد النافع شاهين) مشاريع المواصلات (سامي النعماني) الجسور (عربي هارون) الخارطة والمشاريع الصناعية مصفاة حمص (عدنان قتابي)

مصنع السماد (امين الشريف) وسائل تمويل البرنامج الانمائي (خالد شعبان) تتبع البرنامج (محمد فياض الدندشي) .

ادارة التعبئة العامة : والى جانب الدراسات تقوم « ادارة التعبئة العامة » بدراسة دقيقة لامكانيات القطر السوري وتقويمها بقطاعيها العام والخاص من قوى بشرية ومرافق وخدمات ومجالات اقتصادية طبيعية كانت أو انتاجية ، وقد أبرزت بعض اعمالها ونتائج دراساتها بكتب تبحث في موضوعات معينة مثل صناعات « الغازات السائلة » و « صناعة الاسمنت » و « البترول » في الصناعات الكيماوية . وصناعة « السكر » و« البيرة » في الصناعات الغذائية . وصناعة« السجاد» « والبسط» و« الشرائط »و«الصوف » و « التريكو » و«الشاكير والمناشف » في صناعات الغزل والنسيج ، وكذلك « صناعة الجلود والفروة الحيوانية» و « الواردات المعدنية واطارات الكوتشوك » وهذه الدراسات تمتاز بالعمق والدقة وتحليل الاحصاءات الاقتصادية بصورة علمية .

وزارة التخطيط : وهناك مصدر اساسي للمعلومات الاقتصادية عن القطرالسوري هو الدراسات التي تقوم بها مصلحة الاحصاء في وزارة الاقتصاد الوطني . وقد كانت نشرت طائفة من التقارير السنوية عن « تجارة سورية الخارجية » ثم الحقت بوزارة التخطيط . وقد امكن هذه الدائرة وضع سلسلةمن لدراسات الاحصائيةلم يتسن نشرها وانما بقيت بشكل تقارير منسوخة، تتناولموضوعات هامة تشبه الابحاث التي اجراها معهد الدراسات الاقتصادية في الجامعة الاميركية باشراف الدكتور ألبرت بدر ، ونجد بينها : تقدير الدخل القومي حسب القطاعات المختلفة عام ١٩٥٦ ، وبحثميزانية الاسرة سنة ١٩٦١ — ١٩٦٢ وبحث القوة العاملة ١٩٦١— ١٩٦٢ وبحث العينة الزراعية لعامي ١٩٦٢ — ١٩٦٣ من أجل استخدامها لدراسة الدخل والحسابات القومية ،

كما وأنها تقوم بحصر الانتاج الصناعي (سنوياً بالاشتراك مع ادارة التعبئة العامة) .

وزارة الثقافة والارشاد القومي : ويمكننا أن نضيف الى هذه القائمة مجهود وزارة الثقافة والارشاد القومي في نشر بعض المؤلفات ، مثل كتاب « التعاونيات » (الدكتور عدنان شومان) ١٩٦٠ و « تاريخ الاشتراكية الاوروبيـة » (تأليف ايلي هاليفي وترجمة الدكتور جمال الاتاسي ومراجعة بديع الكسم) ومثل سلسلة المقالات الباحثة في الاشتراكية والتي كتبها فؤاد الشايب وعبـد الكريم الزهور وأديب اللجمي وعبدالله عبد الدايم وغيرهم . وظهرت في مجلة المعرفة التي تصدرهـا شهرياً هذه الوزارة .

وزارة الاعلام : وكذلك فان وزارة الاعلام عملت منذ زمن طويل على اصدار مؤلفات ونشرات تبحث في الاقتصاد السوري مثل الكتاب المسمى « سورية Syrie » في مجلدات ثلاثة وباللغتين الفرنسية والانكليزية ، ومثل الكتاب السنوي الذي كان يبحث عن مشاريع الاقليم السوري . منذ عام ١٩٥٩ .

المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية : واخيراً ، يجب أن ننوه بجهود لجان المجلس الاعلى لرعاية الآداب والفنون والعلوم الاجتماعية ، وقـد استطاعت لجنة منبثقة عنه تتألف من الدكتور عبد الكريم اليافي والدكتور عبد المنعم الشافعي ان تقوم بعمل ضخم هو ترجمة المعجم الديموغرافي المتعدد اللغات الذي أصدره قسم السكان لدى المجلس الاقتصادي والاجتماعي في منظمة الامم المتحدة ، والمعجم الآن بشكله العربي قيد الطبع في الوقت الحاضر . كما أن لجنة الاقتصاد فيه باشرت بوضـع معجم اقتصادي باللغة العربية ، يكون سبيلاً لتوحيد المصطلحات ، ولتعميم المعرفة الاقتصادية .

ولا نستطيع الا أن نشير الى النشرات التي تصدرها وزارة الاصلاح الزراعي ووزارة الزراعة ووزارة الصناعة والمصرف الصناعي ووزارة المالية والباحثة في الشؤون الاقتصادية التي تعنى بها هذه الهيئات الرسمية ، والى النشرات التي كانت تصدرهـا وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل والباحثة في تعاونيات العمـل وتعاونيات الحرف .

د ـ التأليف غير الجامعي :

أسهم السوريون في حركة البحث الاقتصادي التي انتشرت في العالم العربي في الوقت الحاضر ، وتناولوا مختلف المواضيع والمشاكل بالبحث والتحليل . فنجد الامير مصطفى الشهابي يخصص كتاباً في مجلدين للبحث في « الاستعمار » وتحليله وعوامله ووقائعه ، جمع فيه محاضراته التي ألقاها في معهد الدراسات العربية بالقاهرة (١٩٥٥ و١٩٥٩) ، ونجد الدكتور عدنان شومان يتكلم عـلى « التعاونيات » في كتاب نشرته وزارة الثقافة سنة ١٩٦٣ ، ونجد علي سولياك يتكلم على « وقائع الاقتصاد التعاوني سنة ١٩٥٠ » وعلى « التعاونيات الاقتصادية الزراعيـة » سنة ١٩٥٣ في كتابين نشرتهما وزارة الزراعة ،والاستاذ فرتان يالي يضع كتاباً في «نظام طوارىء العمل في التشريع السوري والمقارن سنة ١٩٤٧ » ، وطه المـدور يؤلف كتاباً في « الاشتراكية في الاسلام » صدر سنة ١٩٦١ والاستاذ محمد الحامد يفند كتاب الاستاذ مصطفى السباعي عن « اشتراكية الاسلام » في كتاب يدعـوه « نظرات في اشتراكية الاسلام » ١٩٦٣ ، ونجد طائفة من الفنيين وضعوا دراسات عن بعض الموضوعات والمشروعات الاقتصادية مثل دراسة صبحي مظلوم عن « مشاريع الري في سورية » وعن « مشكلة المياه في سورية ولبنـان » (بيروت ١٩٤٢) ودراسة نور الدين كحالة عن « مشروع اليرموك لحل أزمة القوة المحركة في دمشق » سنة ١٩٤٩

واحسان الجابري عن « القوى المحركة والانماء الاقتصادي في الاقليم الشمالي » سنة ١٩٥٩ ، وعبد الباسط الخطيب عن « مشروع الغاب » سنة ١٩٥٧ ، وأنيس شباط عن « سياسة المواصلات في الاقليم السوري » سنة ١٩٥٩ ، والسيد زهير الخاني ورفاقه عن « مشروعي سد الفرات واستثمار النفط » ١٩٦١ ، والسلسلة الهامة التي وضعها الاستاذ وصفي زكريا عن « الريف السوري » سنة ١٩٥٥ ، وكتابه الهام عن « عشائر الشام » (في جزءين طبعا عام ١٩٤٥ و١٩٤٧) ، والسيد اسكندر داوود عن « الجزيرة بين الامس والغد » (الترقي ١٩٥٩) وروبين بوغوصيان عن « الجزيرة العليا » سنة ١٩٥٢ ، والاستاذ ظافر الصواف عن « النهضة الصناعية في سورية » سنة ١٩٣٨ ، وليون مراد عن « اقتصادياتنا بين الامس والغد » ١٩٤٥ ، ولا بد لنا من الاشارة الى سلسلة الابحاث الاقتصادية التي وضعها منير الشريف منذ أن أصدر كتابه في « الضائقة الاقتصادية السورية » أسبابها وعلاجها (الترقي ١٩٣٧-١٩٥٦) وكتابه في « القضايا الاقتصادية الكبرى في سورية ولبنان » ١٩٤٧ وغيرهما .

ولقد اثارت مشكلة العلاقات السورية اللبنانية كثيراً من الابحاث نجد في مقدمتها نشرة وضعها محمد سعيد الزعيم عن « الموقف الاقتصادي بين سورية ولبنان » (حلب ١٩٥١) وأخرى عن « اقتصاديات سورية ولبنان بين الحرية المطلقة والحماية المقيدة » ورسالة نافع صايم الدهر عن « مستقبل سورية الاقتصادي » والاتفاق المالي بين فرنسا ولبنان ١٩٤٨ ، وفي سنة ١٩٦٢ عقد في مدينة حلب اسبوع للتنمية الاقتصادية ألقيت فيه بعض المحاضرات الاقتصادية من قبل السادة عزة الطرابلسي وعوض بركات وعبد الغني حمور ونهاد ابراهيم باشا وصدر كعدد ملحق لمجلة غرفة تجارة حلب .

وفي مجال الكتب المترجمة ، نجد الاستاذ عبد الحميد الرباط يترجم كتاب « الرفاه للجميع » الذي وضعه وزير الاقتصاد الالماني ابرهارد (ابن زيدون ١٩٦٣) ،

ونجد الدكتور جمال الاتاسي يترجم كتاب « تاريخ الاشتراكيـة الاوربية » الذي وضعه ايلي هاليفي ، والدكتور هشام متولي يترجم « نفط وسياسة واقتصاد » الذي وضعه تاياك ١٩٥٨ ومبعث « الاسعار » من كتاب الاستاذ مارشال ١٩٦٣ ، والاستاذ احمـد مراد يترجم كتاب « الاقتصاد المنهاجي » الذي وضعه جان رومزوف ١٩٥٥ .

القسم الثالث

النشرات الموقوتة

والى جانب المجهود الجامعي والفردي والرسمي في التأليف الاقتصادي ، يجدر بنا استعراض بعض النشرات والمجلات والصحف التي اسهمت الى حد كبير بنشر الدراسات الاقتصادية . فالى جانب الصحف والمجلات العقائدية الموقوتة التي كانت تنشر مبادىء الاحزاب مثل الطليعة والبعث وصوت الشعب ومثل مجلتي « حضارة الاسلام » و « الاخوان المسلمون » ، نجد غرف التجارة والصناعة والزراعة في دمشق وحلب وغيرهما تعمل على اصدار نشرات اقتصادية تتضمن ثروة من الابحاث الاقتصادية ، وتمتاز نشرة غرفة تجارة حلب السنوية بالبحث السنوي الذي كان ينشره المرحوم محمد سعيد الزعيم عن تطور الاوضاع الاقتصادية في العام المنصرم ، بينما تمتاز مجلة غرفة تجارة دمشق بالمقالات الاقتصادية التي كانت تنشرها في اعدادها الشهرية منذ سنة ١٩٢٠ حتى السنتين الاخيرتين .

على اننا نحب أن ننوه في هذا المجال بعمل فردي عظيم ، قائم على الايمان بوجوب تعميم الفكر الاقتصادي ونشره هو اصدار الدكتور شفيق الاخرس ، يعاونه فريق من الشباب المؤمن العالم ، نشرة شهرية باللغة الفرنسية منذ عام ١٩٥٨ يضم كل من اجزائها الشهرية باباً يتضمن تعليقاً على « احداث الشهر » الاقتصادية الهامة ، وآخر

يتضمن مقالات عن « الاحداث الاقتصادية الراهنة » وباباً للدراسات وآخر للاخبار الاقتصادية في سورية والوطن العربي والعالم وآخر لاستعراض « الوضع الاقتصادي والمالي » في سورية ، وفي كل من البلاد العربية بمفرده ، مع النصوص التشريعيـة والجداول الاحصائية المتصلة بالاقتصاد واطلق على النشرة اسم « الاقتصاد والمالية في سورية والبلاد العربية »وتصدر عن « مركز الدراسات الاقتصادية » بدمشق . واضافة الى ذلك أصدرت طائفة من النشرات الخاصة بموضوعات مختلفة ، مثـل النشرة الباحثة في مشاريع المواصلات المهندس أنيس شباط (بالفرنسية) والنشرات الباحثة في « التصنيع في سورية » للدكتور يوسف السيوفي (بالفرنسية) والنشرة الباحثة في مشكلة « الاعتماد في سورية » للدكتور شفيق الاخرس (بالفرنسية) ولقد ألحقنا ببحثنا ثبتاً طويلاً يتضمن فهرساً للمقالات الاقتصادية التي أدرجت في هذه النشرة منذ صدورها حتى أواخر العام ١٩٦٣ مرتباً حسب السنين واسماء المؤلفين .

ثم أصدر الدكتور شفيق الاخرس صحيفة أسبوعية باللغة العربية تدعى « الاقتصادي العربي » منذ اوائل ١٩٦٣ وعنوانها دليل على مضمونها وأهدافها ، ولا حاجة لبيان الفراغ الذي ملأته النشرتان الشهرية والاسبوعية من حيث اظهار امكانات الاقتصاد السوري ومن حيث تعميم المعرفة الاقتصادية الجدية .

وقد كانت وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل تصدر مجلة تحمل اسمهـا منذ سنة ١٩٥٤ وتنشر فيها أبحاثاً في التشريـع الاجتماعي الى جانب التشريعات والاحكام والقرارات والاخبار ذات الصلة بالقضايا العمالية .

وكذلك فان وزارة الاصلاح الزراعي أصدرت خلال فترة طويلة ومنذ عام ١٩٥٩ مجلة شهرية تنشر اخبار الاصلاح الزراعي ومنجزاتـه الى جانب بعض الدراسات النظرية والمقارنة في الموضوع .

وقد كان المجلس الاعلى للعلوم يصدر نشرة موقوتة تدعى « رسالة العلوم » تبحث الشؤون العلمية ، مع ما يتصل بها من شؤون تنمية المعادن وغيرها فيما له صلة بالبحث الاقتصادي . بالاضافة الى النشرات التي كانت تصدرها أمانة العاصمة بدمشق باسم « العمران » أو غرفة تجارة الجزيرة باسم « الرسالة الزراعية » .

هذه لمحة موجزة عن النشاط العلمي في البحث الاقتصادي في سورية خلال الاعوام المائة الاخيرة . وهي تظهر لنا الاتجاه الجديد في البحث نحو الكثرة ونحو التنوع مع مسارقة الزمن ، ومرافقة التطور ، وتجعلنا نؤمن أن الحاضر سيكون دليلاً على مستقبل علمي يبشر بالعمق والخصب والاشراق والانفتاح على كل جديد .

الملحق الاول

المؤلفات باللغة العربية

أتاسي ، جمال

تاريخ الاشتراكية الاوربية
مترجم عن ايلي هاليفي

نشر وزارة الثقافة والارشاد القومي ٤٤٨ ص دمشق ١٩٦٢

اختيار ، رفيق

الضريبة على الدخل : اصول محاسبتها وتحقيقها
الجزء الاول : الضريبة على الارباح الصناعية والتجارية ٤٢١ ص

المطبعة الجديدة دمشق ١٩٦١

اخرس ، شفيق

محاضرات في الاقتصاد العربي
آلة ناسخة ١٠٦ ص ١٩٦٢

الافغاني ، سعيد

اسواق العرب في الجاهلية والاسلام

٥٢٦ ص دار الفكر بدمشق ١٩٦٠

انطاكي ، رزق الله

التشريع الجمركي

مطبعة جامعة دمشق ١٩٥١

انطاكي ، رزق الله وسباعي ، نهاد

المصارف والاعمال المصرفية

دمشق الجامعة السورية

الحقوق الجوية — دمشق الجامعة السورية ١٩٦٣

بالي ، فرنان

نظام طوارىء العمل في التشريع السوري والمقارن

المطبعة المارونية — حلب ١٩٤٧

البحرة ، سعيد

مبادىء الاقتصاد

مطبعة حكومة دمشق ١٩٢١

البهنسي ، عفيف

الاشتراكية العربية

مؤسسة النوري دمشق ١٩٥٨

الجابري ، احسان

القوى المحركة والانماء الاقتصادي في الاقليم الشمالي

دمشق ١٩٥٩

نقابات العمال واثرها في حل المعضلة الاجتماعية

دمشق ١٩٣٩

مسألة عمال المدن في سورية

دمشق ١٩٣٩

الجمعية العربية بدمشق

مؤامرات حول مياه الاردن

١٩٦٠

الحامد ، محمد

نظرات في اشتراكية الاسلام

١٩٦٣

الحسني ، علي عبد العزيز

تاريخ سورية الاقتصادي

مطبعة بدائع الفنون دمشق ١٣٤٢

الحفار ، لطفي

ذكريات

منتخبات من خطب واحاديث ومقالات

ابن زيدون دمشق ١٩٥٤

الحموي ، محمد ياسين

تاريخ الاسطول العربي

مطبعة هاشم الكتبي دمشق ١٩٤٥

الحاني ، زهير والفراوي ، ثابت وقدسي ، قسطنطين

دراسات اقتصادية حول مشروعي سد الفرات واستثمار النفط

دار الشرق للنشر والتوزيع دمشق ١٩٦٢

الخوري ، فارس

موجز في علم المالية

الموجز في علم المالية

مطبعة الحكومة ١٩٢٤ — ١٩٣٧

الخطيب ، عارف

علم الاقتصاد

دمشق ١٩٢٥

الخطيب ، عبد الباسط

مشروع الغاب

المطبعة الهاشمية بدمشق ١٩٥٣

دار اليقظة العربية بدمشق

ترجمة رأس المال — تأليف كارل ماركس

في ثلاثة مجلدات ١٩٥٨

داود ، اسكندر

الجزيرة السورية بين الماضي والحاضر

الترقي دمشق ١٩٥٩

الدقر ، رشيد

موجز نظام الضرائب في سورية

مطبعة جامعة دمشق ١٩٤٩

علم المالية العامة

مطبعة جامعة دمشق ١٩٥١

موازنة الدولة

مطبعة جامعة دمشق ١٩٥٨

المالية العامة _ موازنة

مطبعة جامعة دمشق ١٩٥٨

تشريعات الضرائب

مطبعة جامعة دمشق ١٩٦٠

التعاون

مطبعة جامعة دمشق ١٩٦٠

دهمان ، فؤاد

تاريخ المذاهب الاقتصادية الكبرى

جامعة دمشق ١٩٥٩

تشريع العمل

جامعة دمشق ١٩٦٠

موجز الاقتصاد السياسي جزآن
جامعة دمشق ١٩٥٩

رباط ، عبد المجيد

الرفاه للجميع
مترجم عن ابرهارد ، مطبعة ابن زيدون دمشق ١٩٦٣

الزعيم ، محمد سعيد

الموقف الاقتصادي بين سورية ولبنان
حلب ١٩٥١

– نمو الاقتصاد العربي وتوجيهه للصمود في وجه اسرائيل – مخطوط بمكتبة حلب الوطنية ١٩٥٢

الزعيم ، عادل وغزال ، برهان

وسائل التنمية الاقتصادية في الدول العربية
١٩٦١

زكريا ، احمد وصفي

عشائر الشام
الاول دار الهلال بدمشق ١٩٤٥
عشائر الشام
الثاني دار اليقظة بدمشق ١٩٤٧

زراعة المحاصيل الحقلية في بلاد الشام واقاليمها
الاول ـ والثاني دمشق ١٩٥١
الريف السوري
دمشق دار البيان ١٩٥٥

السباعي ، مصطفى
اشتراكية الاسلام

سباعي ، نهاد وانطاكي ، رزق الله
الحقوق الجوية
١٩٦٣
المصارف والاعمال المصرفية
١٩٦٠

سعاده ، جبرائيل
محافظة اللاذقية
وزارة الثقافة ١٩٦١

سلوم ، رفيق رزق
حياة البلاد في علوم الاقتصاد
حمص ١٩١٢

السمان ، احمد
موجز الاقتصاد السياسي
الاول الاقتصادي ـ ١٩٤٤

– الوقائع والنظريات الاقتصادية في العصر الحديث

مطبعة الجامعة السورية ١٩٤٥

تشريع العمل

مطبعة الجامعة السورية – ١٩٤٥

موجز الاقتصاد السياسي

النقد والاسعار ــ ١٩٤٧

موجز الاقتصاد السياسي

التجارة الدولية – ١٩٥١

محاضرات في اقتصاديات سورية

القاهرة ــ ١٩٥٥

الاقتصاد الصهيوني

الجمعية العربية ــ ١٩٥٥

اقتصاد الحرب

١٩٥٩

نحو عالم افضل (في النطاق الاقتصادي)

بيروت ١٩٥٩

التكامل الاقتصادي بين البلاد العربية

آلة ناسخة – ١٩٦٠

النظريات الاقتصادية لدى العرب

معهد الدراسات العربية العالية ــ ١٩٥٠

موجز الاقتصاد السياسي

الاول مطبعة جامعة دمشق ـ ١٩٦٠

موجز الاقتصاد السياسي

الثاني : مطبعة دار الفكر

النقد والاعتماد والتجارة الخارجية والدورات الاقتصادية – ١٩٦٣

التسعير

مقال في موسوعة الفقه الاسلامي

الجزء النموذجي القاهرة – ١٩٥٩

الاحتكار

مقال في موسوعة الفقه الاسلامي

الجزء النموذجي القاهرة ـ ١٩٥٩

السمان ، احمد ومشي ، جورج

تشريع العمل

الجامعة السورية ١٩٥١

السمان ، وجيه

الكهرباء في سورية

آلة ناسخة – ١٩٥٦

سولياك ، علي

وقائع الاقتصاد

ترجمة كليم القوتلي ابن زيدون دمشق – ١٩٥٠
مكانة التعاون في الحياة الريفية – التعاونيات الاقتصادية الزراعية
والمؤسسات المالية للاعتماد الزراعي
مطبعة الجمهورية السورية ١٩٥٣

شباط ، انيس
سياسة المواصلات في الاقليم السوري
دمشق ١٩٥٩

الشريف ، منير
الضائقة الاقتصادية السورية : اسبابها وعلاجها
المكتبة العربية بدمشق – ١٩٣٧
القضايا الاقتصادية الكبرى في سورية ولبنان
المكتبة الكبرى للتأليف والنشر دمشق – ١٩٤٧
نحو اقتصاد قويم
ابن زيدون ، دمشق – ١٩٦١
قصة الارض في سورية
وزارة الثقافة والارشاد القومي دمشق – ١٩٦١
طريق الخلاص : الضريبة على رأس المال
دمشق – ١٩٥١
الشباب العربي وكيف ينجح في الحقل الاقتصادي
اليقظة

الشطي ، محمد مراد
السياسة الجمركية في سورية من عهد الاحتلال الى عهد الاستقلال

رسالة ماجستير ـ معهد الدراسات العربية ـ آلة ناسخة

الشلق ، نزهة

مبادىء الاقتصاد الاجتماعي

جامعة دمشق ـ ١٩٥٧

شما ، سمير

بترول الكويت : حاضره ومستقبله

ابن زيدون دمشق ـ ١٩٥٩

الشهابي ، الامير مصطفى

محاضرات في الاستعمار

معهد الدراسات العربية العالية

الاول ـ ١٩٥٥

الثاني ـ ١٩٥٦

شهبندر ، عبد الرحمن

القضايا الاجتماعية الكبرى في العالم العربي

شومان ، عدنان

التعاونيات

دار الفكر بدمشق ـ ١٩٦٠

الصراف ، حسني

مقال في « النظام الاقتصادي لسورية ولبنان » باشراف سعيد حماده

صواف ، ظافر

النهضة الصناعية في سورية

لجنة التأليف والترجمة القاهرة ـ ١٩٥٨

صايم الدهر ، نافع

مستقبل سورية الاقتصادي والاتفاق المالي بين فرنسا ولبنان

بيروت – ١٩٤٨

عشي ، جورج

النظام النقدي في سورية

الجامعة السورية ـ ١٩٥٢

النظام النقدي في سورية

الجامعة السورية ـ ١٩٦٢

عشي ، جورج وسمان ، احمد

تشريع العمل

الجامعة السورية ـ ١٩٥٢

العظم ، عبد القادر

علم الاقتصاد

مطبعة البطريركية الارثوذكسية ـ دمشق ١٩٢٩

الاول المقدمة الجامعة السورية ١٩٣١

الثاني الانتاج الجامعة السورية ١٩٣٧
الثالث التوزيع الجامعة السورية ١٩٤٠
الرابع التداول الجامعة السورية ١٩٣٨

محاضرات مستعجلة في الاستهلاك

العيسمي ، شبلي وغر ، داود والشوفي ، حمود

محافظة السويدا .

وزارة الثقافة دمشق ـ ١٩٦٢

فواز ، امين ياسين

الاحصاء الاقتصادي

دار الفكر العربي دمشق

القاسمي ، محمد سعيد والقاسمي ، جمال والعظم ، خليل

قاموس الصناعات الشامية (مجلدان)

نشر معهد الدراسات العليا ـ باريس

تحقيق ظافر القاسمي ـ ١٩٦٠

كرد علي ، محمد

الجبانة في الشام

من محاضرات المجمع العلمي العربي بدمشق – ١٩٢٢

الحسبة في الاسلام

من محاضرات المجمع العلمي بدمشق – ١٩٦٢·

الادارة الاسلامية في عز العرب

القاهرة

كحاله ، عمر رضا

جغرافية شبه جزيرة العرب

مطبعة الترقي – ١٩٤٥

كحاله ، نور الدين

مشروع اليرموك لحل ازمة القوة المحركة في دمشق

١٩٤٩

كيال ، منير

فنون وصناعات دمشقية

وزارة الثقافة بدمشق ـ ١٩٦٢

كيالي ، عبد الرحمن

المراحل (اربعة اجزاء)

مطبعة الضاد حلب ـ ١٩٥٨

متولي ، هشام

نفط وسياسة واقتصاد

(مترجم عن ارنست تاياك) دمشق مكتبة اطلس ـ ١٩٥٨

الاقليم المصري : دراسة اقتصادية ومالية ونقدية
مجلس النقد والتسليف

انما . سورية الاقتصادي ، تعريب لتقرير بعثة المصرف الدولي ، دمشق

المدور ، طه

الاشتراكية في الاسلام
مطبعة الاستقلال - ١٣٦٨

محايري ، صلاح الدين

تقدم سورية الاقتصادي
مترجم عن تقرير الكسندر جيب وشركاه - ٩٤٧

مراد ، ليون

اقتصادياتنا بين الامس والغد
مطبعة الثبات بدمشق - ١٩٤٥

مراد ، أحمد

الاقتصاد المنهاجي
مترجم عن جان روموف دمشق - ١٩٥٥
دار دمشق للطباعة والنشر

مظلوم ، صبحي

مشاريع الري في سورية

حلب

المعلوف ، عيسى اسكندر

صناعات دمشق القديمة

محاضرات المجمع العلمي العربي بدمشق ـ ١٩٢٢

مؤسسة الانماء الاقتصادي

برنامج الانماء الاقتصادي للسنين العشر ١٩٥٨ ـ ١٩٦٧ ـ ١٩٥٨

هراوي ، محمد

اصلاح الزراعة السورية

حلب — ١٩٣٧

هبل ، حسني

الاقتصاد السوري بين واقعه ومستقبله

دمشق

الملحق الثاني

« المؤلفات بلغة اجنبية »

Abdul-Aziz, Ali

Etude sur les relations franco-syriennes, 1936

Accad, Abdul-Wahab

L'union économique syro-libanaise,
(Imp. Rotos — Alep), 1944

Achi, Georges

Le passable de la liberté au controle dans les échanges extérieurs de la Syrie (1929-1947) —
(Thesis Geneve) 1949

Adli, Ibrahim

Industrialisation of Syria
(Thesis-American University, Washington), 1950

Akel, Adel

National Income Accounts of Syria (1955 and 1956)
(Thesis-Columbia University), 1958

Akhras, Chafic

Le problème actuel du crédit en Syrie
(Thesis-Paris), 1957

Atallah, Joseph

La Syrie agricole et économique
(Damas), 1939

Ayoubi, Sadek

Central Bank of Syria
(American University-Washington), 1952

Azmeh, Abdallah

L'évolution de la banque commerciale dans le cadre économique de la Syrie (1920-1957)
(Thesis-Lausanne), 1961

Bali, Taha

Essai sur les principles fondamentaux de la sécurité sociale leur application en Syrie
(Thesis-Paris), 1957

Barakat, Awad

Le problème budgétaire en Syrie (1920-1939)
(Imprimérie Nassar-Beyrouth), 1948

Barakat, Awad Cracco

La réforme du marché des échanges en Syrie
(Beyrouth), 1946

Barazi, Mouhssine

Islamisme et socialisme
(Thesis-Paris), 1929

Bitar, Yassar

Les unions monétaires
(Thesis de doctorat-Université Catholique de Louvain)
(Beyrouth), 1955

Boghossian, Roupen

La Haute-Djezireh
(Thesis-Paris) (Imprimérie Cheraz-Alep), 1952

BUREAU DE DOCUMENTATION SYRIENNES ET ARABES

Etudes sur la Syrie Economique-1954 (typescript)
(Damas), 1955
Etudes sur le régime monétaire de la Syrie et son évolution
(Damas), 1955
Le coton syrien-1952-1953

Coudsy, Albert

L'assistance technique internationale et son application à la Syrie
(Thesis-Paris), 1955

Coudsy, Mouaffak

Les monopoles fiscaux en Syrie
(Thesis-Paris), 1950

Diab, M.A.

The United States Capital Position and the Structure of its Foreign Trade.
(Amesterdam), 1956

Essaleh, Salah

L'état actuel de l'économie syrienne
(Thesis-Paris), 1944

Farra, Adnan

L'industrialisation en Syrie
(Impr. Grevet-Geneve), 1950

Hachem, Hayssam

Die Besonderen problem des industrialisierung Syrien
(Koln), 1961

Haydar, Nazem

The Economic Process in Selected Countries
(Philadelphia), 1961

Hammor, Abdul-Ghani

Le Point IV et les pays sous-developpes
(Paris), 1955

Helbaoui, Youssef

La Syrie. Mise en valeur d'un pays sous-développé
(Librairie Générale de Droit) (Paris), 1956

Husni, Kamal

Le controle des banques en Syrie
(Neuchatel-Suisse), 1959

Ibrahim Pacha, Nihad

Syrian Foreign Trade
(Damascus-Syrian University Press), 1951

Imad, Mohammad

Economic Programming in the Syrian Region of the U.A.R.
(New York), 1960

Ismail, Zakaria

Change, commerce extérieur et équilibre économique
international (Thesis-Paris), 1950

Jammal, Ammar

Les banques et la monnaie dans l'économie syrienne
(Thesis-Montpellier), 1956

Kassis, Antoine

L'objet de l'économie politique et la loi économique en régime socialiste, 1956

Essai sur la notion de loi en économie politique (Thesis-Beyrouth), 1956

Kazem. Mourad

L'union douanière libano-syrienne (Thesis-Geneve), 1950

Ketabi. Wassel

Le commerce extérieur de la Syrie

Khani, Farid

L'impôt sur le revenu en Syrie
(Thesis-Paris)
(Maurice Lavergne-Imprimeur-Paris), 1939

Khoury, Hanna

Le niveau de vie dans les pays du Moyen-Orient
(Thesis-Paris), 1952

Khoury J. and Shatilah G.

Les pétroles de l'Orient
(Damas-Bureau Arabe de presse et de publications)
1953

Koury, Youssef

Prix et monnaie en Syrie (Nancy)
(Imp. Mancienne), 1943

Mardini, Adnan

Monetary Policy for Economic Development. A Case Study: Syria 1946-1956
(Thesis-American University), 1959

Midani, Mounzer

Expansion économique et progrès social en Syrie
(Thesis)

Moutewalli, Hisham

L'investissement dans les pays sous-développés
(Thesis-Paris), 1955

Mounayer, Nassif

Le régime de la terre en Syrie
(Lyon), 1959

Mously, Nazim

Le problème de l'eau en Syrie
(Imprimerie Bosc Frères) (Lyon), 1951

Mousleh, Adel

L'impôt sur la production agricole
(Thesis-Paris), 1949
La Banque des Règlements Internationaux
(Thesis-Genève), 1949

Nassif, Mahammad

La politique financière et la lutte contre l'inflation
(Paris), 1955

Nourallah, Nourallah

La notion du bilan frauduleux
(Thesis-Paris), 1953

Sabban, Rafic-Rateb

Les diverses formes de la propriété collectives
(Thesis-Paris), 1955

Sakka, Hamdi

Comptabilité publique et comptabilité Nationale
en Syrie (Fribourg), 1957

Shaar, Naim

Le commerce dans l'économie syrienne
(Thesis-Paris), 1956

Samman, Ahmad

Le régime monétaire de la Syrie
(Thesis-Paris) (Librairie Rodstein), 1935

L'écnoomie des pays arabes
(dans Problemas del mundo arabe)
(Madrid), 1954

Shallah, Rateb

The Unification of Currency and the Banking System
in the U.A.R., 1960

Shatti, Burhan

The Fiscal Regime in Syria and Economic Development
(Washington), 1957

Sioufft, Youssef

La Syrie et les zones monétaires: Croissance économique et industrialisation et croissance économique de la Syrie, 1956

Tarazi, Salah-el-Dine

Les services publics Libano-Syriens (Société d'Impression-Beyrouth), 1945

Tohme, Adnan

La formation du capital dans la Province Syrienne de la R.A.U. (Thesis-Louvain), 1961

Tohme, Mohammad

Le rôle du crédit dans le développement économique de la Syrie (Thesis-Genève) (Editions Castilla-Madrid), 1953

Traboulsi, Izzat

L'agriculture syrienne entre les deux guerres (Thesis-Paris) (Imp. Nassar-Beyrouth), 1948

Tauma, Karam

Les aspects monétaires et commerciuax du contrôle des échanges
(Thesis-Louvain) (Imprimerie Catholique-Beyrouth), 1952

الملحق الثالث



الرسائل الجامعية

الآسي ، محمد بدر

ضريبة الدخل وسيلة اشتراكية مثلى

رسالة حقوق ٤٨ صفحة ـ ١٩٥٣

أحمد ، حامد

جبل الاكراد ومنطقة راجو

رسالة آداب ٤٣ صفحة ـ ١٩٥٤

الاعسر ، ياسين

التوجيه المهني

رسالة تربية ـ ٢٥٠ صفحة — ١٩٥٥

آغا ، خالد

تجارة سورية ولبنان

رسالة آداب ـ ٤٥ صفحة –١٩٥١

ابو زلام ، عمر

النظرية القومية الاجتماعية للاقتصاد والعمل

رسالة حقوق ــ ٣٤ صفحة ــ ١٩٥٤

بصمه جي ، عبد الجليل

العلاقات الاقتصادية بين سورية ولبنان

رسالة حقوق ــ ٩٣ صفحة ــ ١٩٥٣

بدوار ، احمد

اهداف وآثار السياسة الاقتصادية في فلسطين في ظل الانتـداب البريطاني

رسالة آداب ــ ٦١ صفحة ــ ١٩٥٣

برظو ، هاني

اثر التشريع العقاري في نظامنا الاجتماعي

رسالة آداب ــ ٨٥ صفحة ــ ١٩٥٤

باغ ، اديب

الجولان دراسة اقليمية

رسالة آداب ــ ٥٧ صفحة ــ ١٩٥١

بهلوان ، فيصل

التمويل الزراعي في الولايات المتحدة الاميركية

رسالة حقوق ـ ٢٥ صفحة ـ ١٩٥٣

بطحيش ، أحمد

النباتات والصناعات الزيتية في دمشق وضواحيها

رسالة آداب – ٢٩ صفحة – ١٩٥٣

جلبي ، محمد

قناة السويس

رسالة آداب ـ ٧٠ صفحة – ١٩٥٢

حماده ، محمد

الحياة الاقتصادية والادارة المالية في العهد الاموي

رسالة آداب ـ ٣٨ صفحة – ١٩٥٤

حداد ، محمد

تجارة سورية الخارجية

رسالة آداب – ٦٠ صفحة ـ ١٩٥١

حدادين ، جميل

مشاريع وادي الاردن وامتيازاته

حقوق ـ ٤٥ صفحة ـ ١٩٥٤

حداد ، رشاد

الحماية الاقتصادية

حقوق — ٦١ صفحة ـ ١٩٥٣

حباشة ، ابراهيم

السياسة التجارية

حقوق ـ ٤٩ صفحة ـ ١٩٥٣

الحموي ، خالد

الغاء الاقطاع في سورية

حقوق ـ ٤٩ صفحة — ١٩٥٤

الحمصي ، نسيم

الاقطاعية في سورية

آداب — ٣١ صفحة ـ ١٩٥٠

حموده ، بشير

القمح في سورية

آداب ـ ٣١ صفحة ـ ١٩٥١

حاوي ، جميل

تشجيع الصناعة

حقوق ـ ٥٩ صفحة — ١٩٥٤

الحمصي ، حسن

الصناعة النسيجية في سورية

آداب ـ ١٢ صفحة ـ ١٩٥١

الخانجي ، كمال الدين

حول الزراعة والري في محافظة الجزيرة

آداب ـ ٣٠ صفحة ـ ١٩٥٢

دعان ، محمد

الصناعة النسيجية في سورية

اداب ـ ٢١ صفحة ـ ١٩٥٣

دياب ، عدنان

التأميم : حسناته وسيآته

حقوق ـ ٣٩ صفحة ـ ١٩٥٣

الريس ، فائز

زراعة القطن في منطقة حماه

اداب ـ ٣٥ صفحة ـ ١٩٥٠

زركلي ، سليم

مصرف سورية المركزي

حقوق ـ ٥١ صفحة ١٩٥٤

الزين ، خالد

تحقيق فردي في مركز بيترول

حقوق ـ ٣١ صفحة – ١٩٥٤

الزين ، جميل

الملح في سورية

اداب ـ ٤٣ صفحة – ١٩٥٢

السالك ، يوسف

الاصلاح الزراعي في الصناعة

حقوق ٤٣ صفحة ـ ١٩٥٣

سالم ، محمد

الربا

حقوق ـ ٢١ صفحة ـ ١٩٥٣

سباعي ، رشاد

الاستخدام الكامل

حقوق – ٥٨ صفحة ١٩٥٣

السيد ، محمد

الاصلاح الاشتراكي بين الضرائب المباشرة ، والضرائب غير المباشرة

حقوق ـ ٤٠ صفحة – ١٩٥٣

شربتجي ، مصطفى

التبغ ثروة زراعية ، اثره في الاقتصاد السوري

حقوق ـ ٦١ صفحة ـ ١٩٥٣

شويخي ، محمد

التعاونيات الزراعية

حقوق ـ ٥٨ صفحة ـ ١٩٥٣

شريف ، بوزي

المحروقات في سورية الجنوبية

اداب ـ ٣٥ صفحة ـ ١٩٥٢

الشطي ، مزداد

أهمية البترول في الشرق الاوسط

اداب ـ ٣٧ صفحة ـ ١٩٥٠

شعلان ، عزة

تأميم صناعة النفط في ايران

حقوق ـ ٤٥ صفحة ـ ١٩٥٣

صراف ، محمد

تنمية الدخل القومي من انتاج الزراعة

حقوق ـ ٣٥ صفحة ـ ١٩٥٤

عابد ، فوزي

موارد الثروة الكهربائية في سورية ولبنان

اداب ـ ٣٣ صفحة ـ ١٩٥٠

عقاد ، علي

الصناعة الجلدية

اداب – ٣٩ صفحة – ١٩٥٣

عياش ، علي

صناعة الاسمنت في سورية

اداب – ٢٧ صفحة – ١٩٥٣

عكام ، احمد

العشائر السورية وتحضيرها

حقوق – ١٣٦ صفحة – ١٩٥١

عيسى ، ابراهيم

الامن الاجتماعي

حقوق – ٣٠ صفحة – ١٩٥٣

عويتي ، عادل

مشروع القاسمية

اداب – ٣٦ صفحة – ١٩٥٣

العاقل ، عبد الجليل

العلاقات الاقتصادية بين سورية ولبنان

حقوق ـ ٩١ صفحة ـ ١٩٥٣

عمادي ، محمد

التمويل الزراعي في سورية

حقوق — ٣٥ صفحة — ١٩٥٣

عموي ، هشام

التجارة في قريش في الجاهلية والاسلام

اداب — ٤٣ صفحة — ١٩٥٠

فاخوري ، نديم

الحصار الاقتصادي حول اسرائيل

حقوق ـ ٦٤ صفحة ـ ١٩٥٤

قنباز ، حسن

حي الحاضر في حماه : دراسة بشرية واقتصادية

آداب ـ ٤٧ صفحة ـ ١٩٥٤

كراكشة ، جميل

السلامة الاجتماعية في الاسلام

حقوق ـ ٤٥ صفحة – ١٩٥٤

كردي ، محمود

الربا بين التشريع الاسلامي والتشريع الوضعي

حقوق ـ ٥٠ صفحة ١٩٥٤

الكتبي ، عدنان

التأميم في سورية

حقوق – ٥٢ صفحة ـ ١٩٥٤

لبابيدي ، محمد

نظام الزكاة في الاسلام ومقارنة بنظام السلامة الاجتماعية

حقوق ٣٢ صفحة ـ ١٩٥٢

المحمودي ، عبد الغني

التبغ في محافظة اللاذقية

اداب ـ ٥٠ صفحة ـ ١٩٥٣

مراد ، جمال

القطن في مصر ، زراعته صناعته تجارته

آداب – ٥٧ صفحة ـ ١٩٥٠

منجد ، توفيق

التعريفة الجمركية السورية وتطويرها

حقوق ـ ٦٦ صفحة ـ ١٩٥١

مدني ، عدنان

الاقتصاد التعاوني والتعاونيات الانتاجية

حقوق ـ ٢٥ صفحة ـ ١٩٥٣

مرعي ، تيسير

النهج الاقتصادي

حقوق ـ ٢٥ صفحة ١٩٥٣

المصري ، محمد

التعاون وغاياته

حقوق ـ ٣٩ صفحة ـ ١٩٥٣

مراد ، احمد

النظرية العامة للاجور

حقوق ـ ٥٧ صفحة ـ ١٩٥٣

مراد ، حسن

نفط العراق

حقوق ـ ٥٠ صفحة ـ ١٩٥٣

الملكي ، عبده

مرفأ اللاذقية

حقوق ـ ٥٥ صفحة ـ ١٩٥٣

المهندس ، محمد

البترول العربي دائرة في الشرق العربي

آداب — ٤٧ صفحة — ١٩٥١

نمر ، درويش

المزاحمة الاستعمارية في شمال افريقيا في القرن التاسع عشر

آداب ـ ١٣٦ صفحة ـ ١٩٥٢

نقيب ، لطفي

الغرف التجارية في سورية

حقوق ٣٨ صفحة ـ ١٩٥٣

النابلسي ، نعيم

الكرمة في قضاء دوما : الصناعة التي تنتج عنها

اداب — ٤٢ صفحة ـ ١٩٥٤

يانس ، عبد الهادي

البنك العربي

حقوق ـ ٥٨ صفحة ـ ١٩٥٣

اليازجي ، عبد الهادي

طرق المواصلات في سورية

آداب – ٣٦ صفحة – ١٩٥٠

الملحق الرابع

المقالات المنشورة في مجلة «مركز الدراسات الاقتصادية»

مرتبة بحسب السنين وتسلسل اسماء المؤلفين

AKHRAS, CHAFIC

Année 1958 | Etude No.

—Réflexions sur certains aspects de l'union économique entre la Syrie et l'Egypte 1

—L'avenir du capital étranger privé dans la R.A.U., les mesures d'égyptianisation seront-elles étendues à la province syrienne? 3

—Le problème de l'équilibre actuel de l'économie syrienne et la politique gouvernementale 4

—Etude comparée des régimes d'exportation actuellement en vigueur en Egypte et en Syrie 5

—La portée économique de la Révolution irakienne 6

—Autour de la création d'une Banque Arabe de développement économique 8

Année 1961

Année 1962

ACHI, GEORGES

Année 1959

AKBIK, FAYCCAL

Année 1959

AL-AKEL, ADEL

Année 1959

Année 1962

Année 1960

Année 1961

ATASSI, TAREK

Année 1959

BARAKAT, AWAD

Année 1958

Année 1959

Année 1962

BITAR, YASSAR

Année 1958

COUDSY, ALBERT

Année 1958

Année 1959

CHATTI, BOURHAN

Année 1958

Année 1959

CHAHHOUD, MOUSSA

Année 1958

DE CHADAREVIAN, THEODORE

Anné 1959

Année 1960

EL-ADEL, FOUAD

Année 1959

GHALI, KAMAL

Année 1958

HELBAOUI, YOUSSEF

Année 1958

Année 1961

Année 1962

HADDAD, NEGIB

Année 1958

Année 1959

Année 1960

Année 1961

Année 1962

HILAL, EMILE

Année 1958

Année 1960

SIOUFFI, YOUSSEF

Année 1958

Année 1959

TARABOULSI, IZZAT

Année 1962

WAZZAN, SALAH

Année 1962

CHALAK, NAZHAT

Année 1960

العراق

بقلم الدكتور خير الدين حسيب

حدود البحث

الاصل في هذا البحث انه يقتصر على ما ساهم به المؤلفون العرب في العراق خلال المائة السنة الاخيرة في الاقتصاد ، وان يشمل ما ساهم به الاقتصاديون في العراق وذلك فيما كتبوه عن العراق او عن غيره من اقتصاديات البلاد العربية او مناطق اخرى من العالم . الا انه رغبة في استكمال ما كتبه المؤلفون العرب عن اقتصاديات العراق فقد اتسع البحث ليشمل مـا ساهم به المؤلفون العرب خارج العراق عن جانب او اكثر من الاقتصاد العراقي وعلى ذلك فان البحث محدد بدائرتين متداخلتين ولكنهما غير متطابقتين . الاولى يحددها بلد المؤلف وتشمل ما ساهم به المؤلفون العرب في العراق في الاقتصاد سواء اكان عن العراق او غيره ، والثانية يحددها البلد موضوع البحث وتشمل ما كتبه المؤلفون العرب – من عراقيين وغيرهم – في الاقتصاد عن العراق . وفي الحالتين كلتيهما فان النتاج المؤلفين العرب من العراق او

عن العراق يشمل ما كتبوه باللغة العربية او بغيرها من اللغات الاجنبية . وهو يشتمل فقط على المؤلفات والابحاث التي يمكن تحديد كاتبها ، وعلى ذلك ، ولاعتبارات عملية اخرى ، فقد استثنيت التقارير والنشرات الاقتصادية الحكومية التي يتعذر تحديد كاتبها ، مع ما في هذا الاستثناء من تقييد لاطار المساهمة اذ ان معظم هذه التقارير ساهم في اعدادها مؤلفون من العراقيين العرب ايضاً وان كان يتعذر تحديد اسمائهم .

اما تعبير « الاقتصاد » فقد استعمل ليشمل الموضوعات الاقتصادية التطبيقية او النظرية ، والحالية او التاريخية . وبالنظر لتوسع الموضوعات الاقتصادية وسعة صلاتها وتعقدها مع جوانب الحياة الاخرى ، فانني سأكون ملزماً بالتطرق الى بعض الموضوعات والدراسات في الجوانب التي وان لم تكن اقتصادية صرفة فهي على جانب الاقتصاد وحافته . هذا وقد استثنيت من البحث ، تلبية لرغبة الهيئة المشرفة على هذه الحلقة الدراسية ، التشريعات والنظم الاقتصادية وتقويمها وكذلك مقالات مراجعات الكتب (Review Articles) . كما انني لم ادخل ما بحثه العرب ، من غير العراقيين ، عن تاريخ العراق الاقتصادي ، بالنظر لكثرة هذه البحوث وتشعبها ودخولها ضمن نطاق التاريخ الاسلامي ، واكتفيت بالاشارة الى ما ألفه العراقيون فقط عن التاريخ الاقتصادي .

واما تحديد ما يشكل وما لا يشكل مساهمة فكرية في دراسة الاقتصاد فأمر يصعب تقديره ، ذلك لان الهيئة المشرفة على هذه الحلقة الدراسية لم تثبت ، وهي غير ملومة ، مقياساً عاماً للاهتداء به لهذا الغرض ، ولهذا فان اي عملية تقويم للمساهمة ستبنى على اساس مقياس شخصي قد يكون تحكمياً وقد يختلف عن المقاييس التي اتبعت لهذا الغرض في الدراسات المقدمة الى هذه الحلقة الدراسية عن البلاد العربية الاخرى ، كما انه يتضمن الحكم على ما كتب في ظروف علمية وضمن امكانيات

تختلف عن الحاضر . اضافة الى ذلك فان حساسية الكثير من الاقتصاديين العرب في العراق ، وربما في غيره ايضاً ، لمثل هذا التقويم ، بسبب عدم رسوخ التقاليد العلمية عندنا بشكل واضح حتى الآن ، يدفعني الى التردد في مثل هذا التقويم ، هذا الى ان الامر يتطلب وقتاً وسعة وعمقاً اكثر مما استطيعه . ولذلك فقد أوردت في ملاحق هذا البحث قائمة بكل ما استطعت العثور عليه من كتب ونشرات ومقالات منشورة باللغة العربية او بغيرها من اللغات الاجنبية ، واقتصرت على الاشارة الى المهم منها عند استعراض الفترات الزمنية التي قسم اليها البحث ، وكذلك عند الكلام عن الموضوعات الاقتصادية الرئيسية التي عالجتها ، وغالباً ما اعطيت ترتيبها في الاشارة اليها بحسب اهميتها . وقد رتبت هذه المؤلفات في الملاحق على اساس اعتبارين ، اولهما بحسب اسماء المؤلفين وذلك في ملحقين الاول منهما يشمل ما اسهم به المؤلفون العرب خلال المائة السنة الاخيرة في دراسة الاقتصاد في العراق وعنه بلغة اجنبية ، وهذا الملحق الاول مقسم بدوره الى ثلاثة اقسام الاول يتضمن الكتب والنشرات ، والثاني يشمل الاطروحات والرسائل غير المنشورة ، والقسم الثالث يتضمن المقالات بلغة اجنبية . اما الملحق رقم (٢) فيشمل تصنيفاً لما ساهم به المؤلفون العرب في دراسة الاقتصاد في العراق وعنه باللغة العربية ، مصنفاً بحسب اسماء المؤلفين ايضاً ، حيث قسم كذلك الى قسمين احدهما للكتب والثاني المقالات . وبجانب هذا التصنيف ، وعلى اساس اعتبار الموضوعات ، تم اعداد الملحق رقم (٣) حيث صنفت فيه المؤلفات باللغات العربية والاجنبية بحسب الموضوعات الرئيسية في الاقتصاد والتي سيشار اليها فيما بعد .

هذا وقد استعمل تعبير « المؤلفون العرب في العراق » ليشمل العراقيين الذين يسكنون العراق ويتكلمون اللغة العربية ، دون التقيد بالاعتبارات الاخرى .

كما تجب الاشارة الى ان الكلام عن العراق ينحصر في حدوده الحالية لانه اكتسب كيانه القانوني كقطر قائم بذاته عن الدولة العثمانية بعد الحرب العالمية الاولى . وكان عراق اليوم قبل ذلك مكوناً من ثلاث ولايات رئيسية مع بعض السناجق ، وحدود هذه الولايات والسناجق بمجموعها اوسع من حدود العراق الحالية . غير ان الاجزاء التي لم تعد اليوم ضمن القطر العراقي لم تكن لها ميزة خاصة تنفرد بها عن بقية الولايات ، ولا ضير من عدم الاشارة اليها في هذا البحث ، خاصة وان ما كتبه العرب في الاقتصاد في العراق او عن العراق بحدوده الحالية قبل الحرب العالمية الاولى قليل جداً .

الاتجاهات والملاحظات العامة

سبق ان اشرت اعلاه الى انني لا انوي محاولة تقويم كل ما كتبه المؤلفون العرب في العراق او عنه في دراسة الاقتصاد ، للاسباب التي اشرت اليها . ولذلك فسأكتفي هنا باعطاء بعض الملاحظات العامة عن هذه المؤلفات والاشارة الى اهم الاتجاهات فيها . وسأحاول ذلك بسلوك طريقين ، فاقوم اولا بتقسيم فترة المائة سنة الاخيرة الى مراحل زمنية معينة وابين الخصائص الفكرية الاقتصادية لكل منها ، ثم اقوم ، ثانياً ، بتقسيم الدراسات الاقتصادية الى اقسام متميزة بعضها عن بعض لاشير الى الاتجاهات العامة والى اهم ما قدمه المؤلفون العرب في كل منها .

اولاً التقسيم الزمني للموضوع: وبقدر ما يتعلق الامر بالتقسيم الزمني فقد قسمت المائة السنة الاخيرة الى ثلاث فترات ، الاولى تبدأ من ١٨٦٣ وتنتهي بظهور العراق ككيان دولي قائم بذاته بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى ، حيث تبدأ الفترة الثانية التي تنتهي بنهاية الحرب العالمية الثانية في ١٩٤٥ ، والثالثة تبدأ من نهاية

الحرب العالمية الثانية حتى الوقت الحاضر . ومع وجود بعض التداخل في بعض السمات المميزة لهذه الفترات الثلاث ، الا ان لكل منها ، بقدر ما يتعلق الامر بموضوع بحثنا، ما يميزها عن الاخرى كما سنرى فيما بعد .

الفترة الاولى ١٨٦٣ - ١٩٢٠

في الفترة الاولى ١٨٦٣ - ١٩٢٠ ، حيث كان العراق خلالها وحتى الحرب العالمية الاولى خاضعاً للحكم العثماني سياسياً، فان ما عثر عليه من انتاج فكري اقتصادي منشور خلال هذه الفترة لا يتعدى بضع مقالات منشورة في مجلة لغة العرب في فترة متأخرة ما بين ١٩١٣ ـ ١٩١٤ . الا ان عدم وجود كتب ودراسات اقتصادية خلال خلال هذه الفترة لا يعني انه لم توجد نظم وتقاليد مالية واقتصادية هي من مزايا النظام العثماني الذي كان العراق خاضعاً له .

وترجع قلة هذا الانتاج الفكري الاقتصادي الى طبيعة موقع العراق والى الظروف الخاصة التي كانت تسوده حينذاك ، فالعراق يتميز بين الاقطار العربية بانه يقع على الطرف الشرقي للعالم العربي ، وان له خط حدود يفصل بينه وبين اقطار اسلاميـة غير عربية اطول مما لأي قطر عربي اخر ، وهو القطر العربي الوحيد الذي يحده قطران مسلمان غير عربيين وان فيه عدداً من الاماكن المقدسة عند الشيعة خاصة ، مما تجعل عدداً كبيراً من الزوار من ايران والهند يؤمه سنوياً ، فيساهم كل ذلـك في خلق مجال واسع نسبياً للتبادل الثقافي والاقتصادي مع الدول الاسلامية ، الا ان العراق من الاقطار العربية التي لا تتصل مباشرة بالبحر المتوسط وبذلك فان اتصاله باوربا حضارياً وثقافياً اضعف من اتصال الاقطار العربية الاخرى الواقعة على البحر المتوسط . والواقع ان التغلغل الاوربي في العراق جاء متأخراً اكثر مما هو في الاقطار الاخرى،

كما انه بدأ ينحسر سياسياً عنه قبل ان ينحسر عن اي قطر عربي اخر . فالعراقيون لم يتصلوا مباشرة بالغربيين اتصالا يتكافأ مع اتصال الاقطار العربية الاخرى بهم بضاف الى ذلك ان الجاليات المسيحية في العراق ، وهي التي تتيح نظمها الدينية فرصة الاتصال بالغرب، ليست كبيرة، واغلبيتها المطلقة شرقية محلية ، لذلك فان النصرانية لم تكن باعثاً وسبباً قوياً للاتصال بالغرب ، شأن ما حدث في لبنان مثلاً .

يضاف الى ذلك ان المدارس الرسمية التي انشئت في العراق ، ابان تلك الفترة ، كانت تتبع النظم والمناهج التي تقررها الدولة في استانبول بناء على حاجاتها وطبقاً لاوضاعها . فان اهم المدارس التي انشئت هي المدارس العسكرية . كما ان البلد الرئيسي الذي كان العراقيون يذهبون لاكمال الدراسة فيه هو استانبول اما السفر للدراسة في الغرب فقد بدأ متأخراً ، وان عدد الطلاب العراقيين الذين ذهبوا للدراسة في الكلية الاميركانية ببيروت (الجامعة الاميركية) والكلية الكاثوليكية ببيروت (جامعة القديس يوسف) او الكلية الاميركية في ماردين ، ضئيل جداً ، كما ان عدد من ذهب للدراسة منهم في الغرب قليل .

الفترة الثانية ١٩٢٠ – ١٩٤٥ – وتتميز هذه الفترة بظهور العراق ككيان دولي قائم بذاته منسلخ عن الدولة العثمانية ، وتحت الانتداب البريطاني ، ثم اصبح مستقلاً سنة ١٩٣٢ ، كما تميزت هذه الفترة بادخال نظم وافكار جديدة في الحكم ، بما في ذلك النظم المالية والاقتصادية ، مما دفع الى الكتابة ومناقشة النظامين العثماني والبريطاني .

كما كان من الاحداث الاقتصادية الهامة خلال هذه الفترة ، الازمة الاقتصادية العالمية التي بدأت في اواخر العقد الثالث والنتائج الاقتصادية التي ترتبت على الحرب العالمية الثانية والتي من شأنها جميعا ان تثير الاهتمام بالاقتصاد .

توسعت خلال هذه الفترة تجـارة العراق الخارجية ، في الصادرات والواردات ، وخاصة مع الغرب ، كما سجلت بداية لنشاط صناعي وانشاء المعامل الغربية لانتاج السلع في العراق كمعمل فتاح باشا وغيره، وبذلك بدأت الحياة الاقتصادية ومؤسساتها تتعقد فازداد عدد التجار والشركات التجارية، وتعقدت اعمالها ونشاطها ، واتسع افقها وميدانها ، ولا بد ان يرافق كل ذلك اهتمام بالامور الاقتصادية وتفكير بهـا .

وكذلك كان استمرار تدخل الانكليز في الحكم وسيطرتهم عليه في العراق ، وخاصة في الفترة التي سبقت دخـول العراق في عصبة الامم في سنة ١٩٣٢ سبباً لمناقشة اعمـال الادارة البريطانية ، بما في ذلك جوانبها الاقتصادية ، حيث وجدت هذه المناقشات سبيلها الى الخطب السياسية التي كان يلقيها بعض رجال السياسة في احزابهم او في المناقشات البرلمانية او في غيرها من المجالات

وقد بدأت ميزانية الدولة خلال هذه الفترة تنظم على اسس علمية حديثة كما ازدادت فيهـا الدراسات التي تهـدف الى التنمية الاقتصادية ، كمشروعات الري او الزراعـة او طرق المواصلات . ومع ان معظم مـن كتبها هم الاجانب ، وخاصة الانكليز ، الا ان العراقيين ساهموا بقسط غير قليل فيها ، بتقديم بعض المعلومات والاراء ، وان كان من الصعب حصر ذلك وتحديده .

وقـد تميزت هـذه الفترة بالاهتمام بدراسة علم الاقتصاد حيث ابتدأ تدريس الاقتصاد خلال العقد الرابع في بعض المدارس الثانوية اولا ثم في مدرسة الحقوق ودار المعلمين العالية، كما بدأت البعثات العلمية الى جامعة بيروت الاميركية تتتابع منذ سنة ١٩٢٥ واتسعت بعد ذلك لتشمل ارسال طلبة البعثات العراقية الى انكلترا والولايات المتحدة وفرنسا والمانيا وغيرها ، وتزايد عدد الفروع التي يتخصص فيها الطلبة ، وكان من

هذه الفروع الاقتصاد وبعض الموضوعات المتعلقة به . وقد ازداد خلال هذه الفترة عدد الكتب العربية الواردة الى العراق والتي يتناول بعضها الاقتصاد ، كما ازداد عدد المتقنين للغات الاجنبية التي تمكنهم من مطالعة الكتب الاجنبية ، بما فيها الكتب الاقتصادية .

وقد ازدادت خلال هذه الفترة محاولات احلال العراقيين في الادارة محل الهنود والانكليز تدريجياً . ومع ان اغلبية الدوائر كان يرأسها الانكليز في ابتداء هذه الفترة ، الا ان عدد الموظفين العراقيين اخذ يتزايد واخذ العراقيون يكتسبون خبرة من الادارة الانكليزية التي استهدفت ادخال النظم الغربية، وبدأ العراقيون يتحملون مسؤولية ادارة البلاد ، بما فيها الامور المالية ، كما تميزت هـذه الفترة ببدء احلال الموظفين العرب تدريجياً محل اليهود في الشؤون المالية .

وقد اصبحت الحياة المـادية من اهم المثل التي يطالب الناس بتوفيرهـا ، اي بدأت الافكار الغربية التي تطالب بالرفاه المادي ، وزاد من قوتها توسع المدن ، فادى كل ذلك الى زيادة الاهتمام بالميادين الاقتصادية والكتابة عنها . كما ان طرق التفكير الغربية التي اخذت تغزو العراق عـن طريق مؤسسات التعليم وسبل الاتصال الاخرى ، ادت الى ان يكون التفكير الاقتصادي سائراً على الانمـاط الغربية .

ومع ان السياسة لم تهتم في هذه الفترة بالبحوث الاقتصادية ، الا أنهـا أخذت تطالبها بالاصلاح والتقدم ، فاستلزم ذلـك التدقيق في اختيار الوزراء والموظفين المهتمين بالشؤون المالية ، وصار وزير المالية من اقوى الوزراء واهمهم ، وهو من المقاييس التي يحكم بها على الوزارة .

وعلى الرغم من كل هذه المظاهر والحوادث التي اشرت اليها اعلاه خلال هذه الفترة والتي كانت تشير الى الاهتمام بالامور الاقتصادية وحيوية التفكير فيها، الا ان ما كتب ونشر في الاقتصاد خلال هذه الفترة في العراق او عنه لا يعكس ذلك الواقع كثيراً . وقد تجلى معظم هذا الاهتمام بالشؤون الاقتصادية على شكل مقالات ومناقشات اقتصادية في الجرائد اليومية ، كما اخذ جانب منه التعبير عنه في الخطب والمناقشات في مجالس النواب والاعيان التي كانت قائمة خلال تلك الفترة، وهما مصدران لم يدخلا ضمن مجموعة المصادر التي تشير اليها هذه الدراسة . وقد كان من اهم ما ظهر خلال السنوات العشر الاولى من هـذه الفترة (١٩٢٠ ـ ١٩٣٠) هو كتاب توفيق السويدي والذي هو ترجمة الكتاب الاقتصاد السياسي لشارل جيد الذي نشر في سنة ١٩٢٤ والذي كان عاملاً مهماً في نشر التثقيف والوعي الاقتصادي ، كما ظهر في نهاية ذلك العقد (١٩٣٠) كتاب طه الهاشمي « مفصل جغرافية العراق » والذي فيه جوانب اقتصادية عن العراق

واما خلال الفترة التالية ١٩٣١ – ١٩٤٥ فقد كان كتاب سعيد حماده عن « النظام الاقتصادي في العراق » الذي نشر عام ١٩٣٨ من اهم الكتب التي ظهرت قبل الحرب الثانية عن العراق واعقبه صالح حيدر سنة ١٩٤٢ باطروحة دكتوراه بالانكليزية عن مشاكل الاراضي في العراق Land Problems of Iraq قدمت لجامعة لندن ، واطروحة للدكتوراه بالانكليزية قدمها عبد العزيز الدوري الى جامعة لندن عام ١٩٤٢ عن تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري ، واطروحة ماجستير بالانكليزية قدمها سالم معلم الى الجامعة الاميركية ببيروت عام ١٩٤٤ عن النظام المالي في العراق The Fiscal System of Iraq

كما نشر احمد سوسة قبل ذلك بسنتين (١٩٤٢) كتاباً عن « المصادر عن

ري العراق » وفيه الكثير من الجوانب الاقتصادية عن الموضوع . وفيما عدا ذلك فقد اقتصرت الكتابات الاقتصادية خلال ١٩٣١ - ١٩٤٥ على عدد من المقالات في التاريخ الاقتصادي ، وعلى عدد من المقالات لمير بصري في مجلة غرفة تجارة بغداد خلال سنتي ١٩٤٠ - ١٩٤١ ، كان يدور معظمها حول جانب او آخر من التجارة العراقية . كما ظهر عدد من المقالات ايضاً في مجلة غرفة تجارة بغداد ما بين ١٩٤٠ - ١٩٤٢ كتب ثلاثة منها عبد المجيد محمود ، وبينها مقالة لسامي السراج عن « العلاقات التجارية بين مصر والعراق » وظهرت كذلك مقالة لناظم سرسم عن « الاغنام واهميتها الاقتصادية في العراق » في مجلة المعلم الجديد عام ١٩٣٧ .

وهكذا يتبين قلة عدد الكتب التي صدرت خلال هذه الفترة والتي لم تزد عن سبعة ، بما فيها تلك التي تناولت جوانب اخرى غير الاقتصاد . الا أن الملاحظ ان هذه الفترة سجلت بداية الكتابة عن اقتصاديات العراق باللغة الانكليزية ، كما تسجل هذه الفترة ظهور مجلة غرفة تجارة بغداد (١٩٣٧) كمنبر للكتابة في الموضوعات الاقتصادية . وكما سبق ان ذكرنا فان جانباً كبيراً من النشاط في التفكير الاقتصادي خلال هذه الفترة قد عبّر عن نفسه في الجرائد اليومية وفي محاضر مجلسي النواب والاعيان .

الفترة الثالثة : ١٩٤٥ - ١٩٦٢ – شهدت هذه الفترة انتاجاً فكرياً اقتصادياً غزيراً نسبياً ، بعد أن توفرت للعراق ادوات هذا الانتاج واسبابه . فقد عاد بعد الحرب الثانية الى العراق عدد ممن كانوا يدرسون الاقتصاد في الغرب وازداد ارسال البعثات العلمية الى الخارج بشكل متزايد بما فيها عدد غير قليل لدراسة الاقتصاد ، كما تم انشاء اول كلية لتدريس الاقتصاد كعلم مستقل في سنة ١٩٤٧ وهي كلية التجارة والاقتصاد العراقية ، وكذلك تأسيس جمعية الاقتصاديين العراقيين

في العراق خلال سنة ١٩٥٧ حيث ساهمت هذه الجمعية بنشاط فكري اقتصادي مهم وذلك عن طريق المحاضرات التي رتبت لها وعن طريق ما نشرته من مقالات ودراسات في مجلتها « الاقتصادي » . اما الاحداث الاقتصادية التي مرت على العراق خلال هذه الفترة فقد دفعت هي الاخرى المعنيين بالموضوع الى الكتابة عنها ، فمن جهة كانت هناك مشكلات تصفية الآثار الاقتصادية للحرب من مشكلات تموين وارتفاع الاسعار والارصدة الاسترلينية للعراق والمجمدة لدى انكلترا، ومن جهة اخرى بدأ انشاء معامل صناعية كبيرة كمعمل شركة الغزل والنسيج العراقية ومعمل شركة الاسمنت العراقية في اواخر العقد الخامس كما كان الضغط الداخلي وثورة مصدق في ايران عوامل اجبرت شركات النفط على تعديل اتفاقيات النفط معه من جهة والى زيادة مقادير الانتاج والتصدير من جهة اخرى فبدأت عوائد النفط تزداد ازدياداً ملحوظاً سريعاً مما دفع الى تشكيل هيئة مستقلة للاعمار الاقتصادي في سنة ١٩٥١ هي « مجلس الاعمار » الذي خصص له ابتداء ٧٠ ٪ من واردات النفط ثم انقصت بعد الازدياد الكبير في عوائد النفط ، الى ٥٠ ٪ ، وقيام هذا المجلس باعداد برامج للاعمار وتنفيذه عدداً كبيراً من المشاريع المختلفة ، وما اثارته اعمال هذا المجلس ومشروعاته من نقاش وجدل حولها . ثم كانت ثورة ١٩٥٨ وادخال الاصلاح الزراعي وتعديل بعض القوانين المالية واعادة النظر في جهاز الاعمار وتشكيل وزارة للتخطيط بدلاً منه ثم اعادة النظر في الخطة الاقتصادية نفسها واعداد واحدة موقتة ثم اخرى دائمة وكلها امور دفعت الى الكلام عنها ومناقشتها فكانت دافعاً الى انتاج فكري اقتصادي متزايد .

ومن السمات المميزة للانتاج الفكري الاقتصادي خلال هذه الفترة كثرة ما كتبه المؤلفون العرب في العراق عن الاقتصاد باللغات الاجنبية ، وخاصة الانكليزية

والتي تمثل اهم جانب من الانتاج الفكري الاقتصادي خلال هذه الفترة . فبجانب الكتب القليلة بالانكليزية التي صدرت خلال هذه الفترة كان هنالك ما يزيد على خمسين اطروحة علمية ، معظمها بالانكليزية ، قدمت الى الجامعات الاجنبية التي كان يدرس فيها الطلبة العراقيون ، وكان مايزيد على نصفها اطروحات للدكتوراه والبقية للماجستير (عدا عدد قليل جداً للبكالوريوس) كماقدم معظمها فيما بعد سنة ١٩٥٠ . وباستثناء اربع اطروحات منها تناولت التاريخ الاقتصادي للعراق كاطروحة صالح احمد العلي عن « التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الاول الهجري » التي قدمت سنة ١٩٤٩ الى جامعة اكسفورد واطروحة محمد سلمان حسن عن « التجارة الخارجية والتقدم الاقتصادي في العراق الحديث ما بين ١٨٦٩-١٩٣٩ » التي قدمها لجامعة اكسفورد عام ١٩٥٨ ، والجوانب الاقتصادية عن الزراعة والصناعة والمواصلات والتجارة في اطروحة محمد رشيد الفيل للدكتوراه عن « الجغرافية التاريخية للعراق ما بين الفتحين المغولي والعثماني » التي قدمها لجامعة ريدنغ في انكلترا عام ١٩٥٩ ، والفصل الخاص عن المالية في اطروحة عبد المنعم محمد رشاد للدكتوراه عن الخلافة العباسية بين سنة ٥٧٥ ـ ٦٥٦ التي قدمها لجامعة لندن عام ١٩٦٣ ، فان معظم البقية منها انصبت على معالجة موضوعات اقتصادية تطبيقية معظمها يدور حول الفترة التي تلت تأسيس مجلس الاعمار وعلى مناقشة وتقويم نتائج اعمال هذا المجلس والتطور الاقتصادي للعراق بشكل عام ، عدا واحدة منها تناولت موضوعاً نظرياً عن النمو الاقتصادي هي اطروحة محمود الحمصي للدكتوراه التي قدمها في هولندا ونشرت من قبل المعهد الهولندي الاقتصادي في روتردام عام ١٩٦٢ . ومن المهم ملاحظة ان كون هذه الاطروحات تمثل الجانب المهم من المساهمة الفكرية للمؤلفين العرب في دراسة الاقتصاد في العراق لهو دليل على ان الجامعات الاجنبية ، والغربية خاصة ، لا تزال تمثل اهم المراكز العلمية

للانتاج الفكري الاقتصادي عن العراق . كما تجدر الملاحظة الى ان معظم هذه الاطروحات (حوالي ثلاثين منها) كتب وقدم الى جامعات امريكية في الولايات المتحدة ، وحوالي سبع منها اخرى قدم الى الجامعة الامريكية في بيروت ، كما كان عدد ما تمّ اعداده في الجامعات الاخرى قليلاً نسبياً اذ اعد حوالي تسع منها في الجامعات الفرنسية وحوالي ست منها في الجامعات الانكليزية وثلاث في الجامعات المصرية وواحدة في كل من سويسرا وهولندا .

وبجانب هذه الكتب والاطروحات بالانكليزية وغيرها من اللغات الاجنبية ، ظهرت مجموعة من المقالات والبحوث الاقتصادية المهمة خلال هذه الفترة بلغات اجنبية ايضاً ، نشرت معظمها في مجلات اجنبية .

وقد تميزت هذه الفترة ايضاً ، بكثرة ما كتب باللغة العربية عن الاقتصاد في العراق ، حيث ظهر عدد غير قليل من الكتب والنشرات العربية المستقلة بلغت اكثر من مائة وعشرين كتاباً ونشرة ، الا ان مستوى هذا الانتاج بشكل عام ، مع الاستثناءات ، كان أدنى من مستوى الاطروحات باللغات الاجنبية . وقد كتب عدد غير قليل من هذه الكتب من قبل اساتذة الاقتصاد في المعاهد العراقية العالية ولغرض التدريس بالذات و كان بعضها يدور حول مبادىء الاقتصاد وتاريخ الاقتصاد والمذاهب الاقتصادية . وتناولت هذه الكتب والنشرات جوانب الاقتصاد العراقي المختلفة وكانت غالبيتها اقتصادية صرفة وان كان بعضها يعالج جوانب اقتصادية معينة ضمن معالجته لمواضيع اهم منها ككتب احمد سوسة الكثيرة عن الري في العراق .

ونشر كذلك خلال هذه الفترة عدد كبير جداً من المقالات والبحوث الاقتصادية باللغة العربية وقد احتوت مجلة غرفة تجارة بغداد مجموعة كبيرة منهـا وكذلك مجلة

المعلم الجديد ومجلة الكمارك والمكوس ثم مجلة الزراعة العراقية ، وساهمت مجلتا الاقتصادي والصناعي منذ سنة ١٩٦٠ بنشر جزء مهم من هذه البحوث والمقالات من حيث المستوى العلمي لها .

ومن المهم ان نلاحظ هنا انه على الرغم من ان الاطروحات التي اعدت في الجامعات الاجنبية تمثل اهم الانتاج الاقتصادي خلال هذه الفترة ، الا ان تأثيرها على التفكير الاقتصادي في العراق بقي محدوداً بسبب عدم نشر معظمها وعدم توفر نسخ لبعضها وبقاء الآخر منها سجيناً في مكتبة معينة مما حال كله دون اطلاع معظم الاقتصاديين العراقيين عليها واستفادتهم وتأثرهم بما حوته من معلومات أو نتائج .

٢ ـ التقسيم حسب المواضيع الرئيسية للاقتصاد

أنتقل الآن الى تقسيم الانتاج الفكري الاقتصادي في العراق الى موضوعات رئيسية واعطاء بعض الملاحظات العامة عن كل منهـا . وقد تم تقسيم الدراسات الاقتصادية الى موضوعات رئيسية هي :

١ ـ الدراسات الاقتصادية النظرية

٢ ـ الابحاث في المذاهب الاقتصادية

٣ ـ التاريخ الاقتصادي

٤ ـ التركيب الاقتصادي ، الدراسات الاقتصادية الاستعراضية ، والتطور الاقتصادي للعراق

٥ ـ السكان والقوى العاملة

٦ ـ الارض والزراعة

٧ ـ النفط والصناعة

٨ ـ النقل والمواصلات

٩ ـ التجارة

١٠ـ التمويل

١١ـ النقود والبنوك

١٢ـ المالية العامة

١٣ـ الدراسات الاقتصادية المقارنة للعراق ودول اخرى

وقد كان من الصعوبة بمكان تحديد هذه الموضوعات الرئيسية ، وكان في هذا التحديد بعض التحكم وبعض التداخل . وقد وزعت الكتب والمقالات والبحوث على هذه الاقسام الثلاثة عشر بحسب موضوعها الرئيسي وان كانت تعالج موضوعات داخلة في اقسام اخرى ، لذلك اشير اليها تحت القسم الرئيسي الذي تعالجه دون الاقسام الفرعية الاخرى .

اما الدراسات الاقتصادية النظرية فقد كان من اهم ما نشر منها باللغة الانكليزية اطروحة محمود الحمصي المنشورة عن « امكانية النمو الاقتصادي » (روتردام ١٩٦٢) التي تهدف الى نظرية شاملة لتحليل وقياس امكانية النمو الاقتصادي في الاقطار ، بغض النظر عن مراحل تطورها ، وقد احتوت على قسمين احدهما نظري ، وهو الجانب الاهم فيها ، والثاني تطبيقي وهو محاولة لتطبيق الاطار النظري ووسائل القياسات على الدلائل الاحصائية والمعلومات الاخرى لاربعة

اقطار من غرب اوربا عبر فترة ربع قرن . كما نشر تحت هذا القسم عـدد من الكتب والنشرات العربية بلغت حوالي العشرين كتاباً معظمها كمراجـع لدراسة الاقتصاد في المعاهد العراقية العالية وكان من هذه الكتب ما نشره الدكاترة محمـد عزيز ، وسعدي ابراهيم ، وجان ارنست ، ومحمد علي رضا جاسم ، وصادق مهدي السعيد كما ظهر حوالي الاربعين مقالة باللغة العربية تحت هذا الموضوع كانت بمستويات مختلفة كتب بعضها للقاريء العادي ممـا يصعب اعتباره اسهامـاً في الانتاج الفكري الاقتصادي . وكان من خيرة هذه المقالات ما كتبـه جان ارنـست في مجلتي التجارة والاقتصادي ، وعبد الرحمن الحبيب في مجلة كلية الآداب ومجلة الصناعي ومحمد جواد العبوسي في مجلة كلية الاداب ومحمود الحمصي وطاهر كنعـان في مجلة الصناعي ، ومحمد سلمان حسن ومنصور الراوي في مجلة الثقافة الجديدة .

اما الابحاث في المذاهب الاقتصادية فقد كان الانتاج الفكري عنها جميعـه باللغة العربية ، حيث نشرت حوالي العشرة كتب ، منها ثلاثة مترجمة ، حول هذا الموضوع كان من اهمها ما نشره محمد عزيز وابراهيم كبة . وقد ظهر عنه عدد قليل من المقالات العربية لم يتجاوز العشرة ايضاً .

اما في التاريخ الاقتصادي فقد كان ما كتبه عبد العزيز الدوري وصالح احمد العلي من اهم ما كتب خلال هذه الفترة في هـذا الموضوع . اذ نشرت اطروحة عبد العزيز الدوري المقدمة الى جامعة لندن عن « تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري » عام ١٩٤٨ كما نشر الدوري مقالة في مجلة كليـة الآداب عام ١٩٥٩ عن « نشوء الاصناف والحرف في الاسلام » واخرى قصيرة في مجلة الاقتصادي عام ١٩٦١ عـن « لمحة عن تطور الحياة الاقتصادية في المجتمع العربي الاسلامي » . كما نشر صالح احمد العلي كتاباً عام ١٩٥٣ عن « التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية

في البصرة » وهو ترجمة لاطروحته المقدمة الى جامعة اوكسفورد ، كما نشر مقالة في مجلة كلية الآداب عام ١٩٥٦ عن « احكام الرسول في الاراضي المفتوحة » واخرى في مجلة الابحاث (الجامعة الاميركية في بيروت) عام ١٩٦١عن « الانسجة في القرنين الاول والثاني » ومقالة قصيرة في مجلة الاقتصادي في السنة نفسها عن « التنظيم المالي الاسلامي في التطبيق » ومقالة في Muslim Estates in Hijaz in J.E.S.H.H.O. عن ملكيات الاراضي في الحجاز (مجلة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي عن الشرق سنة ١٩٥٩) . كما ساهم انستاس الكرملي وعباس العزاوي ويعقوب سركيس وجعفر خصباك وغيرهم في الكتابة حول التاريخ الاقتصادي واحمد سوسة في كتاباته عن تاريخ الري ، خلال هذه الفترة . وكان من الدراسات المهمة التي يمثل جانب منها التاريخ الاقتصادي للعراق هي اطروحة الدكتور محمد سلمان حسن المقدمة الى جامعة اوكسفورد عام ١٩٥٨ « عن التجارة الخارجية والتطور الاقتصادي في العراق الحديث ما بين ١٨٦٩ ـ ١٩٣٩ » .

وفيما يتعلق **بالتركيب الاقتصادي والدراسات الاقتصادية الاستعراضية والتطور الاقتصادي في العراق** ، فقد كتب ونشر حوالي الثلاثين اطروحة ومقالة باللغة الانكليزية والفرنسية عن هذا الموضوع كان اهمها اطروحة عبد الرحمن الحبيب عن « بحث في التقدم الاقتصادي في العراق » المقدمة الى جامعة هارفرد عام ١٩٥٦ ، واطروحة عبد الصاحب علوان عن « عملية النمو الاقتصادي في العراق مع الاشارة الى مشاكل وسياسات الارض » المقدمة الى جامعة وسكونسن في السنة نفسها ، وكتاب فهيم قبعين عن « اعمار العراق ١٩٥٠ – ١٩٥٧ » المنشور عام ١٩٥٨ ، واطروحة خير الدين حسيب للدكتوراه عن « تقدير الدخل القومي في العراق ١٩٥٣ ـ ١٩٥٦ » المقدمة لجامعة كمبردج عام ١٩٥٩ ، وكذلك اطروحة خليل الشماع عن « التضخم في النمو الاقتصادي للعراق ١٩٥٠ ـ ١٩٦٠ » المقدمة الى جامعة كاليفورنيا عام ١٩٦٢ .

هذا وقد كتب ونشر حول هذا الموضوع بالعربية حوالي الثلاثين كتاباً وبحثاً مستقلاً وما يزيد على العشر مقالات وبحوث في مجلات مختلفة وكان من اهم ما نشر من كتب باللغة العربية كتاب سعيد حماده عن « النظام الاقتصادي في العراق » وكتاب عبد الرحمن الجليلي عن « محاضرات في اقتصاديات العراق » وجعفر خياط عن « القرية العراقية » وعبد المجيد حسن ولي وعلاء الدين الربيعي عن « احوال العراق الاجتماعية والاقتصادية » وكتابا عبد الرزاق الهلالي عن الريف العراقي وكتاب « الجبايش » (دراسة انثروبولوجية) لشاكر مصطفى سليم ، وبعض البحوث القصيرة لجان ارنست ومحمد سلمان حسن وصالح حيدر وعبد الصاحب علوان ومحمد جواد العبوسي . كما كان من اهم المقالات العربية التي ظهرت في هذا الصدد مقالة خير الدين حسيب في مجلة الصناعي لعام ١٩٦٣ عن نتائج تقدير الدخل القومي ما بين ١٩٥٣ ـ ١٩٦١ .

اما عن **السكان والقوة العاملة** فقد كانت اطروحة جواد غالي الماجستير المقدمة الى جامعة نورث كارولينا عام ١٩٦٠ عن « تركيب السكان في العراق مع الاشارة الى الهجرة » ومقالة محمد سلمان حسن المنشورة في مجلة معهد الاحصاء في جامعة اوكسفورد عام ١٩٥٩ عن « الشعب العراقي نموه وتركيبه (وقد نشرت ترجمتها العربية في مجلة الثقافة الجديدة عام ١٩٦٠) من اهم ما ظهر بالانكليزية عن الموضوع . كما كان من اهم المقالات التي ظهرت بالعربية حول الموضوع ما نشره منصور الراوي في مجلة الاقتصادي عام ١٩٦٠ عن « حجم السكان ونموه واثر ذلك في مستقبل التطور الاقتصادي في العراق » ونوري خليل البرازي في مجلة الآداب عام ١٩٦٢ عن « السكان في العراق » وعبد الجليل الظاهر في مجلة الكمارك والمكوس عام ١٩٥٨ عن « اثر عامل السكان في السياسة الدولية » . كما نشر عدد من

المقالات عن التعليم والتدريب المهني والصناعي مما ادخلناه تحت هذا الباب من دراسة الاقتصاد ايضاً .

وقد حظيت **الارض والزراعة** في العراق باهتمام كبير في كتابات الاقتصاديين العرب ، فقد كتب عنها حوالي خمسة عشر كتاباً واطروحة ومقالة باللغة الانكليزية وتعتبر هذه الاطروحات والكتب الانكليزية من اهم ما كتب عن الموضوع (باللغتين) وكان في مقدمتها اطروحة صالح حيدر عن مشاكل الارض في العراق المقدمة للدكتوراه لجامعة لندن عام ١٩٤٢ واطروحة حسن الثامر عن « السياسة الزراعية في العراق » المقدمة للدكتوراه الى جامعة كاليفورنيا عام ١٩٥٤ وكتاب حسن محمد علي عن « اصلاح الارض والاستيطان في العراق » الذي نشر عام ١٩٥٥ ، واطروحة عبدالله ياسين عن « الفلاح العراقي » المقدمة للدكتوراه الى جامعة باريس عام ١٩٥٧ . كما يضاف اليها اطروحات الماجستير لشاكر ناصر حيدر عن « سياسة الارض وتطور الزراعة في العراق » المقدمة لجامعة ويسكونسن عام ١٩٥٥ واطروحة هادي عباس علي عن « الاصلاح الزراعي في العراق » المقدمة لجامعة كنساس عام ١٩٦٣ . اما ما نشر في العربية حول هذا الموضوع ، فقد بلغ حوالي عشرين كتاباً وما يزيد على الخمسين مقالة ، من احسنها ما كتبه محمد جواد العبوسي عن « محاضرات في مشكلات التقدم الاقتصادي في العراق - الجزء الاول القطاع الزراعي » الذي نشر عام ١٩٥٨ وعبد الصاحب علوان عن « دراسات في الاصلاح الزراعي » الذي نشر عام ١٩٦١ ، وكتاب عبد الرزاق الظاهر عن « الاقطاع والديوان في العراق » الذي نشر عام ١٩٤٦ . كما كان من اهم المقالات العربية مما كتبه حسن الثامر في مجلة الاقتصادي وعبد الصاحب علوان في مجلة الزراعة العراقية وفي الاقتصادي ، وعبد الصاحب علوان في مجلة الزراعة العراقية وفي الاقتصادي ، ومحمد سلمان حسن في مجلة الثقافة الجديدة ، وخليل فدو وحسن كشاني ، وحسن محمد علي ، وكاظم سرسم ، في مجلة الزراعة العراقية .

اما عن **النفط والصناعة** فقد كان من اهم ما كتب في الانكليزية عن النفط هو اطروحة عبد الحميد عزت بالفرنسية حول « مسألة النفط في العراق » المقدمة الى جامعة باريس للدكتوراه عام ١٩٥٦، واطروحتان للماجستير الواحدة من قبل فخر الدين الخليل عن « عوائد النفط وتأثيرها على التقدم الاقتصادي في العراق » المقدمة للجامعة الاميركية في بيروت عام ١٩٥٨، والاخرى لنعم وهاب عن دراسة في « تطور النفط وتسويقه » المقدمة الى جامعة كاليفورنيا عام ١٩٥٦، كما كان من اهم الكتب والابحاث العربية عن النفط، كتب كل من محمد جواد العبوسي عن « البترول في البلاد العربية » (١٩٥٥)، وكتاب حكمت سامي سليمان عن « النفط في العراق » (١٩٥٨) ونديم الباجه جي عن « حقائق وارقام عن سياسة النفط » (١٩٥٨) وابراهيم كبة عن « النفط والازمة العالمية » (١٩٥٧). اما عن الصناعة، عدا النفط، فقد كان من اهم ما صدر باللغات الاجنبية منها اطروحة جان ارنست بالافرنسية عن « تصنيع العراق » المقدمة للدكتوراه الى جامعة باريس عام ١٩٥٤، واطروحات الماجستير لكل من خليل الشماع عن « دور المصرف الصناعي في التطور الصناعي في العراق » المقدمة الى الجامعة الاميركية ببيروت عام ١٩٥٦ واطروحة رضا خضيري عن « العمل والصناعة في العراق » المقدمة الى جامعة ميسيسيبي عام ١٩٥٧

اما ما صدر من مقالات حول النفط والصناعة، فقد كان من اهمها ما كتبه عبد الغني الدلي، ومحمد جواد العبوسي، وشيت نعمان، ومحمد سلمان حسن، وسالم خليل اسماعيل، وحميد القيس، ومصطفى الرجب، ومنير سعيد، وطاهر كنعان .

اما ما كتب عن **النقل والمواصلات** فلا يتعدى مقالات قليلة في مجلتي غرفة تجارة بغداد والكمارك والمكوس، اهمها مقالة حسن الدجيلي عن تأسيس شركة ملاحة عراقية في مجلة غرفة تجارة بغداد عام ١٩٥٢ .

واما عن **التجارة**، فقد كان كتاب مظفر حسين جميل عن « سياسة العراق التجارية » (١٩٤٩) من اهم الكتب القليلة التي كتبت حولها. كما كتب ما يزيد على الاربعين مقالة عن الموضوع باللغة العربية، نشر معظمها في مجلة غرفة تجارة بغداد، وكان من اهمها ما كتبه كل من عبد الرحمن الجليب، وعبد الحسن زلزلة ومير بصري، ويعقوب بلبول، ومحمد كامل الخضيري، وحافظ التكمة جي، وناظم الزهاوي، ومحمد صالح الختاق، وصاحب حميد المستوفي.

واما عن **التمويل** فكانت اطروحة محمود جمال العبوسي بالفرنسية عن« مشاكل استثمار رؤوس الاموال الاجنبية بالعراق » وهي اطروحة للدكتوراه قدمت الى جامعة باريس عام ١٩٥٢، من اهم ما كتب حول الموضوع باللغة الاجنبية كما كان كتاب عبد الرزاق الهلالي عن « مشاكل الائتمان الزراعي في العراق » اهم كتاب باللغة العربية عن الموضوع. كما كانت هنالك خمس عشرة مقالة في العربية عن الموضوع كان من اهمها مقالات يوسف الالوس، وحسن الاسدي، وحسن الدجيلي وعبد الغني الدلي، وصاحب حميد المستوفي، وسعيد الساسرالي، وهذه المقالات موزعة بين مجلات التجارة والكمارك والمكوس والصناعي والاقتصادي.

اما عن **النقود والبنوك** فقد كتبت خمس اطروحات عن الموضوع باللغة الانكليزية اربع منها للدكتوراه، كان من اهمها اطروحة عبد الحسن زلزلة عن « العراق في المنطقة الاسترلينية ١٩٣٢ – ١٩٥٤ » المقدمة لجامعة انديانا عام ١٩٥٧، واطروحة فوزي القيسي عن « دراسة نقدية للبنك المركزي في العراق » المقدمة الى جامعة كاليفورنيا عام ١٩٥٧ واطروحة عبد المنعم سيد علي عن « دراسة النظام المصرفي ودوره في التقدم الاقتصادي في العراق » المقدمة لجامعة جورج واشنطن عام ١٩٥٨، واطروحة هشام الشواف بالافرنسية عن « المنطقة الاسترلينية » المقدمة

لجامعة باريس عام ١٩٥٢، وكذلك اطروحة يوسف الاوس للماجستير المقدمة للجامعة الاميركية في بيروت عن « النقود والبنوك في العراق » . اما ما نشر من كتب بالعربية ، فقد كان من اهمها كتاب عبد الرحمن الجليلي عن « النظام النقدي في العراق » الذي نشر عام ١٩٤٦ . واما المقالات العربية عن الموضوع فقد كان من اهمها مقالات عبد الحسن زلزلة ، وجان ارنست ، وسعدي ابراهيم ، وعبد المنعم سيد علي ، وتليها مقالات محمد حديد ، ومجيد بصري ، ويعقوب بلبول ، ومحمد عزيز ، وكاظم عبد الحميد ، وسعيد السامرائي ، وعبد الرزاق الربيعي .

اما **المالية العامة** فقد ظهرت عنها ثماني اطروحات سبع بلغات اجنبية،فيها ست[؟] للدكتوراه واثنتان للماجستير . وكان من اهمها اطروحة سعدون حمادي عن « الضرائب الزراعية في العراق » التي قدمت الى جامعة ويسكونسن عام ١٩٥٧ ، وتليها اطروحات كاظم السعيدي بالافرنسية المقدمة لجامعة باريس عام ١٩٥٣ عن « الجوانب الفنية والاقتصادية لايرادات العراق » ، واطروحة طارق المتولي عن « النظام الضرائبي في العراق ، دراسة الضرائب في بلد متطور » والمقدمة الى الجامعة الاميركية في واشنطن عام ١٩٥٧ واطروحة صلاح نجيب العمر عن « ضريبة التركات في سويسرا وفرنسا » المقدمة الى جامعة جنيف عام ١٩٥٩ ، واطروحة عبد العال الصكبان عن « الضرائب على التركات » المقدمة الى جامعة القاهرة عام ١٩٦٣ . كما كانت هنالك اطروحتان للماجستير احداهما لوائل المقدادي عن « ميزانية العراق » قدمت الى لجامعة بنسلفانيا عام ١٩٥٧ ، واخرى لسالم معلم عن « النظام المالي في العراق » قدمت الى الجامعة الاميركية ببيروت عام ١٩٤٤ . كما ظهرت في عام ١٩٦٢ مقالة مهمة بالانكليزية لكزين رشيد عن « تطور ضريبة الارض الزراعية في العراق الحديث » في مجلة مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية

التابعة لجامعة لندن وأما بالعربية فقد ظهر عدد من الكتب عن هذا الموضوع اهمها كتاب سعدي ابراهيم عن « ميزانية الدولة » (٥٦ ـ ١٩٥٧) وكتاب مجيد عزت عن « المالية العامة ـ الجزء الاول النفقات العامــة » (١٩٦٠) ، وكتاب هاشم الجعفري عن « مبادىء المالية العامة والتشريع المالي » (١٩٦١) كما ظهر قبلها كتاب لاحمد عبد الباقي عن ج « ميزانية الدولة العراقية ، تحضيرها وتحليلها » (١٩٤٧) وكتيب لجان ارنست عن « السياسة المالية في العراق » (١٩٦٢) . كما نشر ما يزيد على خمس عشرة مقالة عن الموضوع باللغة العربية ، كان من اهمها مقالات محمد جواد العبوسي ، وطارق المتولي ، وكاظم السعيدي ، وهاشم الجعفري ، وسلمان الاسود ، في مجلات التجارة ، والكمارك والمكوس ، والاقتصادي ، ومجلة كلية الآداب .

والقسم الاخير يتناول **الدراسات الاقتصادية المقارنة للعراق ودول اخرى وما كتبه الاقتصاديون العراقيون عن الدول العربية الاخرى او غيرها من العالم** . ومما يلاحظ في هذا المجال ان مدى اهتمام الاقتصاديين بغير العراق كان قليلاً وهو امر طبيعي بالنسبة لهذه الفترة من تاريخ العراق وتطور الدراسات الاقتصادية فيه . كما ان اهتمام الاقتصاديين العرب مــن غير العراقيين باقتصاديات العراق كان قليلاً ايضاً . ومن اهم ما كتبه الاقتصاديون العراقيون بالانكليزية في هــذا الباب كتاب فخري شهاب عن « الضرائب التصاعدية » في المملكة المتحدة (١٩٥٣)، واطروحات الدكتوراه لفؤاد عبدالله عن « الانتاجية للتصنيع ، والنمو الاقتصادي في مصر ، العراق ، وتركيا » التي قدمت الى جامعة بنسلفانيا عام ١٩٥٧ ، واطروحة صلاح نجيب العمر ، التي سبقت الاشارة اليها عن « ضريبة الارث في سويسرا وفرنسا » واطروحة خطاب العاني في الجغرافيــة الاقتصادية عن « مشروع الجزيرة في السودان كمثال للتطور في العالم العربي » التي قدمها الى جامعة كولومبيا عام ١٩٥٩ ، وكذلك

اطروحة منعم عبد الوهاب عن « النفط الاقتصادي في الكويت » التي قدمها الى جامعة كاليفورنيا عام ١٩٥٩ ، واطروحة عبد الرسول سلمان عن « توزيع الفوائد من زيادة الانتاجية » المقدمة الى جامعة كولومبيا عام ١٩٥٩ والتي فيها تطبيق على صناعات امريكية. كما كتب كل من عبد الصاحب علوان وهادي علوان اطروحة ماجستير عن نواحي معينة من اقتصاديات الزراعة في امريكا ، وساهم باطروحات الماجستير كل من توفيق حسن محمود عن صناعة التمور في وادي كوشيلا في كاليفورنيا قدمت الى جامعة كاليفورنيا عام ١٩٥٨ ، وعبد الواحد المخزومي عن « التقلبات في صناعة الفولاذ وعلاقتها بتقلبات الاعمال في الولايات المتحدة ١٩٥٠ ـ ١٩٦٠ » المقدمة الى جامعة ايوا عام ١٩٦١ .

وكان من اهم الكتب التي وضعها اقتصاديون عراقيون بالعربية التي تعددت حدود العراق هي ما كتبه يونس صالح الجويشي عن « طريق الوحدة الاقتصادية والبلاد العربيـة » (١٩٥٦) و « تطور اقتصاديات الشرق العربي » (١٩٥٦) و « المغرب العربي في طريق التطور والاتحاد الاقتصادي » وكذلك الكتيب الذي نشره سعيد السامرائي عن « السوق الاوربية المشتركة واثرها على العراق والبلاد العربية » (١٩٦٣) كما نشر حسن احمد السلمان خلاصة مترجمة لتقرير الامم المتحدة عـن « الاوضاع الاقتصادية في الشرق الاوسط » وذلك عام ١٩٥٣ . كما ظهر عدد من المقالات باللغة العربية لاقتصاديين عراقيين كان من اهمها مقالات عبـد الرحمن الحبيب في مجلة الصناعي عن « مشروع الوحدة العربية الاقتصادية في الميزان » و « السوق العربية المشتركة » ، ومقالة عبـد المحسن زازلة في الصناعي ايضاً عن « اثر السوق الاوربية المشتركة على الاقتصاد العراقي » ومقالة عبـد الرحمن الجليلي عن « التصميم الاقتصادي للبلاد العربية » في مجلة الكمارك والمكوس ، ومقالة منصور الراوي المقارنة في مجلة الآداب عن « الامية والتخلف الاقتصادي » وعـدد اخر من

المقالات ابهي زكي ، وسامي السراج ، وعلي كاشف الغطاء ، وسليم طه التكريتي ، وعبد الامير كبة ، وصاحب حميد المستوفي .

اما ما كتبه الاقتصاديون العرب خارج العراق عــن العراق مباشرة او ضمن كتاباتهم عن البلاد العربية ككل ، فاهمها كتاب سعيد حمادة عن « النظام الاقتصادي في العراق (١٩٣٨) واطروحتا الماجستير المقدمتان للجامعة الامريكية في بيروت الاولى من قبل برهان الدجاني عن « الاهمية الاقتصادية للوحدة بين العراق ، سوريا لبنان ، شرق الاردن ، وفلسطين » (١٩٤٤) ، والثانية من قبل سامي العلمي عن « امكانيات التصنيع ضمن اتحاد كمركي من العراق ، سوريا ، لبنان ، فلسطين ، وشرق الادنى » (١٩٤٦) كما نشر الياس سابا مقالة عن « الاصلاح الزراعي في مصر وسوريا والعراق في الـ Middle East Forum عام ١٩٥٨ .

هذه خلاصة وعرض عام لاهم ما اسهم به المؤلفون العرب في دراسة الاقتصاد في العراق وعنه ، عن اهم الملاحظات والاتجاهات العامة فيها . واست غافـلاً عن احتمال ان اكون قد اهملت عدداً من الكتب والمقالات مما لم تتسح لي الفرصة الاطلاع عليها ، ولكن عذري انها محاولة اولية ارجو ان اوفق انا او غيري لاستكمال نواقصها في المستقبل .

ملحق رقم (١)

ما ساهم به المؤلفون العرب خلال المائة سنة الاخيرة في موضوع الاقتصاد في اللغة الانكليزية

١ ـ الكتب والنشرات الانكليزية

Ali Hassan Mohammad Ali — Land Reclamation and Settlement in Iraq.

(The Baghdad Printing Press, 1955, 210 p.)

Barazi, Al- Nuri K. — The Geography of Agriculture in Irrigated Areas of the Middle Euphrates Valley.

(Published Ph.D. Thesis, volumes I and II, Al-Aani Press, Baghdad, 1961 and 1963).

Damluji, Faysal — Some Aspects of Modern Iraq.

(London, Diplomatic Press and Publishing Co., 1952, International Studies, Series, No. 19).

Haidari, Darwish — The Development of Iraq.

FAO Documentation on Center on Land Problems in the Near East, Salahuddin, Iraq, October 1955.

Haider, Salih — The Land and Tribe in Iraq.

FAO Documentation on Center on Land Problems in the Near East, Salahuddin, Iraq, October 1955.

Homsi, Al- M.M. — Economic Growth Potential.

(Published Ph.D. Thesis, Netherlands Economic Institute, Rotterdam, 1962, 103 p.)

Shehab, F. — Progressive Taxation (Oxford Press, 1953).

Susah, Ahmad — Irrigation in Iraq, its History and Development.

Baghdad, New Publishers Iraq, 1945.

Zaki, Mamduh — Iraq Yearbook 1953.

Bagdad Printing Press, 1953.

٢ ـ الاطروحات ، الرسائل) غير المنشورة باللغة الانكليزية

Abdulla, Fuad A. — Productivity, Industrialization, and Economic Growth, Egypt, Iraq and Turkey.
Ph.D. Thesis, University of Pennsylvania, 1957.

Abdul Wahab, Moneim — Petroleum and Economic Growth in Kuwait.
Ph.D. Thesis, University of California, 1959

Akrawi, Azhar Said — The Role of the Development Board in the Agricultural Growth of Iraq.

M.A. Thesis, University of Tulane, 1958, 64 p.

Alami, Sami — Possibilities of Industrialization within a Customs Union of Iraq, Syria, Lebanon, Palestine, and Transjordan.

M.A. Thesis, American University of Beirut, 1946, 178 p.

Ali, Abdul Munim — A Study of the Banking System and its Role in the Economic Development of Iraq.

Ph.D. Thesis, George Washington University, 1958, 411 p.

Ali, Hadi Abbas — The Agrarian Reform in Iraq.

M. Sc. Thesis, Kansas State University, 1963, 67 p.

Allus, Usuf Ra'uf — Money and Banking in Iraq.

M.A. Thesis, American University of Beirut, 1957, 182 p.

Alwan, A.S. — State Intervention in Agriculture in the United States and Iraq.

Master's Thesis, the University of Southern California, Los Angeles, 1953, 203 p.

Alwan, A.S. — The Process of Economic Development in Iraq with Special Reference to Land Reform and Policies.

Ph.D. Thesis, University of Wisconsin, 1956, 572 p.

Alwan, Hadi — Some Aspects of the United States Farm Credit System with Reference to Iraq Agriculture.

M.A. Thesis, University of Southern California, Los Angeles, 1953. 104 p.

Alwan, Hadi — The Investment Performance of Low Yielding Stocks with Relevance to the Market Appraisal and Valuation of Prospective Growth

Ph.D. Thesis, University of Wisconsin, 1959, 162 p.

Al-Ameen, Abdul Wahab Yassin — The Role of Private Investment in the Economic Development of Iraq

B.A. Thesis. College of Arts, University of Baghdad, 1960, 116 p.

Al-Ani, Khattab Saggar — The Gezira Scheme in the Sudan as an Example of Development in the Arab World.

Ph.D. Thesis, Columbia University 1959.

Aqrawi, Matta — Curriculum construction in the public primary schools of Iraq in the light of a study of the political, economic, social, hygienic and educational conditions and problems of the country, with some reference to the education of teachers; a preliminary investigation.

Ph.D. Thesis, Columbia University, 1942. (With sections on agriculture, industry and commerce).

Baqir, Ghalib M. — The Productive Forces nad the Social Economic Development of Iraq.

M.A. Thesis. St. Louis University, 1960.

Dajani, Burhan — The Economic Significance of a Unity Between Iraq, Syria, Lebanon, Transjordan, and Palestine.

M.A. Thesis, American University of Beirut, 1944, 168 p.

Elissa, Nazar Sadeldien — Agricultural Cooperative Marketing in Relation to Foreign Trade in Iraq.

M.Sc. Thesis, University of Maryland, 1960.

Feel, Al- Muhammad R — The Historical Geography of Iraq Between the Mongolian and Ottoman Conquests. (1258-1534 A.D.)

Ph.D. Thesis. University of Reading, 1959. (It includes chapters on Agriculture, Industry, Communications, and Trade).

Ghali, L. Jawad M. — Population Composition of Iraq with Special Attention to Migration.

M.A. Thesis, University of N. Carolina, 1960.

Habeeb, A- Abdul Rahman — An Enquiry into the Economic Development of Iraq.

Ph.D. Thesis, Harvard University, Cambridge, Mass. 1956, 483 p.

Hadbai, Saleh Rashid — The International Finance Corporation and Expansion of Private Investment in the Less-developed Countries.

M.A. Thesis, Boston University, 1960.

Hassan, M.S. — Foreign Trade and Economic Development in Modern Iraq 1869-1930 (?)

Ph.D. Thesis, Oxford University, 1958.

Haider, Saleh — Land Problems of Iraq.

Ph.D. Thesis, London University, 1942.

Haider, Shakir Nasir — Land Policy and the Development of Agriculture in Iraq.

M.S. Thesis, University of Wisconsin, 1955, 108 p.

Hammadi, Sadun Lawlah — Agricultural Taxation in Iraq.

Ph.D. Thesis, University of Wisconsin, 1957, 313 p.

Haseeb, Khair el-Din — An Estimate of the National Income of Iraq, 1953-1956.

Ph.D. Thesis, University of Cambridge, Part I & II, 1959, 838 p.

Kaissi, El- Fawzi A. — Critical Analysis of Non-Commercial Banks in Iraq.

M.A. Thesis, University of S. Cal., Los Angeles, 1954, 204 p.

Kaissi, El- Fawzi A. — Critical Analysis of Central Banking in Iraq.

Ph.D. Thesis, University of South, California, 1957, 458 p.

Khadhiri, Ridha — Labor and Industry in Iraq.

M.Sc. Thesis, University of Missisippi, 1957.

Khalil, Al- F.K. — Oil Revenues and Their Role in the Economic Development of Iraq.

M.A.Thesis, American University of Beirut, 1958, 108 p.

Mahdi, Al- Mohammed S. — Recent Trends in the Economic Development of Iraq.

M.A. Thesis, University of Pennsylvania, 1957-1958, 68 p.

Mahmud, Tawfik Hassan — Processing and Marketing Aspects of the Date Industry in the Coachella Valley, Cal.

M.A. Thesis, California, University, 1958.

Makhzoumi, Al- Abdul W. — Fluctuations in the Steel Industry and Their Relations to Business Fluctuations in the United States During the Period 1950-1960.

M.A. Thesis, State University of Iowa, 1961, 71 p.

Miqdadi, El- Wael — The Budget of Iraq.

M.A. Thesis, University of Pennsylvania, 1957, 123 p.

Mohammad, Abdul Munim R. — The Abbasid Caliphate 575/1179 — 656/1258.

Ph.D. Thesis, University of London 1963 (Chapter V on finance of the Caliphate pp. 209-243).

Mu'allim, Salim — The Fiscal System of Iraq.

M.A. Thesis, American University of Beirut, 1944, 241 p.

Mutwalli, Tariq — The Tax System of Iraq: A Study of Taxation in a Developing Country.

Ph.D. Thesis, The American University, Washington, D.C., 1957, 539 p.

Salman, A., Rasul — The Distribution of Grains from Advancing Productivity.

Ph.D. Thesis, Columbia University, 1959, 182 p.

Shamma', Al- Khalil — Marketing of Wheat and Barley.

B.A. Thesis, American University of Beirut, 1957, 374 p.

Shamma', Al- Khalil — The Role of the Industrial Bank in the Industrial Development of Iraq.

M.A. Thesis, American University of Beirut, 1959, 156 p.

Shamma', Al- Khalil — Inflation in the Economic Development of Iraq 1950-1960.

Ph.D. Thesis, University of Cal. U.S.A., 1962, 874 p.

Thamir, Hassan — Agricultural Policy in Iraq.
Ph.D. Thesis, University of California, Berkeley, 1954.

Wahab, Moneim A. — A Study in Oil Development and Marketing.
M.A. Thesis, University of Cal., Los Angeles, 1956, 70 p.

Zalzalah, Abdul Hassan — Iraq in the Sterling Area, 1932-54.
Ph.D. Thesis, Indiana University, 1957, 534 p.

٣ ـ المقالات الانكليزية

Dulli, Ad- Abd al Gani — Problems of Industrial Enterprise in Iraq.
(In Middle East Economic Papers, American University of Beirut, 1954).

Ali, El- Saleh A. — Muslim Estates in Hidjaz in the First Century A.H.
(In Journal of Economic and Social History of the Orient, V. II, part 3, 1959, pp. 247-261).

Ani, Al- Khattab Saqqar — The Partnership System in the Gezira Scheme.
(The Economist, v. II, No. 1, July, 1961, pp. 20-33).

Ash-Shabandar, Musa — Economic Development of the Tigris-Euphrates Valley.
(In Islamic Review, v. 44, p. 18-30, Nov. 1956).

Bajaji, Al- Nadim — Pressing Needs of Iraq Economy.
(In Great Britain and the East, v. 67, pp. 23-25, March 1951).

Dajani, Burhan — The Iraqi National Income.

(In Middle East Forum, Al-Kulliyah, v. 33, p. 3 July 1958).

Dajani, Majid — An Era of Transition.

(In Arab World, New York, v. 4, p. 10-13, November 1958).

Habib, Al- Muhammad — Iraqi Development Board.

(In Southwestern Social Science, Quarterly, v. 36, p. 185-190, Sept. 1955).

Habib, Al- Mahmud M. — The Labour Movement in Iraq.

(In Middle Eastern Affairs, v. 7, p. 137-143, April 1956).

Haidari, Al- Sayyid Darwish — Agriculture-Basis of Iraq's Economy.

(In Iraq Petroleum v. 3, pp. 12-19, 10-14, Aug-Sept. 1953).

Hamidullah, Muhammad — A Euphrates Valley Project.

(In Islamic Review, v. 43, pp. 26-27, December 1955).

Hassan, M. Salman — Towards a Revolutionary Economic Machinery in Iraq.

(In American University of Beirut, Economic Research Institute, Middle East Economic Papers, 1960, pp. 44-54).

Haseeb, Khair El-Din — The National Income of Iraq 1953-1956.

(In the Iraqi Federation of Industries Quarterly Magazine, First Edition, August 1960, pp. 9-83).

Haseeb, Khair El-Edin — The Contribution of Electricity and Water Industry to the National Income of Iraq, 1953-1961.

(Al-Muhandis, No. 3, 6th Year, Serial 23, Oct. 1962, pp. 12-20).

Haseeb, Khair El-Din — National Income of Iraq 1953-1961.

(Al-Sinai, Iraqi Federation of Industries Quarterly Magazine, 4th Year, No. 1 & 2, June 1963).

Jamali, Fadhil — Kingdom of Iraq.

(In Les Conferences du Cenacle, v. 7, pp. 165-194, May 16, 1953).

Jamil, Fuad — Development Projects and Economic Progress in Iraq.

(In Islamic Review, v. 42, pp. 14-16, March 1954).

Jibrail, Dr. Wadi' — The Golden Feet of Iraq.

(The British Veterinary Journal, v. 112, No. 5, May 1956).

Kaissi, El- Fawzi A. — The Economic Development of the Republic of Iraq.

(Cultural Attaché of the Embassy of Iraq Publication, 1959, pp. 6-12).

Karam, Yvette Shukri — Commission-Representation in Baghdad.

(The Middle East Trade Directory, 1961-1962, Beirut 1962, pp. 1-2).

Katibi, Adnan S. — Iraq's Income Pyramids on Oil Revenues.

(In Oil Forum, v. 9, pp. 392-394, Nov. 1955).

Khesbak, Shakir — The Trend of Population of Sulaimaniyah, Liwa: A Case Study of Kurdish Population.

(In Bulletin of the College of Arts, Baghdad University, v. 1, June 1959, pp. 42-64).

Rasheed, Guzine A. K. — Development of Agricultural Land Taxation in Modern Iraq.

(In the Bulletin of the School of Oriental and African Studies, University of London, v. XXV, part 2, 1962, pp. 262-274).

Saba, Ilyas S. — Land Reform in Egypt, Syria and Iraq.

(In Middle East Forum, Al-Kulliyah, v. 33, pp. 9-11, November-December 1958).

Shehab, F. — Iraq.

(In Bulletin of the Oxford University Institute of Statistics, v. 21, No. 4, 1959, pp. 291-307).

Thamir, Hassan — Problem of Agricultural Credit in Iraq.

(In International Conference on Agricultural and Cooperative Credit. University of California, 1952, pp. 788-802).

Ubusi, Al- Muhammad Jawad — A Study in the Theory of Economic Under-Development with Special Reference to Iraq.

(In Middle East Economic Papers, 1954, pp. 133-155).

Ukail, Al- M.G. — Natural Gas in the OPECA Area.

(In the Industrialist, No. 4, 3rd Year, December 1962, pp. 1-21).

Zalzalah, Dr. Abdul Hassan — The Devaluation of Iraqi Dinar.

(In the Economist, v. III, No. 1, April 1962, pp. 3-40).

ملحق رقم (٢)

ما ساهم به المؤلفون العرب خلال المائة سنة الاخيرة في موضوع الاقتصاد في العراق باللغة العربية

ا - الكتب العربية

(أ)

ابراهيم ، سعدي

مبادىء الاقتصاد السياسي (الجزء الاول) - الطبعة الثالثة
(مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٦٠ ، ٣٣٦ ص)

ابراهيم ، سعدي

مبادىء الاقتصاد السياسي (الجزء الثاني)
(بغداد - مطبعة العاني - ١٩٥٧ ، ص ٣٣٦)

ابراهيم ، سعدي

ميزانية الدولة

(مطبعة المعارف ، بغداد ٥٦ - ١٩٥٧ ، ١٨٢ ص)

احمد ، ضيا. وعبد الصاحب علوان وعبد المجيد حبيب القيسي وعبد الرازق الهلالي
الاقتصاد الزراعي ومشكلاته
(جمعية المؤلفين والكتاب العراقيين ، مكتبة النهضة ، بغداد ، ص ٦٣)

ارنست ، جان
بحوث في اقتصاديات العراق
(مطبعة الجمهورية ، بغداد ، ١٩٦٢ ، ص ٩٤)

ارنست ، جان
السياسة المالية في العراق
(مطبعة الجمهورية ، بغداد ، ١٩٦٢ ، ٥٧ ص)

ارنست جان (جان حكيم باشي)
نظرية الدخل والاستخدام
(مطبعة النجاح ، بغداد ، ١٩٥٧ ـ ١٩٥٨ ، ص ٢٧٢)

الامين ، عبد المطلب
مبادىء السوق وجغرافية العراق
(مطبعة الجيش – بغداد ١٩٤٦)

(ب)

الباجه‌جي ، نديم
حقائق وارقام عن سياسة النفط
(بغداد ، ١٩٥٨ ، ص ١١١)

بصري ، مير
مباحث في الاقتصاد العراقي
(بغداد ١٩٤٨ ، ٢٩٣ ص)

(ج)

الجاسم ، محمد علي رضا

دروس في العلاقات الاقتصادية الدولية

(بغداد – مطبعة شفيق ١٩٦١ ، ٢٤٨ ص)

الجاسم ، محمد علي رضا

القواعـد الاساسية في الاقتصاد التطبيقي (النقـود – الائتمان – المصارف – التجارة)

(مطبعة شفيق ، بغداد ، بدون تاريخ ، ص ٣٤٤)

الجعفري ، هاشم

مبادىء المالية العامة والتشريع المالي

(الطبعة الثانية ، مطبعة سلمان الاعظمي ، بغداد ١٩٦١ ، ص ٤٣٥)

الجليلي ، عبد الرحمن

النظام النقدي في العراق

(مصر ، مطبعة نهضة مصر ١٩٤٦ ص ٣٧٨)

الجليلي ، عبد الرحمن

محاضرات في اقتصاديات العراق

(معهد الدراسات العربية العالية ، جامعة الدول العربية ، مطبعة الرسالة ، القاهرة ، ١٩٥٥ ص ٢٦٥)

الجليلي ، محمد سعيد

نظرات في مشاريع مجلس الاعمار

(الموصل ، المطبعة الشرقية ، ١٩٥٤ ، ص ٥٣)

جميل ، مظفر حسين

سياسة العراق التجارية
(اطروحة دكتوراه منشورة ، القاهرة ، مطبعة نهضة مصر ، ١٩٤٩)
جواد ، هاشم
البناء الاجتماعي للعراق
(القدس — ١٩٤٥)
الجندي ، محمود
المشكلة الزراعية في العراق
(دار منشورات البصري ، مطبعة الهلال ، بغداد ١٩٥٠ ، ٦١ ص)

(ح)

الحاج ، عزيز
حول بعض المفاهيم الاساسية في الاشتراكية العلمية
(منشورات مكتبة النور ، مطبعة الرابطة ، بغداد ١٩٥٩ ص٨٥)
الحريشي ، يونس صالح
طريق الوحدة الاقتصادية والبلاد العربية
(بيروت ، مطابع دار العلم للملايين ، ١٩٥٦ ، ص ٢٢٨)
الحريشي ، يونس صالح
تطور اقتصاديات الشرق العربي
(دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٥٦ ، ص ٧٢)
الحريشي ، يونس صالح
اساسات التنمية الاقتصادية
(دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٥٦ ، ص ١٢٧)
الحريشي ، يونس الصالح
المغرب العربي في طريق التطور والاتحاد الاقتصادي

(دار الاندلس للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٥٧ ، ص ١٨٣)

حسن ، محمد سلمان

سياسة الاعمار الاقتصادي في العراق

(ترجمة لكتاب الفه الدكتور توماس بالوك في جامعة اوكسفورد ،مطبعة العاني بغداد ١٩٥٨ ، ص ٢٠٨)

حسن ، محمد سلمان

طلائع الثورة العراقية : العامل الاقتصادي في الثورة العراقية الاولى

(مطابع جريدة الجمهورية ، بغداد ١٩٥٨ ، ٢٨ ص)

حماده ، سعيد

النظام الاقتصادي في العراق

(بيروت ١٩٣٨ ، ص ٦٦٠)

حنوش ، مكرم سعيد

الاشتراكية على ضوء تجارب الشعوب

بغداد ١٩٦٢ ، ٢٣٤

حيدر ، صالح مهدي

تطوير العراق الاقتصادي

(محاضرة القاها في مؤتمر الغرف التجارية العربية ، بغداد ١٩٥٤)

(خ)

الخلف ، جاسم محمد

محاضرات في جغرافية العراق الطبيعية والاقتصادية والبشرية

(معهد الدراسات العربية العالية ، جامعة الدول العربية ، القاهرة ١٩٥٩ ، ص ٤٤٤)

الخطيب ، حسن

الاقطاع وقانون الاصلاح الزراعي

(منشورات دار الفكر الحديث ، مطبعة الجامعة، بغداد ١٩٥٩ ،١٦٦ص)

الخليلي ، جعفر

التمور قديماً وحديثاً

(مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٥٦ ، ص ٥١٦)

خياط ، جعفر

القرية العراقية

(بيروت ، ١٩٥٠)

خيري ، زكي

تقرير عن مسائل في الاصلاح الزراعي

(منشورات دار بغداد ، مطبعة فريد ، بغداد ١٩٦٠ ، ٩٣ ص)

(د)

الدباغ ، عبد الوهاب

اسس الجغرافية الاقتصادية للمدارس العالية

(الجزء الاول ، بغداد ، ١٩٥٠)

الدباغ ، عبد الوهاب

النخيل والتمور في العراق

(مطبعة الامة ـ بغداد ـ سنة ١٩٥٦)

الدوري ، عبد العزيز

تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري

(اطروحة دكتوراه منشورة ، بغداد ، مطبعة المعارف ، ١٩٤٨ ، ٣٠٢ ص)

(ص)

السامرائي ، سعيد عبود

التصنيع في المناطق المختلفة اقتصادياً

(ترجمة لمجموعة محاضرات البروفسور آرثر لويس بغداد ، ١٩٥٨ ، ص ١٢٠)

السامرائي ، سعيد عبود

التخطيط الاقتصادي ينمي اقتصادنا الوطني

(بغداد ، ١٩٥٩ ، ص ٦٤)

السامرائي ، سعيد عبود

العراق والمنطقة الاسترلينية

(مطبعة التمدن ، بغداد ، ١٩٥٩ ، ٦٤ ص)

السامرائي ، سعيد عبود

الانماء الصناعي وقواعده الاساسية في العراق

(مطبعة النهضة ، بغداد ١٩٦٠ ص ١٢٧)

السامرائي ، سعيد عبود

سبل تصنيع العراق

(مطبعة الاسواق التجارية ، بغداد ، ١٩٦٢ ، ص ٩٦)

السامرائي سعيد عبود

السوق الاوربية المشتركة واثرها على العراق والبلاد العربية

(مطبعة ، اسعد ، بغداد ، ١٩٦٣ ص ٩٦)

السامرائي ، فائق

البناء الاقتصادي

(بغداد ، دارة دجلة للطباعة والنشر ، ١٩٤٧ ، ٦٨ ص)

السعيد ، صادق مهدي

مذكرات اولية في اقتصاد وتشريع العمل

(بغداد ، مطبعة المعارف ، ١٩٦٠ ، ص ٢١٤)

السعيد ، صادق مهدي

اقتصاد العمل العراقي

(بغداد ،مطبعة المعارف ، ١٩٦١ ، ص ٢٧٤)

السلمان ، حسن احمد

الاوضاع الاقتصادية في الشرق الاوسط

(ترجمة لكتاب دورين ورنر بالانكليزية)

(مطبعة دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٩٥٠ ، ص ٢٣١)

السلمان ، حسن احمد

الاوضاع الاقتصادية في الشرق الاوسط

(بغداد ،مطبعة الرابطة ، ١٩٥٣ ، ص ١٢١)

سليم ، شاكر مصطفى

الجبايش ، دراسة انثروبولوجية لقرية في اهوار العراق

(الجزء الاول : مطبعة الرابطة ، بغداد ، ١٩٥٦ ، ٢٥٩ ص)

(الجزء الثاني : مطبعة الرابطة ، بغداد ، ١٩٥٧ ، ٤٨٢ ص)

سليمان ، حكمت سامي

نفط العراق

(دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر ، دمشق ، ١٩٥٨ ، ص٢٢٣)

سليمان ، حكمت سامي

النفط في العراق (دراسة سياسية واقتصادية)
(مطابع دار الايتام الاسلامية الصناعية ، القدس ١٩٥٨ ، ص ١٤١)

سوسه ، احمد
المصادر عن ري العراق
(بغداد ، مطبعة الحكومة ١٩٤٢ ، ص ١٨٦)

سوسه ، احمد
تطور الري في العراق
(بغداد – مطبعة المعارف ، ١٩٤٦ ، ص ٢٣٦)

سوسه ، احمد
خزان هور الشويجه
(بغداد ، مطبعة المعارف ، ١٩٤٧ ص ٢٧)

سوسه ، احمد
مأساة هندسية او النهر المجهول ، نهر المتوكل
(بغداد ، مطبعة الرابطة ، ١٩٤٧ ، ص ٨٨)

سوسه ، احمد
ري سامراء في عهد الخلافة العباسية
(ج ١ ، ٢٨٤ ص ، ج ٢ ، ٣٨٥ ص ، بغداد ، مطبعة المعارف ١٩٤٧ – ١٩٤٨)

السويدي ، توفيق
الاقتصاد السياسي – تأليف شارل جيد
(بغداد ، مطبعة دار السلام ١٩٢٤ ، ص ٦٥٢)

شكاره ، ضيا .

الحياة الاجتماعية والاقتصادية القبلية

(بحث مقدم لحلقة الدراسات الاجتماعية الرابعة للدول العربية ١٩٥٤)

شيت ، نعمان

صناعة العراق في سنة ١٩٥٥

(مطبعة الرابطة - بغداد ١٩٥٥)

الشيباني ، طلعت

واقع الملكية الزراعية في العراق

(منشورات دار الاهالي ، مطبعة الزمان ، بغداد ١٩٥٨ ، ١٩٤ ص)

(ص)

صالح ، زكي

مقدمة في دراسة العراق المعاصر

(بغداد ، مطبعة الرابطة ، ٢٣٥ ص)

الصكبان ، عبد العال

الضرائب على التركات

اطروحة دكتوراه منشورة مقدمة لجامعة القاهرة عام ١٩٦٣

(دار مطابع الشعب ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، ٥٨٤ ص)

الصوري ، محمد علي

الاقطاع في لواء الكوت

(مطبعة اسعد ، بغداد ، ١٩٥٨ ، ص ٢٤٧)

الصوفي ، احمد

ارض السواد

دراسة في الجغرافية التاريخية والخراج

(الموصل مطبعة الاتحاد الجديدة، ١٩٥٥)

(ط)

الطاهر ، عبد الجليل

المزارع التعاونية الجماعية

(منشورات مكتبة النهضة ـ بغداد ١٩٦٠ ، مطبعة العاني ١٠٤ ص)

طرزي ، فؤاد

الماركسية حركة رجعية

(بغداد ، مطبعة النجاح)

(ظ)

الظاهر ، عبد الرزاق

الاقطاع والديوان في العراق

(القاهرة ـ ١٩٤٦)

الظاهر ، محمد

البترول مصدر الطاقة الرئيسي في العراق

(بحث القي في المؤتمر الهندسي العراقي الثاني لنقابة وجمعية المهندسين العراقيين المنعقد في بغداد من ١٩ ـ ٢٣ كانون الثاني ١٩٦٠)

(بغداد ـ مطبعة المعارف ، ص ١٧)

(ع)

عباس ، عبد المجيد

الديموقراطية والاشتراكية والقومية ، ومفترضاتها الاساسية

(مطبعة النجاح ، بغداد ، ٧٥ ص)

عبد الباقي ، احمد

ميزانية الدولة العراقية ، تحضيرها ، وتحليلها
(مطبعة دار الكتاب العربي ، مصر ١٩٤٧ ، ١٦١ ص)

عبد الصاحب ، حاتم
المدرسة الاقتصادية في علم الاجتماع
(مطبعة الجامعة ، بغداد ١٩٤٨ ، ١٢٨ ص)

عبد الغفور ، عبد اللطيف
زراعة الخضروات
(مطبعة الزهراء ، بغداد ، ١٩٥٤)

عبد الوهاب ، عبد الملك
مقالات في الاقتصاد
(مطبعة الارشاد ، بغداد ، ١٩٢ ص)

عبود ، يوسف
مستقبل العراق الصناعي
(منشورات دار الحكمة ، مطبعة الرشيد ، بغداد ١٩٤٥ ، ١١٢ ص)

عبود ، يوسف
مشروع انماء الثروة الوطنية في العراق
(بغداد ، مطبعة النجاح ، ١٩٤٦ ، ص ٦٦)

العبوسي ، محمد جواد
البترول في البلاد العربية
(معهد الدراسات العربية العالية ، جامعة الدول العربية ، مطبعة الرسالة ،
القاهرة ، ١٩٥٥ ، ص ٢٩١)

العبوسي ، محمد جواد

محاضرات في مشكلات التقدم الاقتصادي في العراق ـ الجزء الاول

القطاع الزراعي

(معهد الدراسات العربية العليا ، جامعة الدول العربية ، القاهرة ، ١٩٥٨ ،

ص ٢٥٠)

عجينه ، صالح يوسف

مبادىء علم الاقتصاد

(الجزء الاول الطبعة الرابعة ، بغداد ، مطبعة التمدن ، ١٩٦٠ ، ص ٤١٨)

العزاوي ، عباس

تاريخ النقود العراقية لما بعد العهود العباسية

من سنة (٦٥٦ هـ ـ ١٢٥٨ م الى سنة ١٣٣٥ هـ ١٩١٧ م)

(بغداد – شركة التجارة والطباعة ـ ١٩٥٨ ، ص ٢٤٦)

العزاوي ، عباس

تاريخ الضرائب العراقية

(من صدر الاسلام الى آخر العهد العثماني)

(شركة التجارة والطباعة ، بغداد ١٩٥٩ ، ١٤٨ ص)

عزيز ، محمد

مذكرات في تاريخ المذاهب الاقتصادية

(بغداد ، مطبعة المعارف ، ١٩٥٠ ، ٣١١ ص)

عزيز ، محمد

مذكرات في الاقتصاد الاجتماعي

(بغداد ، مطبعة المعارف ، ١٩٥٠ ، ٢٨٤ ص)

عزيز ، محمد
تاريخ المذاهب الاقتصادية
(مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٥١)

عزيز ، محمد
التاريخ الاقتصادي
(مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٥٢)

عزيز ، محمد
تاريخ الافكار الاقتصادية
(مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٥٦ ، ص ٣٠٩)

عزيز ، محمد
اقتصاد العمل
(مطبعة المعارف ،بغداد ، ١٩٥٨ ، ص ٣٤٠)

عزيز ، محمد
مبادىء الاقتصاد الحديث ، الجزء الاول
(مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٥٩ ، ٤٠٤ ص)

عزيز ، محمد
مبادىء الاقتصاد الحديث ، الجزء الثاني
(مطبعه المعارف ، بغداد ١٩٦٠ ، ص ٤٨٠)

العسكر ، رسول عبد الوهاب
التقدم الاقتصادي بعد الحرب
(بغداد ، مطبعة النجاح ، ص ١٠٠)

العلمي ، موسى

المشروع الانشائي العربي

(بغداد ، مطبعة التفيض ، ١٩٤٦ ، ص ٣٢)

العلوان ، عبد الوهاب

موازين الاعمار الاقتصادي وتطبيقها في العراق

(بغداد ،ابو غريب ، جمعية السنبلة الذهبية – كلية الزراعة،مطبعة الجامعة ص ٢٢)

العلوان ، عبد الصاحب

دراسات في الاصلاح الزراعي

(مطبعة الاسواق التجارية ، بغداد ، ١٩٦١ ، ص ٤٠٨)

عواد ، ميخائيل

المآصر في بلاد الروم والاسلام

(مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٤٨ ، ٩١ ص)

العلي ، صالح احمد

التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة

(بغداد ، مطبعة المعارف ، ١٩٥٣ ، ص ٣٥٦)

عمر ، جابر

الوجه الاقتصادي لاوربا (ترجمة)

(بغداد ، مطبعة دار المعرفة ، ١٩٥٥ ص ٣٢٤)

عمر ، جابر

الاعمار ومشاريعه في العراق

(مطبعة المعارف – بغداد ، ص ٦٠)

(غ)

غنام ، رزق

الازمة الاقتصادية في العراق ، سببها واثرها في حياة الشعب والدولة

(بغداد ، مطبعة الزمان ، ١٩٥٤ ، ٣٦ ص)

(ف)

فهمي ، عبد الجبار

التهريب وخطره على حياة البلاد الاقتصادية

(بغداد ، مطبعة الجامعة ، ١٩٥١ ، ص ١٢١)

فياض ، عبدالله

مشكلة الاراضي في لواء المنتفك

(بغداد — ١٩٥٦)

(ق)

قسطو ، جليل

التنظيم والاعمار

(المطبعة العربية — بغداد — ١٩٥٥ ص ٥٦)

قنبور ، ابراهيم محمد علي

التنظيم الاقتصادي واتحاد غرف التجارة في البلاد العربية والاسلامية

(بغداد ، شركة النشر والطباعة العراقية المحدودة ، ١٩٥٠ ، ص ٢٨٠)

(ك)

كبة ، ابراهيم

ازمة الفكر الاقتصادي

(شركة النشر والطباعة العراقية ، بغداد ١٩٥٣ ، ١٨٨ ص)

كبه ، ابراهيم
النفط والازمة العالمية
(مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٥٧ ، ٤٩ ص)

كبه ، ابراهيم
الاقطاع في العراق
(مطبعة المعارف — بغداد ١٩٥٧ ، ص ٣١)

كبه ، ابراهيم
انهيار نظرية الرأسمالية المخططة
(مطبعة الرابطة ، بغداد ، ١٩٦٠ ، ص ٢٨٨)

الكرملي ، انستاس
النقود وعلم النميات
(المطبعة العصرية ، القاهرة ١٩٣٩ ، ٢٥٩ ص)

كشموله ، فيصل
نظرات في اقتصاديات العراق
(الموصل ، المطبعة الشرقية الحديثة ، ١٩٥٥ ، ص ١٨٨)

(م)

محمد ، صبري
اوليات في علم الاقتصاد
(مطبعة القضاء ، النجف ١٩٥٧ ، ٢٠٨ ص)

مجيد ، عزت
المالية العامة

الجزء الاول : النفقات العامة
(مطبعة النجوم ، بغداد ١٩٦٠ ، ١٣٤ ص)

مصطفى ، بشير
مقدمة في الاقتصاد السياسي
(مكتبة الثقافة الجديدة ١٩٥٩ الموصل ، ٥٤ ص)

(ن)

النقشبندي ، ناصر
الدينار الاسلامي في المتحف العراقي
ج ١ ، ٢٣٥ ص ٨ لوحات ، منشورات المجمع العلمي العراقي ، بغداد (مطبعة الرابطة ١٩٥٣)

الناهي ، صلاح الدين
مقدمة في الاقطاع ونظام الاراضي في العراق
(بغداد مطبعة دار المعرفة ، ١٩٥٥ ، ص ٨٧)

النعيمي ، محمد سليم
تعريف الاشتراكية
(بغداد ، دار دجلة للطباعة والنشر ، ١٩٤٧)

الهاشمي ، طه
مفصل جغرافية العراق
(بغداد ، ١٩٣٠)

الهلالي ، عبد الرزاق
معجم العراق

(بغداد ، مطبعة النجاح ، ١٩٥٣ ص ، ٣٢٨)

الهلالي ، عبد الرزاق

نظرات في اصلاح الريف (طبعة ثالثة)

(دار الكشاف ، بيروت ، ١٩٥٤ ، ص ١٥٦)

الهلالي ، عبد الرزاق

مشاكل الأئتمان الزراعي في العراق

(الطبعة الاولى ، بغداد ، مطبعة النجاح ، ١٩٥٧ ، ٢٩٦ ص)

الهلالي ، عبد الرزاق

الهجرة من الريف الى المدن

(بغداد ١٩٥٨)

الهلالي ، عبد الرزاق

الريف والاصلاح الاجتماعي في العراق

(شركة الطبع والنشر الاهلية ، بغداد ١٩٦٠ ، ص ١٤٤)

وصفي ، ماهر سعيد

بحث في الاقتصاد الماركسي ترجمة لكتاب جون روبنسون

(المطبعة العربية ، بغداد ١٩٦٢ ، ١٠٤ ص)

ولي ، عبد المجيد حسن - الريس ، علاء الدين

احوال العراق الاجتماعية والاقتصادية

(مطبعة الرشيد - بغداد ١٩٤٦ ، ٢١٧ ص)

٢ — المقالات العربية

أ . ب

عمل الطاباق في العراق

مجلة لغة العرب — العدد (١٢) حزيران ١٩١٣ ، ص ٥٦٠ — ٥٦٦

حلمي ، ابراهيم

حالة العراق التجارية

مجلة لغة العرب ، العدد (١١) ايار ١٩١٣ ، ص ٤٩٨ ـ ٥٠٤

ابراهيم ، سعدي

خروج العراق من المنطقة الاسترلينية

في مجلة المعلم الجديد ، ١٩٥٩

ابو سعد

القيمة والرأسمالية

في الثقافة الجديدة ، العدد العاشر ، السنة السابعة، اب ١٩٥٩ ، ص ٨٣—٩٠

وهو بحث اعد باللغة الفرنسية من قبل هنري دني استاذ الاقتصاد السياسي بكلية الحقوق في رين — فرنسا .

الي رياض

آدم سميث ١٧٢٣ — ١٧٩٠

مجلة الكمارك والمكوس — حزيران ١٩٥٧ ، ص ٣١ — ٣٤

الي رياض

اساطين علم الاقتصاد ـ ديفيد ريكاردو

مجلة الكمارك والمكوس ، العدد الرابع عشر ، كانون الاول ١٩٥٨ ، السنة الرابعة ، ص ٣٢ ـ ٣٥

ابي رياض

جون ماينارد كينز

مجلة الكمارك والمكوس ـ اذار ١٩٥٨ ، ص ٤٢ – ٤٥

ابي رياض

جيرمي بنثام مبتدع نظرية النفعية في الاقتصاد

مجلة الكمارك والمكوس ـ ايلول ١٩٥٧ ، ص ٣٦ ـ ٣٩

ابي رياض

مالثس ونظرية تكاثر السكان

مجلة الكمارك والمكوس - كانون الاول ١٩٥٧ ، ص ٤٧ – ٤٩

ارنست ، جان

السياسة النقدية واثرها على زيادة حجم الاستثمار في العراق

الاقتصادي ، العدد الاول ، السنة الاولى ١٩٦٠ ، ص ٨٢ – ١٠٢

ارنست ، جان

التضخم والاقتصاديات المتخلفة

الاقتصادي ، العدد الثاني ، السنة الاولى ، ايلول ١٩٦٠ ، ص ٧ – ١٨

ارنست ، جان

الميل للاستهلاك والمضاعف في الاقتصاد العراقي

التجارة ، الجزء ٢ ، السنة ٢١ ، حزيران ١٩٦١

ارنست ، جان

السياسة المالية في العراق

التجارة ، الجزء ١ ، اذار ١٩٦٢ ، السنة ٢٥
ارنست ، جان
ملاحظات حول حسابات الدخل القومي العراقي (١٩٥٦ - ١٩٦٠)
الاقتصاوي ، العدد الاول ، السنة الثالثة ، نيسان ١٩٦٢ ، ٢٣ - ٤١
ارنست ، جان
نظرية كينز والاقتصاد العراقي
الاقتصادي ، العدد الرابع ، السنة الثالثة ، تشرين الثاني ١٩٦٢ ص٣-٢٢
الازري ، عبد الكريم
مجلس الاعمار ، اعماله ومشروعاته
في الابحاث مجلد ٨، آذار ١٩٥٥ ص ٢٦ - ٧٠
الاسدي ، حسن
تكوين العراق الاقتصادي
مجلة غرفة تجارة بغداد ، مجلد ١٥ ، ايلول- تشرين الاول ١٩٥٢ص٤٨٢،
الاسدي ، حسن
الكمارك في العراق
في التجارة ، مجلد ١٦ ، كانون الثاني ١٩٥٣ ، ص ١٨ - ٤٢
الاسدي ، حسن
ظاهرة التقلبات في سوق بغداد
في التجارة ، مجلد ١٦ ، آذار ١٩٥٣ ، ص ٨ - ١٢
الاسدي ، حسن
استثمار رؤوس الاموال الاجنبية في العراق

في التجارة مجلد ١٦ ، نيسان ١٩٥٣ ص ٥ ـ ١٥

اسماعيل ، سالم خليل

صناعة السمنت في العراق

مجلة الصناعي ، العدد ٢ ، السنة الثالثة ، حزيران ١٩٦٢ ، ص ٢٥ـ ٣٦

الاسود ، سلمان

ادارة الضرائب وعلاقتها مع الجمهور

فن التجارة مجلد ١٩ ، ايلول – تشرين الاول ١٩٥٦ ص ٥ — ١٥

الاسود ، سلمان

ادارة الضرائب في البلدان المتأخرة

مجلة الكمارك والمكوس ـ حزيران ، ١٩٥٨ ص ١٦ـ ٥٢

الاعسم ، ضياء

بحث في السياسة الكمركية

مجلة الكمارك والمكوس ، اذار ١٩٥٧ ، ص ٣٨ ـ ٤٠

آل حويز ، نزهت محمد طيب

السياسة العامة والسياسة النقدية

الاقتصادي ، العدد الاول ، السنة الاولى ، ١٩٦٠ ، ص ٥ — ٩

الاوس ، يوسف

آراء في تقدير حاجة المشاريع الصناعية لرأس المال

في مجلة الصناعي ، العدد ٢٣ ، السنة الثالثة ، ايلول ١٩٦٢ ، ص ١ ـ ٦

الاوس ، يوسف

تحديد مصادر تمويل المشاريع

مجلة الصناعي ، العدد الرابع ، السنة الثالثة ، كانون الاول ١٩٦٢ ص ٥٣–٦٠

الهزاي ، نوري خليل

اثر العوامل الجغرافية في تخلف الزراعة في سهل العراق الرسوبي

في مجلة كلية الاداب بجامعة بغداد ، العدد الرابع ، اب ١٩٦١ ،

ص ٤٥٣ – ٤٦٤

الهزازي ، نوري خليل

السكان في العراق

في مجلة كلية الاداب في جامعة بغداد ، العدد الخامس ، نيسان ٩٦٢

ص ٢٧٣ – ٢٩٢

برزنجي ، عبد الستار

اهمية الدجاج الاقتصادية

مجلة الزراعة العراقية ، الجزء ٤ ، المجلد ١١ ، ١٩٥٦ ص ٤٥٩ – ٤٦٣

بصري ، مير

تحديد الاملاك الزراعية وصيانتها

في مجلة غرفة تجارة بغداد ، مجلد ٣ ، حزيران ١٩٤٠ ، ص ٥١٧ – ٥٢٢

بصري ، مير

الاقتصاد وتزايد السكان

مجلة غرفة تجارة بغداد ، مجلد ٣ ، تموز ١٩٤٠ ، ص ٦٠١ – ٦٠٧

بصري ، مير

الصناعة الوطنية في العراق

في مجلة غرفة تجارة بغداد ، مجلد ٤ ، شباط ١٩٤١ ، ص ٩٩ – ١٠٣

بصري ، مير

تجارة العراق الداخلية والخارجية

في مجلة غرفة تجارة بغداد ، مجلد ٤، شباط ١٩٤١ ص ١٠٤ – ١٠٨

بصري ، مير

العملة المتداولة والانتعاش الاقتصادي في العراق

في مجلة غرفة تجارة بغداد ، مجلد ٤، اذار ١٩٤١ ص ١٧٧ – ١٨٢

بصري ، مير

تجارة التصدير

في مجلة غرفة تجارة بغداد ، مجلد ٤، اذار ١٩٤١ ، ص١٨٣ – ١٨٨

بصري ، مير

رفع مستوى المعيشة في العراق

في مجلة غرفة تجارة بغداد ، مجلد ١١ ، كانون الثاني – شباط ١٩٤٨ ، ص ١٠ – ١٤

بصري ، مير

العملة العراقية بعد الحرب

في مجلة غرفة تجارة بغداد ، مجلد ١١، اذار – نيسان ١٩٤٨ ،ص١٤٢–١٤٦

بصري ، مير

اتجاهات العراق الخارجية بعد الحرب

في مجلة غرفة تجارة بغداد، مجلد ١١، مايس-حزيران ١٩٤٨، ص٢٦٥-٢٦٠

بصري ، مير

تخفيض سعر الباون الاسترليني واثره في الاقتصاد العالمي

في مجلة تجارة بغداد ، مجلد ١٢ ، تشرين الاول - تشرين الثاني ١٩٤٩ ،

ص ١٣٠ - ١٣٥؛

بصري ، مير

الاقتصاديات العراقية ابان الحرب

في مجلة غرفة تجارة بغداد ، مجلد ٢ ، تشرين الثاني ، ١٩٣٩ ،

ص ٩٥٣ - ٩٦٠

البغدادي ، عباس احسان

المعادن في العراق

مجلة كلية الاداب بجامعة بغداد ، العدد الرابع ، اب ١٩٦١ ص ٣٧٣-٣٨٦

البكر ، عبد الجبار

البحث العلمي والارشاد دعامتا النهضة الزراعية

في مجلة الزراعة العراقيـة ، مجلد ١٠ ، كانون الثاني - اذار ١٩٥٥ ،

ص ١ - ٨

البكر ، عبد الجبار

ثروتنا الزراعية

مجلة الزراعة العراقية، مجلد ١٢، العدد ١ ، ١٩٥٧

بلبول ، يعقوب

استيراد المنسوجات الى العراق

في مجلة غرفة تجارة بغداد ، مجلد ٩ ، كانون الثاني - شباط ١٩٤٦ ،

ص١٨ — ٢٩

بلبول ، يعقوب

المصرف الوطني العراقي

في مجلة غرفة تجارة بغداد ، مجلد ١١ ، كانون - الثاني شباط ١٩٤٨ ،

ص ١٥ — ١٨

بلبول ، يعقوب

تجارة العراق الخارجية سنة ١٩٤٧

في مجلة غرفة تجارة بغداد ، مجلد ٢، تشرين الاول - تشرين الثاني ١٩٤٨،

ص ١٥ — ٢٩

بلبول ، يعقوب

اختلال ميزان العراق التجاري وارصدة العراق الاسترلينية

في مجلة غرفة تجارة بغداد ، مجلد ١٢ ، كانون الثاني - شباط ١٩٤٩ ،

ص ٨ - ١١

بلبول ، يعقوب

احتمال تخفيض الباون الاسترليني واثره في تجارة العراق

في مجلة غرفة تجارة بغداد ، مجلد ١٢ ، مايس - حزيران ١٩٤٩ ،

ص ٢١٥ — ٢١٩

بلبول ، يعقوب

تجارة العراق الخارجية في سنة ١٩٤٨

في مجلة غرفة تجارة بغداد ، مجلد ١٢ ايلول ١٩٤٩ ، ص ٣١٧ – ٣٣٦

بلبول ، يعقوب

بعد تخفيض الباون الاسترليني

في مجلة غرفة تجارة بغداد ، مجلد ١٢ ، تشرين الاول – تشرين الثاني ١٩٤٩

ص ٤١٧ – ٤٢٥

بلبول ، يعقوب

ميزان العراق التجاري

في مجلة غرفة تجارة بغداد ، مجلد ١٣ ، كانون الثاني – شباط ١٩٥٠

ص ٦ – ٨

بلبول ، يعقوب

قرض بنك الاعمار الدولي ومشروع الثرثار

في مجلة غرفة تجارة بغداد ، مجلد ١٣ ، اذار – نيسان ١٩٥٠ ص ٢٤٧ – ٢٥١

البيرماني ، خزعل

علاج قد يزيد في خطورة المرض

مجلة كلية الآداب والعلوم ، العدد الثالث ، حزيران ١٩٥٨ ، ص ١ – ١٨

البيرماني ، خزعل

عصر التخطيط الاقتصادي واهدافه

الاقتصادي ، العدد الاول ، السنة الاولى ١٩٦٠ ، ص ٤٥ – ٥٠

البيرماني ، خزعل

تفوق الاستغلال الجماعي على الاستغلال الفردي
الاقتصادي ، العدد الثاني ، السنة الاولى ، ايلول ١٩٦٠ ص ١ ـ ٦

البيعي ، صاحب شاكر
نشوء فكرة التعاون
في مجلة الزراعة العراقية ، مجلد ١٠ تشرين الاول - كانون الاول ١٩٥٥ ،
ص ٥٣١ ـ ٥٤٠

التكريتي ، سليم طه
الشركات الاحتكارية الكبرى والنفوذ الذي تتمتع به في العالم
مجلة الكمارك والمكوس - كانون الاول ١٩٥٦ ، ص ٣٠ - ٣٤

التكريتي ، سليم طه
التنظيم العلمي للعمل
مجلة الكمارك والمكوس كانون الاول ١٩٥٧ ، ص ٢٥ ـ ٢٩

التكريتي ، سليم طه
السوق الاوربية المشتركة ـ دوافعها واهدافها
مجلة الكمارك والمكوس - كانون الاول ١٩٥٧ ، ص ٢٥ - ٣٠

التكريتي ، سليم طه
الازمات الاقتصادية ، مظاهرها ، أسبابها ، ووسائل مكافحتها
مجلة الكمارك والمكوس ـ اذار ١٩٥٨ ، ص ٢٠ - ٢٥

التكريتي ، سليم طه
مدى توفر امكانيات التصنيع في العراق

مجلة الكمارك والمكوس ـ العدد الرابع عشر ، كانون الاول ١٩٥٨ ،
ص ١٣ ـ ١٧
التكريتي ، سليم طه
ضرورة المبادرة بوضع مشروع خمس سنوات لتحقيق التقدم الاقتصادي الشامل
مجلة الكمارك والمكوس ، العدد الثامن عشر ، كانون الاول ١٩٥٩ ،
ص ٣٥ — ٤٠
التكريتي ، سليم طه
تدخل الدولة في الانتاج واثره في التطور الاقتصادي
مجلة الكمارك والمكوس ، العدد الثلاثون ، كانون الاول ١٩٦٢
ص ٥٢ — ٥٧
التكمه‌جي ، حافظ
الاقتصاد العراقي اسسه واتجاهاته
في مجلة الثقافة الجديدة العدد التاسع ، السنة السابعة ، مايس ١٩٥٩ ،
ص ٢٠ — ٣٨
التكمه جي ، حافظ
دراسة في التخلف الاقتصادي في العراق
الاقتصادي ، العدد الاول ، السنة الاولى ، ١٩٦٠ ، ص ١٠ — ٤٤
التكمه جي ، حافظ
دراسة في السياسة التجارية وتجارة العراق الخارجية
التجارة ، الجزء ٢ ، آب ١٩٦٢

الثامر ، جبسن

مشكلة التعويض على الارض في قانون الاصلاح الزراعي

مجلة الاقتصادي ، العدد الاول ، السنة الثانية ، ايلول ١٩٦١ ، ص ٣ -٢٨

الجادر ، اديب

صناعة النسيج القطني في العراق

في مجلة الزراعـة العراقية ، مجلد ١٠ ، نيسان ـ ايلول ١٩٥٥ ،

ص ٢٩٩- ٣١٣

جدوع ، محمد امين

اعمال الارشاد الزراعي

في مجلة الزراعة العراقية مجلد ١٠ ، كانون الثاني- اذار ١٩٥٥ ص٥٦ـ٧١

الجعفري ، هاشم

تطور الدين العام في العراق

الاقتصادي ، العدد الرابع ، السنة الثالثة ، تشرين الثاني ، ١٩٦٢ ،

ص ٣٣ ـ ٤٥

جلال ، صادق

التعليم الصناعي في العراق

المعلم الجديد ، الجزء الاول ، السنة ١٨ ، كانون الاول ١٩٥٤

الجلبي ، فاضل

السياسة التجارية للاقطار المتخلفة اقتصادياً

الاقتصادي ، العدد الاول ، السنة الاولى ، ١٩٦٠ ، ص ٥١ — ٨١

الجليلي ، عبد الرحمن

التصميم الاقتصادي للبلاد العربية

مجلة الكمارك والمكوس – حزيران ١٩٥٦ ص ٩ – ٢٥

جميل ، فؤاد

التربية الاساسية وعلاقتها باعمار الاراضي الزراعية واستثمارها

في مجلة الزراعة العراقية ، مجلد ١٠ ، كانون الثاني – اذار ١٩٥٥

ص ٩ – ٢٦

جميل ، فؤاد

الاتكالية في الفلاح العراقي

في مجلة الزراعة العراقية، مجلد ١٠ ، تشرين الاول – كانون الاول ١٩٥٥

ص ٥٠٠ – ٥٢٠

جميل ، فؤاد

هجرة الريف الى المدينة – معضلة اجتماعية – اقتصادية كبرى في العراق

في الابحاث ، مجلد ١٠ ، نيسان ١٩٥٧ ، ص ٢٧ – ٤٢

جميل ، فؤاد

مشاريع الاعمار والانبعاث الاجتماعي – الاقتصادي في العراق

في الابحاث ، مجلد ١٠ ، كانون الاول ١٩٥٧ ، ص ٤٥١ – ٤٧٤

جميل ، فؤاد

مشاريع الانبعاث الريفي في العراق

في الابحاث ، مجلد ١١ ، ايلول ١٩٥٨ ، ص ٤٢٩ – ٤٤٧

جميل ، مكي

مشروع الخمس سنوات في التسوية

في مجلة الزراعة العراقية ، مجلد ١٠ ، كانون الثاني اذار ١٩٥٥ ، ص ٧٢ — ٧٤

جميل ، مظفر حسين

التطور الاقتصادي في العراق

في التجارة مجلد ١٦ ، شباط ١٩٥٣ ، ص ٣١

جميل ، مظفر حسين

مقترحات في التنمية الاقتصادية

الاقتصادي ، العدد الثاني ، السنة الاولى، ايلول ١٩٦٠ ، ص ١٠٩ ـ ١٢٠

حاتم ، صبري عبد الكريم

دراسة في صناعة الاحذية

في مجلة الصناعي، العدد الثالث ، السنة٣، ايلول ١٩٦٢ ، ص ١٩ — ٤٦

حاتم ، صبري عبد الكريم

التسويق والاعلان التجاري

التجارة ، جزء ٤ كانون الاول ١٩٦٢

الحبيب ، عبد الرحمن

مكانة التنظيم في الانتاج

مجلة كلية الآداب والعلوم ، العدد الثالث، حزيران ١٩٥٨ ، ص١٩ ـ٣٥

الحبيب ، عبد الرحمن

التخطيط الاقتصادي نظرياً وتطبيقاً

مجلة كلية الاداب ، العدد الاول حزيران ١٩٥٩ ، ص ٩٩ — ١٣٢

الحبيب ، عبد الرحمن

لمحة في اقتصاد العمل

المعلم الجديد ، الجزءان الاول والثاني ، كانون الثاني - شباط ١٩٦٠
ص ٨١ — ٨٧

الحبيب ، عبد الرحمن

رأس المال والابتداعات

مجلة كلية الاداب ، العدد الثاني ، شباط ١٩٦٠ ، ص ١٩٧ - ١٥٥

الحبيب ، عبد الرحمن

من كارل ماركس الى انجلس (ترجمة)

مجلة كلية الآداب بجامعة بغداد ، العدد الثالث ، كانون الثاني ١٩٦١ ،
ص ٤٧ — ٥٤

الحبيب ، عبد الرحمن

السوق العربية المشتركة

في مجلة اتحاد الصناعات ، العدد الاول ، السنة الثانية ، حزيران ١٩٦١ ،
ص ١٦ — ٢٧

الحبيب ، عبد الرحمن

لمحة في التجارة الدولية

مجلة كلية الآداب العدد الرابع آب ١٩٦١ ، ص ٢٥٩ — ٢٧٢

الحبيب ، عبد الرحمن

وضع نقابات العمال في الاتحاد السوفياتي

مجلة الاقتصادي ، العدد الاول ، السنة الثانية ١٩٦١ ، ص ٣٥ – ٤٥ ،
وهو عرض لتقرير منظمة العمل الدولية
الحبيب ، عبد الرحمن
اتجاهات تجارة العراق الخارجية
التجارة ، الجزء ٣ ، تشرين الاول ١٩٦٢
الحبيب ، عبد الرحمن
مشروع الوحدة العربية الاقتصادية في الميزان
الصناعي ، العدد الثاني ، السنة الثانية ، تشرين الثاني ١٩٦١ ، ص ١٩ _ ٣٦
الحبيب ، عبد الرحمن
الاتوميشن او الانسان الآلي
مجلة الصناعي ، العدد الرابع ، السنة الثالثة ، كانون الاول ١٩٦٢ ،
ص ١ – ١٤
الحبيب ، عبد الرحمن
ملاحظات حول سياسة العراق التجارية
الاقتصادي ، العدد ٢ ، ٣ ، السنة الثالثة ، ايلول ١٩٦٢ ، ص ٣ – ٢٩
حديد ، محمد
مشاكل النقد والعملة العراقية
في مجلة غرفة تجارة بغداد ، مجلد ٩ ، ايلول تشرين الاول ١٩٤٦ ،
ص ٣٨٨ – ٣٩٦
حديد ، محمد
القطن في الاقتصاد العراقي

في مجلة الزراعة العراقية ، مجلد ١٠ ، نيسان – ايلول ١٩٥٥ ، ص ١٩٣–١٩٩

حسن ، محمد سلمان

ازمة صناعة الاسمنت

في مجلة الثقافة الجديدة – العدد السادس ، السنة السابعة ، كانون الثاني ١٩٥٩ ص ٣٩ – ٤٧

حسن ، محمد سلمان

نحو جهاز اقتصادي ثوري

في مجلة الثقافة الجديدة ، العدد التاسع ، السنة السابعة ، مايس ١٩٥٩ ، ص ٨ – ١٩

حسن ، محمد سلمان

الشعب العراقي نموه وتركيبه

في الثقافة الجديدة ، العدد الثاني عشر ، السنة السابعة ، تشرين الاول والثاني ١٩٥٩ ، ص ٥ – ٢٥ ، (وهو ترجمة لبحث انكليزي للمؤلف نشر في مجلة الاحصاء في جامعة اكسفورد)

حسن ، محمد سلمان

المسألة الزراعية في العراق

في الثقافة الجديدة ، العدد السادس عشر ، السنة الثامنة ، مايس وحزيران ١٩٦٠ ، ص ٨ – ٣٤ (وهي محاضرة القيت بدعوة من جمعية الاقتصاديين العراقيين) .

حسيب ، خير الدين

الدخل القومي في العراق ١٩٥٣ – ١٩٥٦

في مجلة اتحاد الصناعة العراقي العدد الاول ، آب ١٩٦٠ ، ص ١١ — ٢٤

حسيب ، خير الدين

مساهمة قطاع البنوك « الصيرفة » في الدخل القومي للعراق خلال الفترة ١٩٥٣ — ١٩٦١

الاقتصادي ، العدد ٢ ، ٣ ، السنة الثالثة ، ايلول ١٩٦٢ ، ص ٩ ـ ١٠٤

حسيب ، خير الدين

تقدير الدخل القومي للعراق ١٩٥٣ — ١٩٦١

مجلة الصناعي ، السنة الرابعة ، العدد ١ ، ٢ حزيران ١٩٦٣ ، ص ١ — ٢٣

الحلي ، فاضل

الموانىء الحرة

نشرة الكمارك والمكوس — ايلول ١٩٥٥ ، ص ٩ ـ ١٤

حلاوي ، ضياء

المستودعات العامة

في التجارة ، مجلد ١٩ ، تشرين الثاني — كانون الاول ١٩٥٦ ، ص ١٥ — ٢٠

الحمصي ، محمود

معيار الارجحية في اختيار المشاريع العمرانية

مجلة الصناعي ، السنة الرابعة ، العدد ١ و ٢ ، حزيران ١٩٦٣ ، ص ٦٧ — ٧٢

حمندي ، جعفر عيسى

اعادة التصدير واثره في الحركة التجارية الداخلية

في التجارة ، مجلد ١٨ ، شباط — اذار ١٩٥٥ ، ص ٢٧ ـ ٣٠

حمندي ، جعفر عيسى

الزيوت النباتية بين حماية المنتج وحماية المستهلك

في التجارة ، مجلد ١٨ ، نيسان ١٩٥٥ ، ص ١٧ — ١٩

حيدر ، صالح

التطور الاقتصادي في العراق

في التجارة ، مجلد ١٧ ، تشرين الثاني — كانون الاول ١٩٥٤ ، ص٤٣-٧٥

حيدر ، صالح

الارض والقبيلة في العراق

في الابحاث ، مجلد ٩ ، كانون الاول ١٩٥٦ ، ص ٤٠١ — ٤٢٢

حيدر ، صالح

اوجه تنسيق السياسة الاقتصادية في العراق

مجلة التجارة ، السنة ٢٤ ، الجزء ٤ ، كانون الاول ١٩٦١ ، ص ٩ — ٢٩

الحيدري ، علاء الدين

العبء الضريبي

مجلة الكمارك والمكوس — ايلول ١٩٥٦ ، ص ٩ — ١٩

الحيدري ، علاء الدين

الميزانية العامة

مجلة الكمارك والمكوس — اذار ١٩٥٧ ، ص ٢٠ — ٢٩

الحيدري ، علاء الدين

التوجيه الضريبي

مجلة الكمارك والمكوس — كانون الاول ١٩٥٧ ، ص ١٥ — ٢٤

الحيدري ، علاء الدين

النقل وآثاره الاقتصادية

مجلة الكمارك والمكوس – اذار ١٩٥٨ ، ص ١٥ – ١٩

الحيدري ، علاء الدين

الاقطاع والاصلاح الزراعي

في التجارة ، مجلد ٢١ ، ايلول ١٩٥٨ ، ص ٢٨ — ٣٤

الحيدري ، علاء الدين

التنمية والتخطيط الاقتصادي

مجلة الكمارك والمكوس ، العدد الخامس عشر ، اذار ١٩٥٩ ، السنة الرابعة ، ص ١١ — ١٦

خسرو ، صباح

الضمان الاجتماعي في العراق

الاقتصادي ، العـدد الثاني ، السنة الثانية ، تشرين الثاني ، ١٩٦١ ، ص ٢٣ — ٣٥

خصباك ، جعفر حسين

احوال العراق الاقتصادية في عهد الايلخانيين المغول

مجلة كلية الآداب بجامعة بغداد ، العدد الرابع آب ١٩٦١ ، ص ١١٧–١٧٢

خضر ، محمد

المكاتب التجارية في بغداد

دليل العراق والشرق الاوسط ، ص ١٢٤ ـ ١٢٧

الحضري ، احمد جواد

السياسة الكمركية وطبيعة الضريبة الجمركية

مجلة الكمارك والمكوس حزيران ١٩٥٦ ، ص ٢٩ – ٣٠

الحضري ، احمد جواد

العوائد الجمركية ضرائب هي ام رسوم

مجلة الكمارك والمكوس ، حزيران ١٩٥٧ ، ص ٤١ – ٤٦

الحضري ، احمد جواد

مطالعات عامة في الاجراءات الكمركية

مجلة الكمارك والمكوس ـ كانون الاول ١٩٥٧ ، ص ٣١ – ٣٨

خضيري ، محمد كامل

غرفة تجارة بغداد في ختام عامها الخامس عشر

مجلة غرفة تجارة بغداد ، مجلد ٤ (بغداد ١٩٤١) ص ٥٥٢ ـ ٥٥٤

خضيري ، محمد كامل

تجارة العراق مع الاقطار المجاورة

مجلة غرفة تجارة بغداد ، مجلد ١٠ ، نيسان ـ مايس – حزيران ١٩٤٧ ، ص ١٣٥ ـ ١٣٩

خضيري ، محمد كامل

التجارة العراقية بعد الحرب ومستقبلها

مجلة غرفة تجارة بغداد ، مجلد ١١ ، كانون الثاني ـ شباط ١٩٤٨ ، ص٦–٩

خضيري ، محمد كامل

تجارة العراق واقتصادياته في عام ١٩٤٧

مجلة غرفة تجارة بغداد ، مجلد ١١ ، اذار – نيسان ١٩٤٨ ، ص ١٣٣ – ١٣٦

خليل ، صبحي

فن التعليم الصناعي

في مجلة الصناعي – العدد ٢١ ، السنة الثالثة ، شباط ١٩٦٢ ، ص ١ – ٧

خليل ، صبحي

التدريب والتعليم المهني الصناعي في العراق

في مجلة الصناعي ، العدد ٣ ، السنة الثالثة ، ايلول ١٩٦٢ ، ص ٧ – ١٨

الخناق ، محمد صالح

اثر التجارة الخارجية على الدول

مجلة الكمارك والمكوس – كانون الاول ١٩٥٥ ص ٢٦ – ٣١

الخناق ، محمد صالح

اتفاقات العراق التجارية

مجلة الكمارك والمكوس ، اذار ١٩٥٦ ، ص ١٤ – ٢١

خياط ، جعفر

احياء الزراعة في العراق

في مجلة غرفة تجارة بغداد ، مجلد ٢ ، شباط ١٩٣٩ ، ص ١٢٧ – ١٣٤

خياط ، جعفر

خطوتان في طريق الاصلاح الزراعي

في مجلة الزراعـة العراقية ، مجلد ٨ ، نيسان ـ ايار ـ حزيران ١٩٥٣ ،
ص ٣٧٧ — ٣٨٢

الخياط ، حسن

مستقبل الانسان الاقتصادي

العلم الجديد ، الجزءان الثالث والرابع ، المجلد التاسع عشر ، حزيران ١٩٥٦

خياط ، صادق

الثروة الحيوانية في العراق

في مجلة الزراعة العراقية ، مجلد ٨ ، نيسان – ايار – حزيران ١٩٥٣ ،
ص ٣٩٧ - ٤٠٦

الدجيلي ، حسن

كيف نشأت البورصة التجارية في بغداد

في مجلة غرفة تجارة بغداد ، مجلد ١٤ ، ايلول – تشرين الاول ١٩٥١ ،
ص ٤١٣ — ٤٢٣

الدجيلي ، حسن

تأسيس شركة ملاحة عراقية

في مجلة غرفة تجارة بغداد ، مجلد ١٥ ، اذار ـ نيسان ١٩٥٢ ، ص ٢٢٩ — ٢٥٠

الدجيلي ، حسن

استثمار رؤوس الاموال الاجنبية في العراق

في التجارة ، مجلد ٦ ، شباط ١٩٥٨ ، ص ٥ — ١٢

الدجيلي ، عبد الكريم

مشاكل الانتاج الزراعي وطرق تسويقه

مجلة الزراعة العراقية ، الجزء ١٠ و ١١ ، ١٩٥٩ ، ص ١٣ — ١٨

درويش ، محمود فهمي

ارض العراق وخراجه

في مجلة الزراعة العراقية ، مجلد ٨ ، نيسان — ايار — حزيران ١٩٥٣

ص ٢٣٢ — ٢٤٥

الدلي ، عبد الغني

مشاكل الصناعة الوطنية ، في تقرير المصرف الصناعي العراقي

في مجلة غرفة تجارة بغداد ، مجلد ١١ ، تشرين الاول — تشرين الثاني ١٩٤٨

ص ٥٤٦ — ٥٥٣

الدلي ، عبد الغني

اعمال المصرف الصناعي العراقي وتشكيلاته

في مجلة غرفة تجارة بغداد ، مجلد ١١ ، كانون الاول ١٩٤٨ ، ص ٦٦١ — ٦٦٥

الدلي ، عبد الغني

المشاريع الصناعية في العراق ومساهمة المصرف العراقي فيها

في مجلة غرفة تجارة بغداد ، مجلد ١٢ ، كانون الثاني — شباط ١٩٤٩ ،

ص ٣٧ — ٤٥

الدلي ، عبد الغني

التقرير السنوي الرابع للمصرف الصناعي العراقي

في التجارة ، مجلد ١٧ ، كانون الثاني – شباط ، نيسان – ايار ١٩٥٤
ص ٦٩ ـ ٧٨

الدوري ، عبد العزيز
نشوء الاصناف والحرف في الاسلام
مجلة كلية الاداب ، العدد الاول ، حزيران ١٩٥٩ ، ص ١٣٣ ـ ١٦٩

الدوري ، عبد العزيز
لمحة عن تطور الحياة الاقتصادية في المجتمع العربي الاسلامي
الاقتصادي ، العدد الثاني ، السنة الثانية ، تشرين الثاني ١٩٦١ ، ص٣ ـ ٨

الراوي ، عفتان زغير
مشاكل تسويق الخضروات
مجلة الزراعة العراقية – تموز ١٩٦٠ ، ص ٢٣ – ٢٨ ، آب وايلول ١٩٦٠ ،
ص ٢٦ – ٣٥

الراوي ، علي
التعليم الزراعي
المعلم الجديد ، الجزءان الخامس والسادس ، السنة الثانية عشرة ، تموز ١٩٤٩

الراوي ، منصور
مفهوم واهمية القوة الانتاجية في كل من الاقتصادين الرأسمالي والاشتراكي
في مجلة الثقافة الجديدة ، العدد العاشر ، السنة السابعة ، آب ١٩٥٩ ص٨ – ١٩

الراوي ، منصور
حجم السكان ونموه واثر ذلك في مستقبل التطور الاقتصادي في العراق
الاقتصادي ، العدد الاول ، السنة الاولى ، ١٩٦٠ ، ص ١٠٥ – ١٢٢

الراوي ، منصور

الامية والتخلف الاقتصادي

في مجلة كلية الآداب بجامعة بغداد ، العدد الرابع ، آب ١٩٦١ ،
ص ٤٢٥ ـ ٤٥٢

الربيعي ، عبد الرزاق حسين

التطوير الاقتصادي واستثمار مصادر الثروة الوطنية

في التجارة ، مجلد ١٨ ، نيسان ـ ايلول ١٩٥٥ ، ص ٥ — ٢١ ، ١١ — ١٩

الربيعي ، عبد الرزاق حسين

حرية التحويل أو حرية الصرف الاجنبي

في التجارة ، مجلد ١٨ ، تشرين اول ١٩٥٥ ، ص ١٠ ـ ١٩

رجب ، مصطفى

الكارتيل الدولي للبترول

خلاصة لعدة مقالات كتبها جماعة من المشتغلين في قضايا النفط الفرنسيين وهم : بيير فرانسيت ، ميشيل هنكر ، الآن فيجيه ، وجان فيلار ، وقد ترجمت الى العربية ، مجلة الثقافة الجديدة ، العدد التاسع ، السنة السابعة ، مايس ١٩٥٩ ، ص ١٠٨ — ١٢٣

رجب مصطفى

قسمة ارباح النفط ومنحة الكارتيل

في مجلة الثقافة الجديدة ، العدد العاشر ، السنة السابعة ، آب ١٩٥٩ ،
ص ٦٥ — ٧٣

رشيد ، صبري

لجنة تنظيم تجارة الحبوب واثرها في الحياة الاقتصادية

في التجارة ، مجلد ١٨ ، كانون الثاني ١٩٥٥ ، ص ٦ – ١٠

الريس محمد ضياء الدين

بناء بغداد وعهد الرخاء

في الخراج والنظم المالية للدولة الاسلامية ، مطبعة لجنة البيان العربي – القاهرة ١٩٦١ ، ص ٤٠٥ – ٤٠٨

زكي ، بهي

ثورة مصر في تجارتها الخارجية

التجارة ، الجزء الرابع ، السنة ٢١ ، كانون الاول ١٩٥٨

زكي ، شكري صالح

اختلال الميزان التجاري العراقي – اخطاره ، اسبابه ، طرق تلافيه .

في التجارة ، مجلد ١٧ ، نيسان – ايار ١٩٥٤ ، ص ٧ – ٢٠

زلخة ، نوري

العراق – نافذة تطل على العالم

في مجلة غرفة تجارة بغداد ، مجلد ١١ ، مايس – حزيران ١٩٤٨ ، ص ٢٢٦ – ٢٨٥

زلزلة ، عبد الحسن

طبيعة الطلب والعرض للصادرات والاستيرادات العراقية

في التجارة ، مجلد ٢١ ، اذار ١٩٥٨ ، ص ٢٣ – ٣٣

زازلة ، عبد الحسن

طبيعة المنطقة الاسترلينية

مجلة الكمارك والمكوس ، حزيران ١٩٥٨ ، ص ٩ — ٢٠

زازلة ، عبد الحسن

فشل عضوية العراق في المنطقة الاسترلينية في تحقيق الثبات والنمو الاقتصادي في العراق

التجارة ، الجزء ٣ ، ايلول ١٩٥٩

زازلة ، عبد الحسن

النظام النقدي العراقي بين عهدين

التجارة ، الجزء ١ ، السنة ٢٣ اذار ١٩٦٠ ، ص ١٠ — ١٩

زازلة ، عبد الحسن

التضخم : اسبابه ، نتائجه ، علاجه

الاقتصادي ، العدد الثاني ، السنة الاولى ، ايلول ١٩٦٠ ، ص ٩٤ — ١٠٨

زازلة ، عبد الحسن

السياسة النقدية في العراق

التجارة ، الجزء ٢ ، آب ١٩٦٢

زازلة ، عبد الحسن

اثر السوق الاوربية على الاقتصاد العراقي

في الصناعي « مجلة اتحاد الصناعات العراقي » السنة الرابعة ، العدد ١ و ٢ ، حزيران ١٩٦٣ ، ص ٣٥ — ٦٥

الزهاوي ، ناظم

تجارة العراق الخارجية وسياسة الاستيراد

مجلة غرفة تجارة بغداد ، مجلد ١٥ ، تشرين الثاني - كانون الاول ١٩٥٢

ص ٥٧٦

الزهاوي ، ناظم

التضخم النقدي ومنهج مجلس الاعمار للسنوات الست

في التجارة، مجلد ١٦ ، ايلول - تشرين اول - تشرين الثاني - كانون الاول

١٩٥٢ ص ٥ - ٣٢

زينل ، اكرم

المصرف الزراعي في العراق

في مجلة الزراعة العراقية ، مجلد ٨ ، نيسان - ايار - حزيران ١٩٥٣

ص ٣٧١ - ٣٧٦

السامرائي ، سعيد

تمويل برنامج التصنيع في العراق

التجارة ، الجزء ٣ ، ايلول ، ١٩٦١

السراج ، سامي

العلاقات التجارية بين مصر والعراق

في مجلة غرفة تجارة بغداد ، مجلد ٣ ، كانون الاول - ١٩٤٠ ،

ص ٨٨٩ - ٨٩٦

سرتاوي ، علي محمد

التوسيع في انتاج الزيت في العراق

في التجارة ، مجلد ١٦ ، كانون الثاني ١٩٥٣ ص ٥٤

سرتاوي ، علي محمد

مشاكل انتاج وصناعة التمور في العراق

في التجارة العراقية ، مجلد ١٦ ، اذار ١٩٥٣ ، ص ٣٨ ـ ٤٣

سفر ، ثابت عبد الرحمن

حاجتنا الى الحليب

مجلة الزراعة ، المجلد ١١ ، العدد ٤ ، تشرين الاول - كانون الاول ١٩٥٦

سرسم ناظم

الاغنام وأهميتها الاقتصادية في العراق

المعلم الجديد ، العدد الاول ، السنة الثانية ١٩٣٧ ص ٥٣ ـ ٥٧

سرسم ، ناظم

الزراعة العراقية

مجلة الزراعة ، المجلد ١ ، العدد ١ ، تموز -- ايلول ١٩٤٦

سرسم ، ناظم

صناعة جبن الاوشاري

مجلة الزراعة ، المجلد ٥ ، العدد ٤ ، ١٩٥٠

سركيس ، يعقوب

بعض النقود العثمانية في العراق ومنها « البغدادي » و « الشامي »

في مباحث عراقية ٢ : ١٧١ - ١٧٩

سركيس ، يعقوب

(واردات العراق) سالنامه ولاية بغداد

واردات العراق بين عهدين (مطبعة الاهالي ـ بغداد ١٩٤١) ص ٢ – ٩

سركيس ، يعقوب

الملاحة التجارية في العراق

في التجارة ، مجلد ١٨ شباط ـ اذار ١٩٥٥ ص ٢٤ – ٢٦

السعدي ، احمد

العشور أو (الرسوم الكمركية) في الاسلام

مجلة الكمارك والمكوس ، كانون الاول ١٩٥٥ ، ص ٧ – ٩

سعيد ، منير

دراسة اولية مقارنة للصناعة السورية والعراقية

مجلة الصناعي ، العدد الرابع ، السنة الثالثة ، كانون الاول ١٩٦٢ ،
ص ١٥ – ٣٦

السعيدي ، كاظم

التشريع الضريبي في العراق

الاقتصادي ، العدد الثاني ، السنة الثانية ، تشرين الثاني ١٩٦١ ،
ص ٦٢ – ٧٦

السعيدي ، كاظم

ضريبة الدخل وصناعاتنا الوطنية

الاقتصادي ، العدد الاول ، السنة الثالثة ، نيسان ١٩٦٢ ، ص ١١ – ٢٢

السلمان ، حسن احمد
العلاقات الانسانية في الصناعة
الصناعي ، العدد الثاني، السنة الثانية ، تشرين الثاني ١٩٦١ ، ص١٣ ـ١٨

سوسه ، احمد
ري العراق بين عهد الفيصلي
في مجلة الزراعة العراقية ، مجلد ٨ ،نيسان - ايار - حزيران ١٩٥٣ ،
ص ٢٧٥ - ٢٨٥

سينا ، يانو
تطور الاقتصاد العالمي ووضعية الدول المتخلفة اقتصادياً
في الثقافة الجديدة،العدد التاسع، السنة السابعة، مايس ١٩٥٩ ، ص ٧١ـ٨٥

شريف ، عبد الرحيم
عامل السكان في تطور المجتمع
في الثقافة الجديدة، العدد الرابع عشر، السنة الثامنة ، كانون الثاني وشباط
١٩٦٠ ، ص ٢٦ - ٣٠

شريف ، عبد الرحيم
من اجل سياسة وطنية للنفط
في الثقافة الجديدة ، العدد السابع عشر ، السنة الثامنة ، آب وايلول ١٩٦٠
ص ٥ - ١١

الشريفي، محمد رضا
الضمان الاجتماعي في العراق
مجلة الصناعي ، العدد الاول ، السنة الثالثة ، شباط ١٩٦١ ، ص ١٣ - ٥٠

الشريفي ، محمد رضا

ملاحظات في التخطيط الاجتماعي في الاقطار المتخلفة اقتصادياً

الاقتصادي ، العدد الثاني ، السنة الثانية ، تشرين الثاني ١٩٦١

ص ٧٧ ـ ٨٥

الشربتي ، كاظم جواد

التأمين الجماعي على الحياة

الاقتصادي ، العدد ٢ ، ٣، السنة الثالثة ، ايلول ١٩٦٢، ص ١٠٥ — ١١٢

شقير ، لبيب

اقتصاديات العراق

في مجلة الاقتصاد والمحاسبة ، عدد ٩٣ ، ١آب١٩٥٥ ، ص ١٥ — ١٦

شكاره ، ضيا.

الحياة الاجتماعية والاقتصادية القبلية للمنطقتين الوسطى والجنوبية ولواء الموصل

بحث مقدم الى حلقة الدراسات الاجتماعية الرابعـة للدول العربية ، بغداد ، مارس ١٩٥٤ ، ص ٦٢

الشمري ، عبد المجيد

محاسبة التكاليف واهميتها في الصناعة

الصناعي ، العدد الثاني ، السنة الثانية ، تشرين الثاني ١٩٦١ ، ص ٦ — ١٢

الصافي ، علي

التعليم الصناعي

مجلة المعلم الجديد ، الجزءان الخامس والسادس ، السنة الثانية عشرة ، تموز ١٩٤٩ ، ص ٢٥ — ٣١

الصائغ ، حنا رزوقي

آراء في تنظيم حسابات الدولة

الاقتصادي ، العدد الثاني ، السنة الثانية، تشرين الثاني ١٩٦١ ،ص ٨٦-٩٩

صباغ ، ج . د .

اثر المكائن والآلات الزراعية على الزراعة في العراق

الصقار ، احمد حمد

القطن في العراق

في مجلة الزراعة العراقية، مجلد ١٠ نيسان — ايلول ١٩٥٥، ص ٢٣٤_٢٥٣

طالب ، سالم

غلة القطن في العراق

في مجلة الزراعة العراقية ، مجلد ١٠ ، نيسان—ايلول ١٩٥٥ ، ص ٢١٤ _٢١٨

كنعان ، طاهر حمدي

نحو دراسة علاقات التداخل الصناعي في الاقتصاد العراقي

في مجلة الصناعي ، العدد ١ ، السنة الثالثة ، شباط ١٩٦٢ ، ص ٩ _ ٢٠

كنعان ، طاهر حمدي

تخطيط الاستثمار بالتحليل الاقتصادي الكمي

مجلة الصناعي ، العدد ٢ ، السنة الثالثة ، حزيران ١٩٦٢ ، ص ٨ — ١٨

الطويل ، محمد خليل

صناعة الورق في العراق

المعلم الجديد ، الجزء الرابع والخامس ، السنة ١٣ ، ايلول ١٩٥٠

الطاهر ، عبد الجليل

اثر عامل السكان في السياسة الدولية

مجلة الكمارك والمكوس ، حزيران ١٩٥٨ ، ص ٦٧ — ٧٨

الطاهر ، عبد الجليل

بحث مقارن عن التعاونيات الزراعية

في مجلة الثقافة الجديدة ، العدد السابع ، السنة السابعة ، شباط ١٩٥٩، ص ٦١ ـ ٧٣

الظاهر ، عبد الرزاق

الاصلاح الزراعي في العراق

في التجارة ، مجلد ٢١ كانون الاول ١٩٥٨ ص ٧ - ١٥

الظاهر ، عبد الرزاق

الاقتصاد الموجه

التجارة ، الجزء ٢ ، تموز ١٩٥٩، السنة ٢٢ ، ص ٤١ - ٤٥

عبد الرؤوف ، اسماعيل

تطور صناعة الحليج واثره في التجارة القطنية

في مجلة الزراعة التجارية، مجلد ١٠، نيسان — ايلول ١٩٥٥ ص ٣١٤ـ٣١٨

عبد الله ، فؤاد

التصميم الاقتصادي واختبار مجالات الاستثمار

التجارة ، الجزء الثاني ، السنة ٢١ ، حزيران ١٩٥٨

عبد الله ، فؤاد

السياسات التجارية في الاقطار المتخلفة اقتصادياً

الاقتصادي ، العدد الثاني ، السنة الاولى ، ايلول ١٩٦٠ ، ص ٨٣ — ٩٣

عبد الله ، فؤاد

الحسابات الاجتماعية واحصاءات الدخل القومي

مجلة الاقتصادي ، العدد الاول ، السنة الثانية ، ايلول ١٩٦١ ، ص ٢٩ — ٣٤

العبدالله ، ياسين ابراهيم

ملاحظات حول الاتفاقيات الاقتصادية بين العراق والاقطار العربية

مجلة الكمارك والمكوس ، العدد التاسع والعشرون ، ايلول ١٩٦٢ ، السنة الثامنة ، ص ٣٥ — ٤٦

عبد الغني ، اسماعيل

ارشادات في تسويق الفواكه والخضار

في مجلة الزراعة العراقية ، مجلد ١١ ، نيسان — ايلول ١٩٥٦ ص ٢٧٧ — ٢٧٩

عبد الوهاب ، عبد الملك

المساواة الاقتصادية : ما هي وكيف ولماذا

التجارة ، الجزء ١ ، اذار ١٩٥٩ ، السنة ٢٢

البقية في الجزء ٢ ، تموز ١٩٥٩ ، السنة ٢٢ ، ص ٤٦ — ٥٢

عبد الوهاب ، عبد الملك
الاعمار والتنظيم الاقتصادي
التجارة ، الجزء الثالث ، السنة ٢١، ايلول ١٩٥٨

عبد الوهاب ، عبد الملك
التخطيط الاقتصادي واهدافه
مجلة الصناعي ، العدد الاول ، السنة الثالثة ، شباط ١٩٦١ ، ص ٣١ — ٤٢

عبد الوهاب ، عبد الملك
اليد العاملة والنفط في البلاد العربية
مجلة الاقتصادي ، العدد الاول ، السنة الثانية ، ايلول ١٩٦١ ،
ص ٥٦ — ٦٤

عبد الوهاب ، عبد الملك
دراسة الاقتصاد
الاقتصادي ، العدد الثاني ، السنة الثانية ، تشرين الثاني ١٩٦١ ،
ص ٩ — ٢٢

العبوسي ، محمد جواد
التقدم الاقتصادي في العراق
بحث مقدم الى حلقة الدراسات الاجتماعية الرابعة للدول العربية ،
بغداد ، مارس ١٩٥٤ ، ص ٧٠

العبوسي ، محمد جواد
التقدم الاقتصادي في العراق الحديث

في مجلة الاقتصاد والمحاسبة رقم ٨٢ ، ايلول ١٩٥٤ ، ص ٤٠ ـ ٤٢

العبوسي ، محمد جواد

التصنيع والتقدم الاقتصادي

مجلة كلية الاداب والعلوم ، العدد الاول ، حزيران ١٩٥٦ ص ، ٦٥ - ٨٠

العبوسي ، محمد جواد

نطاق السياسة المالية في الدولة الحديثة

مجلة كلية الاداب والعلوم ، العدد الثاني ، حزيران ١٩٥٧ ، ص ٤٣ - ٦٣

العبوسي ، محمد جواد

تأثير البترول في الاقتصاد العربي

التجارة الجزء ٣ ، ايلول ١٩٥٩ ، السنة ٢٢ ،

والجزء ٤ ، كانون الاول ١٩٥٩ ، السنة ٢٢ ،

والجزء ١ ، اذار ١٩٦٠ ، السنة ٢٣

العبوسي ، محمد جواد

قانون التنمية الصناعية ومبدأ التوجيه الاقتصادي في القطاع الصناعي

الصناعي ، العدد الثاني ، السنة الثانية ، تشرين الثاني ١٩٦١ ، ص ٣-٥

العبوسي ، محمد جواد

الشروط الاساسية للتنمية الصناعية

الاقتصادي ، العدد الاول ، السنة الثالثة ، نيسان ١٩٦٢ ، ص ٣ ـ ١٠

العبيدي ، حسن

الطرق الحديثة في صناعة الالبان

في مجلة اتحاد الصناعات العراقي ، العدد الاول ، آب ١٩٦٠ ص ٣٩ — ٥٠

العبيدي ، مهدي محسن

التجارة الخارجية والتخطيط الاقتصادي في الجمهورية العراقية

في مجلة التجارة ، الجزء الاول ، السنة ٢٦ ، آذار ١٩٦٣ ، ص ١٩ — ٢٣

العبيدي ، يوسف احمد

تعميم التنمية الاقتصادية

الاقتصادي ، العدد الثاني ، السنة الاولى ، ايلول ١٩٦٠ ، ص ٦١ — ٨٠

العزاوي ، طارق

الاستقلال الاقتصادي

في الثقافة الجديدة، العدد السادس عشر ، السنة الثامنة ، مايس وحزيران ١٩٦٠ ، ص ٤٥ — ٥٤

العزاوي ، عباس

دور الضرب ببغداد

في تاريخ النقود العراقية لما بعد العهود العباسية من سنة ٦٥٦ الى ١٣٣٥هـ = ١٢٥٨ — ١٩١٧ م ، ص ٢٠ — ٢٢

(شركة التجارة والطباعة ـ بغداد ١٩٥٨)

عزيز ، محمد

تطور النظام النقدي في العراق

الاقتصادي ، العدد الثاني ، السنة الثانية ، تشرين الثاني ١٩٦١ ، ص ٣٦ — ٦١

عزيز ، محمد

دراسة في المساكن

الاقتصادي ، العدد ٢ ، ٣ ، السنة الثالثة ، ايلول ١٩٦٢ ، ص ٤٢ ـ ٨٦

العسكر ، رسول عبد الوهاب

العالم المتطور والدراسات الاقتصادية

مجلة الكمارك والمكوس ، اذار ١٩٥٨ ، ص ٣٠ – ٣٦

العسكر ، رسول عبد الوهاب

التسرب الاقتصادي او التجارة غير المنظورة

مجلة الكمارك والمكوس ، حزيران ١٩٥٨ ، ص ٥٣ – ٦٠

عطا ، امين

مصافي النفط الحكومي في الدورة

في التجارة ، مجلد ١٨ ، نيسان ١٩٥٥ ، ص ٢٠ ـ ٢٣

عطار ، ابراهيم

مذاكرة في تاريخ زراعة القطن الاميركي في العراق

في مجلة الزراعة العراقية ، مجلد ١٠ ، نيسان-ايلول ١٩٥٥ ، ص٢١٩ ـ ٢٢٨

العلوان ، عبد الصاحب

التخطيط في الارشاد والاقتصاد الزراعي والمنزلي

مجلة الزراعة العراقية ، الجزء ١٢ ، ١٩٥٩ ، ص ١٤ – ١٩

العلوان ، عبد الصاحب

علم الاقتصاد الزراعي اهميته وطبيعته ومجاله

مجلة الزراعة العراقية ، نيسان ١٩٦٠ ، ص ٥ ـ ١٧

العلوان ، عبد الصاحب

التقدم الفني والتكنيكي في زراعة العراق

مجلة الاقتصادي ، العدد الاول، السنة الثانية، ايلول ١٩٦١، ص ٤٦ ـ ٥٥

العلوان ، عبد الصاحب

الحركة التعاونية في الوطن العربي

الاقتصادي ، العدد الاول ، السنة الثالثة ، نيسان ١٩٦٢ ، ص ٤٢ – ٦٢

العلوان ، عبد الصاحب

الاصلاح الزراعي والتنمية الصناعية

الاقتصادي، العدد ٢ ، ٣ ، السنة الثالثة ، ايلول ١٩٦٢ ، ص ٣٠ – ٤١

العلي ، صالح احمد

احكام الرسول في الاراضي المفتوحة

مجلة كلية الآداب والعلوم بجامعة بغداد ، العدد الاول ، حزيران ١٩٥٦

ص ٢٣ ـ ٤٣

العلي ، صالح احمد

التنظيم المالي الاسلامي في التطبيق

الاقتصادي ، العدد الثاني ، السنة الثانية ، تشرين الثاني ١٩٦١ ،

ص – ١٠٠ – ١١٦

العلي ، صالح احمد

الانسجة في القرنين الاول والثاني

في مجلة الابحاث ، السنة ١٤ ، الجزء ٤ ، كانون الاول ١٩٦١

ص ٥٥٠ — ٦٠٠

علي ، حسن محمد

الملكية الصغيرة في طريق نموها في العراق

في مجلة الزراعة العراقية ، المجلد ٨ ، نيسان — ايار — حزيران ١٩٥٣

ص ٢٨٦ — ٢٩٧

علي ، عبد المنعم

الشواهد النقدية لتخلف العراق الاقتصادي واثرها على النظام النقدي الصيرفي

التجارة ، الجزء ٢ ، تموز ١٩٥٩ ، السنة ٢٢ ، ص ٢٥ — ٤٠

علي ، عبد المنعم

البنك المركزي العراقي واثره على النظام النقدي والصيرفي في العراق

مجلة الصناعي ، العدد الاول ، السنة الثالثة ، شباط ١٩٦١ ، ص ٢١ ــ ٣٠

العمري ، نافر

اهمية الدور الذي يلعبه التسوق والخزن في اصلاح الاراضي

في التجارة ، مجلد ١٨ ، تشرين الثاني — كانون الاول ١٩٥٥ ، ص١٢ــ١٩

العمري ، نافر والزهاوي ، ناظم

تقرير عن اسواق الشعير

في التجارة ، مجلد ٢٠ ، تشرين الثاني – كانون الاول ١٩٥٧ ،ص ١٦ـ٢٨

الفارس ، عزت

الغرف الزراعية واهدافها

في مجلة الزراعة ، مجلد ٨ ، نيسان – ايار – حزيران ١٩٥٣ ،ص ٥٣٠–٥٣٧

فدو ، خليل

الزراعة الميكانيكية واثرها في النهضة الاقتصادية العراقية

مجلة الزراعة العراقية ، الجزء الثاني ، المجلد الثامن ١٩٥٣

فرمان ، عبد الكريم محمود

كيفية تخطيط الانتاج من قبل رجال الاعمال

في مجلة الصناعي ،العدد الرابع ، السنة الثالثة ، كانون الاول ١٩٦٢ ،

ص ٦١ – ٧١

القيسي ، حميد

التزام التصفية المحلية واثره في اقتصاديات الدول المنتجة للبترول

في مجلة كلية الآداب في جامعة بغداد ، العدد الخامس ، نيسان ١٩٦٢ ،

ص ٢٠٥ – ٢٢٢ ،

القيسي ، حميد

متطلبات التنمية الاقتصادية

مجلة الصناعي ، العدد الثالث ، السنة الثالثة ، ايلول ١٩٦٢ ، ص ٤٩ ـ ٥٥

وهو ترجمة لمقال كتبه البروفسور كينث كولبرت

القيسي ، حميد

قابلية الربح في صناعة البترول

مجلة الصناعي ، العدد الثالث، السنة الثالثة ، ايلول ١٩٦٢ ص ٦٧ — ٧١

القيسي ، حميد

رأى في لائحة قانون شركة النفط الوطنية

في مجلة الصناعي ، العدد الرابع ، السنة الثالثة كانون الاول ١٩٦٢ ،
ص ٤٣ ـ ٤٦

كاشف الغطاء ، باقر

اصلاح الارضي الملحة

في مجلة الزراعة العراقية ، مجلد ١٠ ، كانون الثاني – نيسان ١٩٥٥
ص ٨٩ — ٩٢

كاشف الغطاء ، علي

اثر القروض الاجنبية في توسيع التجارة الدولية

مجلة الكمارك والمكوس ايلول ، ١٩٥٦ ، ص ٣ ـ ٦

كاشف الغطاء ، علي

اهمية التجارة الاقليمية في التعاون الدولي

مجلة الكمارك والمكوس ، كانون الاول ١٩٥٦ ، ص ٣ — ٦

كاشف الغطاء ، علي

مبادئ واهداف في المقاطعة العربية لاسرائيل

مجلة الكمارك والمكوس ، اذار ١٩٥٧ ، ص ٩ - ١٩

كاشف الغطاء ، علي

علاقة التعاون الدولي بالضغط الاقتصادي

مجلة الكمارك والمكوس ، ايلول ١٩٥٧ ، ص ٣ — ٧

كاشف الغطاء ، علي

أثر العوامل الجغرافية والتاريخية في تكييف النشاط التجاري

مجلة الكمارك والمكوس ـ كانون الاول ١٩٥٧ ، ص ٣ - ٧

كاشف الغطاء ، علي

أثر الفينيقيين في تنظيم التجارة الدولية

مجلة الكمارك والمكوس ، اذار ١٩٥٨ ، ص ٣ — ٧

كاشف الغطاء ، علي

اثر التعاون في توسيع التجارة الدولية

مجلة الكمارك والمكوس — العدد الرابع عشر ، كانون الاول ١٩٥٨
السنة الرابعة ، ص ٣ — ٧

كبه ، ابراهيم

سياسة الجمهورية العراقية الاقتصادية

مجلة الكمارك والمكوس ، العدد السادس عشر حزيران ١٩٥٩ ، السنة
الرابعة ، ص ٣ — ١٠

كبه ، ابراهيم

الكينزيه كمنهاج اقتصادي للرأسمالية المنظمة

في الثقافة الجديدة ، العدد السابع عشر ، السنة الثامنة ،آب وايلول ١٩٦٠
ص ٢٨ — ٥٠

كبه ، عبد الامير قاسم
اتجاه العرض والطلب على البترول
التجارة ، الجزء ١ ، اذار ١٩٦٢ ، السنة ٢٥

كبه ، عبد الامير قاسم
التنسيق الصناعي بين البلاد العربية
في مجلة اتحاد الصناعات ، العدد الاول ، السنة الثانية ، حزيران ١٩٦١ ،
ص ٥ -

كتانه ، سعيد
التبغ في العراق
في مجلة الزراعة العراقية ، مجلد ٨ ، تموز ـ آب ـ ايلول ١٩٥٣
ص ٦٨٣ - ٧٩٣

كتاني ، حسن
الغابات واهميتها الاقتصادية
مجلة الزراعة العراقية ، الجزء ٧ ، المجلد ١٣ ، ١٩٥٨ ، ص ٨٣ — ٨٨

كربيان ، آرام
اهمية النوعية في تطور الصناعةفي العراق
في مجلة اتحاد الصناعات ، العدد الاول ، السنة الثانية ، حزيران ١٩٦١
ص ٢٧ — ٢٩

الكرملي ، الاب انستاس ماري

حالة بغداد التجارية والزراعية للسنة المالية ، ١٩٠٣ – ١٩٠٤ م

مجلة المشرق ٨ ، بيروت ١٩٠٥ ، ص ٢٤١ – ٢٥٠

كسبوغان ، البر

التجارة في بغداد

مجلة لغة العرب ، الجزء ٩ ، السنة الثالثة ١٩١٤ ، ص ٤٨٥ – ٤٨٩

كسبوغان ، البر

بيان ما خرج من البضائع من بغداد الى اوربا واميركا

مجلة لغة العرب ، الجزء ١٠ ، السنة الثالثة ، ١٩١٤ ، ص ٥٨٦ – ٥٨٩

لفتة ، محمد فاضل

قانون العمل والعمال في التشريع الاسلامي

مجلة الكمارك والمكوس ، كانون الاول ١٩٥٦ ، ص ٣٩ – ٤٤

المتولي ، طارق

ضريبة التركات والمواريث في العراق

التجارة ، الجزء ٤ كانون الاول ١٩٥٩ السنة ٢٢

والجزء ١ اذار ١٩٦٠ السنة ٢٣

مجلي ، يوسف

صناعة الفضلات

المعلم الجديد ، الجزء الثالث ، السنة العاشرة ، مايس ١٩٤٦ ، ص ٢٢–٢٦

محمد ، مسعود

تفاوت الدخل

التجارة ، الجزء ٢ تموز ١٩٥٩ السنة ٢٢

والبقية في الجزء ٣ ايلول ١٩٥٩ السنة ٢٢

محمد ، مسعود

الواقع والمذاهب الاقتصادية

التجارة، الجزء ٤ كانون الاول ١٩٥٩ السنة ٢٢

محمود ، عبد المجيد

المصرف الزراعي الصناعي

مجلة غرفة تجارة بغداد ، مجلد ٥ ، حزيران— تموز ١٩٤٢ ، ص ٤١٨ —٤٢٧

محمود ، عبد المجيد

المال وشعبية التعليم

المعلم الجديد، الجزء الاول ، السنة الثامنة – تشرين الاول ١٩٤٢،
ص ١٢ ـ ١٩

محمود ، عبد المجيد

اثر التربية في عناصر الانتاج

المعلم الجديد ، الجزء الثاني، السنة الثامنة ، كانون الاول ١٩٤٢ ،
ص ١٠٢ – ١١١

محمود ، عبد المجيد

المستوى المعيشي في العراق

في مجلة غرفـة تجارة بغداد ، مجلد ١٠ ، مايس ـ حزيران ١٩٤٧ ،
ص ١٤٥ – ١٤٧

محمود ، عبد المجيد

المشاريع الزراعية في العراق ، واعمال المصرف الزراعي العراقي
في مجلة غرفة تجـارة بغداد ، مجلد ١٢ ، مايس – حزيران ١٩٤٩ ،
ص ٢٤٩ – ٢٥٧

المستوفي ، صاحب حميد

تمويل المشاريع الصناعية والتجارية

في التجارة ، مجلد ١٨ ، نيسان ١٩٥٥ ، ص ٧ ـ ١٣

المستوفي ، صاحب حميد

اهمية شعبة احصاء التجارة الخارجية

نشرة الكمارك والمكوس – ايلول ١٩٥٥ ، ص ١٨ – ٢٢

المستوفي ، صاحب حميد

البورصات

مجلة الكمارك والمكوس ، ايلول ١٩٥٦ ، ص ٢٣ – ٣٠

المستوفي ، صاحب حميد

ادارة وتنظيم البورصات

مجلة الكمارك والمكوس ، اذار ١٩٥٧ ، ص ٣٠ — ٣٧

المستوفي ، صاحب حميد

تنازع السياسات التجارية

في التجارة ، مجلد ٢٠ ايلول — تشرين اول ١٩٥٧ ص ١٦ ــ ٢٣

المستوفي ، صاحب حميد

ادارة وتنظيم الشركات والمصانع التجارية

مجلة الكمارك والمكوس ، كانون الأول ١٩٥٧ ، ص ٣٩ — ٤٦

المستوفي ، صاحب حميد

تنظيم حركة الاستيراد ومراقبة التجارة

مجلة الكمارك والمكوس ، آذار ١٩٥٨ ، ص ٣٧ - ٤١

المستوفي ، صاحب حميد

النظام الاقتصادي السوفياتي والاشتراكية الاجتماعية

مجلة الكمارك والمكوس ، العدد الخامس عشر ، اذار ١٩٥٦ ، السنة الرابعة ، ص ٦١ — ٦٦

المستوفي ، صاحب حميد

اقتصاديات العراق والاتفاقيات التجارية المعقودة مع الدول الاشتراكية

مجلة الكمارك والمكوس ، العدد السادس عشر ، حزيران ١٩٥٦

السنة الرابعة ، ص ٥٥ ــ ٦١

والعدد السابع عشر ، ايلول ١٩٥٩ ، ص ٣٨ — ٤٥

المهيدي ، كاظم عبد الحميد

المؤتمر السادس عشر لغرفة التجارة الدولية

مجلة الكمارك والمكوس – حزيران ١٩٥٧ ، ص ١١ ـ ١٩

المهيدي ، كاظم عبد الحميد

مؤتمر الغرف العربية

مجلة الكمارك والمكوس ، اذار ١٩٥٨ ، ص ٢٦ — ٢٩

المهيدي ، كاظم عبد الحميد

البورصة في العراق

مجلة الكمارك والمكوس ، حزيران ١٩٥٨ ، ص ٦١ — ٦٦

موشي ، الياهو

تجارة العراق سنة ١٩٤٦

في مجلة غرفة تجارة بغداد ، مجلد ١٠ نيسان ـ مايس ـ حزيران ١٩٤٧
ص ١٦١ ـ ١٧٢

موشي ، ج . م

الحالة الاقتصادية والمالية في العراق

في مجـلة غرفة تجارة بغداد ، مجلد ١٢ ، ايلول ١٩٤٩ ، ص ٣٣٧ ـ ٣٤٥
وتشرين الاول – تشرين الثاني ١٩٤٩ ، ص ٤٣٦ — ٤٤٧

النائب ، عبد السلام

الاختصاص في الاعمال التجارية

في التجارة، مجلد ٢٠ ، كانون الثاني - شباط ١٩٥٧ ، ص ٣٠ ـ ٣٤

النجار ، عبد الوهاب حمدي

المدخرات القومية في العراق

الاقتصادي ، العدد الرابع ، السنة الثالثة ، تشرين الثاني ، ١٩٦٢

ص ٤٦ — ٦٣

النجفي ، حسن

مقدمة في دراسة النقد العراقي ومراحل تطوره

في مجلة التجارة ، الجزء الاول ، السنة ٢٦ ، اذار ١٩٦٣ ، ص ٩ — ١٨

نسيم ، نسيم عزرا

نفط العراق من البئر الى البحر

مجلة المعلم الجديد ، الجزء الثاني، السنة الحادية عشرة ، نيسان ١٩٤٧،

ص ٢٦ — ٣٠

نعمان ، شيت

قابليات العراق الصناعية

في مجلة غرفة تجارة بغداد ، مجلد ١٠ ، نيسان - مايس - حزيران ١٩٤٧

ص ١٥١ — ١٥٨ ، ايلول ـ تشرين الاول ١٩٤٧ ، ص ٢٩٢ - ٣٠١

نعمان ، شيت

مشروع صناعة السكر في العراق

في مجلة غرفة تجارة بغداد ، مجلد ١٣ ، كانون الاول ١٩٥٠، ص ١٤٥ ـ ١٥٣

النقيب ، محمد

النفط واثره في تقدم العراق

في التجارة ، مجلد ١٨ ، تشرين الاول ١٩٥٥ ، ص ٧ - ٩

نوري ، اثناسيوس اغناطيوس

بغداد في (رحلة الى الهند ١٨٩٩ — ١٩٠٠ م)

مطبعة القديس بولس — حريصا ١٩٣٤ ، ص ٤ ـ ٢٤

الهلالي ، عبد الحميد

مصرف الرهون

في مجلة غرفة تجارة بغداد ، مجلد ١٤ ، تشرين الثاني ـ كانون الاول ١٩٥١

ص ٥٥٥ — ٥٦٠

الهلالي ، عبد الرزاق

نحو اصلاح زراعي

في مجلة الزراعة العراقية ، مجلد ٨ ، نيسان — ايار — حزيران ١٩٥٣

ص ٣٨٣ — ٣٩٢

وصفي ، ماهر سعيد

الاشتراكية الحرفية

مجلة الاداب ، العدد الاول ، السنة السابعة ، بيروت ١٩٥٩ ، ص ٦٣-٦٧

وهو ترجمة لمقال ج . هـ . كول بالانكليزية

الياسين ، مجيد

التأمين واعادة التأمين في العراق

الاقتصادي ، العدد الاول ، السنة الثالثة ، نيسان ١٩٦٢ ، ص ٦٣ - ٦٩

ي . ج

الاساس الاقتصادي والعلمي ضمان رقي الامة

مجلة الكهارك والمكوس ، العدد الخامس عشر ، اذار ١٩٥٩ ، السنة الرابعة ، ص ٦٧ ـ ٦٨

ي . ج

وجوب تضييق الخناق اقتصادياً على اسرائيل اللقيطة

مجلة الكمارك والمكوس ، العـدد السابع عشر ، ايلول ١٩٥٩ ، السنة الخامسة ، ص ٣٦ — ٣٧

ي . ج

الانتاج الزراعي الموجه ومشاريع الري الكبرى

مجلة الكمارك والمكوس، العدد الثامن عشر ، كانون الاول ١٩٥٩ ، السنة الخامسة ، ٢٨ — ٢٩

يوسف ، محي الدين

اهمية النهضة الصناعية والتربية الصناعية في العراق

المعلم الجديد ، السنة الاولى ١٩٣٥ ، العدد الثاني ، ص ١٦٤

نقاط بحث

الدكتور محمد حلمي مراد

عما اسهم به المؤلفون في الجمهورية العربية المتحدة في دراسة الاقتصاد في المائة سنة الاخيرة

تمهيد : لتحديد ما أسهم به المؤلفون في الجمهورية العربية المتحدة في دراسة الاقتصاد في الحقبة المذكورة يتعين البدء بحصر المصنفات المصرية خلال هذه الفترة ثم اجراء عملية تقويم لاختيار أعمقها دراسة وابرزهـا دلالة في ابواب البحث المختلفة .

وخشية الخطأ او النسيان فيما نورده بالملحق من بيان باهم هـذه المصنفات ، نضع تحت الانظار المصادر التي يمكن الالتجاء اليها لجرد المؤلفات الاقتصادية المصرية جرداً كاملاً .

ثم ننتقل بعد ذلك الى ايضاح اتجاهات الدراسات الاقتصادية في الجمهورية العربية المتحدة وتطورها على الزمن .

اولاً – مصادر حصر المصنفات الاقتصادية المصرية :

(١) السجل الثقافي : يصدر سنوياً اعتباراً من سنة ١٩٤٨ معرفـا ومحللا النشاط الثقافي في ج . ع . م ، ويخصص باباً منه للنشاط الثقافي في المجال

الاقتصادي. ويوجد تحت الطبع في الوقت الحاضر العدد الخاص بسنة ١٩٦٠

(٢) بطاقات دار الكتب المصرية : توجد بطاقات مبوبة بأسماء المؤلفين وبأسماء الكتب وبحسب موضوعات العلم في كل فرع من فروع المعرفة بدار الكتب المصرية . وقد ألزم القانون رقم ٣٥٤ لسنة ١٩٥٤ ، الخاص بحماية حق المؤلف والقرار الوزاري رقم ١٣٩ لسنة ١٩٥٥ الصادر تنفيذاً له — كل ناشر بايداع خمس نسخ من كل مصنف لدى الدار ضماناً لاستيعاب بطاقات الكل ما يصدر . وقد بدأت دار الكتب المصرية تصدر سجلاً مجمعاً عن الكتب التي لديها ايداعاً قانونياً مبوبة بحسب فروع المواد والفنون . وصدر فعلاً عنها مجلد عن الفترة ما بين ١٩٥٤ و ١٩٦٠ على أن يتوالى ظهور هذا البيان بعد ذلك سنة بعد سنة بانتظام .

(٣) الرسائل الجامعية : على أنه اذا كان السجل الثقافي يتضمن ما يناقش في الجامعات المصرية من رسائل جامعية، كما تشتمل بطاقات دار الكتب المصرية على ما يطبع منها وينشر الا انه ينقص السجل والبطاقات المذكورة بيان ما يتقدم به الباحثون والدارسون من الجمهورية العربية المتحدة في الجامعات الاجنبية . ويمكن الحصول على هذه البيانات من التقارير العلميــة للجامعات المصرية بالنسبة الى مبعوثيها .

(٤) المجلات الاقتصادية : ونظراً لان مجال الدراسات الاقتصاديــة غير مقصور على وضع الكتب بل يشمل كذلك المقالات العلمية ، فانه يجب الرجوع الى المجلات والنشرات المتخصصة في هــذا الميدان . ومن اهم هذه المجلات :

– مجلة مصر المعاصرة : التي تصدر عن الجمعية المصرية للاقتصاد السياسي والاحصاء والتشريع. ومنذ وضع فهرس في عام ١٩٦٠ يتضمن بياناً بما نشر فيها من مقالات وبحوث خلال الفترة من سنة ١٩٠٩ الى ١٩٥٩ بمناسبة العيد الخمسيني للجمعية .

– مجلة القانون والاقتصاد : التي تصدر عن كلية الحقوق بجامعة القاهرة . وقد صدر في ١٩٦١ فهرس بالمقالات التي نشرتها هذه المجلة في ثلاثين عاماً من سنة ١٩٣١ الى سنة ١٩٦٠ .

– مجلة الحقوق التي تصدر عن كلية الحقوق بجامعة الاسكندرية .

– مجلة العلوم القانونية والاقتصادية التي تصدرها كلية الحقوق بجامعة عين شمس .

– نشرات البنوك : وتشمل بصفة خاصة نشرة البنك المركزي ، والبنك الاهلي ، وبنك مصر ، والبنك الصناعي ، وبنك التسليف الزراعي والتعاوني .

– مجلة الاهرام الاقتصادي : وتصدر عن مؤسسة الاهرام منذ ديسمبر ١٩٥٠ ، وكانت تصدر شهرية في بادية الامر ثم اصبحت تصدر مرتين كل شهر .

– مجلات الغرف التجارية المصرية ومجلة « مصر الصناعية » التي تصدر عن اتحاد الصناعات .

(ه) كما لا يفوتنا الاشارة في نهاية بيان مصادر الابحاث والدراسات الاقتصادية الى التقارير والبحوث التي تعد داخل أجهزة الدولة الرسمية بواسطة الاقتصاديين المشتغلين فيها .

ثانياً – اتجاهات الدراسات الاقتصادية في الجمهورية العربية المتحدة :

(١) المرحلة السابقة على نشأة الجامعات المصرية : كانت الدراسات الاقتصادية في هذه الفترة تتمثل في الاتجاهات التالية :

أ ـ التعرض لبعض الدراسات الاقتصادية في المؤلفات الموسوعية (الانسكلوبيدية) ونذكر على سبيل المثال في هذا الصدد ما اشتمل عليه تاريخ الجبرتي « عجائب الآثار » (١٨٢١ م) من دراسة وصفية للاحوال الاقتصادية في مصر . وما تضمنته « الخطط التوفيقية » (١٩٠٥م) لعلي باشا مبارك من بعض استطرادات اقتصادية في ثنايا دراسته الجغرافية .

ب ـ تعريب بعض الكتب الأجنبية . ان وضع مرادفات عربية للمصطلحات الاقتصادية الاجنبية ، ونقل الاصول العامة لعلم الاقتصاد الى الناطقين بالضاد في عبارة عربية يعتبر بلا شك الاساس الضروري لبناء صرح الدراسات الاقتصادية العربية . وقد صدرت في هذا العهد بعض الكتب الاقتصادية العربية المترجمة عن الاجنبية نذكر منها على سبيل المثال الكتاب الذي ترجمه الشاعر المعروف حافظ ابراهيم .

جـ – الارتباط بين التأليف الاقتصادي والكفاح في سبيل الاستقلال السياسي . أما الكتابات الاقتصادية المتخصصة الاصيلة في هذه الفترة ، فكانت تنبع عن الروح الوطنية المتطلعة لتحقيق الاستقلال السياسي للبلاد . ومن الامثلة البارزة على هذا الاتجاه في التأليف الاقتصادي : كتابات الزعيم الوطني محمد فريد ، وكتاب « علاج مصر الاقتصادي ومشروع بنك المصريين أو بنك الامة » الذي صدر سنة ١٩١١ للزعيم الاقتصادي المصري محمد

طلعت حرب ، والكتب والابحاث المتعلقة بالحركة التعاونيـة في مصر للاستاذ عمر لطفي والدكتور يحيى الدرديري .

(٢) اثر الجامعات والهيئات العملية في حركة التأليف الاقتصادي :

فتحت صفحة جديدة في تاريخ تطور التأليف الاقتصادي المصري بانشاء الجامعات المصرية اذ بدأت تدرس مادة الاقتصاد في كليات الحقوق والتجارة بجامعة القاهرة ثم جامعة الاسكندرية ثم جامعـة عين شمس . فضلاً عن مبادىء علم الاقتصاد والاقتصاد الاجتماعي بكليات الآداب بتلك الجامعات ، ومادة الاقتصاد الزراعي بكليات الزراعة فيها . كما ادخل تدريس مادة الاقتصاد بجامعة الازهر .

واذا كانت قد انشئت جامعات اخرى بعد ذلك في الجمهورية العربية المتحدة الا انها لم تضم كليات نظرية تدرس فيها مـادة الاقتصاد ، غير ان التطور الحديث في نظم الدراسة بجامعة القاهرة ادى الى انشاء كلية متخصصة هي « كلية الاقتصاد والعلوم السياسية » في عام ١٩٦٠ التي اطلبتها أسباب التخصص في احد فروع ثلاثة : الاقتصاد – الاحصاء – والعلوم السياسية . ودعـا انشاء هـذه الكلية الى التوسع في دراسة الاقتصاد . فنجد ان مواد الدراسة المفتوحة في شعبة الاقتصاد تبلغ ٣٢ مادة . ولا جدال في أن القيام بتدريس هذا العدد الكبير من المـواد في كلية متخصصة سوف يؤدي الى النهوض نهوضاً كبيراً بالدراسات الاقتصادية في الجمهورية العربية المتحدة .

كما أنشئت الجمعية المصرية للاقتصاد السياسي والاحصاء والتشريع سنة

١٩٠٩ التي تضم بين اهدافها دراسة المسائل الاقتصادية ونشر الثقافة الاقتصادية بين اعضائها وفي جمهور الامة . وقامت هذه الجمعية بدور كبير في هذا الميدان عن طريق اصدار مجلة « مصر المعاصرة » L'Egypte Contemporaine'' التي نشرت العدد الوفير من البحوث النظرية والتطبيقية في الاقتصاد المصري باللغة العربية واللغتين الانكليزية والفرنسية وعن طريق عقد الندوات والقاء المحاضرات فيها .

ولا يفوتني ان اشير الى هيئة علمية – وان لم تكن مصرية بحتة – الا انها فتحت المجال لاسهام عدد من الاقتصاديين المصريين ببحوث في الاقتصاد العربي الا وهي « معهد الدراسات العربية العالية » التابع لجامعة الدول العربية . فقد صدر عن قسم الدراسات الاقتصادية والاجتماعية بهذا المعهد منذ انشائه سنة ١٩٥٣ حتى الآن سبعة عشر كتاباً لمؤلفين مصريين في موضاعات اقتصادية، وطبع على الآلة الكاتبة اربعة موضوعات قام بتدريسها اساتذة مصريون خلال عام ١٩٦٢ .

كما انشىء في سنة ١٩٦٠ في الجمهورية العربية المتحدة معهد للتخطيط القومي للنهوض بالبحوث والدراسات التخطيطية كان له الفضل في اعداد ونشر عدد كبير من البحوث الاقتصادية ذات الصلة بموضوع التخطيط الاقتصادي .

واذا استقرأنا ما نشر من دراسات اقتصادية في كنف جامعات الجمهورية العربية المتحدة والهيئات العلمية القائمة بها، نجد ان الدراسة الاقتصادية النظرية سارت جنباً الى جنب الدراسة الاقتصادية التطبيقية، وان المؤلفات الاقتصادية النظرية كانت تتناول في بداية الامر دراسة عامة لاصول الاقتصاد، ثم لم

تلبث ان ظهرت المؤلفات المخصصة في موضوعات محددة كموضوع النقود او البنوك او التجارة الخارجية او العلاقات الاقتصادية الدولية او المذاهب الاقتصادية او الدخل القومي الخ .

هذا الى أن المصنفات الاقتصادية المصرية الحديثة لم تعد تقتصر على الاستعانة بالاساليب التقليدية في البحث الاقتصادي . اذ بدأت تصدر كتب تنحى المنحى الرياضي في اسلوب العرض والدراسة .

ويسعى المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية عن طريق لجنته الاقتصادية في دفع حركة التأليف الاقتصادي في ج . ع . م . عن طريق توزيع الجوائز التشجيعية على اصحاب البحوث والدراسات الاقتصادية ذات المستوى الرفيع . كما يقوم المجلس حاليا باعداد « معجم اقتصاد عربي » يضم اهم المصطلحات الاقتصادية باللغة العربية مقرونة بمرادفاتها في اللغتين الانكليزية والفرنسية مع شرح مناسب لها .

(٣) اتجاهات التأليف الاقتصادي في ج . ع . م . في السنوات الاخيرة :
على ان حركة الانتاج في ميدان الدراسات الاقتصادية اتسمت في الاعوام الاخيرة باتجاهات جديدة يمكننا ان نجملها فيما يلي :

أ — اتجاه حركة التأليف في الاقتصاد نحو موضوعات الساعة ذات الاثر في حياة البلاد الاقتصادية . والواقع انه لا يكفي ان تتقدم الدراسات الاقتصادية في بلادنا في جو بعيد عن مشكلاتنا العملية بل يجب ان تبذل الجهد لتطبيق العلم على العمل حتى تفيد البلاد من هذا التقدم العلمي في مجال

النهوض الاقتصادي المنشود . وكان من بشائر هذا الاتجاه ظهور كتب تتناول موضوعات التنميـة الاقتصادية ، والتخطيط ، والسوق العربية المشتركة .

ب ـ ظهور الكتب من المؤلفات التي تتناول الموضوعات الاشتراكيـة من الناحيتين المذهبية والتطبيقية نتيجـة اتجاه البلاد نحو الاخذ بالنظام الاشتراكي .

جـ - الاهتمام البادي نحـو الدراسات الاقتصادية المتعلقة بالوطن العربي والدول الافريقية . فروابط الاخوة والمصالح المتشابكة التي تربط الدول العربية والافريقية تستوجب التعاون الاقتصادي فيما بينها على اسس علمية مدروسة .

د - صدور كتب مبسطة في الدراسات الاقتصادية التي تيسر على القارىء غير المتخصص سبيل الثقافة الاقتصادية ، وتمكنه من متابعة الاحـداث الاقتصادية .

هـ ـ التوسع في ترجمة المصنفات الاقتصادية القيمة التي تهم القارىء العربي ولا مراء في ان ترجمة هذه الكتب الى العربية يقدم فائدة جليلة للعرب الذين يعجزون عن الاطلاع عليها لعدم اجادتهم للغات الاجنبية .

خاتمة :

وجوب انتهاز فرصة اجتماع نخبة من اساتذة الاقتصاد الممثلين لعدد من البلاد

العربية لكي نتقدم بمقترحات تكفل دفع حركة البحث الاقتصادي العربي قدماً الى الامام :

(١) اصدار سجل في كل بلد عربي يخصص لبيان كافة ما صدر من مصنفات اقتصادية مبوبة بحسب موضوعاتها ، على ان يتابع اصدار هذا السجل سنوياً . فيكون عوناً للباحثين في الاقتصاد في البلاد العربية من ناحية ، ووسيلة لتعريف المشتغلين بالاقتصاد في كل قطر عربي عما صدر من مصنفات اقتصادية في بقية الاقطار العربية من ناحية أخرى .

(٢) العمل على توحيد المصطلحات الاقتصادية العربية بحيث يستخدم اللفظ الواحد للتعبير عن مفهوم معين متفق عليه في كافة البلاد العربية مما ييسر قراءة المؤلفات الاقتصادية لكل عربي ، ويمكن من سرعة التفاهم بين الاقتصاديين من مختلف البلاد العربية .

(٣) تكوين جمعية اقتصادية تضم العلماء والمفكرين الاقتصاديين في جميع الدول العربية . واذا كانت توجد جمعية اقتصادية في اوربا للاقتصاديين الناطقين باللغة الفرنسية من فرنسيين وسويسريين وبلجيكيين ، وجمعية اقتصادية دولية ، كم يجدر بالاقتصاديين العرب ان يكونوا جمعية اقتصادية لهم . فضلاً عن وحدة اللغة التي ينطقون بها ، يوجد الارتباط بين المصالح الاقتصادية لبلادهم ، والتشابه في المشكلات الاقتصادية التي تعترضها مما يقتضي الامر تبادل الرأي والمعلومات والتجارب لضمان حلها حلاً قوياً .

(٤) الدعوى الى مؤتمر سنوي للاقتصاديين العرب يتم عن طريقه التعارف بين الاقتصاديين في البلاد العربية ، واستعراض جهودهم في الدراسة الاقتصادية

والمناقشة في الموضوعات ذات الأهمية التي تحتاج الى تبادل وجهات النظر المختلفة حولها .

وامل ما لمستناه من فائدة واضحة من انعقاد هذه الحلقة يعتبر سنداً قوياً لما ادعو اليه من ضرورة التعاون الوثيق بين جهود الاقتصاديين العلمية في كافة البلاد العربية .

القسم الثاني

ما اسهم به المؤلفون العرب في المائة سنة الاخيرة في علم النفس

لبنان *

بقلم الدكتور لطفي دياب

يقال في علم النفس انه ذو ماض سحيق وتاريخ قصير ، ذلك لان الانسان وصراعه المستمر افهم نفسه وجد منذ وجوده ، وعلم النفس لم ينشق عن الفلسفة ، التي كانت في الأصل البوتقة التي انصهرت فيها كل العلوم ، وتتحدد معالمه الاحديثاً في سنة ١٨٧٩ . والفضل في ذلك يرجع الى الغرب الذي كان سباقاً في تحرير علم النفس من تبعيته للفلسفة ، كما كان رائداً في تحريره لكل العلوم الاخرى وبلورتها ووضع المداميك العلمية لها . والسبب الرئيسي ، في اعتقادنا ، يعود الى التطورات الجذرية التي طرأت على المجتمعات التقليدية في الغرب مطلقة بذلك عقال الفكر البشري من الاغلال التي رزح تحتها اثناء القرون الوسطى باعثة عصر النهضة على الصعيد الاجتماعي

---

* اعتمدنا في كتابة هذا المقال على معلومات السيد صفوح كيلاني القيمة ، فله الشكر .

والثقافي والثورة الصناعية على الصعيد الاجتماعي والثقافي والثورة الصناعية على الصعيد التقني ، ونتيجة لهذا التغيير الجذري في شتى نواحي المجتمع ، اصبح من الضروري ايجاد حلول جديدة لتنظيم وارساء القواعد للمجتمع القديم الجديد . بينما كان الغرب يعاني من هذه التطورات وايجاد الحلول المناسبة ، كان العالم العربي يرزح تحت نير مجتمع تقليدي وفي ظل نظام سياسي فاسد فتوقفت عملية الخلق وخيم على الفكر العربي جمود مضن ما خلا ومضات ضئيلة كانت تتراجع مقهورة امام لجج من ظلام الركود الذي غلف الفكر العربي بحجب صفيقة واستمر الحال الى ان دخلت في القرن الاخير عوامل حركت المجتمع ، كالتفاعل بين الثقافة الغربية والعالم العربي والذي ادى الى تأسيس الجامعات الاجنبية وظهور شباب طليعي معظمه ذو ثقافة اجنبية شعر بتردي الاوضاع فأخذ يعمل جاهداً لتصحيحها وايقاظ العرب من سباتهم . ولذلك نجد ان معظم الدراسات في علم النفس ، كما في سائر الحقول ، بنيت على ما انتجه الغرب من نظريات ، ولم يحاول الربط أو البحث عن علاقتها بالبيئة الشرقية عامة الا مؤخراً وعلى وجه التحديد في العقد الخامس من هذا القرن في لبنان بصورة خاصة .

لا بد من الاشارة ، قبل البحث في هذا الموضوع ، الى ان المراجع التي استطعنا الحصول عليها والوارد ذكرها في آخر هذا المقال ، لا تشمل جميع ما كتب او نشر في علم النفس في لبنان ، وهذا يعود الى الصعوبات التي واجهناها في جمعها والراجعة الى اسباب عديدة . من المصادر التالية : (١) المكتبات الجامعية ، وفهارس الابحاث فيها ، (٢) اتصالات شخصية مع العاملين في حقل علم النفس ، واخيراً (٣) الفهارس الصادرة عن مختلف دور النشر في لبنان . لا شك ان الاتصالات الشخصية معرضة لاغفال العديد من العاملين في هذا الحقل اما لعدم التمكن من الاتصال بهم

أو مجرد عدم معرفة الكاتب جميع العاملين ، وفي كلا الحالتين ليس من الممكن تقدير العدد المغفل وتأثيره على نوعية و كمية المراجع التي جمعت . واما فهارس دور النشر ، فطريقة تبويبها يضع المراجع في ظلام دامس من معرفة جنسية الكاتب او السنة التي نشر البحث فيها او حتى ، في بعض الحالات ، الدار التي نشرت البحث او ما اذا كان البحث مترجماً ام لا . كل هذا لم يترك لنا خياراً الا اهمال هذه الفهارس وما نشر فيها . كلمة اخيرة في هذا الصدد . ان المصادر التي اطلعنا عليها بالتفصيل معظمها يقع تحت المؤلفات والابحاث النظرية والتجريبية ، واما التراجم والاطروحات والمقالات الاجنبية فقد اهملنا الاطلاع عليها مفصلاً لاعتقادنا أن هذه الاخيرة لا تقع ضمن نطاق الفكر العربي ، مكتفين بذكرها بين المراجع والتعليق عليها تعليقاً موجزاً فيما يلي .

ماذا عن الترجمة؟ عدة ملاحظات يجب ذكرها لتأثيرها على نوعية و كمية ماترجم اولاً . عدد المؤلفات المترجمة لا يتجاوز عدد اصابع اليدين ، ثانياً ، ان اسم المترجم او أسماء المترجمين يبقى مجهولاً في بعض الاحيان ، والاهم من هذا ان المترجم غالباً ما يكون على غير دراية بالموضوع الذي يترجمه وهذا بحد ذاته قد يعرضه لمزالق خطيرة من ناحية اظهار المعنى الكامل ثالثاً . ان الغالبية من هذه التراجم يدور حول النفس التحليلي او الذي يلاقي هوى في نفوس العامة مثل « فن معاملة الناس » وعلم النفس يدلك على الطريق و « سيكولوجية النساء » و « علم النفس في حياتنا الحديثة » الخ . وهذا لا يرجع الى حافز الربح لدى دور النشر فقط بل الى اعراض الخاصة عن قراءة الكتب المترجمة وعدم ادخال هذه الكتب في مناهج الجامعات حيث تدرس هذه المادة اما بالانكليزية أو الفرنسية .

ان الاطروحات التي شملناها كتب جميعها في دائرتي علم النفس والتربية في

الجامعة الاميركية وانعدام وجود سواها ان كان في الجامعة اللبنانية أو الجامعة اليسوعية ، وتاريخ هذه الاطروحات حديث أذ يبدأ من سنة ١٩٥٤ . مـن مجموع الاطروحات العام، استثنينا تلك التي كتبها أجانب أو المواضيع التي لا تدخل في علم النفس او علم النفس التربوي . ويمكن القول ان نصف الاطروحات التي كتبت في دائرة علم النفس دارت حول نظريات التعلم ، العوامل الـتي تؤثر فيها ومدى استمرارها . واما الاسلوب فقد كان تجريبياً وبمساعدة الآلات الخاصة الموجودة في مختبر دائرة علم النفس . والجدير بالذكر ملاحظة شبه العلاقة المعدومة في مواضيع هذه الاطروحات . اما النصف الآخر من الاطروحات فتناول بالبحث مواضيع شتى قاسمها المشترك علاقتها بالبيئة اللبنانية مثل « انحراف الاحداث »،« سكيزوفرينيا»، « قياس روائز الذكاء » ، « حوافز التحصيل » ، « انماط تربية الاطفال وعلاقتها بشخصية الطفل » الخ. واذا انتقلنا الى الاطروحات التي كتبت في دائرة التربية نرى ايضاً علاقة المواضيع المختلفة بالبيئة اللبنانية وتنوعها مثل « مشاكل التكيف الاجتماعية والعائلية والمهنية لدى خريجات الجامعة الاميركية في بيروت واللواتي يسكن في بيروت» « مشاكل التكيف الطلبة الداخليين في الكلية العامة » ، « مشاكل الاطفال العاطفية في بيروت » ، « دراسة اسباب الرسوب في الفيزياء في المدارس الثانوية في بيروت » ، « التعليم المختلط في لبنان » الخ .

وأخيراً نأتي الى المقالات الاجنبية التي أوردنا منها في الفهرس ما له علاقة بالبيئة اللبنانية فقط . ونستطيع القول ان جميعها كتبه اساتذة علم النفس في الجامعة الاميركية ، وهي دراسات تجريبية عمادها الاسلوب الاستجوابي وحقلها علم النفس الاجتماعي ، بالاضافة الى قسم قليل منها يبحث في سيكولوجيا الطفل . امـا قيمة هذه الدراسات فذات شقين ، اولاً اسهمت في القاء الضوء على كثير من المشاكل

النفسية والاجتماعية وثانياً وسعت من المدى التطبيقي لبعض النظريات في علم النفس .

بعد هذه اللمحة المقتضبة عن التراجم والاطروحات والمقالات الاجنبية ، من الضروري اعطاء القارىء فكرة موجزة عن القسم الثاني الايجابي من بحثنا والذي سيتناول : اولاً ، عرض وتقييم الكتب والمقالات النظرية ، وثانياً ، المقالات التجريبية . يمكن تلخيص الوضع بالنسبة للجزء الاول من هذا القسم في النقاط العامة التالية : — ١) ليس عدد الكتب المؤلفة في علم النفس ضئيلاً فقط ، بل البعض منها اقرب الى التعريب أو حتى النقل عن عدة مراجع اجنبية منه الى التأليف . ٢) ان كتابين من اصل هذه الكتب التي لا يتجاوز عددها الخمسة من تأليف كاتبين أجنبيين ولكنهما ادخلا في هذا البحث لاسباب سيأتي ذكرها في سياق المقال . ٣) ان اسلوب المقالات النظرية يتراوح بين التأملات والانطباعات الشخصية من جهة ، والعلمية المقرونة بمراجع من جهة اخرى ، ولذلك ارتأينا معالجة الكتب والمعاجم ثم المقالات كل على حدة .

من الجلي ان اول كتاب في علم النفس نشر في لبنان تحت عنوان « الدروس الاولية في الفلسفة العقلية » وضعه دانيال بلس ، مؤسس الجامعة الاميركية في بيروت ، في سنة ١٨٧٤ . وبالرغم من ان المؤلف اميركي الجنسية ، فقد شملنا الكتاب في هذه الدراسة لكونه اولاً وضع باللغة العربية وثانياً لصفته الرائدة في حقل علم النفس في لبنان . كان الهدف الرئيسي للمؤلف جعل الكتاب كتاباً مدرسياً يحتوي ، كما ذكر في مقدمته ، على المبادىء الاصلية التي طالعها المؤلف في مؤلفات شتى لارباب هذا العلم من زمن افلاطون حتى ذلك الوقت والكتاب يدور حول مواضيع لحمتها علم الفلسفة وسداها علم الفيزيولوجية وهذا التزاوج يظهر بوضوح في المواضيع التي

عولجت : كالروح والمـادة ، والمشاعر الخمسة ، والارادة ، والذاكرة والنسيان ، وعلم المنطق الخ . والجدير بالذكر ان الكتاب لا يفتقر الى صفـة الاستمرار في الافكار او المعالجة ، فالمؤلف يبدأ بتحديد الفلسفة العقلية ثم ينتقل ليبحث بالتفصيل ماهية المشاعر الخمسة ويتبع هذا بحث عن الملكات العقلية . كل هذا عولج ضمن ما كان معروفاً علمياً في ذلك الحين . فالفلسفة العقليـة المؤلف « علم يبحث فيه عن قوى العقل البشري وعن الشرائع التي يحكم بها على تلـك القوى » (صفحة ٣) . والظاهر ان القوى التي يتكلم عنها المؤلف يعتبرها ملكات ، كما كان شائعـاً في في ذلك الوقت ، كقوله مثلاً في سياق بحثه عن التجريـد والذي يحدّده بأنه تنظيم الكليات من الجزئيات ، « ومما تقرر نرى ان التجريد من اشرف قوى العقل واهمها لدخوله في كل فكر من افكارنا تقريبا ولذا يجب ان نجتهد كل الاجتهاد لتقويتـه بالممارسة والانتباه حتى يصير لنا ملكة نقتدر بها على معرفة حقائق الكليات بقدر الطاقة » (صفحة ٩٨) .

ان تاريخ ظهور الكتاب الثاني تحت عنوان « اصول علم النفس واسرار العقل الباطن » لمؤلفه يوسف اسكندر جريس فيه شيء من اللبس وان كان من الارجح انه نشر في سنة ١٩٠٤ . واهمّ ما تناول الكاتب بالبحث : شبكة الاعصاب ، العواطف ، الارادة ، الذاكرة ، الغرائز (ويعدد الكثير منها) ، الامراض النفسية الخ . والكتاب ابعد مـا يكون عن الاصول واقرب ما يكون من الاسرار ، وهذا يرجع الى غنى الكتاب بفقرات مبهمة احياناً وضعيفة العرض أحيانـاً اخرى . ففي حديثه عما يدعوه بغريزة الخوف . يقول الكاتب « كلما انتشرت المدنية بيننا كلما قل عمل هذه الغريزة ، فالمدن المنارة بالكهربا ، ذات العمارات الفخمة والحكومات المنظمة يكون سـكانها آمنين على انفسهم ويقل فيهم عمل هـذه الغريزة عن سـكان

البادية أو القرية » الخ . (صفحة ٩٧) . اما عما سماه بغريزة حب السيادة في الرجل والاذعان في المرأة فيؤكد المؤلف « ان اهم الاسباب التي حملت وزارات المعارف في كل بلدان العالم تقريباً على منع عقوبة الضرب للتلاميذ ولا سيما الجنس اللطيف هو خوف علماء النفس من تهييج الغرائز الجنسية بواسطة الضرب » (صفحة ١٠٦) ، ويستطرد قائلاً ان وجود هذه الغرائز حملت « علماء النفس ان يقترحوا تزويج الرجال الساديين بالنساء الخانعات لينعموا بتبادل السادية والخنوع » (صفحة ١٠٧) . ويقوم المؤلف في بحث نماذج التحليل النفسي باعطائه برنامجاً للاسئلة ، مأخوذاً عن عالم غربي ، الساعد على اكتشاف المركب أو العقدة ، وذلك لفائدة الطلبة المبتدئين في علم النفس ، وهذه بعض الاسئلة التي يحتوي عليها البرنامج « اسم المريض وعمره وقوامه؟ ونوع لحمه ان كان رخواً ام جامداً – ومقياس ذكائه – والالعاب الرياضية التي يميل اليها – والعاهات الجسمية – ونوع جلده ان كان ناعماً او خشناً – وهل بوجهه او حجم رأسه شذوذ – وهل يأخذ كفايته من الغذاء الخ » . (صفحة ١٥٩) . ان هذه الامثلة تعطي فكرة عن مستوى الكتاب العلمي ، بالرغم من انه نشر في العقد الاول من هذا القرن ، وخلاصة القول ان المؤلف لم يحاول تقييم الكثير من الاحكام التي ينثرها بسخاء ، ومعظم الامثلة التي يعطيها تزيد في ابهام ما يود تفسيره .

والبحث يقودنا الى الكتابين الاخيرين لمؤلفها منير وهيبه الخازن وقد نشر الاول في سنة ١٩٣٨ متناولاً « سيكولوجيا الانسان : نفوسنا المريضة وعلاجها النفساني » والثاني في سنة ١٩٥٣ تحت عنوان « التسلط على الذات » . وهنا أيضاً تظهر بجلاء الناحية الشخصية في التأليف والتي لايمكن ان تصدر الا عن هاو في الحقل . والظاهر أن عامل الزمن بين ظهور الكتابين لم يحسن من نوعية العرض أو التحليل فالتكرار يكثر في كل من الكتابين واحياناً ترد نفس الجمل في كلا المؤلفين .

والاهم من هذا وذاك وورود أحكام تتنافى مع ما كان معروفاً في علم النفس . ففي كتابه الاول يقول الكاتب ان الشخصية الانسانية على أنواع شتى فبعضها جبل على الخصام أو المسالمة ومنها ما فطر على الشدة والقسوة الخ . مما يعطي القارىء الانطباع أن العامل الاساسي في التقسيم هو العامل الوراثي . أما أهم العوامل التي يعرف بها صاحب الشخصية القوية فهي، حسب اعتقاد الكاتب وتأكيده : استخدام النفس ، الصراحة في القول ، الثبات على المبدأ ، خشونة الحياة ، كبح الاعصاب ، والترفع عن مغريات المادة . فما هو الرابط بين هذه العوامل وهل هناك رائز ثابت نستطيع بواسطته قياس الشخصية القوية ؟ ثم ما هي الشخصية القوية وهل تحديدها يتم بجمع بعض الصفات المتنافرة والتي هي بحد ذاتها بحاجة الى تعريف وشرح ؟ وحتى لا يبقينا الكاتب في خضم من التساؤلات يجيبنا عنها في كتابه الثاني الذي تناول فيه مواضيع الشخصية والادارة وامراض النفس وطرق علاجها والتسلط على الاعصاب والعواطف والغرائز والرذائل الخ . فاذا اردنا انماء الشخصية فما علينا الا اتباع ما يسميه الكاتب « بالوصايا الذهبية » التي يجيء في بعضها ما يلي « يجب عليك ان تعمل على انماء شخصيتك بمعنى ان تكون حليماً متزناً رصيناً محترماً نفسك ، كما انه يجب عليك ان تأمر وتطيع فتأمر الغير وتطيع مبادئك وخصالك » (ص ١٩) . ثم يستطرد قائلاً « ان من لا يشعر بتفوقه على غيره ، يجب عليه لكي يساير هذا التفوق ويتصف به ان يعمل ويتحدث ويقف موقف الرجل المتفوق على الآخرين » (صفحة ٢٠) . ويؤكد للقارىء بقوله « تذكر ان الايحاء النفسي هو الدعامة التي يستند اليها المرء في تدريب نفسه ، فساعد نفسك وعاونها في سبيل تدريبها على ضروب الايحاء » (صفحة ٢٢) . اما في معرض حديثه عن تربية الارادة فيقول « ان أكثر علماء النفس . . . يجدون ان بالامكان تربية الارادة وتقويتها بشرط ان نقوم بالشروط الفيزيولوجية التي تساعد على نمو القوة الارادية من حسن انتخاب الطعام وانتظام النوم والقيام بتمارين رياضية

معتدلة » (صفحة ٣٨) . ان الكتابين عبارة عن آراء شخصية للكاتب استمدها من تجاربه وما طالعه وهو ينصح بما يعتبره مفيداً ولكن اذا اردنا استخلاص اي نتائج علمية من الكتابين او محاولة اظهار اسهام الكاتب في شرح او بـلورة نظريات معينة في حقل علم النفس نواجه صعوبة جديدة في ابراز اي شيء في هذا النطـاق او الاشارة اليه .

اما كتابنا الاخير فهو من تأليف استاذ علم النفس في الجامعة الاميركية تيري بروثرو وقد نشره مركز دراسات الشرق الاوسط في جامعة هارفرد في سنة ١٩٦١ . يمكن الاعتراض هنا على شمولنا هذا الكتاب في نطاق البحث لان الكاتب والناشر اجنبيان ولكننا نعتقد ان الكتاب لكونه اختبارياً ورائداً يجعلانه ذا قيمة خاصة . وهذا الكتاب الذي يحاول درس الامهات والاطفال في لبنان له هدفان رئيسيان : اولاً ، القاء الضوء على المشكلة العامة لسيكولوجية الطفل ، وثانياً، ابراز المعلومات الاساسية عن حياة العائلة في المدن والقرى اللبنانية . انطلاقـاً من هذين الهدفين ، عدل الاستاذ بروثرو لائحة مفصلة من الاسئلة التي استعملت في دراسة عن الامهات والاطفال في اميركا لتلائم البيئة اللبنانية ، ومن ثم انتقى ستة عينات التي اعتبرها ممثلة للمجتمع اللبناني . فالبيانات التجريبية كانت نتيجـة اولاً لردود الامهات عن شتى نواحي علاقتهن بالطفل وعلاقة الطفل بالمحيط المباشر الذي نشأ فيـه ، وثانياً لنتائج الروائز العديدة التي اعطيت للاطفال الذين لم تزد اعمـارهم عن خمس سنوات لمعرفة حاجتهم للتحصيل ، والذكاء ، الخ. من الطبيعي في بحث تجريبي كهذا ان تنتج اخطاء كثيرة تبعاً لعوامل مختلفة والكاتب لم يغفل هذه الناحية فحاول، جهده تضييق شق هذه الاخطاء . اما النتيجة المتوخاة من البحث فهي محاولة معرفة علاقة عوامل عديدة كطريقة عناية الام بالطفل ، ومستوى العائلة الاجتماعي والاقتصادي ، والدين،

الخ . وسلوك الطفل كما ظهر من نتيجة الروائز المعطاة . وعند تحليل البينات ودراستها توصل الاستاذ بروثرو الى النتائج الرئيسية التالية : اولاً ، من المؤكد وجود انماط ظاهرة لتربية الطفل في لبنان يختلف الكثير منها عن تلك المتبعة في بلاد اخرى كالولايات المتحدة مثلاً ، ثانيا، بالرغم من تمثيل العينات لمذاهب دينية وعنصرية مختلفة، هناك بالاجمال تجانس في طريقة تربية الاطفال والتي تتعدى حدود الدين واللغة والطبقة . اما الفروق الوحيدة فقد اقترنت بالمذهب الديني للامهات وما اذا كانت الام « عصرية » او « تقليدية » حسب تحديد الكتاب (صفحة ١٥٧) ، ويختتم المؤلف كتابه باظهار العلاقات التي وجدها بين انماط تربية الاطفال وسلوكهم ومدى تشابه هذه النتائج بدراسات مماثلة في الغرب ، ومن ثم يؤكد الكاتب أن فائدة الكتاب لا تقف عند كونه مصدر لمعلومات كثيرة عن الاطفال والامهات في لبنان فحسب بل كمصدر عام عن سلوك الاطفال والامهات. من الناحية النظرية أسهمت هذه الدراسة بتطبيق نظريات تتناول سيكولوجية الطفل والتي تبلورت في المجتمعات الغربية، على المجتمع اللبناني. واذا عرفنا أن علم النفس يبحث في السلوك الانساني العام وهو في هذا لا يلتزم بيئة أو ثقافة معينة لادركنا مدى أهمية البحث كمحاولة لتوسيع وربما تعميق فهم سلوك الام والطفل عامة . ولا شك أن الجهد الذي بذل والعناية التي خصصت لتطبيق هذه النظريات في لبنان ومحاولة مقارنتها بمثيلاتها في الغرب كانت مفعمة بنتائج جزيلة الفائدة ، فاتحة آفاقاً واسعة أمام الباحثين المهتمين بسيكولوجية الطفل في المستقبل .

واذا استقصينا ما تم في حقل المعاجم نرى أن الانتباه لسد هذه الثغرة لم ينشط الا مؤخراً وأول ما نشر كان « مجموعة المصطلحات الاحصائية » في سنة ١٩٥٦ في ثلاث لغات ، وقد أعد هذه المجموعة المركز الدولي لتعليم الاحصاء في بيروت بالتعاون

مع نخبة من الاحصائيين العاملين في بلدان الشرق الاوسط وبعد التعديلات التي أجراها أعضاء الندوة الاحصائية للدول العربية أثناء اجتماعاتهم في القاهرة في أواخر شهر تشرين الثاني سنة ١٩٥٥ على النصين العربي والانكليزي أوصوا الدول الاعضاء باستعمال المجموعة . لا بد من كلمة ثناء على الجهد المبذول في اعداد هذه المجموعة لا سيما وانها شاملة جامعة للغالبية العظمى من التعابير والمصطلحات الاحصائية وهي بذلك توفر الوقت الكثير على الباحث العربي موحدة « وعارضة » المصطلحات في ثوب رقيق الحاشية سهل الفهم .

وفي سنة ١٩٥٦ ظهر « معجم مصطلحات علم النفس » بثلاث لغات أيضاً لواضعه منير وهيبة الخازن وهو أول معجم نشر في لبنان . واذا ما تجاوزنا صفته الرائدة وقارناه بمعجم عادي من مثيلاته في اميركا مثلاً لاستوقفتنا ظاهرة هامة وهي شمول المعجم على أقل من ثلث المصطلحات المشمولة بالمعجم الاميركي وهذا مما يحد من فائدة المعجم . وأما نوعية الترجمة فهي بوجه عام جيدة ما عدا بعض التعابير كقوله مثلاً في تعريف كلمة « شاذ » (Abnormal) « اما في علم النفس فتطلق على الاشخاص الذين لا يتأثرون باللونين الاخضر والاحمر بالذات من مجموعة الالوان بنسبة واحدة » (صفحة ١١) . واذا قارنا بعض المصطلحات بتلك الواردة في معجم ظهر حديثاً باللغتين العربية والانكليزية في سنة ١٩٦٠ من تأليف فريد نجار بالاشتراك مع اساتذة من دائرتي التربية والفلسفة في الجامعة الاميركية تحت عنوان « قاموس التربية وعلم النفس التربوي » ، نلاحظ فقراً في التجانس ، ومثال على ذلك الكلمات التالية :

الكلمة	قاموس الخازن	قاموس نجار
Animism	« مذهب حيوية المادة او الاحيائية »	« مذهب التأنيس »
Autism	« التفكير الاجتراري »	« التوحد »
Curiosity	« غريزة الاستطلاع »	« حب الاستطلاع أو الفضول »
Delusion	« هذاء أو جنون الهذاء »	«ضلال أو وهم باطل»
Dementia	« الخرف أو الشلل الجنوني العام »	« عتاهة أو خبل »
Hysteria	« هيستيريا أو اهتار »	« هيستيريا أو الهرع»
Anxiety-Hysteria	« الهيستيريا الحصرية »	« قلق الهستيريا »
Phobia	« مخاوف هيستيرية أو الخوف المرضي »	« فوبيا أو رهبة »

الخ .

لا نريد في هذا المجال نقد المعنى اللغوي او المفاضلة ولكن الاشارة الى البلبلة التي تحدثها هذه المفارقات في الترجمة في ذهن الباحث ، والمفروض في المعاجم تسهيل عمل الباحث بارشاده الى معنى موحد ومقبول لدى مختلف المعاجم . كلمة نهائية عن معجم نجار . اذا اخذنا كتاباً نموذجياً في علم النفس التربوي نجد عدداً من المصطلحات الكثيرة الورود غير مذكورة في المعجم مثل :

Dependencey, Incidental Learning, Incentive, Atonement, Expiation, Displacement, Repression, Withdrawal, Percentile, Insecurity. الخ.

بالرغم من الاختلاف في موضوع المعجمين ، نعتقد ان الطريقة التي اتبعت في تحضير معجم نجار بواسطة لجنة افضل بكثير من الصورة الفردية التي قام عليها معجم الخازن ، ونقترح للمستقبل تأليف لجنة مشتركة من اساتذة علم النفس والتربية

والالفة لاعداد قاموس موحد يكون مرجعاً اصيلاً شاملاً ونبراساً للعاملين في هذا الحقل .

وننتقل الآن ابحث المقالات التي نشرت في لبنان والتي لها علاقة بموضوعنا . لقد قسمنا المقالات الى نظرية وتجريبية ، والفرق الرئيسي يقع في اعتماد الاولى معالجة موضوع معين ، احياناً بالاستناد الى او البناء على ابحاث كتبها آخرون في الحقل دون وضع الفكرة الواردة موضع الامتحان عكس ما هو الحال في المقالات التجريبية . وقد استحصلنا على مصادرنا من المقالات النظرية من ثلاث مجلات ، وهي مجلة « المشرق » تصدرها الجامعة اليسوعية في بيروت ، مجلة « الابحاث » تصدرها الجامعة الاميركية في بيروت ، و « المجلة الطبية اللبنانية » وتصدرها نقابة الاطباء في لبنان . وبعد مراجعة تفصيلية لكل الاعداد ادخلنا كل ما له علاقة في بحثنا . لنأخذ كل مجلة على حدة .

المقال الاول في مجلة المشرق نشر في سنة ١٩٢١ للابوين مونجان ومنسى اليسوعيين تحت عنوان « مناجاة الارواح » ويمكن تلخيصه بايراد الفقرة التي تقول « وفي مقالتنا الحاضرة سنختصر اولا بالاجمال تاريخ السبيريتيسم ثم نروي الحوادث المنسوبة الى الارواح وننتقد من صحتها ثم نسعى بتفسير معانيها الغامضة . ومن بعد ذلك نبحث عن الدين المزعوم المبني على المذهب الروحاني ونختم مقالتنا باثبات رأي الكنيسة الكاثوليكية وحكمها في السبيريتيسم » (صفحة ٢٧٨) . واما المقال الثاني فقد تناول بالبحث « الغرائب النفسية » للاب شارل ابيلا اليسوعي في سنة ١٩٢٩ وهو عبارة عن مقال انتقادي فلسفي ، كما يقول الكاتب ، ينتقد فيه بعنف كتاب يعقوب صروف « رسائل الارواح » كما يطعن بمجلة « المقتطف » لاعتمادها الطريقة التجريبية قاعدة وحيدة للمعتقد ، ومن ثم يشمل بنقده كل ما جاء

خارجاً عن تعاليم الدين واعتقادات الكنيسة الكاثوليكية في كتاب يعقوب صروف ، والخلاصة ، مع ان المقالين اعتمدا بعض المراجع العلمية ، فبحثاهما يتناولان الدين ونقد موقف الآخرين منه اكثر مما يتناولان علم النفس والمقال النظري الاخير في هذه المجلة بقلم محمد خاطر نشر في سنة ١٩٥١ وبحث « العادات والتقاليد » متناولاً اصلها وتأثيرها على الافراد والمجتمع واصلاحها . ويقسم الكاتب العادات الى اقسام عديدة ويحدد كلا منها فيذكر مثلا « العادات البسيطة والمركبة . . . والجسمية والنفسية والفردية . . . والمزاجية والاكتسابية » الخ . (صفحة ٤٢١). ومعظم ما ورد في هذا المقال لا يتماشى مع ما كان معروفاً علمياً آنذاك ، وانما هي آراء للكاتب تنبع من معتقداته وينثرها بسخاء دون اي رابط او اسس . انسمع الكاتب يقول « وغالباً ما يرث المرء مزاجه عن سلالته ولا سيما والديه ابيه وامه ، وبعد ان يبصر النور ينمو فيه ذلك المزاج ويقوى بما يتناوله من غذاء وطعام ويتوافر حواله من اسباب للحركة والقوة ومقومات الحياة . فاذا ترعرع ظهر فيه ميل خاص واستعداد فطري لهذه العادة او تلك ، ومفعولات هذين الميل والاستعداد هو مما اردنا تسميته بالعادات المزاجية » (صفحة ٤٢٥) . وحتى يثبت لنا هذا القول ويبعد عن فكرنا اي شك في صحته يعطي مثلاً عن ولدين فقدا ، احدهما ابن ملك والآخر ابن غجري ، فوجدهما رجل فتبناهما وأكب على تثقيفهما ورعايتهما بالعدل والقسطاس ولما شبا « تباينت اخلاقهما فظهرت في الاول الصفات الخاصة بالملوك ، من حب الضرب بالسيف ، وركوب الجياد ، وميل الى الكرم والجود ، والسيطرة على الاتراب ، والتحكم فيهم ، والفصل فيما يقع بينهم من منازعات . اما الآخر ابن الغجري ، فقد قاده مزاجه الى المهارة في الرقص والغناء وعمل المناخل وسرقة الدجاج ، مما يزاوله ابوه وامه من قبله وذلك دون ان يتعرف احد منهما الى ذويه او ان يتصل به اي شيء عن اصله وفصله » (صفحة ٤٢٦) . وفي صدد بحثه عن السلالات ،

يقول الكاتب ان مميزات السلالة الزنجية او السوداء « الامانة ، وكمون الحقد ، ومفاجأة من يسيء اليها بانتقام غير منتظر ، وقلة ما فيها من وسائل للرقي والتقدم » (صفحة ٤٢٧) . وينتهي الكاتب الى اقتراح لاصلاح العادات يمكن القول فيه انه مواز في نوعيته ومنطقه لما سبقه من بحث ومما جادت به قريحة الكاتب من تحليل . وهذا قليل من كثير من نوعية المعالجة التي اتبعت والبعيدة كل البعد عن البحث العلمي الواعي والذي يستشري في كل منعطف من المقال . ومجمل القول ان المقالات الآنفة الذكر (١٠١ مقالات دينية تهدف بالدرجة الاولى لدحض كل ما قيل وتنافى مع تعاليم وآراء الكنيسة الكاثوليكية او هي انطباعية تكشف عن معتقدات الكاتب ومشاربه مبتعدة بذلك في سيرها عن طريق البحث العلمي المجرد وروح العلم .

أما فيما يتعلق بمجلة « الابحاث » ، فبعد مراجعة كل اعدادها جمعنا سبعة مقالات يعود نشر أولها الى سنة ١٩٤٩ . وأغلب هذه المقالات كتبها اساتذة في الجامعة الاميركية في بيروت وقد تناولت بالبحث مواضيع شتى مثل « المشكلة الجنسية » ، « السكيزوفرينيا » ، « آراء وملاحظات حول تدريس العلوم الاجتماعية في الشرق العربي » الخ . وجميعها نظري مستند الى الطريقة العلمية في البحث واما آراء الكاتب فتعطى في قالب علمي مدعوم بمصادر وفي حالة ورود فكرة شخصية للكاتب يشير الى ذلك متوخياً الامانة العلمية .

وأخيراً ، لدى مراجعتنا « المجلة الطبية اللبنانية » وجدنا سبعة عشر مقالاً ، نشر أولها في سنة ١٩٤٨ ، ومعظمها كتبه أطباء اخصائيون في الامراض العقلية يعملون في مختلف المستشفيات اللبنانية . وأغلب هذه المقالات نظري وبعضها أحصائي وجميعها تتولى معالجة مواضيع شتى في حقل الصحة العقلية والامراض النفسية وطرق معالجة

بعض هذه الامراض. ونورد على سبيل الذكر لا الحصر « الصحة العقلية في لبنان» « مص الابهام أو الاصابع عند الاطفال »، « اثر الاضطرابات العصبية والنفسية في جهاز الهضم »، «التفاعلات العائلية في الصحة والمرض»، « تصرف الطبيب النفساني مع اهل الاطفال المتأخرين عقلياً » الخ . والغالبية العظمى من هذه المقالات يستند الى البحث العلمي ويعتمده طريقاً سوياً في معالجة الموضوع والوصول الى النقاط التي أراد الكاتب ذكرها او الاشادة باهميتها .

ونأتي اخيراً لبحث المقالات التجريبية التي ذكرنا امتيازها عن غيرها في وضعها الفكرة الواردة في المقال موضع الامتحان أو الاختبار وتاريخ هذه المقالات حديث اذ يعود أولها الى سنة ١٩٥٢ وأما عددها الاجمالي فثمانية وعشرون مقالاً وجميعها كتبه اساتذة علم النفس في الجامعة الاميركية في بيروت ونشر في مجلات اجنبية علمية يقتصر قبول الابحاث فيها على اكاديميين مختصين في حقل علم النفس والغالبية الساحقة من هذه المقالات تدخل في حقل علم النفس الاجتماعي التجريبي، وطبيعتها التجريبية تضع الباحث في نطاق البحث الكلاسيكي العلمي حيث أولا تبلور الفكرة ثم تجمع المعلومات بواسطة الاسئلة او بأسلوب آخر ومن ثمّ تمتحن النظرية والجدير بالذكر ان العديد من هذه المقالات تجمع بينها وشائج مشتركة تعني ان النتائج التي ينتهي اليها الكاتب غالباً ما تبعث الى حيز الوجود اسئلة جديدة تدفع نفس الكاتب أو كتاباً آخرين لالقاء الضوء على هذه الاسئلة ومحاولة الربط أو التعليق على علاقتها بسابقتها . واما الرابط المشترك بين كل هذه المقالات فعلاقتها الوثيقة بالبيئة اللبنانية ومعالجتها لمختلف النواحي فيها . واهمية هذا النوع من المقالات يكمن في بلورة وتوسيع شمول او تقليص مدى تطبيق النظريات في بيئات تختلف عن البيئة التي ظهرت فيها .

لقد حاولنا في هذا البحث مراجعة سريعة لما تم في علم النفس في لبنان في المائة سنة الاخيرة ويمكن القول ، اذا استثنينا الابحاث التجريبيـة ، ان اسهام العرب في لبنان يكاد لا يذكر اذا عنينا بالاسهام الانتـاج الخلاق الذي يدفع بالعلم قدما من ناحية بلورة النظريات أو الاضافة اليها أو امتحانها في غير الجـو الفكري الذي ظهرت ونمت فيه .

اما اقتراحاتنا فيمكن تلخيصها بالنقاط التالية : —

١) اصدار مجموعة احصائية لدراسات علم النفس في لبنان وكل من البلاد العربية الاخرى باشراف لجنة من الاختصاصيين ودعم مادي من الدولة ، تذكر كل مـا ألف وترجم من كتب ومقالات ونبذة عن كل منها . وتحقيق هذا الامر ، عـدا عن تسهيله للباحث معرفة ما يجري في هذا الحقل في لبنان وخارجه ، يؤمن بصورة استمرارية هدفاً رئيسياً من اهداف المؤتمر .

٢) اصدار مجلة علمية كمثيلاتها في الغرب تعنى بنشر الابحاث التي تتعلق بعلم النفس ، ونترك تقرير كيفية اصدارها ومركزها وتمويلها ، واللغات التي ستصدر بهـا للمؤتمرين الكرام .

٣) تشكيل لجنة مشتركة من الاخصائيين العرب لاصدار قاموس موحـد يكون مرجعاً لكل الباحثين في الحقل واجراء التعديلات السنوية الضرورية تحت وصايا اللجنة المذكورة .

٤) حث دور النشر الرئيسية للاستعانة بمشورة أخصائيين قبل الاقدام على نشر أي كتاب يدور في فلك علم النفس .

المراجع *

١ ـ الكتب المترجمة :

دونالد ليارد ليرد

فن معاملة الناس

بيروت – دار العلم للملايين ، ١٩٤٥ م .

رجينالد وليم وايلد

علم النفس المرضي ـ علم النفس يدلك على الطريق

بيروت – دار العلم للملايين، ١٩٤٥ م.

سيغموند فرويد

سيكولوجية النساء.

بيروت – دار العلم للملايين، ١٩٤٦ م

ارنست هيغمن

علم النفس في حياتنا الحديثة

* رتبت هذه المراجع حسب سني النشر .

ترجمه جميل سعيد
بيروت – دار مكتبة الحياة، ١٩٥٩م.

هاري وبورنار واودفر ستريت

علم النفس التطبيقي – العقل المنطلق
ترجمة عبد الحميد ياسين
مراجعة فؤاد ترزي

بيروت – دار الثقافة، ١٩٦٠ م.

آبيل ميروغليو

سيكولوجيا الشعوب
ترجمة نهاد رضا

بيروت – عويدات ١٩٦١، م

عقدة اوديب

ترجمة جميل سعيد

بيروت – فرانكلين، ١٩٦٢م.

٢ – اطروحات الماجستير (M.A. Theses) :

A. *Department of Psychology*:

Hawi, Rose A., Establishment of Inteligence Norms for Beirut School Children of Six Year. 1956.

Al-Farr, Barakat Salib, Juvenile Delinquency in Lebanon, 1957.

Tabourian, Rita A., Preliminary Investigation of the Role of Story Telling in Child Rearing Practices of Selected Lebanese Populations, 1958.

Al-Issa, Ihsan, An Experimental Investigation into Relationship between Simulated Accidents and Laboratory Tests of Learning and Perception. 1959.

Ussayran, Nahid H., Sources of Variability in Performance on the Goodenough Draw-a-man Test. 1959.

Nakkash, Saniyyah, The Effect of Prior "Fear" and "Escape" Training on Avoidance Learning. 1960.

Oshagan, Emma, An Experimental Investigation of Some Factors Related to Accident Proneness. 1960.

Dounabedian, Asbed H.M., An Investigation into Some Aspects of Verbal and non-Verbal Communication Skills in Schizophrenics. 1961.

Barakat, Hind, The Effect of Schedules and Magnitudes of Reinforcement on Behaviour. 1962.

Salman, Mona, Determinants of Post-Reinforcement Pauses on Fixed-Ratio Schedules. 1962.

Yemikomischian Rita M., The Generality of a Discriminative Stimulus. 1962.

Kaylani, Saud, On the Stimulus Control of Post-Reinforcement Pauses on Multiple Schedule of Reinforcement. 1963.

Nakhlah, Samia A., Achievement Motivation among Minority Groups in in Beirut. 1963.

B. *Department of Education*:

Wakim, Suad G., Child Rearing in Mieh-Mieh. 1956.

Al-Khatib, Ahmad Shafiq, Scientific Attitude in Science Teaching in Lebanon. 1958.

Namek, Yakub R., A Study of the Causes of Failure in Secondary School Physics in Lebanon. 1958.

Shihab, Rafika, Coeducation in Lebanon. 1959.

Takieddine, Adele Hamdan, Content Analysis of Fourth Grade Arabic Readers and Children's Reading Interests. 1959.

Tuqan, Suha, Comparative Sutdy of the Academic Achievements and Difficulties at the A.U.B. 1959.

Anabtawi, Najwa, The Relationships between the Concepts of Teachers and Students in Girls' High Schools Concerning the "Ideal Student" and the "Ideal Teacher". 1960.

Haddad, Fuad S., Adjustment Problems of Boarders at the International College, 1960.

Kalikedjian, Zareh, Literature for Adolescents. 1960.

Khuri, Fuad I., Education as a Function of Social Stratification in Cedarstown. 1960.

Nassif, Suad A., Guidance in the Elementary Schools of Beirut: an Empirical Study of Children's Problems in Elementary Schools. 1960.

Tuaima, Amal, A Comparison of National Sterotypes among Lebanese Students of Three Age Groups. 1961

Lahoud, Iris, A., Emotional Problems of Children in Beirut; An Empirical Study of Children's Emotional Problems. 1962.

Barbir, Yusr S., Social, Family, and Vocational Adjustment; Problems of A.U.B. Women Graduates Residing in Beirut. 1963.

Kebby, Anbara (Sinno), Reasons for Institutional Placement of Dependent Children in Lebanon. 1963.

٣ ـ الكتب المؤلفة

دانيال بلس

الدروس الاولية في الفلسفة العقلية

ـ بيروت ، ١٨٧٤ م .

يوسف اسكندر جريس

اصول علم النفس واسرار العقل الباطل

تعريب يوسف اسكندر جريس

- بيروت ، ؟ ١٩٤

منير وهيبة الخازن

سيكولوجية الانسان

- بيروت ، مطبعة الكشاف ،١٩٣٨م .

منير وهيبة الخازن

التسلط على الذات

- بيروت ، مكتبة صادر ، ١٩٥٣ م .

منير وهيبة الخازن

معجم مصطلحات علم النفس

ـ بيروت ، دار النشر للجامعيين ، ١٩٥٦ م .

مجموعة المصطلحات الاحصائية

المركز الدولي لتعليم الاحصاء في بيروت

- بيروت ، ١٩٥٦ ، م .

فريد نجار

قاموس التربية وعلم النفس التربوي

بالاشتراك مع فايزة معلوف انتيبا ، نعيم نقولا عطية ،

ماجد فخري ، باشراف حبيب كوراني

– بيروت الجامعة الاميركية ، ١٩٦٠ م .

٤ – مقالات نظرية

الابوين يوسف مونجان ويوسف منسي اليسوعيين

السبير يتسم او مناجاة الارواح

المشرق ، السنة التاسعة عشرة ، عدد ٤ ، ٥ ، ١٩٢١ م .

ص ٢٧٨ – ٢٩٠

الاب شربل ابيلا اليسوعي

الغرائب النفسية بازاء الروحانية الزائفة والروحانية الحقة .

المشرق ، السنة السابعة والعشرون ، عدد ٦ ، ٧ ، ١٩٢٩ م .

ص ٤٠١ – ٤٠٨ – ٤٩٧ – ٥٠٣

نقولا فياض

حول العبقرية والجنون

المجلة الطبية اللبنانية ، السنة الاولى ، عدد ٧ ، ١٩٤٨ م .

ص ٣٠٥ – ٣٠٧

جورج شهلا

اهمية التعليم في المجتمع

الابحاث ، السنة الثانية ، ج ٤، ١٩٤٩م: ص ٤٠٨ — ٤٢١

من وضع وصف التربية تحت اشراف الدكتور حبيب كوراني

الحياة الانفعالية

الابحاث ، السنة الثانية ، ج ١ ، ١٩٤٩ م ، ص ٨٣ — ٨٩

Manugian, A.S. and Aivazian, G.H., Mental Hygiene in Lebanon. *Leb. Med. J.*, 1950, 3, 70-80.

ليفون ملكيان

المشكلة الجنسية

الابحاث ، السنة الثالثة ، ج ٤، ١٩٥٠ م ، ص ٤٩٤ — ٥٠١

Aivazian, G.H., Modern Concepts of Sexual Behavior. Leb.Med.J., 1951, 4, 132-142, No. 3.

جوزف بطرس

السيكوفزلوجيا

الابحاث ، السنة الرابعة ، ج ٣ ، ١٩٥١ م ٢٢٢ — ٢٣٤

يوسف حتي

الناحية العصبية في بعض الحالات المعوية

المجلة الطبية اللبنانية ، السنة الرابعة ، عدد ٦ ، ١٩٥١ م

ص ٦٧ — ٧٠

لحد خاطر

العادات والتقاليد

المشرق ، السنة الخامسة والاربعون ، عدد ٣ ، ١٩٥١ م
ص ٤١٧ – ٤٣٤

Aivazian, G.H., Medico-Legal Aspects of Psychiatry in Lebanon with a Review of Some Justice Cases. *Leb. Med. J.*, 1953, 6, No. 1, 37-48.

Manugian, A.S., Schizophrenia — Its Importance in Middle Eastern Countries and the Problems of its Treatment. *Leb. Med. J.*, 1953, 6, No. 1, 29-36.

علي الوردي
الضائع من الموارد الخلقية في البلاد العربية
الابحاث ، السنة الحادية عشر ، ج ٢ ، ١٩٥٨ م ص ١٤١–١٦٥

حبيب امين كوراني
آراء وملاحظات حول تدريس العلوم الاجتماعية في الشرق العربي
الابحاث ، السنة الحادية عشر ، ج ١ ، ١٩٥٨ م . ص٨٧–٩٨

وهيب نيني
مص الابهام او مص الاصابع عند الاطفال
المجلة الطبية اللبنانية ، السنة الثانية عشر ، ١٩٥٩ م ،
ص ٣ – ١٠

Habib, A.A., The Use of Imipramine (Tofranil) for Depressive States in Open Ward Settings of a General Hospital. *The Canad. Med. Assoc. J.*, 1959, 80, 540-546.

Ayoub, Henry, La Chimiotherapie des Schizophrenies. *J.Med.Leb.*, 1960, 13, 323-324.

Drooby, Ala'ud-Din S., Changing Child Rearing Patterns in the Middle Eastern Family. *Leb. Med. J.*, 1960, 13, 50-53.

منذر الدقاق

اثر الاضطرابات العصبية في جهاز الهضم
المجلة الطبية اللبنانية ، السنة الرابعة عشر ، ١٩٦١ م ،
ص ٨٧ – ٩٦

Habib, A.A., Essais Clinique d'un Nouveau Derive Penothiazine le 7843 R.P. (Majeptil) dans les Etats d'Agitation. *J. Med. Leb.*, 1961, 14, 73-75.

Racy, John. What is Psychosomatic Medicine? Part I: Historical and Scientific Perspective. *Leb. Med. J.*, 1961, 14; 492-501.

Drooby, A.S., The Psychiatrist's Role in the Management of Mentally Retarded Children's Parents. *Leb. Med. J.*, 1962, 15, No. 2; 100-105.

Habib, A.A., La Phenelzine (Nadril) dans le Syndrome Depressif. *J.Med.Leb.*, 1962, 15, 260-264.

نعيم عطية

موضوع علم النفس التربوي في ضوء تطور علم النفس
الابحاث ، السنة الخامسة عشر ، ج ٤ ، ١٩٦٢ م ،
ص ٤٨٥ – ٥١٦

Racy, John, Family Interactions in Health and Disease. *Leb. Med. J.*, 1962, 15, 247-259.

——————. Of Matter and Mind, *Leb. Med. J.*, 1962, No. 15, 297-308.

—————————, Psychosomatic Dentistry. A Paper Presented to the Dental Alumni Association on March 8. 1962.

Habib, A.A., Aspects of Hysteria in Lebanon: Transcultural Psychiatric Research Review and Newsletter, McGill University Press, Montreal, Canada, April 1963, No. 14, 26-29.

Nasr, Caesar, La Pedagogie de Jean Jacques Rousseau. Cahiers de l'Ecole Supérieure des Lettres; Cahier 2, 1963.

Melikian, L.H. & Prothro, E.T., Social Distance and Social Change in the Near East. *Socio. Soc. Res.*, 1952, 37, 3-11.

Kates, S.L. & Diab, L.N., Authoritarian Ideology and Child Rearing Attitudes. Paper Presented to the *American Psychological Association* on Sept. 5, 1953.

Melikian, L.H. & Prothro, E.T., Social Attitudes of University Students in the Near East. (Arabic, with English Translation), *Egyptian J. Psychol.*, 1953, 8, 387-392. (Arabic 291-297).

Melikian, L.H., & Prothro, E.T., Generalized Ethnic Attitudes in the Arab Near East. *Socio. Soc. Res.*, 1953, 37, 375-379.

Melikian, L.H. & Prothro, E.T., The California Public Opinion Scale in an Authoritarian Culture. *Publ. Op. Quart.*, 1953, 17, 353-362. Reprinted in *Studies of Motivation*, D.C. McClelland (Ed.) pp. 287-296.

Melikian, L.H. & Prothro, E.T., Sexual Behavior of University Students in the Arab Near East. *J. Abnor. Soc. Psychol.*, 1954, 49, 59-64.

Prothro, E.T. & Melikian, L.H., Studies in National Stereotypes: III. Arab Students in the Near East. *J. Soc. Psychol.*, 1954, 40, 237-243.

Melikian, L.H. & Prothro, E.T., National Stereotypes in the Near East. *J. Soc. Psychol.*, 1954, 40, 275-280.

Kates, S.L. & Diab, L.N., Authoritarian Ideology and Attitudes on Parent-Child Relationships. *J. Abnor. Soc. Psychol.*, 1955, 51, No. 1, 13-16.

Melikian, L.H. & Prothro, E.T., Studies in Stereotypes: V. Familiarity and the Kernel of Truth Hypothesis. *J. Soc. Psychol.*, 1955, 41, 3-10.

Melikian, L.H. & Prothro, E.T., Psychology in the Arab Near East. Psychol., *Bull.*, 1955, 52, 303-310.

Melikian, L.H., Some Correlates of Authoritarianism in Two Cultures. *J. Psychol.*, 1956, 43, 237-248.

Dennis, W. & Najarian, P., Infant Development under Environmental Handicap. *Psychol. Monogr.*, 1957, 71, No. 7, Whole No. 436.

Melikian, L.H. & Prothro, E.T., Goals Chosen by Arab Students in Response to Hypothetical Situations. *J. Soc. Psychol.*, 1957, 46, 3-9.

Melikian, L.H. & Diab, L.N., Group Affiliations of University Students in the Arab Middle East. *J. Soc. Psychol.*, 1959, 49, 145-159.

Diab, L.N., Authoritarianism and Prejudice in Near-Eastern Students Attending American Universities. *J. Soc. Psychol.*, 1959, 50, 175-187.

Melikian, L.H., Authoritarianism and its Correlates in the Egyptian Culture and the United States. *J. Soc. Iss.*, 1959, 15, 58-69.

Keehn, J.D. & Nakkash, S., Effect of a Signal Contingent upon an Avoidance Response. *Nature*, 1959, 784, 566.

Melikian, L.H., Preference for Delayed Reinforcement. An Experimental Study among Palestinian Arab Refugee Children. *J. Soc. Psychol.*, 1959, 50, 81-87.

Melikian, L.H., What is Normal Behavior (in Arabic), *J. Educ.*, 1960, 1, No. 2, 14-17.

Najarian, Pergrouhi, Adjustment in the Family and Patterns of Family Living. *J. Soc. Iss.*, 1959, 15, 28-44.

Melikian, L.H., The Effect of Meprobamates on Selected Psychological Tasks. *J. Gen. Psychol.*, 1961, 65, 33-38.

―――――――, Self-Disclosure among University Students in the Middle East. *J. Soc. Psychol.*, 1962, 57, 257-263.

Diab, L.N., Factors Affecting Studies of National Stereotypes. *J. Soc. Psychol.*, 1963, 59, 29-40.

————————, Factors Determining Group Stereotypes. *J. Soc. Psychol.*, 1963, 61, 3-10.

————————, Some Factors Determining National Stereotypes. *Inter. Ment. Health Res. Newsletter.*, 1963, 5, Nos. 1 & 2, 15-16.

————————, National Stereotypes and the "Reference Group" Concept. *J. Soc. Psychol.*, 1962, 57, 339, 351.

Melikian, L.H., Social Attitudes and Social Change in the Arab Middle East. Paper Read at the *Int. Cong. of Psychol.*, Aug., 1963 — Washington.

سورية

بقلم الدكتور فاخر عاقل

شيء من التاريخ

معلوم ان مؤرخي علم النفس يعتبرون ان عام ١٨٧٩ ، وهو العام الذي انشأ فيه الفيلسوف ، عالم الفيزيا ، وعالم النفس ، الالماني فونت Wundt المختبر الاول لعلم النفس في مدينة (لايبزغ Leipzig) في المانيا ، يعتبرونه العام الاول في عمر علم النفس الحديث .

ومعلوم ان هذا الاعتبار لا يعني – بطبيعة الحال – ان علم النفس لم يكن موجوداً قبل هذا التاريخ . فعلم النفس قديم قدم الانسان على وجه هذا الكوكب ، ذلك بان الانسان منذ ان وعى هذا الكون ثم وعى نفسه واشباهه طرح على ذاته اسئلة عن ذاته وعمن حواه فكان علم النفس .

واذا كان لا يعنينا ها هنا ان نفصل في كيفية اندماج علم النفس بالفلسفة وبقائه في كنفها حتى وقت متأخر جداً ، فانه يعنينا ان نذكر بأن علم النفس – مثله في ذلك مثل غيره من علوم الانسان – لم يشب عن طوق الفلسفة الا في اخريات القرن

الماضي ، وهذا هو السبب الذي حدا بمؤرخي علم النفس الى القـول بان انشاء مختبر فونت السيكولوجي كان بداية تاريخ علم النفس الحديث .

ومرة اخرى اذا كان لا يهمنا في مقامنا هذا ان نسهب في وصف العوامل التي ابقت علم النفس في حجر الفلسفة وذكر الاسباب التي ادت الى خروجه خارج هذا الحجر ، فلا اقل من أن ننوه بان هذا الخروج انما كان نتيجة طبيعية لتقدم العلوم البيولوجية فالفيزيولوجية مما مهد للعلوم الانسانية امكانية تبني طرائق واساليب اقرب لطبيعة الانسان واقدر على تمكينه من دراسة ذاته ومجتمعه واحواله .

واذا كان هذا حال علم النفس في بلاد الغرب التي سبقتنا الى النهضة فأنه من نافلة القول ان نشير الى ان علم النفس – بمعناه الحديث والعلمي المحدد – لم يكن له وجود في بلاد العرب قبل هذا التاريخ . على اننا لا بد ذاكرون بان النهضة التعليمية في بلادنا السورية العربية انما ترجع الى مطالع هذا القرن العشرين حين حاولت الحكومـة العثمانية اقتباس النظام التعليمي الافرنسي والمناهج التعليمية الافرنسية وادخلت التعليم الحديث الى بعض اجزاء رقعتهـا المترامية بما في ذلك سورية . وما نظن انه كان لعلم النفس آنئذ نصيب من العناية والرعاية ، ومـا نظن ان السوريين قد اسهموا فيه درساً أو بحثاً او حتى ترجمة واقتباساً بقليل او كثير . وعلى كل فاذا كان ثمة شيء من هذا القبيل فأنه لم يصل الى علمنا مع الاسف .

واذن فلا بد من أن يقتصر بحثنا هذا على الفترة التي امتدت من بعيد الانتداب الافرنسي على سورية حتى وقتنا هذا . ولا بد لنا قبل الخوض في الحديث عما « اسهم به المؤلفون العرب في المائـة سنة الاخيرة في علم النفس » وحـين نقصر

حديثنا على سورية ، نقول انه لا بد لنا من ان نتعرض بشيء من الوصف السريع لحال سورية العلمي والثقافي والاجتماعي في تلك الحقبة من الزمن .

ما كاد الحكم العثماني يتقوض في سورية اثر هزيمة الاتراك في الحرب العالمية الاولى حتى اعلن استقلال سورية ونودي بفيصل بن الحسين ملكاً عليها وسمي الاستاذ ساطع الحصري - اطال الله بقاءه - وزيراً للتربية والتعليم فكان من اول ما عني به اعادة تنظيم التعليم عامة ودور المعلمين خاصة ، وكان طبيعياً ان تمتد يد عنايته الى الدراسات التربوية والنفسية ذات الاهمية المعروفة في اعداد المعلم وهذا هو المعلم الاول من معالم الطريق .

ثم اجتاحت جيوش غورو سورية بعد معركة ميسلون المشهورة واضطر الملك فيصل لترك البلاد وبدأ عهد الانتداب الافرنسي في سورية ولبنان ليمتد حتى عام ١٩٤٥ عام جلائهم عنها . وخلال هذه المدة كانت سورية تحت النفوذ الثقافي افرنسا تعمل بنظمها التربوية وتقتبس مناهجها وتحضر معلميها ومربيها في جامعاتها ومؤسساتها وتترجم عن كتبها ومراجعها وتلتفت اليها في كل ما يتعلق بالتربية والعلم والتعليم .

ولا بد لنا قبل الانتقال الى المرحلة التالية من ذكر ملاحظتين هامتين في هذا الخصوص :

اولاهما : ان سورية بوصفها جزء من المملكة العثمانية كانت متأثرة بالنفوذ الثقافي الافرنسي ، اثناء الحكم العثماني بل واثناء العهد الفيصلي القصير .

وثانيتهما : ان سورية ما زالت متأثرة بالثقافة الافرنسية وذلك بسبب ان الكثيرين من مثقفيها واهل الفكر فيها من الذين درسوا في الجامعات والمعاهد

الافرنسية ما زالوا في مراكز القيادة الفكرية سواء في الجامعات السورية أو وزارة التربية والتعليم او دور المعلمين أو سواها من المؤسسات التربوية السورية

هذا وبعد الجلاء عن سورية وتحررهـا من النفوذ السياسي الافرنسي التفتت الى المناهل الثقافية العالميـة المتعددة فأوفدت الى كل من انكلترا واميركا وبلجيكا وسويسرة بل والاتحاد السوفياتي ، هذا بالاضافة الى ما اوفدته الى بيروت والقاهرة.

ولا بد لنا ها هنا من التنويه باستقدام سورية للاستاذ ساطع الحصري مستشاراً تربوياً ليعمل على اعادة تنظيم التعليم فيها وترسيخه على قواعد عربية تنسجم مع واقع البلاد من جهة وواقع الحال في البلاد العربية الاخرى من جهة ثانية ، كما لا بـد من الاشارة الخاصة الى انشاء عـدد من الكليات في الجامعة السورية (جامعة دمشق اليوم) عام ١٩٤٦ من بينها كلية الآداب فيها قسم للفلسفـة وعلم الاجتماع يهتم بالدراسات السيكولوجية ، ومن بينها معهد عال للمعلمين (كلية التربية اليوم) يهتم بالدراسات السيكولوجية ، فيما يهتم به .

واذن فالمعلم الثاني من معالم طريقنا هو عهد الانتداب الافرنسي عـلى سورية والدراسات السيكولوجية التي تمت اثناءه .

اما المعلم الثالث فهو عهد الاستقلال الذي امتد منذ الجلاء الفرنسي عن سورية يوم ١٧ نيسان عام ١٩٤٦ حتى اعلان الوحدة وما تم فيه من انشاء كليات جامعية جديدة تعنى في جملة ما تعنى به بالدراسات السيكولوجية على النحو الذي سنحاول وصفه فيما بعد .

واما المعلم الرابع فهو الوحدة وما تلاها من توحيد للتعليم الجامعي بين الاقليمين السوري والمصري ومن تبديل في التعليم الثانوي واعداد المعلمين وانشاء المجلس الاعلى للآداب والفنون والعلوم الاجتماعية .

والمهم بالنسبة للعهدين اللذين تليا الانفلات من ربقة الاستعمار الفرنسي ان سورية حاولت امرين :

اولهما : التحرر من النفوذ الثقافي وورود مصادر العلم في بلاد اخرى تتراوح بين الشرق والغرب ، ولقد كان شأن علم النفس في هذا شأن باقي العلوم .

وثانيهما : الالتقاء مع الاتجاهات التربوية والعلمية والثقافية في البلاد العربية الاخرى ، ولا سيما مصر والعراق ، وبطبيعة الحال فان علم النفس لم يشذ عن هذا الاتجاه .

ولو كان لنا ان نستخلص بعض الحقائق مما قدمنا من وقائع ومما يتصل بعلم النفس لاجملنا ما نستخلص فيما يلي :

١ - حتى آخر الحرب العالمية الاولى لم تكن الدراسات السيكولوجية في سورية شيئاً مذكوراً .

٢ - اثناء الانتداب الافرنسي كانت الدراسات السيكولوجية محصورة في المدارس الثانوية ودور المعلمين وكانت مطبوعة بالطابع الفرنسي .

٣ - بعد الاستقلال امتدت هذه الدراسات الى الجامعة السورية وحظيت بعناية كليتين هما كلية الآداب (قسم الفلسفة والاجتماع) وكلية التربية . ولقد أخذت هذه الدراسات تتأثر بالمؤثرات الاخرى ولا سيما الانكلوسكسونية ، كما بدأت تتفاعل مع الدراسات المماثلة في البلاد العربية .

٤ – بعد الوحدة امتدت هذه الدراسات الى كليات اخرى ككلية الطب وكلية التجارة وقامت عليها لجنة التربية وعلم النفس في المجلس الاعلى الآداب والفنون والعلوم الاجتماعية . وفي هذه الاثناء ازداد التواصل بين الدراسات السيكولوجية في سورية ومثيلاتها في مصر .

خصائص ومميزات

على ضوء ما اسلفنا نتقدم الآن لنبين خصائص الدراسات السيكولوجيه التي تمت في سورية ومميزاتها ، على اننا نحب قبل الشروع في تعداد هذه الخصائص والمميزات وتعليلها ان نذكر بان هذه الخصائص تتصل اتصالاً وثيقاً بواقع سورية في الماضي والحاضر ولا سيما واقعها الاجتماعي والثقافي والتعليمي ، وسنحاول ان نوضح ذلك فيما يلي :

اولاً : معظم الكتب والمؤلفات السيكولوجية في سورية – ولا سيما في العهد الذي سبق الاستقلال – وضع لغايات تعليمية وبصورة خاصة لتعليم علم النفس في القسم الثاني من البكالوريا السورية وفي دور المعلمين ثم في الصفوف الثانوية التي كان يدرس فيها علم النفس (على اعتبار ان هذه الصفوف اختلفت احياناً) وفيما بعد في الصفوف الجامعية من الكليات التي تهتم بتدريس علم النفس .

ومن الحق علينا ان ننوه هنا تنويهاً خاصاً بكتاب الاستاذ الدكتور جميل صليبا (علم النفس) الذي بدأ طبعه منذ مطلع الثلاثينيات وظهر بشكله النهائي عام ١٩٤٠ ، ذلك بان هذا الكتاب كان اول كتاب حديث في علم النفس

يظهر في سورية ويتناول بالبحث المفصل الدقيق الشامل كل انجاث علم النفس المتعارف عليها آنئذ ، ولان مؤلفه الدكتور صليبا ، بعلمه الغزير واطلاعه الواسع وتضلعه وتدقيقه العلمي ، شق طريقاً في التأليف السيكولوجي وطرح للتداول عدداً من المفردات التي كانت مفتقدة والتي ما زالت باقية في الاستعمال بوصفها خير ما يمكن التعبير به عن المفاهيم السيكولوجية العلمية الدقيقة .

ولعلنا لا نبالغ اذا قلنا بان كتاب الاستاذ العميد الدكتور صليبا كان بداية تاريخ علم النفس الحديث في سورية ـ على الاقل - واليه يرجع الفضل في كل تقدم تلاه ، كما ان كل المشتغلين بعلم النفس فيما بعدهم تلامذة الدكتور صليبا او تلامذة تلامذته ، امد الله في عمره وابقاه للعلم والفضل .

ثانياً : كان التأليف خلال كل هذه الفترات اقتباساً وترجمة وتلخيصاً وتنسيقاً مستمداً من مراجع اجنبية معظمها افرنسي – ولا سيما في الفترات الاولى – ثم افرنسي او انكليزي او اميركي ـ فيما بعد .

ونحن لا نجد في هذا عجباً أو غرابة ذلك بان هذه المؤلفات وضعت – كما أسلفنا – لاغراض تعليمية وفي مراحل ثانوية او معادلة لها (دور المعلمين) .

واذا كان صحيحاً انه مضى حتى الآن سبعة عشر عاماً على انشاء هاتين الكليتين لم ينجم عنه اكثر من ارتفاع مستوى التأليف . اما البحوث المبتكرة والدراسات التجريبية فلم يكن اليها سبيل لاسباب منها ان الغاية التعليمية بقيت هي المسيطرة ، ومنها انشغال الاستاذ بالركض وراء لقمة العيش لانخفاض مستوى المرتبات الجامعية ، ومنها ان الدراسات السيكولوجية

كانت - وما زالت - ملحقة بالدراسات الفلسفية او التربوية ، ومنها عدم توفر المختبرات والجو العلمي ، ومنها عدم توفر الاختصاصيين وغير ذلك من الاسباب والمبررات .

ثالثاً : قام بعض السوريين ببعض البحوث السيكولوجية لكن ذلك قد تم في الجامعات الاجنبية ولغاية الحصول على الشهادات الجامعية والدرجات العلمية ، ثم عاد اصحاب هذه الشهادات الى بيئتهم المتواضعة الفقيرة وانشغلوا عن البحث والتجريب بالبحث عن موارد تقيم أودهم وأود عيالهم وقديماً قيل (يجب ان نشبع لنتفلسف) .

رابعاً : معظم المقالات التي كتبها الكتاب السوريون في علم النفس انما كتبت للقارىء العادي ولذلك فهي سطحية سريعة ومبسطة ، على ان بعض المقالات - وهي قليلة العدد - التي كتبت كانت من مستوى رفيع - نسبياً - وقد نشرت في مجلات اختصاصية او شبه اختصاصية .

والعلة في هذا ما قدمنا من اسباب في الفقرة السابقة من جهة وعدم وجود مجلة اختصاصية واحدة في العالم العربي تنشر البحوث السيكولوجية وتنشطها من جهة اخرى .

ان الحياة الاجتماعية والثقافية في العالم العربي عامة والجمهورية السورية خاصة ومستوى القارىء العربي لا تساعد حتى الآن على وجود مثل هذه المجلة وما حديث (مجلة علم النفس) التي اصدرها الاستاذ الدكتور يوسف مراد ثم اضطر لايقافها بخاف او مجهول .

خامساً : ولو اردنا ان نجمل ما قلنا عن الكتب والمقالات والبحوث السيكولوجية السورية اقلنا انها تتصف بعدم الاصالة والابتكار وتتسم بالنقل والترجمة ولا تقوم على اساس من بحث او اهتمام بالمشاكل المحلية وانها تعتمد على الاقتباس والترجمة، وهي – بعد – اقرب الى النظر منهـا الى التطبيق العملي .

ومما يجدر ذكره ها هنا هو ان سوريـة لا تضم الا مختبراً واحداً لعلم النفس موجوداً في كلية التربية بجامعة دمشق وهو مختبر ناقص وفقير ومهمل لاسباب ذكرت بعضها فيما سبق وامسك عن ذكر بعضها الآخر .

سادساً : يفتقد الناظر في هذه الكتب والمقالات والبحوث الاتجـاه الرياضي الاحصائي المعتمد اليوم في الدراسات السيكولوجية الحديثـة ولا سيما في البلاد الانكلو سكسونية .

ولعل السبب في ذلك ما قدمنا من تأثر الدراسات السيكولوجية والدارسين السيكولوجيين في سورية بالافكار والطرائق الافرنسية التي كانت – الى وقت قريب – تضم علم النفس الى الفلسفة وتعتمد فيه على النظر اكثر من اعتمادها على العمل والاحصاء .

لكن من الملحوظ ان هذا الاتجاه قـد بدأ بالتلاشي وان المؤلفات السورية بدأت تسير في الاتجاه العالمي .

سابعاً : ليس في سورية عيادات نفسية أو محللون نفسيون او مراكز للتوجيـه المهني أو التربوي أو النفسي، ولم يدخل علم النفس بعد ميادين الصناعة أو

التجارة أو الجرعة أو الجيش ، ومن هنا كان انعزال علم النفس عن الحياة وبعده عن التطبيق وعدم اتصاله بالمجتمع السوري .

ثامناً : ولعل انكى ما في الامر ان عناية المشتغلين السوريين بعلم النفس بتراثهم القومي في ميدان اختصاصهم مفقودة ، واذا كنا لا نحتاج الى التنويه بالتراث العربي الغني في الدراسات النفسية مما تزخر به كتبنا الفلسفية القديمة فاننا بأمس الحاجة الى توجيه عنايتنا واهتمام ناشئتنا الى هذا التراث الضخم في هذا الميدان السيكولوجي الهام والعمل على احيائه والتعرف عليه والتعريف به وهو واجب يترتب على كل مثقف عربي في كل حقل من حقول المعرفة .

تاسعاً : لا يحتاج الناظر في نتاجنا السيكولوجي الى جهد عظيم او ذكاء شديد ليلاحظ ان عمل الاختصاصيين بعلم النفس في سورية لا ينظمه ناظم ولا يجمعه جامع ولا يوجهه موجه ، فلا جمعية ولا منظمة ولا مجلة ولا مؤسسة تهتم بعلم النفس وتجمع المشتغلين به وتنسق جهودهم وتوجه عملهم .

عاشراً : يلاحظ ان الكثير من المفردات والمصطلحات السيكولوجية التي يستعملها السوريون خاصة بهم غير معروفة في البلاد العربية او غير مقبولة فيها .

والواقع ان سورية في هذا ليست باسوأ من غيرها من البلاد العربية ، ولكن يلاحظ ايضاً ان الكتاب السوري والمجلة السورية لا يصلان الى المدى الذي يصل اليه الكتاب او المجلة المصريان او اللبنانيان مثلاً .

هذه اذن بعض الملاحظات السريعة التي توضح خصائص الانتاج السوري في علم النفس قدمناها على سبيل المثال لا على سبيل الحصر .

في الخصائص والمميزات التي ذكرنا، اشارات كثيرة الى اسباب هذه الخصائص وعلل هذه الصفات ، بيد ان شيئاً من التكرار والتفصيل قد يكون مفيداً من اجل مزيد من الايضاح وتمهيداً لبعض المقترحات .

اولاً : لا شك في ان العمل السيكولوجي في سورية – بامكاناته المحدودة وظروفه الراهنة وغاياته الضيقة – نهض بواجباته وفي التزاماته . لقد وفر للتلميذ كتاباً وللقارىء العادي اطلاعاً وللمدرسة المتخلفة تنويراً وللجمهور توعية .

وما كان لهذا العمل وللقائمين به – وحالهم على ما وصفنا – ان يقوموا باكثر مما قاموا به .

ثانيــاً : لا شك في ان النقص الفاضح الذي يتصف به هذا العمل هو اهماله البحث الاصيل المبتكر في حاجات البلد واحوال البيئة وواقع المجتمع . لكن المستوى الذي كان يتم فيه هذا العمــل في الماضي ، نعني في المدارس الثانوية ودور المعلمين والمراحل الاولى من التعليم الجامعي (دون تخصص)، نقول ان هذا المستوى – بالاضافة الى الاسباب الاخرى التي نوهنا ببعضها لم يكن يسمح باكثر مما تم .

ثالثــاً : المكتبة العربية تشكو فقرا مدقعاً في المراجع السيكولوجية التي يستطيع التلميذ والقارىء والباحث العربي ان يعتمدوهــا في التوسع في علم النفس ودخول ميادينه المختلفة . واذا كان الذنب في هذا لا يقع على

المشتغلين بعلم النفس في سورية وحدهم فان تبرئتهم من هذا التقصير امر غير ممكن .

واذا اضفنا الى هذا ضعف طلاب الجامعات العربية بما في ذلك الجامعات السورية باللغات الاجنبية مما يعيقهم عن الرجوع الى المصادر الاجنبية وضعنا يدنا على سبب آخر من أسباب تأخر الدراسات النفسية في البلاد العربية عامة والجمهورية السورية خاصة

رابعاً : ليس في البلاد العربية كافة – بما فيها – سورية – مجلة او نشرة دورية مخصصة للدراسات والبحوث النفسية . صحيح أن الكثير من المجلات العربية – ومنها السورية – تحرص على نشر بعض المقالات السيكولوجية، وصحيح ان الكتاب السوريين يسهمون في هذا اسهاماً بيناً ، لكن الصحيح ايضاً ان عدم وجود مثل هذه المجلة يبقي المقالات والبحوث التي تنشر في مستوى القارىء العام غير الاختصاصي .

ان الحين قد حان لوجود مثل هذه المجلات الاختصاصية في المستوى العربي الشامل على الاقل ، ولعل منظمة كالجامعة العربية وادارتها الثقافية تنتبه الى مثل هذا النقص

وفي كل الاحوال فأن من واجب الجامعات السورية والمجلس الاعلى للآداب والفنون والعلوم الاجتماعية ومن ورائها جميعها الحكومة السورية ان تعمل على توفير مثل هذه المجلة .

خامساً : تفتقد المدرسة السورية الخدمات السيكولوجية التي تتوفر لسواها من

مدارس العالم ، فليس في سورية روائز للذكاء او مقاييس للقـدرات والشخصية والمواقف ، كما انها خالية من اية عيادة تربوية مدرسية او نفسية . ولا يحظى فيها الطالب المشكل او الطفـل العسر او الولد المتخلف بأية عناية سيكولوجية .

ثم ان الامتحانات السورية ما زالت متخلفة من حيث الاسس العلمية التي تقوم عليها عن مثيلاتها في البلاد المتقدمة

سادساً : لا تفيد الصناعة او التجارة أو المحاكم ، بمـا في ذلك محاكم الاحداث واصلاحياتهم ، او الجيش او سواها من المؤسسات السورية من خدمات علم النفس اطلاقاً . ولعل الانكى من ذلك ان محاولات خاطئـة ضالة مضللة تقوم في بعض هذه المؤسسات وحتى في المدارس والمؤسسات الاجتماعية عديمة الصلة بعلم النفس والافادة منه وهي – شهد الله – ابعد ما تكون عنه .

سابعاً : يترجم الكثير من الكتب السيكولوجية في سورية في نفس الوقت الذي يترجم فيه في البلاد العربية الاخرى وفي هذا جهد ضائع وعمل غير مثمر ، لا سيما وان الناشر السوري اعجز من ان يستطيع منافسـة الناشر المصري او اللبناني ومن هنا كان واجب الادارة الثقافية لجامعة الدول العربيـة الاشراف على تنسيق حركة الترجمة هذه وتنظيمها بحيث توفر الجهـود وتستغل خير استغلال بدلاً من هدرها عن طريق الازدواج في العمل .

ثامناً : يتخرج الكثيرون من الاختصاصيين بعلم النفس من جامعاتهم وينخرطون في حياة تسيطر عليها الحاجة وقلة الدخل وعوامل التثبيط الاخرى فتخمد

فيهم قدرتهم على البحث وميلهم الى الانتاج واهتمامهم بالبداهة والابتكار ومما له دلالته العميقة ان الكثيرين من كبار الاساتذة والمشتغلين بعلم النفس ينصرفون عن عملهم وبحوثهم ابتغاء العيش الكريم الذي لا يتوافر لهم في محيطاتهم العلمية

وهذا سبب يضاف الى اسباب – ذكرنا بعضها – لتتضافر جميعها على حفظ الانتاج في مستوى دني، لا يبشر بنهضة اصيلة وتقدم سريع.

تاسعاً : الناشرون العرب ـ وفي جملتهم السوريون – بحكم صفاتهم التجارية لا ينشرون من الكتب السيكولوجية – هذا اذا نشروا – الا الكتب التي تروج، وهذا هو السبب في اكتظاظ السوق بالكتب الجنسية وكتب الزواج السعيد وكتب تقوية الشخصية (!) وتقوية الذاكرة الخ .. الخ .. اما الكتب الجدية فلا القارئ يرغب فيها ولا الناشر يخاطر من اجلها ولا الحكومات تعينها .

عاشراً : لا تتوفر في معظم الجامعات العربيه مستلزمات البحث العلمي ومتطلباته وشروطه، ولا تشذ سورية عن بقية البلاد العربية في ذلك . ولا بد في هذا الصدد من التنويه بافتقار الكاتب العربي في علم النفس لكثير من المفردات والتعابير المقابلة للمعاني الواردة في اللغات الاخرى .

ثم ان البيئة السورية لا تسمح حتى الآن – ومع الاسف – بالبحث العلمي الموضوعي في كثير من المجالات .

لم يكن صعباً – بعد الذي قدمناه من وصف وتحليل ونقد وتعليل – ان نتقدم ببعض الاقتراحات التي نعتقد ان فيها حلولاً لما يعانيه علم النفس في في سورية من وهن وتأخر .

على اننا نحب قبل ان نمضي في سرد هذه الحلول والاقتراحات ان نشير الى ان ما قلناه عن سورية ينطبق الى حد يقل او يزيد – من بلد الى بلد – على كل بلد عربي . والحق ان المشاكل في بلادنا العربية متشابهة والاوضاع متماثلة ولذلك فالحلول متقاربة .

وفي رأينا ان مسؤولية الحال السيء الذي يشكو منه علم النفس – في سورية خاصة وفي البلاد العربية عامة – تقع على عاتق جماعات ثلاث هي : (١) المشتغلون بعلم النفس (٢) واقع المجتمع (٣) الحكومة .

واذا كان لا يعنينا في مقامنا هذا ان نحدد نصيب كل منهم من المسؤولية وواجبه في العمل السريع ، فاننا نحب ان نشير – مرة اخرى – الى الحلقة المفرغة التي تلاحظ في مثل هذه الاحوال : مجتمع متأخر يعرقل التقدم ويحدد من قدرة القادة على العمل لتقدمه ، وقادة يكبلهم مجتمعهم وظروفه – الراهنة بقيود لا يعملون على الانفكاك منها ، وحكومة (هي جزء من المجتمع) تعيش في متاهات مشاكلها العاجلة فتعجز عن الانفلات منها الى مهمتها في القيادة والرعاية والدفع

ومن هذه المقدمة السريعة ننتقل الى ذكر بعض الاقتراحات التي تحمل – فيما نحسب – بعض الحلول للمشاكل التي ذكرنا :

اولا : لا بد لتقدم الدراسات السيكولوجية في سورية من توفير عدد كاف من الاختصاصيين بمختلف فروع علم النفس وذلك عن طريق ايفاد العدد الكافي من المبعوثين الى البلاد المتقدمة في هذا العلم . كما لا بد من جعل علم النفس . تخصصاً مستقلاً في الجامعات السورية ينصرف اليه الطالب ويتعمق فيه ويتوفر على الالمام بميادينه . ولا بد كذلك من استحداث دراسات عليا فيه .

وقد يكون من الضروري في اول الامر الاستعانة ببعض المتخصصين الاجانب الذين يستطيعون أن يقودوا خطوات العاملين المحليين ويعينوهم على وضع اسس بحوثهم .

ثانياً : لا بد من توفير امكانات العيش الكريم المشتغلين بهذا العلم بحيث يستطيعون الانصراف اليه والحدب على دراساتهم وتجاربهم دون الحاجة الى التفكير في الغذاء والكساء والدواء وما اليها .

ثالثاً : لا بد من توفير ادوات البحث ووسائل الدراسة من آلات وادوات ومختبرات ومراجع علمية اجنبية ومجلات وسواها .

رابعاً : لا بد من توفير الجو المناسب للبحث العلمي بما في ذلك حرية القول والفكر والعمل. ومن الاهمية بمكان في هذا الخصوص تعاون المنظمات والمؤسسات والمعاهد العربيــة فيما بينها لا سيما وان المشاكل السيكولوجية في العالم العربي واحدة أو متشابهة الى حد بعيد جداً .

كذلك من المهم اتصال الباحثين العرب بالباحثين الاجانب بقطع

النظر عن جنسياتهم ومواطنهم (وفيما لا يضر المصلحة القومية بالطبع) وذلك بغية الوصل بين الدراسات العربية والدراسات العالمية .

ولا يفوتنا ها هنا التنويه باهمية ايجاد منظمات عربية للدراسات السيكولوجية تعمل على دراسة المشاكل المتصلة باختصاصها وتتعاون فيما بينها على ايجاد الحلول وتبادل الخبرات . ولعل أهم ما يجب ان تعمل عليه في البداية ايجاد لغة سيكولوجية عربية مشتركة .

خامساً : لا بد من اعادة النظر في طريقة المشتغلين بعلم النفس في الجامعات والمؤسسات العربية . لقد كان هذا الاعداد متجهاً في معظم الاحوال وغالب البلاد العربية نحو مهنة التعليم ، لكن ميادين علم النفس المتسعة دوماً وضرورة هذا العلم لكثير من حقول العلم والعمل اخرجته في ايامنا هذه من المدرسة الى العيادة والمعمل والمتجر والجيش والمحاكم ومؤسسات الاعلان واصلاحيات الاحداث وسواها ، ولذلك فقد آن الأوان لكي تعمل المؤسسات العربية على خدمة جميع هذه الميادين ، وان تغير طريقة اعداد الاختصاصيين بعلم النفس بحيث يستطيعون مواجهة المطلوب منهم وينهضون بالمهمة الملقاة على عاتقهم

ومن نافلة القول ان نذكر بان اعادة النظر في الاعداد معناها اعادة النظر في البرامج والمناهج المتبعة في هذا الاعداد .

سادساً : ويرتبط بما قدمنا في الفقرة السابقة امر هام جداً وهو توسيع مجالات العمل امام المتخصصين بعلم النفس والافادة منهم في مختلف الميادين التي يستفاد منهم فيها في كافة انحاء العالم المتمدين اليوم .

ونحب ان نشير هنا الى حلقة مفرغة اخرى يدور فيها علم النفس في بلادنا العربية في الوقت الحاضر . ان معظم جامعـاتنا تلتفت في تحضيرها للمتخصصين بعلم النفس الى عملهم التعليمي فيتخرجون عاجزين عن القيام بأي عمل سواه ويكون مـن جرا. ذلك ان تبقى الميادين الاخرى مغلقة في وجوههم !

اما لو رافق اعدادهم لميادين العمل المختلفة وعي المسؤولين لامكانية الافادة منهم في غير ميدان التعليم فأن الطوق المضروب حولهم ينكسر وتتسع الآفاق فيفيدون ويستفيدون .

سابعاً : ويتصل بهذا ايضاً انشاء معاهد لعلم النفس التطبيقي ولا سيما في مجال الصناعة ولعلنا لا نأتي بجديد اذ نذكر بان كل تقـدم صناعي لا يرافقــه توجيه واختيار مهنيين وتطبيق لعلم النفس على الصناعة تقدم يبقى ناقصاً .

ونحن اذ نشير الى الصناعة فاننا نذكر مجالاً واحداً من مجـالات عديدة الحنا الى معظمها .

ثامناً : على اننا لا نحب أن نترك هـذا القسم الاخير من حديثنا قبل الاشارة الى واجب المشتغلين بعلم النفس العرب في سعيهم الى الارتقاء بأنفسهم واعدادها الاعداد اللازم للنهوض بالمهمة الشاقة المتوجبة عليهم .

واذا كان صحيحاً ان العوائق كثيرة والموانع خطيرة والظروف شاذة فانه صحيح ايضاً ان القصور تقع تبعته – في جملة من تقع عليهم – على المشتغلين بعلم النفس ذواتهم .

اما بعد فهذه عجالة حال علم النفس في الجمهورية السورية حاولت مخلصة ان تصف هذا الحال وان تذكر الخصائص والمميزات ، وتنوه بالدوافع والاسباب وتقترح الحلول والمخارج ، وهي ان تناولت سورية بالحديث لكنها – في الواقع – كانت تومىء الى كثير من مشاكل علم النفس في البلاد العربية وخصائصه وطرق التقدم به .

هذا وقد ارفقنا بهذا الحديث قوائم مفصلة عن المشتغلين بعلم النفس – ممن نعرف – ومؤلفاتهم ومقالاتهم وبحوثهم .

ونحن وان كنا لا ندعي لهذه القوائم الكمال والاحاطة فاننا نزعم – مخلصين – اننا بذلنا في سبيل كونهـا على هذا الشكل اقصى ما نستطيع من جهد . واذا كان واجبنا ان ننوه ها هنا بالتعاون المشكور الذي منّ به علينا القسم الاكبر من الزملاء . فلا بد لنا من ان نشير – للحقيقة وتقرير الواقع وبوصف هذه الخاصة مظهراً من مظاهر حال علم النفس في وقتنا الحاضر – الى ان بعض الزملاء احجم عن التعاون وصم الاذنين وحجب المعونة لاسباب نعرف بعضها ولا نعرف البعض الآخر .

ثم ان من واجبنـا ان نشير الى كثيرين من المشتغلين بعلم النفس ممن خدموه وعملوا في حقله مدداً متفاوتة ولم يخلفوا وراءهم آثاراً مطبوعة، الامر الذي يمنعنا من ايراد اسمائهم في قوائمنا ولكنه لا يعفينا من ذكر اسمائهم أو اسماء بعضهم على الاقل من مثل : الدكتور خالد شاتيلا والاستاذ المرحوم سعيد البحره ، والاستاذ عبد السلام العجيلي والاستاذ الدكتور كامل عياد ، والمرحوم الاستاذ حميد الانطاكي ، والاستـاذ

عبد الكريم زهور ، والاستاذ اديب اللجمي والدكتور جميــل محفوظ ، والاستاذ انطون المقدسي ، والاستاذ احمد القادري وسواهم . ولعــل جهلنا هو الذي حال دون تعرفنا على آثارهم كما اننا لا نشك في اننا لم نذكر آثار جميع من ذكرنا بعض آثارهم ولهم نؤكد ان السبب الوحيد هو عدم المعرفة .

وختاماً فان من دواعي سرورنا ان نتقدم بالشكر الجزيل الى جميع من اعانوا على القيام بهــذه الدراسة وساعدوا على اتخاذها شكلها الحاضر .

الملحق رقم (١)

بقلم فاخر عاقل

بنقلسي ، كامل
آراء حديثة حول الاطفال
(لا . م) ، (لا . ت)

بنوت ، نقولا
التسهيل في علم النفس
دمشق ، مكتبة اطلس ، ١٩٦٠

الجمالي ، حافظ
سيكولوجية الطفل
دمشق ، جامعة دمشق ، ١٩٥٦ (مترجم)

الجمالي ، حافظ
علم النفس الاجتماعي
دمشق ، جامعة دمشق ، (لا . ت)

الجمالي ، حافظ
علم نفس الطفولة والمراهقة
دمشق ، جامعة دمشق ، ١٩٦٠

الجمالي ، حافظ
علم النفس الاجتماعي
دمشق ، جامعة دمشق ، ١٩٦٢

الجمالي ، حافظ
بين التربية وعلم النفس
دمشق ، مكتبة العلوم والآداب ، ١٩٤٨

الجمالي ، حافظ
علم النفس ونتائجه التربوية
دمشق ، دار اليقظة ، ١٩٤٩

الدروبي ، سامي
علم النفس التجريبي
دمشق ، جامعة دمشق ، ١٩٥٦ (مترجم)

الدروبي ، سامي
سيكولوجية المرأة
القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٥٢ (مترجم)

الدروبي ، سامي
علم الطباع
القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦١

الدروبي ، سامي
وعبدالله عبد الدائم
الموجز في علم النفس
دمشق وزارة التربية ، ١٩٥٥

الدروبي ، سامي ، وحافظ الجمالي
علم النفس ونتائجه التربوية
دمشق ، دار اليقظة ، ١٩٤٩

الرفاعي ، نعيم
قياس القدرات في ميدان التربية
دمشق ، جامعة دمشق ، ١٩٦٣

الرفاعي ، نعيم
علم النفس في الصناعة والتجارة
دمشق ، جامعة دمشق ، ١٩٦٣

الرفاعي ، نعيم ، وفاخر عاقل ، وناظم الطحان
التربية وعلم النفس
دمشق ، وزارة التربية ، ١٩٥٩

زريق ، معروف
« الشعور الديني عند المراهقين »
دير الزور ، مكتبة النور ، ١٩٥٧

زريق ، معروف

مشاكلنا النفسية

دير الزور ، مكتبة النور ، ١٩٥٨

زريق ، معروف

خفايا المراهقة ،

دمشق ، دار اليقظة ، ١٩٦٠

زريق ، معروف ، ونقولا نيوت

التسهيل في علم النفس

دمشق ، مكتبة اطلس ، ١٩٦٠

زريق ، معروف

علم النفس

دمشق ، وزارة التربية ، ١٩٦٣

السبيعي ، عدنان

موضوعات في علم النفس

دمشق ، مطبعة الترقي ، ١٩٥٠

السبيعي ، عدنان

خلاصات وموضوعات في علم النفس

دمشق ، عدنان الجزائري ، ١٩٥١

السبيعي ، عدنان

الموجز في سيكولوجية الاطفال

دمشق ، ياسين عرفة ، ١٩٥٢

السبيعي ، عدنان

الموجز في علم النفس

دمشق ، وزارة التربية ، ١٩٥٧

عاقل ، فاخر

علم النفس وتطبيقه

دمشق ، مكتبة العلوم والاداب ، ١٩٤٥

عاقل ، فاخر

علم النفس

دمشق ، مكتبة العلوم والاداب ، ١٩٤٦

عاقل ، فاخر

علم النفس العام

دمشق ، جامعة دمشق ، ١٩٥٥

عاقل ، فاخر

علم النفس التربوي

دمشق ، جامعة دمشق ، ١٩٥٧

عوض ، بلقيس ، واديب يوسف

التربية وعلم النفس

دمشق ، المطبعة العربية ، ١٩٥٧ ج ١ .

(في ص ٣٨ يذكر انه طبع المطبعة العمومية ، دمشق)

عوض ، بلقيس

دراسات في التربية وعلم النفس

دمشق ، المطبعة التعاونية ، ١٩٥٩

قوطرش ، خالد

اطفالنا عالم نجهله

دمشق ، رابطة الاسرة والمدرسة ، ١٩٥٧ (مترجم)

قوطرش ، خالد

كيف ننشىء موضوعاً في التربية وعلم النفس

دمشق ، رابطة الاسرة والمدرسة ، ١٩٥٧

قوطرش ، خالد ، وعبد الرحمن حمور

رسوم الاطفال ،

دمشق ، وزارة التربية ، ١٩٥٧ (مترجم)

قوطرش ، خالد ، وكامل بنقسلي

اباء وابناء

دمشق ، رابطة الاسرة والمدرسة ، ١٩٦١

كبه ، جوزيف

دراسات في التربية وعلم النفس

دمشق ، وزارة التربية ، ١٩٥٩

كبه ، جوزيف

اسس التربية وعلم النفس

حلب ، مكتبة الشرق ، ١٩٦١

كبه ، جوزيف
اصول التربية وعلم النفس
دمشق ، وزارة التربية ، ١٩٦٣

عثمان ، حسن
دراسات في التربية وعلم النفس
دمشق ، وزارة التربية ، ١٩٦٠

عثمان ، حسن
اصول التربية وعلم النفس
وزارة التربية ، ١٩٦٣

هاشم ، حكمت
علم النفس الجماعي القاهرة
دار المعارف ، ١٩٥٢ (مترجم)

يوسف ، اديب
التربية وعلم النفس
دمشق ، المطبعة التعاونية ، ١٩٥٨ ، ج ٢

يوسف ، اديب
التربية وسيكولوجية الطفل
دمشق ، جامعة دمشق ، ١٩٥٣ (مترجم)

عاقل ، فاخر
مدارس علم النفس
(لا.م) ، (لا.ت)

المظمه ، رفيق

علم النفس الحديث

ذكر ان له عدة طبعات

(لا م . م) ، (لا . ت)

المحاسب ، جمال

الانشاء الفلسفي ، (لا . م) ١٩٤٦

(مترجم)

الدروبي ، سامي

الضحك

(لا م) ، (لا . ت)

الدروبي ، سامي

الطاقة الروحية

(لا . م) (لا . ت)

مقالات

بنوت ، نقولا

النمو الاجتماعي واللغوي عند الطفل

مجلة التربية ، دمشق ، ١٩٦١

بنوت ، نقولا

« ضرورة الاصطفاء المهني »

مجلة المعلم العربي ، دمشق ، ١٩٥٩

بنوت ، نقولا

« الاصطفاء المهني »

مجلة الثقافة ، دمشق ، ١٩٥٨

الطحان ، ناظم

« النشء الاجتماعي لطلاب النظاميين في كلية التربية »

دمشق ، ١٩٦٠

زريق ، معروف

« التدخين عند الطلاب »

مجلة المعلم العربي ، دمشق ، ١٩٦١

زريق ، معروف
« الكذب عند الاطفال »
مجلة المعلم العربي ، ١٩٦٣

زريق ، معروف
« صحة الطلاب النفسية »
مجلة الصداقة ، دمشق ، ١٩٥٨

زريق ، معروف
« الطفل المدلل »
مجلة اضواء دار المعلمين ، دمشق ، (لا . ت)

زريق ، معروف
« كيف عالج الاسلام المشكلات النفسية »
مجلة الحكمة ، ١٩٦١

زريق ، معروف
« نفسية التلميذ الديري »
مجلة صوت الفرات ، دير الزور ، ١٩٥٨

السبيعي ، عدنان
« مخاوف الطفولة »
مجلة المعلم العربي ، دمشق ١٩٤٨

السبيعي ، عدنان

« افراح الطفولة »

مجلة المعلم العربي ، دمشق ، ١٩٤٨

السبيعي ، عدنان

« سيكولوجية اوقات الفراغ »

مجلة المعلم العربي ، دمشق ، ١٩٥١

السبيعي ، عدنان

« العاطفة الاخلاقية في الطفل »

مجلة المعلم العربي ، دمشق ، ١٩٥٢

السبيعي ، عدنان

« الغيرة والاطفال »

مجلة المعلم العربي ، دمشق ، ١٩٥٣

السبيعي ، عدنان

في الحياة مع الاطفال

مجلة المعلم العربي ، دمشق ، ١٩٥٣

السبيعي ، عدنان

« الطاعة عند الاطفال »

مجلة المعلم العربي ، دمشق ، ١٩٥٨

السبيعي ، عدنان

« الحرمان والتعويض »

مجلة المعلم العربي ، دمشق ، ١٩٥٨

عاقل ، فاخر

« الاحلام وتفسيرها »

مجلة العربي عدد ١٧ ، نيسان ١٩٦٠

عاقل ، فاخر

« قوة الارادة »

مجلة العربي ، عدد تموز ، ١٩٦٠

عاقل ، فاخر

« الجنون فنون »

مجلة العربي ، عدد ٢٧ ، شباط ١٩٦١

عاقل ، فاخر

« الذاكرة »

مجلة العربي ، عدد ٢٩ ، نيسان ١٩٦١

عاقل ، فاخر

« الطبع والتطبع »

مجلة العربي ، عدد ٣٢ ، تموز ١٩٦١

عاقل ، فاخر

« الذكاء »

مجلة العربي ، عدد ٣٩ ، شباط ١٩٦٢

عاقل ، فاخر

« التوجيه المهني »

مجلة العربي ، عدد ٤٢ ، ايار ١٩٦٢

عاقل ، فاخر

« هذه الغرائز »

مجلة العربي ، عدد ٤٤ ، تموز ١٩٦٢

عاقل ، فاخر

« شخصيتك »

مجلة العربي ، عدد ٤٦ ، ايلول ١٩٦٢

عاقل ، فاخر

« المراهقة »

مجلة العربي ، عدد ٤٧ ، تشرين اول ١٩٦٢

عاقل ، فاخر

« جنوح الاحداث »

مجلة العربي ، عدد ٤٩ ، كانون الاول ١٩٦٢

عاقل ، فاخر

« التنويم »

مجلة العربي ، عدد ٦١ ، كانون الاول ١٩٦٣

عاقل ، فاخر
« نظريات التعليم الحديثة »
مجلة العلوم ، بيروت كانون الثاني ١٩٦٣ وتشرين الاول ١٩٦٢

عاقل ، فاخر
« طبيعة الذكاء وسيكولوجية التفكير »
مجلة العلوم ، بيروت ، حزيران وتموز ١٩٦٢

عاقل ، فاخر
« رسالة الى ابنتي »
رسالة المعلم ، عمان ، كانون الاول ١٩٦١

عاقل ، فاخر
« علم النفس والجيش »
حماة الوطن ، الكويت ، حزيران ١٩٦٣

عاقل ، فاخر
« مساهمة علم النفس السوفيتي في فهم التعلم »
المعلم العربي ، دمشق ، كانون الثاني ١٩٦٣ (مترجم)

عاقل ، فاخر
« علم النفس في خدمة التربية »
قافلة الزيت ، الظهران ، حزيران ١٩٦٣

عاقل ، فاخر

« التقدم البشري بين علوم الطبيعة وعلوم النفس »

رسالة المعلم ، عمان تشرين الثاني ١٩٦٣

عاقل ، فاخر

اثر الحال الاجتماعي الاقتصادي في الانجاز المدرسي

المعلم العربي ، دمشق (لا . ت)

عاقل ، فاخر

« الاسرة والصحة النفسية للطفل »

رسالة المعلم ، عمان ، سنة ٧ عدد ٢

(لا . ت)

عاقل ، فاخر

« الكلام الفارغ »

مجلة الوطن ، الكويت ، (لا . ت)

العوا ، عادل

« معنى الطفولة »

مجلة المعلم العربي ، دمشق ١٩٤٩

العوا ، عادل

« الادراك »

مجلة المعلم العربي ، دمشق ١٩٥٠

العوا ، عادل

« فاعلية الاطفال اللغوية »

مجلة المعلم العربي ، دمشق ١٩٥٢

العوا ، عادل

« الدعاية السوداء »

المجلة العسكرية ، دمشق ، ١٩٥٠

العوا ، عادل

« الذكرى صورة حلم »

مجلة المعرفة ، دمشق ، ١٩٤٧

العوا ، عادل

« نفسية الشعوب »

مجلة الجندي ، دمشق ، ١٩٥٥

العوا ، عادل

« كيف نجابه مشاكلنا ـ الايحاء »

مجلة الاذاعة السورية ، دمشق ، ١٩٥٦

العوا ، عادل

« الغيرة والحسد »

مجلة النقاد ، دمشق ، ١٩٥٥

كيد ، جوزيف

« الاضطرابات النفسية وعلاجها »

مجلة المعلم العربي ، دمشق ، ١٩٦٣

قوطرش ، خالد

له عدة مقالات في مجلة المعلم العربي بدمشق لا يتذكرها

الأطحان ، ناظم

مقالات نشرت في مجلة (المعلم العربي)و (مجلة المعرفة) دمشق ما بين ١٩٤٧ — ١٩٥٩

كتب لم تطبع



بنوت ، نقولا

قياس مستوى الذكاء

الطحان ، ناظم

دراسات في الدعاوة السياسية

زريق ، معروف

علم النفس التكاملي

زريق ، معروف

علموا اولادكم الحياة

السبيعي ، عدنان

سيكولوجية اسير حرب

عاقل ، فاخر

نظريات حديثة في التعلم

العوا ، عادل

« الشخصية »

العوا ، عادل

« الأمة والذكاء »

كبه ، جوزيف

علم النفس التجاري

المحاسب ، جمال

« مذكرات علم النفس »

محفوظ ، نسيب

محاضرات في موضوع علم النفس وطرائق البحث فيه

محفوظ ، نسيب

محاضرات في الروائز

محفوظ ، نسيب

محاضرات في علم النفس الصناعي

محفوظ ، نسيب

محاضرات في التوجيه المهني

محفوظ ، نسيب

محاضرات في تاريخ علم النفس

محفوظ ، نسيب
علم نفس الصيغة

هاشم ، حكمت
علم النفس الاجتماعي
مترجم

ابحاث لم تنشر

بنوت ، نقولا

« جنوح الاحداث في سورية »

جمال ، محمد صالح

« اثر العقوبات في الاطفال »

السيعي ، عدنان

« سيكولوجية المراهقة والشباب »

بحث قدم الى المعسكر الكشفي بالزبداني ، ١٩٦٣

عوض ، بلقيس

« تكييف رائز الذكاء »

رسالة ماجستير قدمت لدائرة التربية في الجامعة الاميركية في بيروت

عوض ، بلقيس

تكييف طريقة دالتون للصفوف العليا

من المدرسة الابتدائية السورية ودراسة نتائجها السيكولوجية والتربوية – بحث لم ينشر

كبه ، جوزيف

الى اين اتجه

محفوظ ، نسيب

في المنعكس الشرطي

عثمان ، حسن

« مذكرات الطفولة »

عثمان ، حسن

« سيكولوجية الاهداء »

عثمان ، حسن

« التحليل النفسي والتربية »

الملحق رقم (٢)

قائمة بالرسائل النفسية التي حضرها
طلاب كليتي الآداب والتربية
بجامعة دمشق

رسائل طلاب صف الاختصاص العام

في كلية التربية

للعام الدراسي ١٩٥٠ — ١٩٥١

الاسم	موضوع الرسالة
نيندا عواد	المراهقة

للعام الدراسي ١٩٥١ — ١٩٥٢

الاسم	موضوع الرسالة
هند شويري	الطفولة الشاذة
هيام حمصي	الاحلام وتفسيرها

للعام الدراسي ١٩٥٢—١٩٥٣

الاسم	موضوع الرسالة
اميمة غبة	بحث في بسيكولوجية اسير الحرب
زهراء عبد الواحد	دراسة موجزة حول السيطرة والزعامة
سامية قدوره	طريقة جديدة لمقاومة العند والمقاومات عند الاطفال
صبية سفرجلاني	نهج عملي في تحليل الطبع على اساس نظرية غورننغ
سعاد ميرزا	دراسة الرسم عند الاطفال
فاطمة عاية خربوطلي	رسالة في سيكولوجية القراءة وطرائقها

الاسم	موضوع الرسالة
نهلة حمصي	الاعتداء والمنافسة بين الاطفال
بديع سلاخ	علم النفس الفردي
تيسير شيخ الارض	الشخصية واختبار روورشاخ
عبد الكريم عثمان	الشعور بالنقص عند ادلر
ضياء الدين صابوني	دراسة ادبية للمعري والمتنبي في علم الطباع
محمد جنيد	الغريزة الجنسية وتهذيبها
اسعد غزال	بحث في حالات نشوء الامراض النفسية في الطفولة الاولى
	للعام الدراسي ١٩٥٣ — ١٩٥٤
ابتهاج الخالدي	وجهة نظر ادلر في علاج الاطفال الشواذ
ثريا دير كلي	خمسة دروس في التحليل النفسي
لمياء ابرش	جرائم الاحداث
	للعام الدراسي ١٩٥٤ — ١٩٥٥
سعاد بيقجانة	الجملة العصبية ووظائفها
مهزاد جواهري	الصحة الجسدية والصحة النفسية واثرهما في الحياة الدراسية
هداية باش امام	المتأخرون عقلياً وتربيتهم
يمن الاعسر	التوجيه المهني
تيسير العيتي	اللاشعور
جرجس صدقني	التحليل النفسي والفني

الاسم	موضوع الرسالة
خالد ماغوط	سيكولوجيا الرياضيات وطرق تدريسها
دعاس ناصيف	الوراثة والمحيط
صباح الجهيم	طبع ابن الرومي
عبد الرزاق حمد	الامراض النفسية
عبد الكريم محمود	نظريات الوراثة وتطبيقها في سوريا
عبد الهادي سعيد	راثر رافن
فالح فلوح	طباع بشار بن برد
لبيب عرنوق	المراهقــة
مجيد السالم	الاحــلام
محمد رجائي ابو الشامات	التنويم المغناطيسي
منير عزام	بسيكولوجيا الهندسة وطرق تدريسها
يوسف دخيل	الاثر النفسي لفقد الصم

للعام الدراسي ١٩٥٥ – ١٩٥٦

ليلى عثمان	الجنس والطبع في مجتمعات اولية ثلاثة
ليلى صايا	دراسة نقدية لاصلاحيات الاحداث في سورية
احمد حسن الخطيب	الرأي العام ووسائط انتشار الرأي
احمد نذير الديري	الشعور بالقصور حسب نظرية ادلر
باصيل السمين	الطب النفسي الجسمي

الاسم	موضوع الرسالة
بطرس مسوح	الطفل
جورج سالم	دراسات طباعية لابي الطيب المتنبي
خليل محفوظ	عمل فرويد الغريب
محمد صالح البقاعي	العقل الباطن او اللاشعور
محمد فهد عكام	دراسة نظرية لمشكلة الجنوح
نعيم قداح	علم الفراسة
وليد طالب	التحليل النفسي

رسائل طلاب صف الاختصاص العام

للعام الدراسي ١٩٥٦ – ١٩٥٧

آمنة كنجو	اسس الصحة النفسية من الناحية الوراثية والبيئة
عصام حكيم	دراسة طباعية لالفرد دي فيني
ناديا الياس	سيكولوجية الثورة والحرب
هيفاء شوقي جمال	الدوافع النفسية
مطانس ابو عيد	دراسة لتخلف في بعض مدارس دمشق الابتدائية
بدر الدين الفشواتي	الفروق بين الجنسين
توفيق حداد	المحاولة الرسمية لانقاذ الجانحين
خليل ابو زيد	راثر الاهرامات الاولية
صالح المحايري	الهورمونات واثرها في صحة الطفل الجسمية والعقلية والنفسية

الاسم	موضوع الرسالة
عبدالله الدنان	الذكاء تعريف وتحليل
قاسم عيدو	الانفعال والعاطفة ودورهما في السلوك
نور الدين جابر	المجتمع وسيكولوجية الفرد الاجتماعية

للعام الدراسي ١٩٥٧ — ١٩٥٨

الاسم	موضوع الرسالة
نجيح سعيدان	دراسة ادبية نفسية لقصة مدينتين تأليف الكاتب الانكليزي تشارلز ديكنز
عبد الغني داود	ترجمة كتاب ادلر فهم الطبيعة البشرية
عبد القادر مايره	الهستيريا وعلاجها
عبدالله شوقي ابو السعود	بسيكولوجيا الفروق الفردية
عبدالله سركو	عرض ودراسة لافراد اسرة كارمازوف للكاتب الروسي فيدور ستويوفسكي
محمد زهير سهروري	ترجمة كتاب فهم الطبيعة البشرية
محمد سعيد طحان	المراهقة
محمد صبحي حجار	الرياضيات والتكوين النطقي للفكر
أسامة الركابي	ترجمة كتاب الفرد آدلر (ما الذي ينبغي أن تعنيه الحياة بالنسبة اليك)
جرجس كرم	التحليل النفسي
حسان محتسب	سيكولوجية العبقرية
محمد نجاح طباع	التربية الجنسية
محمود الاعسر	جنوح الاحداث

الاسم	موضوع الرسالة

للعام الدراسي ١٩٥٨ – ١٩٥٩

رمزة مطر	بسيكولوجيا يونغ
فاطمة ابو لبن	نتائج وحقائق عن نمو الطفل الطبيعي
مريم عبد الباقي	البحث العلمي في علم نفس الطفل
توفيق كاسوحة	علم النفس الاجتماعي
جرجي كرسا	التوجيه المهني
حنين عكة	الحرب السيكولوجية
رضوان محمد رضوان	الفروق العقلية
فريد مرقص	الدعاية السياسية
عبد القادر عيسى	سيكولوجيا الحيوان
لطفي الريشان	بسيكولوجيا الحركات الاجتماعية
محمود دهام	حرب الدعاية

رسائل طلاب شهادة صف الاختصاص المسلكي

للعام ١٩٥٦ – ١٩٥٧

نادرة عيسى	نفسية الاطفال الصميين
احمد منير مصلح	الفروق الجنسية
الياس شوك	تنظيم العيادة النفسية المدرسية

الاسم	موضوع الرسالة
انطون حمصي	سلم جريس ارثر للعمر العقلي
ناظم طحان	نظريات التعلم ومشكلاته
نقولا بنوت	قياس مستوى الذكاء

للعام ١٩٥٧ – ١٩٥٨

خديجة حمصي	اثر الوراثة والبيئة في تكوين الطفل
ماري حداد	السيوسيو دارما
هيفاء عوض	دراسة القدرات الفنية
محمد مان قنواتي	مونتسوري ونظرتها الى الطفل المراهق
ميخائيل اسعد	تمهيد في علم النفس الفرويدي

للعام ١٩٥٨ – ١٩٥٩

رباب شهبندر	الخدمات الخاصة بالطفولة
كوليت حبيب	الكذب عند الطفل

رسائل طلاب قسم التربية الذين نالوا الاجازة في التربية في العام الدراسي ١٩٥٥ – ١٩٥٦

احمد منير مصلح	الزعامة (بحث في السيكولوجيا الاجتماعية)

الاسم	موضوع الرسالة
اميرة ازهري	الطرائق في علم نفس الاطفال
انطون حمصي	التشخيص التحريري الدوافع
رشيدة سباهي	الموسيقى والطفل
ملك الصواف	الجريمة والعقاب لدى البالغين والاحداث
موسى سعد	سيكولوجية الدراسة
ناديا خيمي	نظرية عامة للعصابات
ناظم طحان	محاولة في سيكولوجية الدعاوة السياسية

رسائل طلاب شهادة علم التربية في السنة الدراسية ١٩٥٦ ـ ١٩٥٧

جعفر سكاف	الطفل الصعب ومشكلة النظام
حسن زهري	دراسة حول رائز استنفرد بينه للذكاء
عطا الله بطرس	الاطفال الموهوبون في الذكاء
هيفاء الدوخي	الفروق بين الجنسين في سن المراهقة ونتائجها التربوية
وداد لحمي	التحليل النفسي عند فرويد
عاطف صباغ	الافكار والمعتقدات السياسية والحزبية
عيسى العوض	الحروب
محمد اديب طباع	الامتحانات والمسابقات
هيثم البشير	دراسات تطبيقية لرائز بيرون في التوجيه المهني

الاسم	موضوع الرسالة

رسائل طلاب شهادة علم التربية

للعام ١٩٥٧ – ١٩٥٨

كوليت حبيب	تكيف الطفل مع البيئة المدرسية (ترجمة عن الفرنسية)
مرعي جوراني	التعلم

رسائل طلاب شهادة علم التربية

للعام ١٩٥٨ – ١٩٥٩

حميدة القحف	رائز تيرمان ميريل وتطبيقاته
رياض البعلي	الفروق العقلية بين الطلاب والطالبات
هشام الدجاني	النمو الاجتماعي عند الطفل
سامي نمنوع	الفروق الجنسية وقيمتها في ميدان التربية
ختام كيشي	جنوح الاحداث
نبيه جمعة	دراسة تطبيقية لروز ذكاء اطفال الحضانة

قائمة بالرسائل السيكولوجية التي حضرها طلاب كلية الآداب

(قسم الدراسات الفلسفية) بجامعة دمشق

الاسم	موضوع الرسالة
	عام ١٩٤٩ / ١٩٥٠
السادة : حسن ملا عثمان	التحليل النفسي والتربية
محمد بن صالح	النفس عند ابن سينا
نور الهدى محروس	الغريزة الاجتماعية
عارفة سلوم	اثر المجتمع في الحياة الانفعالية
رياض جابري	الاحلام
فتحية طرابلسي	بسيكولوجيا الالم واثره في الاخلاق
صديقة بزره	الرعاية
	عام ١٩٥٠ / ١٩٥١
بشرى كسم	الذاكرة الانفعالية

الاسم	موضوع الرسالة
فاطمه الشيخ ابراهيم	الذاكرة والمجتمع
	عام ١٩٥١ / ١٩٥٢
اسعد عربي درقاوي	الحدس البرغسوني والميتافيزيا،
نجاح مسكي	الاحلام عند المسلمين وما يقابلها عند « القدامى والمحدثين »
فاطمه عليه الحربوطلي	رسالة في اللغة عند الطفل
	عام ١٩٥٢ / ١٩٥٣
عواطف مقار	طبيعة النفس عند افلاطون
	عام ١٩٥٣ / ١٩٥٤
محمد حيدر	التحليل النفسي وغريزة الحب
	عام ١٩٥٤ / ١٩٥٥
محمد عارف عرفة	علم الطباع
ظافر جمال الدين عبد الواحد	علم النفس الحربي
	عام ١٩٥٥ / ١٩٥٦
ناجي دراوسة	التخيل
شريف الراس	رافيسون : (في العادة) مع دراسة عامة

الاسم	الموضوع
	برغسون عن حياة هذا الفيلسوف وآثاره ودوره في الفكر المعاصر
اسماعيل حمود	الحرية عند (ديكارت) و (برغسون) .
	عام ١٩٥٦/١٩٥٧
سليمان جفان	الابداع الفني من الناحية النفسية
	عام ١٩٥٧/١٩٥٨
السيد عبد الخالق بن ابرهيم	سيكولوجية النكتة
	عام ١٩٥٨/١٩٥٩

الملحق رقم (٣)

الكتاب والاستبيان اللذان وجها
الى المشتغلين بعلم النفس في سورية

حضرة الزميل الاستاذ . .

تحية طيبة - وبعد ان هيئة الدراسات العربية في جامعة بيروت الاميركية تعتزم ان يكون موضوع حلقتها الدراسية الرابعة عشرة « ما اسهم به المؤلفون العرب في المائة سنة الاخيرة في علم النفس » وطلبت الي ان اكتب عن هذه الموضوع فيما يخص الجمهورية العربية السورية . وباعتباركم من المشتغلين بعلم النفس ، وحرصاً مني على توفيتكم حقكم من حديثي الذي سأعده للحلقة ارجو ان تتكرموا بملء الاستبيان المرفق واعادته الي قبل نهاية شهر تموز ١٩٦٣ لاستطيع تحضير بحثي في الوقت المناسب .

واني اذ اشكر لكم سلفاً تعاونكم اتمنى لكم دوام الصحة .

عمان في / ٦ / ١٩٦٣

فاخر عاقل
استاذ علم النفس
ص ب (١٢٧٠)
عمان - الاردن

١ - الاسم الكامل :

٢ - الدرجات العلمية والالقاب التي نلتموها : (رجا. ذكر التواريخ)

٣ - العمل الحالي والوظائف التي اشغلتموها : (رجا. ذكر الزمان والمكان)

٤ - الكتب السيكولوجية التي ألفتموها : (في خانة الملاحظات رجا. ذكر ما اذا كانت مطبوعة ام مخطوطة؟ كاملة ام ميسورة)

اسم الكتاب	سنة الطبع	الناشر	ملاحظات
(١)			
(٢)			
(٣)			
(٤)			
(٥)			
(٦)			

٥ - المقالات السيكولوجية التي كتبتموها :

عنوان المقال	المجلة التي نشرته	تاريخ النشر	ملاحظات
(١)			
(٢)			
(٣)			
(٤)			
(٥)			
(٦)			

٦ - البحوث التي اجريتموها :

موضوع البحث هل نشر ام لا ؟ وفي حالة النشر : التاريخ والمجلة التي نشرته

(١)

(٢)

(٣)

٧ - يرجى ذكر اسماء من تعرفون من المشتغلين بعلم النفس مع عناوينهم

العراق

بقلم الدكتور عبد العزيز البسام

تطور التعليم في العراق في العهد العثماني الاخير :

لقد يحسن ونحن نستعرض تطور الدراسات الثقافية في العراق خلال السنوات المائة الاخيرة - وهي الفترة التي تتناولها هذه السلسلة من الحلقات الدراسية عن تطور الفكر العربي — ان نلم بصورة عاجلة باحوال التعلم في البلاد في العهدالعثماني.

فقد مضى اكثر من نصف الفترة التي نحن بصددها وكان العراق جزءاً من الامبراطورية العثمانية حيث ظل خاضعاً لها مدة ثلاثة قرون ولا يخفى ما كانت عليه تلك الامبراطورية في دورها الاخير من الضعف والتأخر في سائر مناحي الحياة فكان للعراق من جميع ذلك اوفى نصيب حتى بالقياس الى بعض الاقطار العربية الاخرى كسورية ولبنان ومصر ، التي سبقته في اليقظة الفكرية وفي حركات الاصلاح والتجديد .

ولا يفوت المتتبع لاحوال التعليم في العراق اذ ذاك ان يلاحظ ما كانت عليه من ضآلة الشأن في الناحيتين الكمية والنوعية على السواء . فقد قدر احد المؤرخين

المعنيين بتاريخ العراق في تلك الفترة نسبة المتعلمين من ابناء المدن نفسها ، فلم تزد في تقديره عن نصف بالمائة (١ ص ٣٤٣) . وعلى الرغم من محاولات الاصلاح للنواحي العسكرية والادارية والمالية والتعليمية ، التي عرفت في اواسط القرن التاسع عشر باسم (التنظيمات) – وتشمل منشور الكلخانة (١٨٣٩) ومنشور التنظيمات الخيرية (١٨٥٦) – ومحاولات الاصلاح الدستورية في الربع الاخير من ذلك القرن (١٨٧٦) وفي مطلع القرن العشرين (١٩٠٨) والتي عرفت باسم المشروطية (٢ ص ٦٠ – ١٠٤) ، فان تأثيرها في التعليم لم يبلغ ما تمناه طلاب الاصلاح ، خاصة في الولايات النائية ، كما هي الحال في العراق . لقد اسست اول مدرسة ثانوية في بغداد سنة ١٨٧٠ واسست اول مدرسة ابتدائية للبنات سنة ١٨٩٨ ، ولم تزد نسبة المتعلمين في تقدير ذلك المؤرخ نفسه عند مطلع القرن العشرين عن ٥ – ١٠ ٪ من ابناء المدن (١ ص ٣٤٣) ولم يكن في العراق من المعاهد العالية الا (مكتب الحقوق العثماني) الذي تأسس سنة ١٩٠٨ . (٣ ص ٢٣) (٤ ص ٢١٥) .

وقد كان لما توليه الدولة من اهتمام بالمدارس العسكرية ، فتوفر لطلابها الاقسام الداخلية وتمكنهم من الدراسات التخصصية في العاصمة ، فضلاً عما للوظائف العسكرية من منزلة اجتماعية واقتصادية ، اثر كبير في جذب الناشئة اليها ، خاصة في الولايات النائية ، فكان اقبالهم على المدارس الرشيدية (الابتدائية) والاعدادية العسكرية ، في العراق اشد من اقبالهم على المدارس المدنية ، واتيح لعدد منهم مواصلة الدراسة والتدريب في العاصمة ، وكان لهولاء نصيب وافر من المناصب العالية عند تأسيس الدولة العراقية بعد الحرب العالمية الاولى (٢ ص ٧١ – ٧٤) .

وفي احصائيات وزارة المعارف العثمانية لسنة ١٩١٤ لم يكن عدد المدارس الابتدائية في العراق يزيد عن ١٦٠ مدرسة تضم ٣٢١ معلماً ومعلمة و ٦٦٥٦ تلميذاً

وتلميذة ، تؤلف البنات حوالي ١٠ ٪ من المجموع - وهناك ٤ مدارس ثانوية تضم صفوفاً ابتدائية ، لا يزيد طلبة الثانوية فيها على ٤٠٠ طالب ، و٣ دور المعلمين تضم ١٧٠ طالباً ، وكلية للحقوق تضم ٢٤٤ . (٥ جزء ٥ سنة ١ / ١٩٢٨) .

وفضلاً عن ضآلة هذه الاعداد ، فان نوعية التعليم هي الاخرى لم تكن حسنة ، سواء نظرنا الى مناهج الدراسة او الى مستويات المعلمين واساليب تدريسهم . وقد كانت التركية لغة التعليم ، فكانت مادة الدرس غير مفهومة في الغالب ، ونشأ الشبان العراقيون اذ ذاك وهم غير قادرين على الكتابة باساليب سليمة في العربية (١ ص ٣٤٣) .

والى جانب المدارس العصرية ، كان هناك نوع من التعليم يجري وفقاً للاساليب التقليدية في الكتاتيب بالنسبة للاطفال ، وفي المدارس الدينيـة التي تنعقد حلقات الدرس فيها في المساجد غالباً ، بالنسبة للناشئين والكبار . ويمتد بعض هذه المدارس امتداداً للمدارس العتيدة في العصر العباسي ومدار الدراسة فيها على علوم اللغة وعلوم الدين (٤ ص ص ٤٧ - ١٢٨) . وعلى الرغم مما طرأ على تلك المدارس بمرور الزمن من تغيير ابعدها عن نماذجها الاصيلة ، وعلى الرغم مما بين اصحابها - طلاباً ومدرسين - من تفاوت في مقدراتهم على الدراسة وبواعثهم عليها ومشاركتهم في الحياة العامة ومواقفهم من قضاياها ، فقد حافظت على عقائد ابناء البلاد كما حافظت على اللغة العربية وآدابها ، وكانت مهداً ترعرع فيه بعض المفكرين والنابهين (٦) كما نشأت فيها بعض دعوات الاصلاح في القرن التاسع عشر والقرن العشرين (٧) .

ونعود بعض هذا الوصف المجمل لاحوال التعليم في العراق في الفترة الاخيرة من العهد العثماني لنسأل : أكان للدراسات النفسانية فيها نصيب ؟ فاما المدارس العصرية ،

فقد اشرنا الى ضآلة شأنها كما ونوعا ، وحسبنا ان نعلم ان ما كان من دور المعلمين لا يزيد على ثلاث ولا يزيد طلابها على ١٧٠ في آخر ذلك العهد ، وان مناهج الدراسة فيها لا تحتوي على علم النفس ، وانما تقتصر من الموضوعات المهنية على اصول التدريس (٤ ص ١٧٠) . واما المدارس التقليدية فان اصحابها قد يلمون بشيء من الفلسفة والمنطق ، والعقائد والاخلاق ، وعلوم اللغة وادابها ، وبالتاريخ ، وفي جميع هذه الدراسات منادح للنظر في النفس الانسانية والتأمل في اطوارها ، والحكم عليها ، ولكن ذلك اذا حصل فانما يحصل بغير الاساليب العلمية وبغير مناهج بحثها .

وهكذا نجد اننا طوينا طيلة العهد العثماني من الفترة التي نحن بصددها ، دون ان يكون لعلم النفس – بمعناه المحدد وباعتباره من العلوم الحديثة – شأن يذكر في العراق . ولا يغب عن البال ان هذا العلم بهذا المعنى وهذا الاعتبار علم حديث ، لا يتجاوز منتصف القرن التاسع عشر . وكان اول ظهوره دراسات متناثرة هنا وهناك ، ثم برز مختبر ليبزج باشراف (فنت) عام ١٨٧٩ ، ليفتح عهداً جديداً في الدراسات التجريبية المنظمة . ولم ينشأ في الجامعات الانكليزية مختبر لهذا العلم الا في مطلع القرن العشرين ، اسسه مكدوجل في (يونفرسيتي كولدج) من جامعة لندن قبل ان ينتقل الى اكسفورد ويخلفه في الاشراف عليه (سبيرمان) . فغير مستغرب ان ينقضي العهد العثماني بتمامه دون ان يكون لهذه الدراسات النفسانية صدى في العراق .

تطور التعليم في العراق الحديث – وتدريس علم النفس في معاهده

ولسنا بحاجة الى ان نتابع تطور التعليم منذ ان تأسست دولة العراق في اعقاب الحرب العالمية الاخيرة ، لان هذا التطور معروف بجملة احواله لدى عامة المثقفين ،

كما يتيسر الاطلاع على تفاصيله لمن يشاء من المختصين ، سواء في التقارير الرسمية او في كتابات الباحثين . ويحسبنا ان نذكر انه نما نمواً متصلاً من بدايته المتواضعة منذ اول تأسيس الدولة الحديثة سنة ١٩٢١ حيث كان عدد تلامذة المدارس الابتدائية يقرب من ثمانية آلاف ، فاصبح عددهم في هذا العام (١٩٦٣) يقرب من المليون ، وحيث كان عدد طلاب المعاهد العالية لا يزيد على المائتين ، فاصبح هذا العام يقرب من عشرين الفاً — وقد مر خلال ذلك في ادوار مختلفة يسرع نموه فيها تارة ويبطيء تارة اخرى، تبعاً لتقلبات السياسة ولتوافر الامكانيات المالية والوسائل التعليمية من عهد الى عهد .

وانما يعنينا بصورة خاصة ان نطلع على مكانة علم النفس بين الموضوعات التي يشتمل عليها هذا النظام التعليمي - لما لذلك من صلة بموضوع بحثنا . فان الدراسات النفسانية التي سوف يستعرضها نشأت في الغالب في معاهد الدراسة ذاتها ، واريد بها في كثير من الاحوال أن تخدم غرضاً من اغراضها . وقد ظلت مناهج دور المعلمين والمعلمات الابتدائية تحتوي على تدريس علم النفس التربوي منذ تأسيسها ، وقد اضيف اليه في السنين الاخيرة علم النفس التكويني (الطفولة والمراهقة) .

وفي مستوى المعاهد العالية ، فان اكثرها اهتماماً بتدريسه هي دار المعلمين العالية ، منذ اول تأسيسها سنة ١٩٢٣ في صورة صفوف مسائية ، ثم اصبحت معهداً نهارياً تمتد الدراسة فيه الى سنتين (١٩٢٧) فثلاث (١٩٣٧) فاربع (١٩٣٩) واطلق عليها (١٩٥٨) اسم كلية التربية ، حينما اصبحت جزءاً من جامعة بغداد — وكانت وظيفتها وما تزال تخريج المدرسين للمدارس الثانوية .

وظل تدريس الموضوع فيها ينحو الى التأكيد على علم النفس التربوي وعلم النفس

التكويني ، باعتبارهما لازمين لجميع طلاب المعهد، في سائر فروعه العلمية والادبية والاجتماعية ، وقد يضاف اليهما موضوع الصحة العقلية او القياسات النفسية باعتبارهما من الموضوعات الاختيارية .

وقد انشىء في كلية التربية فرع التخصص بالتربية وعلم النفس لتخريج المدرسين لهذه الموضوعات في دور المعلمين الابتدائية ، ولوظائف التفتيش والادارة . وتخرجت منه دورتان في سنوات الاربعين ، ثم اعيد فتحه سنة ١٩٥٨ ، وما يزال العمل به جارياً — وتتناول الدراسة فيه فروع علم النفس العام والتربوي والتجريبي والاجتماعي والصحة العقلية والقياسات النفسية والاحصاء . فضلاً عن الموضوعات التربوية، وموضوعات الثقافة العامة الاخرى .

ويعنى معهد المدرسين العالي بعلم النفس التربوي والتكويني، كما تعنى بهما كلية البنات (وهذا آخر اعمالها) ، كما تقتصر كلية الشريعة على الاول منهما .

ويدرس علم النفس العام وعلم النفس الاجتماعي في فرعي الفلسفة والاجتماع من كلية الآداب ، كما يدرس علم النفس الجنائي بكلية الحقوق والامراض العصبية بكلية الطب .

وجميع هذه الدراسات انما تجري في مستوى (الليسانس) — وسبق لكلية التربية ان انشأت دراسات لدبلوم عال على فترات متقطعة ، وهي عازمة هذا العام على انشاء دراسة الماجستير .

ويتضح من هذا العرض العاجل ان علم النفس التربوي ويتبعه علم النفس التكويني هما اكثر الفروع تمثلاً في مناهج الدراسة واوسعها انتشاراً بين من يقصدون

لدراسة هذا الموضوع في مختلف المعاهد – وهذه حقيقة مهمة يحسن ان نؤكد عليها في الابتداء ، فقد ظل علم النفس منذ ان نشأ في العراق باتصال وثيق بمعاهد اعداد المعلمين الابتدائية والعالية ، يؤلف اساساً للتدريب المهني فيها ، وتعتبر دراسته امراً لازماً لجميع طلاب تلك المعاهد . وقد استتبع ذلك ان يكون معظم الدراسات العلمية التي انجزت كما سنرى فيما بعد – متأثرة بهذا الاتجاه ، موجهة نحو تحقيق اغراضه .

مصادر الدراسة :

وقد يكون من النافع ان نستعرض بايجاز المصادر الرئيسية التي استخدمناها في هذه الدراسة وهي على الصورة الآتية :

١ – المجلات الشهرية والدورية : وهي مجلة التربية والتعليم ، ومجلة المعلم الجديد ، ومجلة دار المعلمين العالية (الاستاذ اخيراً) ومجلة المجمع العلمي العراقي .

٢ – الكتب

٣ – التقارير الموجهة الى وزارة التربية والتعليم والى جامعة بغداد ، حيثما احتوت على موضوعات نفسانية .

٤ – محاضر المؤتمرات التربوية والعلمية وتوصياتها .

٥ – رسائل التخصص التي وضعها العراقيون اثناء دراساتهم في الجامعات الاجنبية .

وقد كانت مجلة التربية والتعليم اول المراجع المنظمة التي عثرت عليها ، وهي في

رأيي أكثرها اهتماماً بالموضوعات التربوية والنفسية ، في مدى عمرهـا القصير . فقد صدر عددها الاول في ١ كانون الثاني سنة ١٩٢٨ ، حيث ذكر في التعريف بها بان (غاية هذه المجلة هي نشر المبادىء القويمة المتعلقة بالتربية والتعليم ، ولذلك ستقدم الى القراء مباحث ومقالات عن التربية المدرسية والعائليـة ، وعن طرق التدريس وتاريخ التربية ، وعن المسائل النفسية والاجتماعية المرتبطـة بالتهذيب والتدريس ، وستطلعهم على اهم الشؤون التي تحدث في عالم التربية والتعليم ، وعلى اوضاع وترتيبات اهم المعاهد المعدة لها ، كما انهـا تستعرض من حين الى حين ، اهم التيارات التي تحدث في عالم العلم والتفكير ، تلك التيارات التي لا بد لكل معلم من الاطلاع عليها) .

وظلت تصدر باعداد شهرية لثلاث سنوات ، وكان يضاف الى بعض الاعداد ملاحق بصورة خطط لدروس عملية ، وملاحق تربوية وثقافية على هيئة كتب مترجمة او موضوعة ، ومن هذه كتاب هو القسم النظري من (دروس في فن التربية) تأليف جبرائيل كمبيرة وترجمة محمد عزة دروزة ، ويحتوي على فصول في علم النفس ، وكتاب (دروس في تاريخ اداب اللغة العربية) من محاضرات (المرحوم) الاستاذ معروف الرصافي في دار المعلمين العالية . واصدرت اعداداً خاصة ، احدهـا عن روسو وآخر عن تولستوي ، وثالث عن الاختبارات العقلية — مقاييس الذكاء ومقاييس المعرفة (حزيران ١٩٢٩) .

ولكنها ذكرت في جزئها الخامس والعشرين (حزيران ١٩٣٠) انهـا تختم سنتها الثالثة وستتوقف المجلة من الصدور على هيأتها السابقة ، وستصدر من حين الى حين اعداد خاصة — للبحث عن مسائل معينة بحثاً تفصيلياً — دون ان تتقيد بموعدها . وقد صدرت عنها بعض هذه الاعداد ، ثم انقطعت عن الصدور .

وقد اتفق صدور هذه المجلة التربوية مع صدور مجلة التربية الحديثة عن الجامعة الاميركية في القاهرة في موعد واحد ، فرحبت الاولى بعددها الثالث بالثانية كل الترحيب ، ولكنها صححت دعواها كما وردت على غلافها « اول مجلة عربية في فن التربية » ، فذكرتها بان هناك مجلة عربية باسم (التربية والتعليم) صدر عددها الاول في ١ تشرين الثاني ١٩١٩ في دمشق الشام ، على عهد الحكومة العربية وظهر بعده نحو عشرة اجزاء .

وقد كان الذي يتولى الاشراف على المجلة وتوجيهها ، كما يستدل على ذلك من المقالات الافتتاحية والمباحث الرئيسية والتعليقات هو الاستاذ الكبير ساطع الحصري وهو الذي وضع اسس النظام التعليمي في العراق الحديث ، وكان يحتل المنصب الرئيسي في ادارة وزارة المعارف اذ ذاك . وقد تجلى في صفحات المجلة كثير من النظرات الصائبة والآراء السديدة والحرص على تقريب الحقائق التربوية والنفسية الى اذهان المعلمين، فضلاً عن الجهود المبذولة في النواحي التطبيقية سواء في طرق التدريس أو في الاختبارات العقلية . وقد كان لجميع ذلك اثر ملحوظ في خلق وعي تربوي واهتمام بالمسائل التربوية والنفسية ، بين اوساط المعلمين . وهذا بعض فضل الاستاذ الكبير ساطع الحصري على التعليم في العراق ، ونموذج من جهوده الموفورة في خدمة التربية والتعليم في البلاد العربية عامة، كما تجلت في التوجيه السديد والمباحث الدقيقة في حقائقها الرصينة في استنتاجاتها .

وكان من كتاب تلك المجلة فضلاً عن ساطع الحصري ، فاضل الجمالي ومتى عقراوي وخالد الهاشمي ممن اصبح لهم شأن في توجيه التعليم في البلاد ، ولم تعد هناك بعد احتجابها مجلة تعنى بالمباحث التربوية والنفسية ، حتى اصدرت وزارة المعارف مجلة المعلم الجديد في شباط سنة ١٩٣٥ ، وما زالت مستمرة بالصدور . وقد كان فيها

منذ اول عهدها مقالات ثقافية عامة الى جانب المقالات التربوية والنفسية ، فهي اقل تخصصاً في هذه الموضوعات من سابقتها . وقد ازداد جانب المقالات الثقافيـة في السنوات الاخيرة حتى طغت عـلى اعدادهـا ، واتسع مجال الاسهام بها لفئات من المعلمين في العاصمة وخارجها ، يمدونها بمقالاتهم وتجاربهم . ويمكن ان يقال ان التنوع في موضوعاتها يصاحبه تنوع في طبقات كتابها ، ومن خير الموضوعات العامة التي ضمتها تلك التي تناولت التاريخ من تلك النواحي ايضاً . وقـد اصدرت بعض اعداد خاصة يتميز بينها العدد الخاص بالطفولة (جزء ٤و٥ سنـة ٦ آذار ١٩٤١) والعدد الخاص بالتعليم السنوي في العراق (جزء اول وثاني سنة ١٧/ ايلول ١٩٥٣).

اما المجلات الاخرى فلم يقصد بها ان تختص بالتربيـة وعلم النفس ، وان ضمت مقالات وبحوثاً تربوية ونفسية بصورة متصلة او بصورة متقطعة من حين لآخر .

وستأتي الاشارة الى الكتب الموضوعة او المترجمة في مواضعهـا من هذه الدراسة ، وقد استندت بعض المؤتمرات التربوية على دراسات ومناقشات في المسائل النفسية ، وتولت مجلة المعلم الجديد نشر توصيات بعض تلك المؤتمرات (جزء ٥/١٥/ ١٩٥٢ عن التعليم الابتدائي وجزء ٤و٥/ ١٨/ ١٩٥٥ عن سياسة التعليم العامة وجزء ٦/١٧/١٩٥٧ عن رعاية الشباب) ، وصـدرت عن المؤتمر التربوي لسنة / ١٩٦٠ في كتاب خاص ، كما تولت المجلة نفسها نشر بعض التقارير الفنية المقدمـة الى وزارة التربية والتعليم وظل بعضها مطبوعاً على الرونيو بتوزيع محدود .

علم النفس العام والتعريف بمذاهب علم النفس ووصف اتجاهات الدراسات فيه :

المباحث في هذه الميادين محدودة في عددها ومداها ، جاءت في فترات متقطعة

ولم يدع اصحابها الاصالة وان امتاز بعضها بالدقة في ايراد الحقائق وفي تنظيمها وحسن عرضها ، وجميعها من قبيل الدراسات النظرية .

لقد جاء في مقالة الاستاذ ساطع الحصري عن تيارات التربية والتعليم (٥ جزء ١ سنة / كانون الثاني ١٩٢٨) ملاحظات صائبة عن الاسس النفسية للاتجاهات التربوية في الربع الاول من هذا القرن كما جاء في مقالته عن تطور علم النفس في (٥ – جزء ٢ سنة ١ شباط ١٩٢٨) وصف لمراحل نمو علم النفس واستناده الى اساليب الملاحظة الموضوعية والتجريب والى الاساليب التشخيصية العلاجية، واساليب القياسات والاحصاء ، مع التمثيل على ذلك من الدراسات الحديثة اذ ذاك وتناول (المرحوم) الدكتور شريف عسيران في مقالته (معجزة العلم الكبرى) في مجلة المجمع العلمي وصفا للدماغ الانساني من النواحي التشريحية والوظيفية ، واستناد العمليات العقلية عليها (٨ – جزء ١ سنة ١٩٥٠) كما تناول (المرحوم) الدكتور هاشم الوتري في مقالتيه في مجلة المجمع العلمي ، (دراسات في العقل والدماغ) و (النفس والدماغ) (٨ – مجلد ٥/١٩٥٨ ومجلد ١٩٦١/٨) عرضاً لوظائف الدماغ العقلية والنفسية مع التفاتات النواحي التاريخية وتحديد المصطلحات .

واوجز نوري الحافظ في مجلة المعلم الجديد بعض نواحي التحليل النفسي في مقالة عن اللاشعور ((٩ – جزء ١ سنة ٢٠ – ١٩٤٦) وعلم النفس (المقصود مذهب الفرضية) (٩ جزء ٣ و ٤ سنة ١٠ ـ ١٩٤٦) وعرض محمد كامل النحاس في مقالته (تحليل النفس البشرية) موجزاً لآراء جماعة التحليل النفسي في تقسيم الذات ، واوجزت مجلة التربية والتعليم تراجم ستانلي هول بنجتريف وفرويد (٥ – ٢٦ و٢٧ – ٣ – ١٩٣٠) كما ترجم حكمت عبد الحميد مقالة (مكدوجل) بمناسبة وفاته تضمنت تعريفاً بحياته وآثاره (٩ - ٦ – سنة ٣ – ١٩٣٩) .

وترجم عبد الحميد كاظم كتاب وودورث (علم النفس ١٩٤٥) واستخدم لمدة سنوات في تدريس الموضوع بدار المعلمين العالية ، والف صالح الشماع كتاباً موجزاً (المدخل الى علم النفس) استخدم بدور المعلمين الابتدائية .

علم النفس التربوي :

ونعالج في هذا الفصل التعلم والتعليم واحوال التلاميذ والمعلمين والفروق الفردية والقياسات العقلية والمناهج والكتب المدرسية ، حيثما تضمنت هذه الموضوعات جوانب نفسية ملحوظة أو استندت الى نظريات محددة في علم النفس . وندع لحقل آخر المسائل المتصلة بالطفولة والمراهقة ، لنعالجها بعنوان علم النفس التكويني ، وباعتبارها تتناول تطور العمليات العقلية واحوال الناشئين في المراحل الاولى من العمر .

والموضوعات في الحقلين ذات اتصال دقيق بالتربية بصورة عامة ، وهي كذلك في المباحث التي نتعرض لها هنا ، على وجه الخصوص . كما انها في كل من الحقلين اوفر عدداً واكثر اطراداً من المباحث في أي حقل آخر ، ولكنها ايضاً اشد تفاوتاً واختلافاً من حيث نصيبها من الدقة العلمية والاصالة ، او من حيث اهميتها النظرية أو التطبيقية . فلا يعدو بعضها ان يكون تلخيصاً لمعلومات مألوفة في كتابات المؤلفين الاجانب ، وقد يرتفع بعضها الى حظ مقبول من الجودة والابداع ومعالجة المشكلات القائمة في الواقع .

ففي طرق التدريس دأبت مجلة التربية والتعليم على ان تعرف قراءها بطرق التدريس الحديثة القائمة على الفاعلية والنشاط ومراعاة الفروق الفردية وان تضع

ملاحق عملية تحتوي على خطط محددة للدروس . وقد اوضح متى عقراوي في أحد هذه اللاحق طريقة المشروع (٥ - جزء ٢١ و ٢٢ سنة ٢/ ١٩٢٩) . كما اشتملت بعض اعداد المجلة على فصول في طرق التدريس لساطع الحصري ضمنها فيما بعد كتابه عن اصول التدريس بجزئيه - يتناول في الاول الاصول العامة ويتناول في الثاني اصول تدريس اللغة العربية ، ويسعى مؤلفه الى الاستناد الى الاسس النفسية عن قصد واضح . وقد اصبح الكتاب مأثوراً في معاهد اعداد المعلمين العراقية، يتناقله طلابها سنة بعد سنة ، وما زال يستخدم فيها حتى الآن .

وعناية ساطع الحصري بالطريقة الصوتية في تعليم القراءة للمبتدئين معروفة ، وقد وضع وفقاً لها كتابه المشهور « الخلدونية » الذي ما زال منذ اكثر من اربعين عاماً هو المدخل الذي يسلكه الاطفال العراقيون في تعليم القراءة العربية ، وكان الدكتور متى عقراوي يقوم بتشجيع طلابه بدور المعلمين على جمع مواد قصصية ليؤلفوا منها مادة للقراءة . وقد اتجهت عنايته الى الطريقة الجملية متأثراً كما يبدو بالتطبيقات التربوية لنظرية (الجشتالت) فاشترك مع رجل الله زغبي وكان من معلمي احدى المدارس النموذجية في وضع كتاب القراءة العربية تبعاً لهذه الطريقة في مستوى الصف الاول ، واشترك مع محمد ناصر في وضع كتاب للقراءة العربية في مستوى الصف الثاني . ويبدو ان هذه الطريقة كانت موضع تجارب في المدارس النموذجية في بغداد ، وانتقل اثرها الى بعض مدارس اخرى في انحاء القطر ، وما زال بعض المعلمين يستخدمونها ، وان كان ذلك يحصل في نطاق محدود . (والمعلومات) عن استخدام هذه الطريقة مألوفة لدى المعنيين بشؤون التربية في العراق ، وقد اكدها في حديثه الدكتور محمد ناصر ، ولكني لم اجد بحوثاً منشورة عنها في العراق) .

وقد ذكر لي الدكتور احمد حسن الرحيم انه اشرف على تجربة للمقارنة

بين الطريقتين الصوتيـة والجملية على بعض التلامذة في اثنتين مـن المـدارس النموذجية ، وقد استنتج منها تفوق الطريقة الصوتية ، ولكنه لم ينشر ذلك بعد .

ومما يتصل بهذا الموضوع بحث كتبه محمد ناصر في مجـلة المعلم الجديد عن « كيف نهيء الاطفال للقراءة » استعرض فيه العوامل الجسمية والعقلية والعاطفية التي ينطوي عليها الاستعداد لتعليم القراءة ، واكد فيها ضرورة تدريب المعلمين على اكتشاف تلك العوامل في الاطفال واستثمارها ، وقد استشهد فيه بعدد من الدراسات الاميركية بينهـا الكتب السنوية للجمعية الوطنية لدراسة التربية (٩ — عدد ٣ سنة ٩ — ١٩٤٦) . وكان قد سبق له ان عني بدراسة الموضوع ، ووضع فيه رسالة الماجستير من جامعة كولومبيا سنة — ١٩٣٧ .

وتضم مجلة المعلم الجديد مباحث في طرق التدريس ، تنشرها من حين لآخر ، لعل اكثرها يتناول اللغة العربية ومن نماذجها الحسنة المتصلة بالواقع مقال كتبه حبيب الراوي (الانشاء العربي في مدارسنا الثانوية) اجمـل فيه الاتجاهات السائدة في اساليب تدريسه ومواقف الطلاب منهـا والاخطاء التي يقعون فيها . (٩ — جزء ٩ سنة ١٢ — ١٩٤٩) . ومن النماذج الحسنة عن تدريس التاريخ مقـال كتبه الدكتور عبد العزيز الدوري « ملاحظات توجيهية على تدريس التاريخ العربي » اكد فيه على فهم مستوى الطلاب وحسن استخدام اساليب التدريس ووسائل الايضاح في انماء الروح القومية والوجهة العلمية في دقة المعلومات وفي التحليل والنقد وادراك الاتجاهات العامة .

كما كتب عبد الجليل العرس مقالاً بعنوان (اسلوب جديد في تدريس اللغة الانكليزية للمبتدئين) والاسلوب الجديد منقول عن الاستاذ همار الذي انتدب للعمل

في العراق ابان الحرب العالمية الثانية ، ويؤكد هذا الاسلوب على استخدام المحادثة وصياغة الجمل الاولى في صورة اوامر تقتضي اعمالاً وحركات يقوم بها المعلم والتلميذ – وقد وضع سليم حكيم سلسلة من الكتب لتعليم اللغة الانكليزية في مرحلة الدراسة الابتدائية والثانوية ، ظلت تستخدم على نطاق واسع في العراق .

وقد الفت جملة من الكتب في تدريس العلوم الاجتماعية والعلوم الطبيعية والحساب ، كما انتدبت وزارة المعارف عدداً من المدرسين لترجمة كتاب ضمنته وزارة المعارف البريطانية اقتراحاتها وارشاداتها في اساليب التدريس الموضوعات المختلفة ، وسمي الكتاب بترجمته العربية (مرشد المعلم) كما ترجم الدكتور عبد الرحمن القيسي كتاباً اعدته اليونسكو عن اجراء التجارب العلمية في المدارس ويعد هذان الكتابان المترجمان من المراجع الهامة للمدرسين في فترة الاعداد وبعد التخرج .

وتعددت الاشارات الى عيوب المناهج في مقالات متفرقة ، كما ان المؤتمرات التربوية قد عالجتها في مناسبات متعددة ، غير ان من ابرز الانتقادات واكثرها استناداً الى اسس وافية ، ما جاء في بعض التقارير التي كتبها الاجانب ، ومن اهمها في هذا الصدد تقرير « لجنة منرو » التي زارت العراق سنة ١٩٣٢ ، ووضعت تقريراً شاملاً عن النظام التعليمي في العراق وتوصياتها عن اصلاحه . وقد اثار التقرير مناقشات حادة عند نشره وقد تأثرت بتوصياته بعض اجراءات التعليم في السنوات التي تلت ذلك ، ولكن دراسة هذا التقرير تقع خارج نطاق هذا البحث ، باعتباره بحثاً مقتصراً على ما قام به العرب لا الاجانب .

كما تعدد نقد الكتب المدرسية في مقالات متفرقة ، وفي المؤتمرات التربوية ،

ومن خير النماذج ما كتبه الدكتور جميل سعيد (جولة في كتب تعليم اللغة العربية) (٩ - جزء ٥ و٦ - ١٢ - ١٩٤٩) وما كتبه صدقي حمدي (تأثير الكتب المدرسية في التفاهم الدولي) ٩ - جزء ٢ - ١٥ / ١٩٥٢) وفيه التفاتات الى ضرورة مراعاة النمو الفكري في تأليف الكتب مع التأكيد على تقوية الاتجاهات السلمية فيما يتعلق بالتفاهم بين ملاحظات عن جوانب علم النفس الاجتماعي في نشأة التعرضات بين الجماعات واساليب معالجتها .

وما كتبه الدكتور زكي صالح (اليونسكو وتدريس التاريخ) وفيه عرض لجهود اليونسكو في عقد سلسلة من المؤتمرات لدراسة الموضوعات الاجتماعية وطرق تدريسها . وقد حضر كل من الكاتبين الآخيرين مؤتمراً لليونسكو - احدهما في بروكسل (١٩٤٧) والآخر في سفر (١٩٥١) . غير انني لم اجد دراسات وافية تتناول الجوانب النفسانية للمناهج والكتب المدرسية بصورة صريحة واضحة .

وفي حقل القياسات العقلية يعتبر ما قامت به مجلة التربية والتعليم عملاً ضخماً بالقياس الى ما تلاه ، ويمثل جهوداً محمودة في ترجمة هذه القياسات وفي محاولة تطبيقها على طلاب المدارس في الواقع ، وربما سبقت في ذلك امثال هذه الجهود في سائر البلاد العربية الاخرى .

فقد ترجم جلال زريق مقياس ترمن وهو التحوير الذي اجراه ترمن في مقياس بنيه والمعروف باسم « ترمن - ساندفورد » ، وذلك في الاجزاء الرابع والخامس والسادس من السنة الاولى (نيسان ومايس وحزيران - ١٩٢٨) والحقت بالمجلة بالجزء الاخير لوحات الصور المستخدمة في الاختبار . كما خصصت الجزء الثامن عشر (حزيران ١٩٢٩) للاختبارات العقلية - مقاييس الذكاء ومقاييس المعرفة ، فاشتمل

على ترجمة للاختبارات الجمعية التي استخدمت في الجيش الاميركي (ج ١٠) وعلى ترجمة لاختبارات بالارد بالاسئلة الشفوية ، وعلى مقاييس المعرفة والدراسة (التحصيل المدرسي) في الحساب مجموعة منها امنرو والاخرى الكلاباريد ، كما عرضت نموذجاً الاختبارات بواسطة التصاوير ، ونموذجاً لاختبار تميز السخافات بالصور وبالعبارات . ووضع ساطع الحصري مقدمة لكل نوع وتعريفاً ببعض الجوانب الاحصائية في القياسات العقلية .

كما احتوى الجزء على نتائج تطبيق اختبار الجيش الاميركي على الطلاب في مدارس في بغداد فيمستوى الدراسة الابتدائية والثانوية ودار المعلمين الابتدائية ودار المعلمين العالية، ونظمت هذه النتائج في جداول تحتوي على بعض نتائجها الاحصائية، وعقدت المقارنة بين النتائج العراقية وبين بعض النتائج المستخلصة من تطبيق الاختبار في المدارس الاميركية،ووضعت النتيجة العامة بعبارة وجيزة : « ان الاطفال والشبان الذين اختبرناهم بهذا المقياس العقلي لم يظهروا في مستوى اترابهم الاميركيين من حيث الذكاء » ، كما لوحظ ان تطبيق المقياس لا يصلح « لبناتنا » فقد ظهر بينهن شيء من الانفعال بسبب الايعازات المتكررة والازمنة المتقطعة في اجزاء الاختبار .

واحتوى العدد الذي يضم الجزئين ١٩ و٢٠ على ترجمة لاختبار عقلي وضعه (ميرا) الاسباني متابعاً (ترستون) وطبق على حوالي الف طالب وطالبة من المتقدمين للامتحانات العامة فيمستوياتها الثانوية والمتوسطة والابتدائية ، كما احتوى العدد الذي يضم الجزئين على نتائج تطبيق قياسات التحصيل المدرسي في الحساب وقياسات السخافات ، كما احتوى على وصف لاختبار الذكاء تستخدم فيه الرسوم . كما وصفت المجلة اختبارين للحس الاخلاقي واختبارا للعمليات العقلية المتنوعة وضعه

(روسو ليمو الرومي) وحوره فيرميلان البلجيكي وسمي اختبار المحنة السكلجية (عدد ٢٣ و ٢٥) ، كما ناقشت المجلة مقالاً كتبه المرحوم الدكتور منصور فهمي في مجلة الهلال (ديسمبر ٩٢٩) وصف فيه تجربة اجراهـا باشراف كلاباريد وظن انها هي الاولى من نوعهـا وذهب فيها الى اثر المدرسة في الذكاء وتحدث عما سماه « بالوراثة المدرسية » فابانت اخطاء هذه التجربة من حيث مناهجها ومن حيث استنتاجاتها . ويبدو لي من سائر التطبيقات للاختبارات العقلية وتحليل نتائجها ، والتعليق على تطورها وخصائصها ، انها من قلم ساطع الحصري نفسه ، وان لم يذكر ذلـك صراحة وربما يصدق ذلك على ترجمـة بعض تلـك الاختبارات .

والحـق انه لو تمت متابعـة الاختبارات العقلية في السنوات التالية بمثل تلك الروح المتطلعة الناقـدة ، التي تبدت في تلك المجلة ، لكانت لنا منهـا الآن ذخيرة وافية يفخر بهـا . ولكن الاهتمام بهذه النواحي فتر بعد ذلك .

وقد قام الاستاذ محمد كامل النحاس بمعونة الدكتور عبد الرحمن القيسي بتحوير اختبار (ستانفورد - بنية) الذي نقله الى العربية المرحوم الاستاذ اسماعيل القباني تحويراً يتضمن استخدام اللهجة العراقية بدلاً من اللهجة المصرية ، وجاء هذا التحوير في ضوء ما قامت به طالبات دار المعلمين العالية بتطبيق الاختبار على بعض طالبات اطفال المدارس ببغداد ، وطبع هذا التحوير سنة (١٩٤٦) ولم اجد شيئاً عن نتائج هذا التطبيق ، او تحليلاً احصائياً لنتائجه .

وجاءت بعض مقالات متباعدة في مجلة المعلم الجديد عن اختبارات الذكاء ، وان تكررت الدعوة لاستخدامها في المؤتمرات التربوية وفي التقارير الموجهـة الى

وزارة المعارف او الى جامعة بغداد . وآخر هذه المقالات ما كتبه الدكتور ابرهيم يوسف المنصور عن « اختبارات الذكاء وخصائصها الاساسية » وعرف فيه لطبيعة الذكاء والاساس التاريخي لتطور اختباراته ، وبعض خصائصها الاحصائية ، وذلك في مجلة (الاستاذ) سنة (١٩٦٢) .

وقد تناولت مجلة التربية والتعليم مسألة الامتحانات وعرفت القراء بما اسمته الامتحانات الشيئية (الموضوعية) ، ونبهت الى محاسنها ومساوئها ، على ان من الالتفاتات المهمة في هذا الموضوع ما جاء في سلسلة من المقالات كتبها الدكتور متى عقراوي عن « المعارف العراقية في خمس عشرة سنة » نشر اولاها في العدد الاول من مجلة المعلم الجديد شباط (١٩٣٥) ، ونشر الثالثة في العدد الاول من السنة الثانية للمجلة (شباط - ١٩٣٧) واستعرض في هذه المقالات وصفاً دقيقاً لتطور التعليم في العراق وخصائص النظام التعليمي ، واشار في المقالة الثالثة الى ظاهرة خطيرة هي تناقص اعداد الطلاب اثناء تقدمهم في صفوف الدراسة الابتدائية ، وانقطاع اعداد كبيرة منهم عن الدراسة قبل ان يصلوا الى مرتبة مناسبة من اتقان المهارات الاساسية ، مما يؤلف خطراً كبيراً على الجهود الرامية لنشر التعليم ومحو الامية ، وقدر بتحليل احصائي ان نسبة من يكمل الصف السادس الابتدائي لا تزيد على ١٧ ٪ ممن يدخلون الصفوف الاولى ، وعزا ذلك الى جملة اسباب ادارية واجتماعية واقتصادية ومن بينها عامل الرسوب في الامتحانات ويعود ذلك الى حد ما الى ضعف مستوى التعليم في مناهجه واساليبه وكتبه التدريسية واعداد معلميه .

وعنى كاتب هذه السطور بمسألة الامتحانات فاجرى دراسة احصائية عن الصلة بين نتائج الامتحانات العامة والمدرسية في الدراسة الثانوية ، وبين نتائج التقدم الدراسي في المعاهد العالية ، بأن اختار عينات من متخرجيها واكتشف

معاملات الارتباط بين مستوياتهم في الدراسة الثانوية ومستوياتهم في المعاهد العالية ، فكانت معاملات الارتباط متوسطة ، لا تميل به الى القول بالاستغناء عن الامتحانات العامة بل الى اصلاحها وتحويرها ، كما اجرى تحليلاً عاملياً للامتحانات في المعاهد العالية ليوضح ما بين النتائج من عوامل مشتركة (١٩٥٣) ولكن هذا البحث لم ينشر بعد .

واعد تقريراً بعد رحلة علمية الى بعض البلاد الاوربية والى الولايات المتحدة (١٩٥٧) تناول فيه « اصلاح الامتحانات في العراق » ، استعرض فيه أساليب الامتحانات في عدد من البلاد وأوضح وجوب النظر اليها من حيث وظائفها ومن حيث أساليبها ، وكيف يمكن أن تكون حلقة مهمة في سلسلة من العمليات التربوية المتلاحقة ، فتكشف عن مستوى التلامذة ، وعن مدى نجاح تلك العمليات التربوية نفسها ، فضلاً عن استخدام الاساليب الموضوعية الدقيقة في تأليف اسئلة الامتحانات ، وقد تأثر ببعض الاتجاهات الحديثة في الامتحانات ومنها ما نشأ في جامعة شيكاغو بقيادة ثرستون ثم تايلر وبلوم ، وما يقوم بـه مجلس الامتحانات في نيويورك ، ومؤسسة الاختبارات في برنستون .

وقام بتحليل احصائي لنتائج امتحانات الدراسة الثانوية لبضع سنوات ليكشف عما فيها من التفاوت في معدلاتها وانحرافاتها القياسية بين عام وآخر ومن فرع من الدراسة الى آخر ، وبين الاولاد والبنات وأوضح خطأ الطريقة المألوفة من الاعتماد على الدرجات (الخام) أي في حالتها الاولية الخالصة ، وضرورة استخدام المراتب المئوية أو الدرجات المقيسة وضمن هذا التحليل الاحصائي التقرير الذي ناقشته اللجنة التي ألفتها جامعة بغداد برئاسة رئيسها اذ ذاك الدكتور متى عقراوي ، وعضوية كاتب هذه السطور ، وتقدمت به الى الجامعة والمتضمن للتوصيات عن أساليب قبول الطلبة

الى الجامعة (١٩٥٨) كما اوجز اقتراحاتــه عن اصلاح الامتحانات في العراق في التوصيات التي قدمتها لجنة التعليم الثانوي في المؤتمر التربوي لسنة (١٩٦٠) .

وهناك عدد من المباحث النظرية عن الفروق الفردية وتأثير الوراثة فيها ، منها ما نشره محمد علي عبد الجبار عن « وراثة الطفل وبيئتــه » (٩ — ٤/٦/١٩٤١) وما نشره المرحوم شريف عسيران في مجلة المجمع العلمي (المجلد الثالث) وفي مجــلة دار المعلمين العالية (المجلد الاول) وما نشره جعفر خياط في مجلة المعلم الجديد عن الفروق الاساسية بين البنين والبنات ، وبالعــدد الخاص – بالتعليم النسوي في العراق (جزء أول وثاني – مجلد ١٧/١٩٥٣) وهي تؤكد على العوامل البايلوجية وان كانت لا تغفل العوامل الاجتماعية .

عــلى انه ينبغي ان نذكر محاولات الدكتور عبد الجليل الزوبعي في تطبيق اختبارات الذكاء عــلى الطلاب العراقيين في دراستين ، تناولت احداهما اختبار (كاتل) الخالص من آثار العوامل الثقافية ، وهو مؤلف من اجزاء غير لغوية ، مطبقة اولا على بعض طلاب كلية التربية ، ثم طبقه ثانياً على بعض طلاب المدارس الثانوية ، وقد استنتج من تحليل النتائج ، ان الاختبار لا تتوافر له خصائص الثبات والصحة كما ينبغي ، ولا بد من تحوير لبعض اجزائه ليلائم الناشئين العراقيين ، وتناولت الثانية تطبيق اختبار (كودنو) — رسم رجل – على عدد من الاطفال العراقيين ، وقارن بين هذه النتائج وبين التحصيل المدرسي من ناحية ثانية فلم يجد ارتباطاً عالياً واستنتج عدم صلاح الاختبار في وضعه الحاضر . وهاتان الدراستان في طريق النشر في المجلات الاميركية ، كما علمت .

ومن البحوث التي تناولت مشكلات التلاميذ ما قام به الاستاذ محمد كامل

النحاس ونشره في المعلم الجديد (جزء - مجلد ١٠/١٩٤٦) وادرج فيه النتائج التي حصل عليها من استفتاء بعث به الى جميع مديري المدارس الابتدائية والمتوسطة والثانوية الرسمية في بغداد طلب اليهم فيه ان يذكروا فيه عــدد التلاميذ الذين يكشفون عن مشكلات ، حددها باربعة انواع رئيسية (١) العمل المدرسي ، (٢) الصحة ، (٣) الاخلاق والعادات ، (٤) العائلة والمنزل . وقد اجابته مدارس قليلة ، وامتنعت معظمها عن الاجابة وخاصة المتوسطة والثانوية .

وقد حلل نتائج المدارس الابتدائية في المقال المشار اليه ، بان استكشف النسبة بين عدد من يزعم مدير المدرسة وجود مشكلات لديه ، وبين عدد طلاب المدرسة جميعــهم ، وسعى الى توضيح اسباب تلك المشكلات ، ويمكن ان تعتبر النتائج مسحاً اولياً لهــذه المشكلات ، يستحق المتابعة والدراسة اللاحقة . وقد وعـد الباحث بنشر نتائج الدراسة المتوسطة والثانوية ولكني لم اعثر عليها .

وأجرى الدكتور عبد الجليل الزوبعي استفتاء بـين طلبة دار المعلمين العالية عن جوانب العلاقــة بين الطالب والمدرس ، والصفات التي يقدرهــا الطلاب في مدرسيهم وقد استنتج منه اهمية العلاقات القائمــة على الاحترام المتبادل والمعاملة الطيبة والنظرة الاخوية ، والتسامح ، وبالمقارنة بنتائج الدراسات الامريكية وجد تماثلاً كبيراً بينها وبين نتائجه (٩ - جزء ٢ مجلد ٢١/١٩٥٨) .

كما اجرى الدكتور عبد الرحمن الحسون استفتاء بين المعلمين عن آرائهم في التفتيش والمفتشين ودلت الاجابات القليــلة التي وردت اليه عن عــدم الرضا عــن مواقف المفتشين والشك في كفايتهم (مجلة الاستاذ ، المجلد ٦ - ١٩٥٨) .

والف علي الشوبكي كتاباً عن (صفات المربي) (١٩٥٦) ضمنه خلاصة لتجاربه في التعليم مع استعراض مجمل لبعض ما كتب في الموضوع عن الصفات التي ينبغي ان تتوافر في المربي . كما تناول الدكتور جابر عمر والدكتور نوري الحافظ والسيدة آمنة السلطان بعض مشكلات واقعية للطالبات والمعلمات في العراق في عدد المعلم الجديد الخاص بالتعليم النسوي (١٩٥٣) .

وفي الحقل العام لعلم النفس التربوي قام فريد نجار بترجمة كتاب « علم النفس التربوي » لساندفورد والكتاب يؤكد على اتجاهات المدرسة السلوكية وعلى الارتباطية الحديثة ، وقد كثر استخدامه في الثلاثينات بين طلاب معاهد اعداد المعلمين ، كما ترجم كاتب هذه السطور كتاب « التربية » (١٩٤٦) لبرسي نن عن طبعته الاخيرة ، (١٩٤٥) والكتاب كثير الالتفات الى الجوانب النفسية ، كما هو معروف . ووضع ضياء ابو الحب كتاب فيه علم النفس التربوي – تناول بعض مباحثه في جزء اول .

علم النفس التكويني :

تعددت المقالات عن الاطفال وطبيعة النمو لديهم وخصائصهم في اعداد مجلة التربية والتعليم وفي اعداد مجلة المعلم الجديد ، غير ان من أهم تلك المقالات ما نشرته مجلة المعلم الجديد بعددها الخاص بالطفولة (جزء ٣ و ٤ مجلد ٦ مارت – ١٩٤١) ، ففي هذا العدد عالج الدكتور احمد عزت راجح « النمو العقلي ومراحله في الطفل » مؤكداً على آراء بياجيه في مراحل النمو ، ومشبهاً تفكير الطفل بتفكير الرجل البدائي ، كما كشفت عنها المدرسة الفرنسية في علم الاجتماع (ليفي برول ودركهايم) . وكتب محمد ناصر مقالاً « الاستدلال عند الاطفال » استعرض

فيه آراء بياجيه ، ولكنه وقف منها موقفاً ناقداً فعارضها بآراء باحثين آخرين وعلى الأخص (بيرت) و (سوزان ايساك) التي اوجزها ، وكتب عبد الحميد كاظم عن « الطفل المعقد » فوصف ظواهر العجز الجسمي والعقلي الذي يتعرض له الاطفال ، وكتب الدكتور مصطفى جواد مقالاً تاريخياً عن « الطفل عند العرب » - كما احتوى هذا العدد على جملة من المباحث النظرية النافعة عن الطفولة .

وقد كتب الدكتور احمد عزت راجح مقالات اخرى عن الطفل الكسل والطفل الذي يتثاءب والشعور بالنقص عند الطفل ، ونشرها في المعلم الجديد بين ١٩٣٩ و ١٩٤١ ، كما نشر محاضراته على طلاب دار المعلمين العالية باسم « علم نفس الطفل » ويبدو انه تأثر فيها بآراء (بياجيه) .

ووضع كاتب هذه السطور رسالة عن « المراهقة - الحقائق الاساسية وصلتها بالتربية مع الاشارة لاحوال المراهقين في المجتمع العربي » ١٩٦٢ - اوجز فيها بعض الحقائق عن طبيعة النمو العقلي وخصائص المراهقة ، وسعى الى توضيح بعض خصائص المجتمع العربي المعاصر وما عسى ان يتركه من أثر في شخصيات المراهقين وصلة ذلك بالتربية ، ودعى الى وجوب القيام بدراسات علمية ، منظمة للتعرف على طبيعة المجتمع العربي من ناحية وطبيعة الناشئين فيه من ناحية ثانية ،على ان يشارك فيها مختلف المختصين في البلاد العربية

ومن الدراسات القيمة في حقل علم النفس التكويني تلك التي قام بها صالح الشماع عن « اللغة عند الطفل » - من الميلاد الى السادسة - وحصل بها على شهادة الماجستير من جامعة القاهرة ،وصدرت ضمن منشورات علم النفس التكاملي - فقد ألم فيها بعدد واف من النظريات التي تناولت تطور اللغة ، مؤكداً على وجهات نظر التحليل النفسي والسلوكية والجشتالت ، وعلى تضافر العوامل المختلفة البايلوجية والنفسية والاجتماعية في تطورها في الطفل .

الصحة العقلية وعلم النفس الجنائي :

والمباحث في هذين الميدانين قليلة ، ولم يتسع لنا الوقت لمراجعتها بصورة دقيقة وافية .

فمن الدراسات في علم النفس الجنائي مجموعات المحاضرات التي ألقاها بعض اساتذة الموضوع في كلية الحقوق . ولعل اولها كتاب الدكتور احمد عزت راجح « علم النفس الجنائي » (١٩٤٢) الذي اجمل فيه بعض النظريات في علم النفس العام ، وخاصة التفاعل بين عوامل الوراثة وعوامل البيئة في تكوين الشخصية ، متأثراً بكتابات (وود ورث) ، واستعرض بعد ذلك ضروباً من الاضطرابات العصبية التي - تقترن احياناً بالنزعات الاجرامية ، وهو يصدر في الاستعراض عن وجهات من النظر مألوفة لدى مدرسة التحليل النفسي ، وكتب الاستاذ احمد محمد خليفة كتابه « علم النفس الجنائي والقضائي » (١٩٤٩) كما اصدر ، سعدي بسيسو كتابه « مبادىء علم النفس الجنائي ١٩٤٩ » واتبعه بثلاث رسائل اخرى « محاكم الاحداث والمدارس الاصلاحية ١٩٤٩ » وجولة بين المحاكم والسجون في الولايات المتحدة الامريكية ١٩٥٠ ، ومشكلة جرائم الاحداث في الشرق الاوسط (بالانكليزية من منشورات منظمة الامم المتحدة .)

وقد ساهم الدكتور عبد الجليل الزوبعي اثناء اجازة دراسية قضاها في الولايات المتحدة بدراسات في احد مراكز البحوث النفسانية في كاليفورنيا (١٩٦٢) فشارك Lefever وآخرين في تحليل النتائج لدراسة اجريت على طلبة المدارس الثانوية هناك ، امكن تأليف ثلاث مجموعات منهم تتميز احداها بالتوافق والاخرى بالنزعات الاعتدائية والثالثة بالتخلف في التحصيل المدرسي ، وقورن بين

المجموعات في جملة من الصفات ذات الاهمية في الحياة المدرسية، مثل التفوق الدراسي والدوام المنتظم والنضج العاطفي وتحمل المسؤولية والطموح وتقدير الزملاء والتعاون معهم، والاعمال غير الاجتماعية، فظهر تفوق المجموعة الاولى بوضوح. والدراسة بجوانبها المختلفة بسبيل النشر بالانكليزية، كما علمت.

ومما يجوز ادخاله تحت هذا الحقل كتاب «تكوين الشخصية ١٩٦٢» للدكتور نوري الحافظ، فقد مزج فيه بعض النظريات عن طبيعة الشخصية ومكوناتها ببعض التوجيهات والارشادات عن تنميتها وتوفير اسباب الاتزان العاطفي بصورة عامة.

ولم اتمكن مع الاسف من مراجعة ما كتبه بعض اساتذة كلية الطب وغيرهم من الاطباء المعنيين بالامراض العصبية وبالصحة العقلية، سوى ما جاءت الاشارة اليه من مباحث المرحومين الدكتور هاشم الوتري والدكتور شريف عسيران. ومن بين الاطباء المعنيين بالصحة العقلية الدكتور معمر الشابندر، وهو يعنى في بعض كتاباته بتقريب المفاهيم العلمية الى اذواق القراء من ذوي الثقافة العامة، كما انه يشرف على الاحداث الجانحين، ولا يبعد ان تكون قد توافرت لديه مادة صالحة للدراسة في هذا الحقل.

علم النفس الاجتماعي:

والدراسات في هذا الحقل هي الاخرى قليلة، ومن ابرزها الرسالة التي وضعها الدكتور علي الوردي عن «الشخصية المراهقة» (١٩٥٢) والتي اجمل فيها بعض النظريات الرئيسية عن تطور الشخصية، ثم سعى الى تحديد معالم الشخصية المراهقة، متأملاً في العوامل التاريخية والاجتماعية المؤثرة فيها. قد ذهب الى القول بان

الشخصية العراقية قد خضعت لاتجاهين معارضين — عوامل البداوة والحياة القبلية وما فيها من قيم وعوامل الحضارة والاستقرار من ناحية ثانية ، وان ذلك قد ادى الى تميز تلك الشخصية بالازدواج الذي يتجلى فيه المفارقة بين القول وبين العمل .

ولا يخلو هذا التحليل في رأيي من شيء من الاعتساف والمبالغة .

وقد اسهم الدكتور ابرهيم عبد الله محيي بدراسة بعض المشكلات الاجتماعية التي يواجهها الشبان العرب في عدد من الاقطار العربية ، وعني خاصة بدراسة مشكلات المرأة العربية ومشكلات الشباب في البلاد العربية ، وقد نشرت بعض هذه الدراسات في مجلة « القضايا الاجتماعية » الامير كية التي خصصت عدداً كاملاً لها .

ومن بين ما كشفت عنه تلك الدراسات من مشاكل الشبان العرب كما اتضح من اجوبتهم على استفتاء اشتمل على ١٦٩ سؤالاً ، ان اهم المشكلات التي يواجهونها هي :

(١) المشكلة السياسية : اذ يشعر الشباب بما تواجه بلادهم من قضايا التأزم السياسي والاقتصادي ويشعرون بوطأة النكبة في فلسطين .

(٢) الصراع بين الآباء وبين الابناء ، (٣) فقدان حرية التعبير ، (٤) المشكلات الاقتصادية والاجتماعية كما يخضعون لها ، (٥) القلق على المستقبل ، (٦) مشكلة اختيار الزوج (٧) مشكلات الدراسة والتحصيل — وقد نشرت بعض النتائج في مجلة (الاجيال) التي تصدرها نقابة المعلمين في العراق (١٩٦٢)

وقد اسهم الدكتور محمد ناصر في الحلقة الدراسية للأسس التربوية في البلاد العربية بالقاهرة (١٩٦١) ببحث عن (نفسية المعلم العربي) - تناول فيه خصائص المعلم العربي ، باعتباره انساناً ، وباعتباره مواطناً يتأثر بالعوامل الفعالة في المجتمع العربي المعاصر ويستجيب لما ينطوي عليه من التحديات ، وعليه ان يقوم بدوره في مواجهتها ، - وقد نشر في مجلة (الاجيال ١٩٦٢) وهو بحث يمكن ان ندرجه تحت هذا الحقل ، وقد اشرنا الى الرسالة عن (المراهقة واحوال الناشئين في المجتمع العربي) ، وهي الاخرى اعدت اصلاً للاسهام بتلك الحلقة ويمكن ان تدخل تحت هذا الحقل ايضاً .

عرض للاتجاهات العامة :

لعلنا ان نختتم هذا الاستعراض لنماذج من المباحث النفسانية في العراق ، في حقولها المختلفة ، بذكر موجز للاتجاهات العامة التي يمكن ان تستشف من تلك النماذج من ناحية ، ومن تطور النظام التعليمي والاحوال العامة في البلاد من ناحية ثانية ، وذلك على الصورة الآتية :

١ – لقد اتضح لنا ضآلة شأن التعليم في العهد العثماني ، فليس للدراسات النفسانية فيه ما يستحق الذكر .

٢ – ومنذ ان تأسست الدولة العراقية في شكلها الحديث (١٩٢١) وتسلم الوطنيون شؤون التعليم تدريجياً ، انصرفت عنايتهم الى وضع الاسس للنظام التعليمي والتوسع فيه . وما لبثت عناية بعض المختصين ان اتجهت الى نشر البحوث التربوية والنفسانية ، فصدرت مجلة التربية والتعليم في اول عام ١٩٢٨ ، وضمت طائفة من البحوث المترجمة والموضوعة التي تعتبر طليعة طيبة

تمثل جهوداً محدودة وخاصة في ميدان القياسات العقلية ، وفي ميدان طرق التدريس وكان للاستاذ ساطع الحصري فضل كبير من الناحيتين — وضع الاسس للنظام التعليمي وتطويره ووضع البحوث التربوية والنفسانية وتشجيع نشرها .

٣ – وقد زارت العراق في (١٩٣٢) بعثة تربوية برئاسة الاستاذ بول منرو لدراسة النظام التعليمي وتقديم توصياتها لاصلاحه . وقد كان التقرير موضع دراسة ومناقشة ، واحتل النظر فيه والسعي لتحقيق عدد من توصياته ، عناية بعض المسؤولين والمختصين وقد اتفق ان اغلقت دار المعلمين العاليةفي سنة ١٩٣١ ، وربما كان لهذين العاملين ، وعدم وجود مجلة تربوية نفسية مختصة ، بعض الاثر في فتور الدراسات النفسانية في مطلع الثلاثينيات . ولكن اعادة فتح دار المعلمين العالية ، وعودة المختصين من دراساتهم في الخارج ، واستقدام عدد من الاساتذة المصريين ، وتأسيس رابطة التربية الحديثة حوالي سنة ١٩٣٧ ، التي كانت تضم الدكتور محمد فاضل الجمالي والدكتور متى عقراوي ومحمد ناصر وعبد الحميد كاظم وغيرهم ، جدد الاهتمام بهذه الدراسات .

٤ – وقد مرت البلاد بفترة عسيرة بعد ثورة ١٩٤١ وصفت احياناً (بالاحتلال البريطاني الثاني) — وتأثرت وزارة المعارف بذلك تأثراً كبيراً ، فخضعت لاشراف عدد من المستشارين البريطانيين ، وابعدت العناصر القومية عن الاشراف على سير التعليم ، ولم يعد للمختصين في التربية شأن كبير في توجيهه . فتأثرت بذلك المباحث التربوية والنفسانية ، واقتصر النشاط فيها على بعض المعاهد ، كدار المعلمين العالية .

٥ - لقد كان لجهود الاساتذة العرب المنتدبين لتدريس موضوعات علم النفس وخاصة من مصر في المعاهد فضل كبير في حمل اعباء التدريس في ناحية وفي اثارة الاهتمام بالدراسات التربوية والنفسية ، ونشر المباحث والرسائل والكتب الدراسية . ومن هؤلاء الاساتذة : مظهر سعيد والسيدة نظلة الحكيم والدكتور احمد عزة راجح ومحمد كامل النحاس ، وأحمد محمد خليفة ، وابراهيم حافظ ، وقد اوردت نماذج من بحوثهم في هذا الاستعراض ، تأكيداً لوحدة الباحثين العرب وباعتبارها بحوثاً قد جرت في العراق .

٦ - لقد كان كثير من المختصين في التربية ، قد تلقوا تدريباً في الموضوعات النفسانية ، واظهروا اهتماماً بتطويرها ، وقد اخذ عدد من المختصين في علم النفس يعودون من دراساتهم التخصصية منذ سنة ١٩٥٠ ، ومعظمهم قد تأثر بالمناهج التجريبية وباستخدام الطرق الاحصائية ، وتجلى ذلك في رسائل التخصص التي قدموها لجامعاتهم . وكنت اهم باستعراض موجز بدراساتهم ، غير اني قدرت انها وقد جرت في معاهد اجنبية قد لا تدخل تحت نطاق هذا البحث .

٧ - لقد نشأ علم النفس في العراق باتصال وثيق بالتربية ، فكان معظم تدريسه في معاهد اعداد المعلمين الابتدائية والعالية ، وكان المختصون بالتربية يشتمل تدريبهم على دراسات في علم النفس ، وكان معظم المختصين في علم النفس يشتمل تدريبهم على التربية ، وعمل معظم هؤلاء في معاهد اعداد المعلمين ، كما ان اغلب الاساتذة العرب من المصريين وغيرهم ، الذين انتدبوا للعراق ، عملوا في معاهد اعداد المعلمين ، ولذلك تأثرت الدراسات النفسانية بهذا الاتجاه ، فكان معظمها يعالج المسائل النفسانية في حقل علم النفس التربوي أو في حقل علم النفس التكويني .

وبرزت اتجاهات الدراسات الاولى في العشرينات متأثرة بالبحوث التي كانت تجري في فرنسا والمانيا خاصة ، مؤكدة النزعات الطبيعية في التربية ، والتأثر بالمدرسة الارتباطية عامة ، مع الاهتمام بالقياسات العقلية كما اجريت في اميركا ، وزاد الاهتمام بالارتباطية الحديثة كما يمثلها ثوراندايك وببعض جوانب من السلوكية في الثلاثينات ، ثم اصبح للمدرسة الغرضية ولمدرسة التحليل النفسي اثر واضح في التدريسات خلال الاربعينات ، وتنوعت وجهات النظر ومالت الى التوفيق بين الاتجاهات المختلفة في مذاهب علم النفس كما هي الحال في الوقت الحاضر ، كما مالت بعض الابحاث الحديثة لمعالجة مشكلات محددة قائمة في الواقع ، ولكنها ما زالت قليلة . ولعل اعباء التدريس من ناحية وضعف وسائل النشر في العراق ، من اسباب ذلك .

المراجع

فضلاً عما ورد في تضاعيف البحث من اشارات للمراجع ، فقد جاءت اشارات – في مواضع معينة او بصورة عامة – لمراجع اخرى :

١ – لونكريج – اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث – ترجمة جعفر خياط ١٩٤١ .

٢ – ساطع الحصري – البلاد العربية والدولة العثمانية ١٩٥٧ .

٣ – حسن الدجيلي – تقدم التعليم العالي في العراق ١٩٦٣ .

٤ – عبد الرزاق الهلالي – تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني ١٩٥٩ .

٥ – مجلة التربية والتعليم – (١٩٢٨ – ١٩٣٠) .

٦ – محمد بهجت الأثري – اعلام العراق ١٣٤٥ هـ .

٧ – عباس محمود العقاد – الاسلام في القرن العشرين ١٩٥٤ .

٨ – مجلة المجمع العلمي – (١٩٥٠ –) .

٩ – مجلة المعلم الجديد – (١٩٣٦ –)

مصر

١٨٧٥ - ١٩٦٣

بقلم الدكتور يوسف مراد

الدراسات السيكولوجية في مصر المعاصرة

ان الدراسات النفسية في مصر المعاصرة نشطت في السنوات الاخيرة نشاطاً ملحوظاً ، واتسعت ميادين تطبيقاتها في التربية وفي الاختبار والتوجيه المهني وفي الارشاد النفسي . ولكي نقدر بصورة دقيقة سرعة هذا التقدم ، ولكي نكشف عن مدى اسهام علماء النفس العرب في البحوث السيكولوجية ، يجدر بنا ان نعود الى اواخر القرن التاسع عشر واوائل هذا القرن ، وان نتتبع الخطوات الاولى التي مهدت السبيل للدراسات النفسية التجريبية وان نربط بينها وبين الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي مرت بالبلاد .

وبما ان علم النفس في صورته العلمية التجريبية لم ينشأ في اوروبا ، وفي المانيا بصفة خاصة الا في منتصف القرن التاسع عشر ، فانه يصبح من المؤكد الا نجد للدراسات النفسية في الشرق العربي اثراً يذكر حتى بداية القرن العشرين . غير اننا سنحاول الاشارة الى الجهود الاولية التي بذلت لنقل بعض المعارف السيكولوجية الى القارىء العربي وادخال مبادىء هذا العلم في مناهج الدراسة في معاهد المعلمين .

وبما ان التسمية العربية التي نطلقها على هذا العلم الناشيء ، وهي « علم النفس » هي الترجمة الحرفية للفظة سيكولوجيا ، تثير اللبس في اذهان العامة فتجعلهم يخلطون

بين الدراسات السيكولوجية وما يسمى بالبحوث الروحية ، فانه يجدر بنا ان نشير بايجاز الى المفهوم العلمي لعلم النفس وذلك بذكر الخطوات الاولى الرئيسية التي ادت الى نشأ علم النفس بوصفه علماً تجريبياً . وبفضل هذا التوضيح سنغفل الاشارة الى كل ما يدخل في دائرة البحوث الروحية اذ انها لا تمت بأية صلة الى البحوث السيكولوجية العلمية ، وكل ما في الامر انها قد تكون موضوعاً للبحث العلمي من حيث هي ظاهرة سلوكية تدخل في دائرة البحوث التي تتناول الخيالات والاوهام والهلوسات وعمليات الايحاء الذاتي والايحاء الجماعي وما اليها من الظواهر الذاتية (١).

يرى بعض مؤرخي علم النفس الحديث ان الدراسات السيكولوجية لم تدخل طورها العلمي التجريبي الا منذ عام ١٨٦٠ عندما نشر فخنر في مدينة ليبزج في المانيا كتابه « مبادىء السيكوفيزيقا » اي دراسة العلاقة الكمية بين المنبه والاحساس او كما يقول المؤلف « العلم الدقيق للعلاقات الوظيفـية او علاقات التبعية بين الجسم والعقل »(٢) وكان فيبر Weber قد سبقه في دراسة العلاقة بين المنبه والاحساس ، غير ان فخنر هو الذي صاغ قوانين فيبر صياغة رياضية والخطوة التالية في تدعيم الاسس التجريبية للدراسة النفسية حققها عالم وفيلسوف الماني آخر هو فونت

---

١) انظر مجلة علم النفس ، المجلد الاول ، العدد الاول يونيو ١٩٤٥ ، ص ٩٨ – ٩٩« علم النفس بريء من . . . »

٢) مما هو جدير بالذكر ان فخنر (١٨٠٠ – ١٨٨٧) لم يكن نشاطه مقصورا على علم النفس التجريبي . فقد بدأ حياته العلمية بدراسة الطب واصبح استاذا لعلم الفيزياء ، وله مؤلفات في الفلسفة وعلم الجمال .

Wundt « ١٨٣٢ – ١٩٢٠ » عندما انشأ في جامعـة ليبزج اول معمل لعلم النفس التجريبي عام ١٨٧٩ . وقد اشار منذ عام ١٨٦٢ في كتابه عن نظرية الادراك الى منهجه في دراسة علم النفس اذ يقـول ، ان علم النفس يبدأ بالاستبطان ولكنه يستعين بمنهجين مساعدين هما اجراء التجارب والتاريخ الطبيعي للجنس البشري (١). وهو اول من تحدث عن علم النفس التجريبي واكد بعكس ما كان يذهب اليـه هربارت ان المنهج التجريبي قابل للتطبيق في الدراسات السيكولوجية . وقـد اقام الدليل على ذلك في كتابه « علم النفس الفسيولوجي » (١٨٧٤) . ثم في سلسلة البحوث التجريبية التي اجراها هو وتلامذته في معمله والتي نشرت في مجلة « الدراسات الفلسفية» Philosophische Studien التي انشأها فونـدت عام ١٨٨٣ وهي اول مجلة مخصصة لنشر البحوث السيكولوجية .

ذلك هو الاطار التاريخي الاول لنشأة علم النفس من حيث هـو علم اخضاع دراسة الاحساس والادراك للمنهج التجريبي والتعبير عن النتائج بطريقة كمية ، ثم جاءت الدراسة التجريبيه لعمليات الحفظ والتذكر مع ابنجهاوس (١٨٥٠ – ١٩٠٩) وتطبيق منهج الاستبطان التجريبي على العمليات العقلية العليا في جامعة فرزبورج بالمانيا باشراف كولبيه (١٨٦٢ – ١٩١٦) . وقـد قام بينيه في فرنسا وودورث في الولايات المتحدة الامريكية ببحوث مماثلة . ونشطت في فرنسا الدراسات في ميدان علم النفس المرضي مع شاركو وريبو وجانيه ، وفي انكلترا في مجال الفروق الفردية مع جولتن هذا فضلا عن الدراسات التي تناولت سيكولوجية الحيوان والطفـل .

---

(١) تناول فوندت هذا الموضوع في كتابه سيكولوجية الشعوب Volker psychologie الطبعة الاولى سنة ١٩٠٠ والطبعة الخامسة سنة ١٩٢٠ في عشرة مجلدات .

وعند انتهاء القرن التاسع عشر يكون علم النفس قد دعم اسسه العلمية التجريبية بانشاء المجلات والمعامل واصبح يدرس في الجامعات الاوروبية والاميركية بوصفه علما بحتا كسائر العلوم الاخرى ولم تبدأ حركة التطبيقات السيكولوجية الا في القرن العشرين (١) .

اما في مصر فالمحاولات التي بذلت في عهد محمد علي لنقل العلوم الحديثة ونشرها كانت معظمها محصورة في دائرة التعليم المتخصص لخدمة الجيش ، فتعددت المدارس العسكرية . وكان الغرض الاساسي من انشاء مدارس الطب والصيدلة والولادة والطب البيطري والزراعة والهندسة تخريج الفنيين الذين تحتاج اليهم الآلة العسكرية التي انشأها محمد علي (٢) وباستعراض الكتب التي ترجمها الشيخ رفاعة بك الطهطاوي وتلاميذه الذين تخرجوا من مدرسة الالسن، يتضح لنا ان معظمها في الفنون الحربية والهندسية والطبية وبعض كتب الجغرافيا والتاريخ . اما العلوم الانسانية والفلسفية فكان حظها ضئيلا ، نذكر منها : (٣)

---

١) لم يرد ذكر «علم النفس التطبيقي» في طبعة ١٩٠١ لقاموس بولدوين في الفلسفة وعلم النفس .

٢) انظر ، اضواء على تاريخ التعليم في مصر ، الباب الثاني ، ص ٣٠ ، اعداد محمد توفيق خفاجي، اشراف ومراجعة الدكتور ابراهيم حافظ ، مركز الوثائق والبحوث التربوية بوزارة التعليم ، القاهرة ١٩٦٣ .

٣) حركة الترجمة بمصر خلال القرن التاسع عشر ، تأليف جاك تاجر ، دار المعارف بمصر ، ١٩٤٦ ، ص ٥٥ و ٦٧ .

كتاب قلائد المفاخر في غريب عوائد الاوائل والاواخر ، تأليف ديبنج وترجمة رفاعة بك ــ طبع سنة ١٢٤٩ هـ .

كتاب تاريخ قدماء الفلاسفة ، ترجمة رفاعة بك ، طبع سنة ١٢٥٤ هـ .

كتاب المنطق ، تأليف دي دومارسي ، ترجمة رفاعة بك ، طبع سنة ١٢٥٤ هـ .

كنز البراعة في مبادىء فن الفلسفة ، ترجمة خليل محمود ، طبع سنة ١٢٥٤ هـ .

تربية الاطفال ، تأليف كلوت بك ، ترجمة مصطفى بك الجركسي ، طبع سنة ١٢٦٠ هـ .

اما التعليم العام فكانت حالته سيئة ، فبخلاف الكتاتيب لم يكن في سنة ١٨٦٣ في القطر المصري سوى مدرسة ابتدائية ومدرسة تجهيزية ، وأخذ التعليم العام ينشط الى حد ما بعد ان اعيد فتح ديوان المدارس في سنة ١٨٦٣ وبدأ اهتمام بتعليم البنت فانشئت المدرسة السنية للبنات في سنة ١٨٦٧ ، ولاعداد المعلمين انشئت مدرسة للمعلمين باسم دار العلوم لتخريج معلمي اللغة العربية في سنة ١٨٧٢ ومدرسة المعلمين النورمال لمعلمي العلوم والرياضة والآداب سنة ١٨٨٠ ومدرسة المعلمين التوفيقية سنة ١٨٨٨ ومدرسة المعلمات السنية سنة ١٩٠٠ .

ولم يكن علم النفس من بين المواد التي كانت تدرس في دور المعلمين ، وحتى علم البيداجوجيا لم يبدأ بتدريسه الا منذ عام ١٨٨٦ ، ولم يظهر اسم علم النفس في المناهج الا سنة ١٩٠٦ ، ولكن كجزء من مواد التربية لا كعلم مستقل له ورقة اسئلة ودرجة خاصة في الامتحان . فكانت اسئلته ودرجته تدخل ضمن اسئلة التربية

وورقتها . وكان نصيبه في خطة الدراسة ضئيلاً جداً لا يتعدى درساً اسبوعياً واحداً في السنتين الاخيرتين . (١)

وقبل ان ننتقل الى تطور الدراسات النفسيـــة في القرن العشرين ، نتوقف قليلاً لالقاء نظرة على بعض ما نشر في الربع الاخير من القرن التاسع عشر في مجالي التربية وعلم النفس .

واول كتاب يسترعي نظرنا هو : « كتاب المرشـــد الامين للبنات والبنين » تأليف رفاعة بك رافع الطهطاوي ، الطبعة الاولى بمطبعة المدارس الملكية ، سنة ١٢٨٩ هـ/١٨٧٥ م ، وعدد صفحاته ٣٩٥ ، ويحتوي الكتاب على مقدمة وسبعـــة ابواب وخاتمة تتناول الموضوعات الآتية .

مقدمة في بيان تربية الاطفال من الذكور والاناث وفيها اربعة فصول .

الباب الاول في حقيقة الانسان ونسبته الى غيره من المخلوقات وبيان فضائـــل الذكور والاناث وفيه ستة فصول .

الباب الثاني في الصفـــات المشتركة بين الذكور والاناث والمخصوصة بأحد الفريقين وفيه اربعة فصول .

الباب الثالث في التعلم والتعليم وفيه تسعة فصول .

---

(١) من تقرير ارسله الينا الاستاذ محمد مظهر سعيـــد ، عميد تفتيش علم النفس والاجتماع والفلسفة والتربية بوزارة التربية والتعليم سابقاً .

الباب الرابع في ذكر الوطن وتمدينه وبيان ان اعظم اسباب ذلك التربية والتعليم واستكمال المعارف والتصميم ، وفيه سبعة فصول .

الباب الخامس في الزواج والتسري وما يتعلق بذلك ، وفيه ثمانية فصول .

الباب السادس في اسباب عمارية البيوت والمنازل وما يترتب على حسن تربية النساء من الفضائل وفيه خمسة فصول .

الباب السابع في عموم القرابة وحقوق بعضهم على بعض ، وفيه اربعة فصول .

خاتمة حسنى فيما يتعلق بحفظ الصحة التي هي للانسان اعظم منحة وفي شذرة من كلامه صلى الله عليه وسلّم .

يتضح لقارىء هذا الكتاب ان مؤلفه لم يكتف بذكر اخبار الاقدمين وآرائهم في طبيعة الانسان وآداب النفس والشريعة ، بل اعتمد من حين الى آخر على ما حصله من معارف اثناء اقامته بباريس وبفضل ما ترجمه من كتب . فهو يرى ان التربية تنقسم الى قسمين ، حسية ومعنوية وان لتغذية الطفل ثلاثة انواع من الغذاء مختلفة الموضوع ، تغذية الجسم ، ثم التغذية المعنوية بالارشاد والتأديب والتهذيب ، ثم التغذية العقلية بتعليم المعارف والكمالات .

ورأيه في العلاقة بين التربية والذكاء متفق مع حقائق علم النفس التربوي ، اذ يقول « ثم ان التربية لا تفيد الصبي الذكاء ولا الالمعية فان هذه الصفات هي في الاطفال غريزية طبيعية وانما بالتربية تنمو العقول وتتحسن الادراكات فاذا ربى المربي عدة اطفال مختلفين في الذكاء متحدين في التربية لا يقدر المربي ان يتوصل الى تسويتهم في الذكاء بل يختلف ذكاؤهم باختلاف استعدادهم الغريزي» (ص ٢) ثم

يقول : « الغرض من التربية تنمية الصغير جسداً وروحاً واخلاقاً في آن واحد يعني تنمية حسياته ومعنوياته بقدر قابليته واستعداده » . (ص ٣)

ويؤكد رفاعة بك ضرورة قيام الام نفسها بتربية اولادها وينصح بأن تكون تربية الاولاد على حسب احوال البلاد ، اي اذا كانت زراعية او تجارية او بحرية ولكن بالاضافة الى هذه الخصوصيات « يجب ان تلاحظ المعارف العمومية التي تشترك فيها الامم والملل » . (٧) .

ويبدي المؤلف اعجابه بنظام التربية لدى اليونان فيصف تربيــة الاطفال عندهم ويقول بلزوم تعميم التربية كما كان يفعله حكماء اليونان قديماً ويرى ان « السبب الاعظم في كثرة فحول الرجال وكبراء الابطال في بلاد اليونان في ايام جاهليتهم انما هو كان بعد احسانهم تربية الاطفال » (ص ١٦) .

والواقع ان قراءة هـذا الكتاب ممتعة حقاً فموضوعاته متنوعة وهي ليست محصورة في دائرة التربية ، فبعضها يدخل في نطاق علم النفس العام عندما يميز المؤلف بين « حقيقة الانسان من حيث ناطقيته وسائر الحيوانات » ، ثم في علم النفس الفارق في دراسته للفروق بين الذكور والاناث ، ثم علم النفس التعليمي وهـو موضوع الباب الثالث في التعلم والتعليم ، ولا يفوتنا هنا ان نشير الى ان رفاعة بك هو اول من دعا الى العناية بتعليم البنات وقد عالج هذا الموضوع في الفصل الثالث وهو « في تشريك البنات مع الصبيان في التعلم والتعليم وكسب العرفان » .

ويميز في الفصل السابع من هذا الباب الثالث بين الروح والعقل والقريحة . والروح هي اصل الحياة والحركة والاحساسات والادراكات والشهوات ، و « كنهها مغيب

عن البشر لا يعرفون حقيقته » ... وهي مشتملة على اصل فعال يحملها على العمل أو الترك تبعاً لما تدركه من الملائمة وهذا اصل الفعال هو الارادة التي تحمل على الاختيار فتختار ما يليق لها من اسباب السعادة ما تظنه كذلك » . اما العقل والقريحة فهما من « متعلقات الروح » . وتعريف رفاعة بك للعقل يذكرنا بتعريف سبيرمان للعامل العام في حديثه عن الذكاء . العقل قوة تدرك جميع العلاقات والمباينات» وبقدر ادراك الانسان النسب والعلائق بين الكائنات التي حوله تكون جودة عقله على حسب قوة هذا الادراك » (ص ٨٤) . واذا كان العقل حاداً ذكياً متوقداً يخترع ويبتدع كان قريحة ... وقد يتصف الانسان بسمة العقل ولا يكون متصفاً بالقريحة اذ كل منها ممتاز عن الآخر لان القريحة دائماً نشطة شغالة فعالة ولادة متصورة بخلاف العقل ولو متسعاً » (ص ٨٥) « فالقريحة اذا هي القدرة على الخلق والابداع و « الجمع بين اطراف التصورات والتصديقات المتفرقة » ، ويؤكد المؤلف ان نتائج القريحة تكون عن ارادة واختيار لا بالصدفة والاتفاق .

وبقية ابواب الكتاب تتناول التربية الوطنية ثم سيكولوجية التوافق في الزواج والحياة داخل الاسرة .

* * *

والكتاب الثاني الجدير بالذكر خاص ايضاً بالتربية ، وهو كتاب البيداجوجيا العلمية أي هداية الاطفال تأليف الشيخ حسن توفيق ، مدرس اللغة العربية في المدرسة الشرقية ببرلين ، جزءان ، ٦٦ ، ١٥٤ ص ، القاهرة ، الطبعة الاولى ١٨٩١ ــ ١٨٩٢ ، وقد اعيد طبعه وظهرت الطبعة السادسة في سنة ١٩٢٥ .

وموضوع الجزء الاول في التربية العلمية ، وينقسم ثلاثة اقسام ، علم الجسم ، علم النفس ، علم الاخلاق . ويشمل القسم الثاني الخاص بعلم النفس اربعة ابواب :

١ - في النفس ونسبتها الى الجسم .

٢ - في التصور النفساني ، التفكير ، التذكر ، التخيل ، التنبه - تذييل في الانا والنحن .

٣ - في الاحساس النفساني ، الاحساسات الصورية ، الاحساسات المادية .

٤ - في الطمع والارادة النفسانيين .

خاتمة ، في ملحوظات في نشأة الطفل من حيث الجسم والنفس .

يلاحظ ان بعض المصطلحات غير دقيقة ، فلا وجود لاحساس صوري بحت او لاحساس مادي بحت ، والمقصود هو التفرقة بين « عاطفة » و « احساس » ، اذ ان مثير العاطفة المباشر ليس المنبه الحسي الخارجي بل تصور ذهني في حين ان المثير المباشر للاحساس هو المنبه المادي . ومما هو جدير بالذكر اننا نجد نواة لموضوع هام من موضوعات علم النفس الاجتماعي عندما يتحدث المؤلف عن الانا والنحن ، كما انه يجب الاشارة الى الملحوظات في نشأة الطفل من حيث الجسم والنفس ابتداء من سن السادسة وهي سن دخول المدرسة .

اما موضوع الجزء الثاني فهو في فن التربية العملية ، فيتحدث اولاً في طرق التعليم العام ثم يتناول طرق التعليم الخاصة بكل علم من العلوم الآتية ، علم الدين ، اللغة ، الوطنية ، التاريخ ، الجغرافيا ، الطبيعيات الحساب ، الهندسة ، الرسم ، واخيراً الرياضة البدنية . ثم تذييل في لعب الاطفال .

اما اول كتاب يحمل اسم علم النفس ويعالج موضوعاته مستقلة عن تطبيقاتها التربوية فهو « كتاب علم النفس » للشيخ محمد شريف سليم ، وقد الفه صاحبه في

سنة ١٨٩٥ ، ولكن الكتاب لم يطبع الا عـام ١٩١١ م عندما تقرر تدريسه لمدارس المعلمين والمعلمات . ويحتوي الكتاب على تسعة عشر فصلاً ترتيب موادها شبيه بما نجده في كتب علم النفس المدرسية " التقليدية " فيبدأ بالتحدث عن القوة الطبيعية والاحساسية والفكرية . ثم ينتقل مـن دراسة الشعور الى الادراك الى الحفظ والتذكر وتداعي المعاني ، ثم الى الخيال وانتزاع المعاني وتعميمها والحكم والتعقل ، اي من العمليات العقلية الاولية الى العمليات العقلية العليا ثم يأتي الجزء الخاص بالوجـدان والميول والعواطف ، ويسميها الشيم ، واخيراً الارادة والعادة والاختيار . وفي عام ١٩٠٠ نشر كتاب " المباحث الحكمية في احوال النفس وتربية القوة العقلية " (١٤٠ ص) تأليف محمد رأفت نصار الحائز لقب بروفسور من كلية برلين " . وهو يحتوي على ثلاثة ابواب ، الباب الاول في المعرفة ، والباب الثاني في الاحساس ، وهو يقصد الحالات الوجدانية من لذة وألم والميل الى الشيء او عدم الميل اليه رغبة او نفوراً ، والباب الثالث في الارادة والحركات وعلاقة الارادة بالشهوات

وتستند معالجـة موضوعـات الكتاب الى المنهج الاستبطاني ، ويلاحظ تأثير الفلسفة الالمانية في بعض الفصول مثل " اهمية التعقـل بالنسبة لادراك العالم الخارجي وبيان ما قاله الفيلسوف كنت في هذا المقام " .

* * *

نشر الوعي العلمي في الدراسات النفسية

نلاحظ انه حتى بداية القرن العشرين لا نجد فـيما نشر من كتب علم النفس والتربية اي اشارة الى البحوث الحديثة ، كما ان النزعـة السائدة كانت ادبية وفلسفية ودينية . غير ان هناك محاولات بدأت بتقديم بعض موضوعات علم النفس

الحديث في اطار علمي وفي جو من النقد المدعم بالاسانيد التجريبية والعقلية ، ونحن نقصد المقالات التي نشرت في مجلة المقتطف منذ انشائها في بيروت عام ١٨٧٦ ، ومعظمها بقلم منشىء المقتطف ، يعقوب صروف وفارس نمر . وفيا يلي اشارة على سبيل المثال الى بعض هذه المقالات واهم ما جاء فيها

ففي عدد تموز ١٨٨٢ مقالة عن « التخيلات والخيالات واسبابها » والمقصود بالتخيلات الخداعات الحسية نتيجة خلل في الحواس ، وبالخيالات تتخيل محسوسات لا وجود لها امثلة في الدماغ . واسباب التخيلات والخيالات اختلال في كيفية الدم او كميته الدائرة في الدماغ وخاصة في الشريانين البصريين .

وفي مجلد السنة الثامنة (١٨٨٣ - ١٨٨٤) اربع مقالات عن الذاكرة . ويقابل الكاتب بين تعريف الاقدمين للذاكرة وتعريف المحدثين لها . فالذاكرة حسب التعريف التقليدي هي « قوة من قوى النفس تذكر ما تدركه القوة الوهمية من المعاني وتحفظه » . اما في علم النفس الحديث فالذاكرة قوة بها تسترجع النفس ما ادركته من المعاني وصور المحسوسات وبها تعلم انها قد ادركته قبل ذلك » (ص ١٩٤) . والعلم بسابق الادراك شرط اساسي للتمييز بين التذكر ومجرد التخيل . واهم الموضوعات التي تناولتها هذه المقالات الاربع ، هي علاقة الذاكرة بالوظائف الفسيولوجية ، ووصف عمليات الذاكرة ، واضطرابات الذاكرة وامراضها ومنها « الافازيا » وهي فقدان القدرة على فهم اللغة واستخدامها ثم وسائل تقوية الذاكرة .

وفي عدد يناير ١٨٨٥ ، مقالة عن العقل ومقره من الجسد ، جاء فيها انه لا توجد علاقة بين ادراك الحيوان وثقل دماغه النسبي ، اما مقر العقل فهو الجسم

السنجابي ، « اذ ان ثقله المطلق والنسبي هو في الانسان اكثر منه في غيره من كل انواع الحيوان ، فبين العقل والجسم السنجابي نسبة ثابتة » (ص ١٩٨)

وفي عدد يوليو ١٨٨٥ ، و كانت ادارة تحرير المقتطف قد انتقلت من بيروت الى القاهرة ، مقالة بعنوان « كم ذاكرة لك » . ونتيجة البحث بأن « الذاكرة ليست قوة واحدة بل انها مجتمع قوات كثيرة مختلفة وضعاً وطبعاً » (ص ٦١٣) لا تزال متفقة مع الدراسات الحديثة .

وفي عددي يونيو ويوليو ١٨٨٦ مقالان يتحدث الاول عن الفرينولوجيا وهو علم يزعم انه تعرف به قوى الانسان العقلية وامياله الادبية من شكل رأسه الظاهر . اما علم الفراسة الذي كتب فيه العرب واليونان من قبلهم فيشبه علم الفرينولوجيا من بعض الوجوه ولكنه اقرب الى علم « الفسيوغنوميا » . ثم يستعرض المقال وظائف الدماغ من الناحية النفسية وعددها ٣٥ ، كما ذكرها منشىء الفرينولوجيا ، الدكتور جال . اما المقال الثاني فعنوانه « فساد الفرينولوجيا » يوجه فيه الكاتب سبعة اعتراضات لعلم الفرينولوجيا المزعوم وذلك بالرجوع الى حقائق في تشريح الدماغ ودراسة وظائفه وعلاقة القوى النفسية بوزن الدماغ

ويقف منشئا المقتطف موقفاً نقدياً صارماً بصدد بعض الظواهر الغريبة التي عادة ما تدفع العامة الى تأويلها تأويلا خرافياً يتنافى مع الروح العلمية ونعني ما يدور حول التنويم المغناطيسي وجولان النائم ومناجاة الارواح . فقد جاء ذكر التنويم المغناطيسي اي الهبنوتزم في عدة مقالات نذكر منها الهبنوتسم وذهول الادياك — اكتوبر ١٨٨٤ ، ص ١٧ - ١٩ .

جولان النائم — سبتمبر ١٨٨٦ ، ص ٧٠٥ — ٧١٠ .

النوم المغنطيسي – صحيحه وفاسده – فبراير ١٨٩٢ ، ص ٣٠٩ – ٣١٤

وهذه المقالة الاخيرة جديرة بأن تستوقفنا قليلاً لاهميتها العلمية سواء من ناحية منهج العرض أو النتائج . وقد جاء في مستهل المقالة ما يلي : « وقد كان من نصيب المقتطف من حين نشأته أن يقرر الحقائق وينفي الاباطيل ، وكان في جملة الاباطيل التي اقترح عليه نفيهـا ما ينسب الى التنويم المغنطيسي من الخوارق والى اهله من معرفـة الغيب » . ثم يعرض الكاتب ملخصاً لمقالة الدكتور هارت الذي مارس التنويم المغنطيسي اكثر من اربعين سنة وقد اثبت الدكتور هارت الحقائق الآتية :

اولا – لا يوجد سائل مغنطيسي (١) .

ثانياً – لا يوجد اتصال روحي خفي بين عقل المنوم وارادة المنوَّم ، فيكفي المنوم ان يعتقد بأن المنوم يريد تنويمه سواء كان المنوم مريداً لذلك او غير مريده .

ثالثاً – اذا وقع المنوم تحت سلطة المنوم وضعفت ارادته فقد ينفذ اوامر المنوم في الوقت الذي حدده وقد يرتكب الجرائم التي يوحي بها اليه .

وجاء في عدد ابريل ١٨٩٢ في باب المناظرة والمراسلة ، رسالة من مرقص حنـا بالارسالية المصرية بباريس موضوعها ، « التنويم المغناطيسي وعلاقته بالقوانين والمحاكم » (ص ٤٧٣ – ٤٧٥) ، يتحدث فيها عن تأثير التنويم المغنطيسي في الدعاوى المدنية

---

١) لاستبعاد فكرة السيال المنطيسي استخدم المقتطف لفظة « استهواء » ترجمة لهبنوتزم في مقالة عنوانها « الشفاء بالاستهواء » في عدد يوليو ١٩٠٩ (٦١٧ – ٦١٩) . وقد اقترح كاتب هذ المقال لفظة « توام » بدلا من « التنويم المنطيسي » .

وتأثيره في الدعاوي الجنائية، فيتساءل هل يجوز للمحاكم ان تستعمل التنويم لاكتشاف الحقيقة من المتهم او مشاركيه، والجواب كلا .. لان قانون العقوبات يمنع استعمال الطرق التي تكون سبباً في نزع حرية المتهم التي تخوله الدفاع التام، فلا يحق المحاكم ان تنزع من المتهم حرية المدافعة عن نفسه (ص ٤٧٤) ... فليس من العدل الاعتماد على التنويم لتحقيق الجنايات لانه قد يبرىء المذنب ويذنب البريء. ... ولا بد من مقاومته لانه يسهل الغش وشهادة الزور وارتكاب الجرائم ويزيد اتعاب المحاكم وقضاة التحقيق (٤٧٥).

ومن الاباطيل التي حاربها المقتطف ما يعرف باستخدام الارواح. فقد نشر في عدد مارس سنة ١٩٠٦ مقالة بعنوان «مناجاة الارواح» (ص ٢١٣-٢١٥) لتفنيد ادعاء مستحضري الارواح وبيان حيلهم في خداع الناس، ومن الحقائق التي قررها «ان الوهم يتسلط على بعض الناس ولو كانوا من كبار العلماء حتى يصيروا ينخدعون بما لا ينخدع به غيرهم».

وسنختتم كلامنا عن المقتطف وعن الدور الهام الذي قام به في نشر اساليب التفكير العلمي وتوصيل كثير من المعلومات السيكولوجية التجريبية الى القارئ العربي بذكر المقالة التي نشرت في عدد فبراير ١٩٠٦ عن ادراك الحيوان (ص ١٣٦-١٣٩)، في هذه المقالة وصف دقيق لتجارب العالم الاميركي ادورد تورنديك (١٨٧٤ - ١٩٤٩) على مجموعات من القطط والكلاب والدجاج توضع في قفص بعد تجويعها ٢٤ ساعة والطعام في خارج القفص ويلاحظ سلوك الحيوان للخروج من القفص بفتح بابه اما بسقاطة او زر او خيط او بها كلها معاً وفيما يختص بالدجاج كان يضعها في مكان محصور ويقيم حولها الحواجز. ومن الفروق بين الحيوان

والانسان « ان الحيوان لا يستطيع ان يحضر الماضي في مخيلته ولا ان ينظر الى المستقبل » .

ومن المحاولات التي بذلت لمحاربة الاباطيل والمعتقدات الخرافية في مجال العلاج الطبي كتاب « طب الركة » تأليف عبد الرحمن اسماعيل ، احد المتخرجين في مدرسة القصر العيني ، الجزء الاول ١١٢ ص ، طبعة اولى ١٣١٠ هـ / ١٨٩٣ م والجزء الثاني ، ٥٤ ص « طبع باسم مؤتمر المستشرقين العاشر الذي سيلتئم في مدينة جنيفا في سبتمبر سنة ١٨٩٤ » (١) .

وفي حديثه عن التمائم والاحجبة ، عن المربوط والزار وما اليها من الوصفات والاجراءات العلاجية والحالات الشاذة يؤكد المؤلف دور الوهم والايحاء الذاتي في احداث بعض الآثار الغريبة التي يعزوها التفكير الخرافي الى الجن والعفاريت .

ولبيان تأثير « الوهم والانفعال العصبي النفساني » ذكر المؤلف بعض الامثلة منها حالة شاهدها بنفسه ، « كنت في اسبتالية القصر العيني ذات يوم في محل اجراء العمليات اذ حضر شاب مريض بآفة لا تستدعي العمل اكثر من عشر دقائق ولكنه وجل من الم العملية فلم يقبل الا بشرط ان يبنج فاحضرت آلة التخدير

(١) ترجم هذا الكتاب الى اللغة الانكليزية في عام ١٩٣٤ ، بالعنوان الآتي :

Folk Medicine in Modern Egypt. Being the relevant parts of the **Tibb Al-Rukka** or Old Wives' Medicine of Abd al-Rahman Ismail, by John Walker M. A. London, Luzac & Co. 1934, P. 128.

بالبنج وجعل المشتغل بذلك يوهمه انه اخذ مقداراً كبيراً منه وانه سيخدر تخديراً شديداً فلم يمض قليل من الزمن حتى نام نوماً عميقاً وفقد الشعور بالكلية كمن استنشق مقداراً عظيماً من البنج مع ان الطبيب لم يشممه نقطة واحدة منه ».
(ص ٧)

* * *

وفي مجال علم النفس المرضي والطب العقلي ، فبالاضافة الى مقالات المقتطف ، يجب ان نذكر الكتاب الذي كان يدرس لطلبة كلية الطب قبل ان يصبح التعليم في مدرسة الطب باللغة الانكليزية في عام ١٨٩٨ ، وهو « كتاب اسلوب الطبيب في فن المجاذيب » تاليف الدكتور سليمان نجاتي ، مدرس الامراض العقلية بمستشفى القصر العيني ، ١٦٢ ص، ١٣٠٩ هـ / ١٨٩٢ م.

تلقى المؤلف علوم الطب في باريس ووضع كتابه في الطب العقلي ، وقام بتدريسه لطلبة القصر العيني ، ثم كان يذهب مع الطلبة الى المستشفى المجاذيب في بعض ايام خصوصية لاعطائهم اكلينيكا على مرضى مستشفى

ويقول المؤلف في المقدمة انه استخدم لفظة « جنون » لان معناه يعم فساد العقل مادياً كان او ادبياً ، مكتسباً او خلقياً ، عن يقين علم لا عن ظنون . ويقدم لنا تعريفاً اولياً للجنون بانه تغير مخي ناشيء عن تكدر وظائف العضو المذكور تكدراً مادياً ادبياً .

وفيما يلي بعض ما جاء في حديثه عن الفسيولوجيا المرضية للجنون .

« درجة التعقل مرتبطة بكبر وصغر المخ ويشترط مع كبره ان يكون

رصيناً اي متزايد الثقل وكثير التلافيف وبناء على ما ذكر يكون كثير القوة من الجوهر السنجابي والخلايا العصبية اذ بدون تزايدها لا يتأتى تزايد المعقولية » . (ص ١٠) .

« ان المخ متجانس التركيب فكل جزء من اجزائه متمتع بمجموع خصوصيات الكل ومن ذلك يتأتى التعويض الوظيفي بين عناصره ، هذا رأي بعضهم ويرى البعض انه غير متجانس التركيب....... » وهنا يذكر مراكز الحركة والحواس المختلفة (ص ١١) والواقع ان مشكلة تركيب المخ شغلت علماء التشريح والفسيولوجيا منذ جال وفلورنس حتى يومنا هذا . والعالم فلورنس الذي حارب آراء جال صاحب نظرية الفرينولوجيا (١) هو الذي اشار الى التعويض الوظيفي بين عناصر المخ ، غير انه لا يقول بان المخ متجانس التركيب ، بل يذهب الى ان للمخ وظائف نوعية ووظائف عامة . فبجانب الفعل الخاص Action propre بكل جزء من اجزاء المخ ، يجمع هذه الاجزاء فعل مشترك Action commune

وعلى كل حال فان المؤلف حريص على ذكر المشكلات كما كانت تناقش في عصره . ثم يقول في ص ١٣ ، « والفرق بين نصفي المخ (اليساري واليميني) يفسر الهلوسة بأنواعها وحالة الازدواج الشخصي » ونجد مثل هذا الرأي عند بيير جانيه وعند برجسون لتفسير بعض اضطرابات الادراك والتذكر . ثم يذكر حقيقة هامة خاصة بالافعال المنعكسة العليا عندما يقول « المخ اسوة بالنخاع الشوكي متمتع

(١) جاء ذكرها في ص ٨ في حديثنا عن مقالات المقتطف (يونيو ويوليو ١٨٨٦)

بالفعل المنعكس او تبادل الفعل . الفعل المنعكس الشوكي يحتاج في كل مرة الى تأثير جديد حتى يتم فيه التبادل الوظيفي بخلاف الاول فيتمتع بخاصية الحفظ وخاصية التذاكر » . وهذه الافعال المنعكسة المخية القائمة على الحفظ والتذكر تشبه ما يعرف اليوم بالافعال المنعكسة الشرطية ، اي المكتسبة ، اي القائمة على الحفظ والتذكر .

وبعد ان ينتهي المؤلف من عرض فسيولوجيـــة الجنون المرضية يقدم تعريفاً آخر للجنون بأنه «حالة طبيعية للعقل تتصف بتكدر كل من قوى الحس والعقل والارادة»

وفي حديثه عن الاسباب على العموم يميز بين رتبتين ، اسباب مهيئـة واسباب تممة . ثم يستعرض خطوات عمل الطبيب ، التشخيص ، المدة ، الانتهاء ، الانذار ، ثم المعالجة . والمعالجة تكون واقية او شافية . وتكون واقية باتباع شروط صحية من حيث التربية والمعاملة والتعـود والتهذيب بالنسبـة الى الاطفال . ومن انواع المعالجات الشافية المعالجة الادبية او المعنوية منها العزلة ، حسن المعاملة ، تشغيـل المرضى بأشغال متنوعة غير متعبة .

وعندما يتناول تصنيف انواع الجنون فانه يقسمها اربعة اقسام .

القسم الاول : الجنون الغير معروف التغيرات المرضية لحد الآن وتحته الجنون الدائري وانواع الهذيان الجزئي (مثل التعذيب ، الجنون الدياني ، جنون الشك ، مانيا المشروبات الروحية) والماليخوليا » .

القسم الثاني : الجنون النفروزي وتحته الاستيري والصرعي والخوري .

القسم الثالث : الجنون الديابزي ، الجنون النقرسي ، والروماتيزمي ، والدرني ، والسرطاني ، والزهري .

القسم الرابع : الجنون الخلقي ، بساطة العقل او ضعفه وسخافته والبله والكريتينسم والجنون الفوتري .

يلاحظ على هذا التصنيف ان المؤلف لم يشر في امراض القسم الاول الخاص بما نسميه اليوم حالات الذهان الوظيفي ، الى الجنون المبكر dementia praecox وهذا امر طبيعي ، اذ ان تاريخ نشر الكتاب سابق على البحوث التي قام بها كريبلين فيا بين ١٨٩٣ ، ١٨٩٩ والتي ادت الى تقديم صورة تأليفية لمختلف البحوث التي دارت حول اهم اعراض هذا المرض والتي اشار اليها في كتابه الاول في الطب العقلي المنشور عام ١٨٨٣ ومن المرجح ان الدكتور سليمان نجاتي لم يطلع على كتاب كريبلين وان كان مطلعاً على اهم المحاولات التي بذلت قبل كريبلين لتوضيح معالم الجنون المبكر مثل بحوث اسكيرول وموريل وكالبوم .

ويلاحظ كذلك انه يذكر ضمن ما يسميه الجنون النفروزي الجنون الصرعي وهذا فعلاً ما كان متبعاً في اواخر القرن التاسع عشر ، ثم فصل الصرع عن مجموعة امراض العصاب عندما تبين ان الصرع عضوي النشأة لا نفسيها . والمقصود بالجنون الخوري هو على الارجح النوروستانيا neurasthenie لا البسيكستانيا psychasthenie وهو العصاب الذي شخصه بيير جانيه لان اللفظ الجديد لم ينتشر استعماله الا في اوائل القرن العشرين . والمحاولة التي قام بها الدكتور سليمان نجاتي لتقديم مادة الطب العقلي الحديث باللغة العربية جديرة بكل ثناء لانها كانت المحاولة الاولى والاخيرة حتى اليوم وذلك نظراً لالغاء التدريس باللغة العربية في مدرسة الطب ، فاصبح

التعليم باللغة الانكليزية منذ عام ١٨٩٨ . وكل ما نشر في الطب العقـلي حتى اليوم بحوث جزئية في الامراض النفسية والعقلية وفي وسائل الوقاية والصحة النفسية كما سنرى فيما بعد .

وقد ظـل تدريس علم النفس في مدرسة المعلمين الخديوية ودار العلوم ومدرسة المعلمات السنية مجرد تمهيد لتدريس أصول التربية العلمية والعملية . وهذا واضح مـن الكتب التي ظهرت في الربع الاول من هـذا القرن . وكان يقوم بتدريس علم النفس مع التربية مدرسون مصريون غير مختصين يحملون شهادة مدرس ابتدائي من انكلترا ، امثال علي عمر صاحب كتاب « هداية المدرس » والشيـخ محمد شريف سليم ، مؤلف كتاب « علم النفس » الذي سبق ذكره والشيخ محمد حسنين الغمراوي ، صاحب كتاب « الغرائز وعلاقاتها بالتربية » . ثم تولى التدريس بعدئذ في مدرسة المعلمين الخديوية والمعلمات السنية اساتذة انكليز غير مختصين وكان الكتاب المقرر : Talks to Teachers on Psychology, by Stanley Hall وتولاه في دار العلوم اساتذة من خريجي الدار الحاصلين عـلى دبلوم في التربية من كلية Exeter بانكلترا امثال مصطفى امين وعلي الجارم مؤلفي كتاب « علم النفس وآثاره في التربية والتعليم » ثم تولى التدريس في المعلمين العليا اساتذة من خريجيها الذين حصلوا على درجة بكالوريوس من انكلترا كاسماعيل محمود القباني وامين مرسي قنديـل مؤلف كتاب « اصول علم النفس وآثره في التربية والتعليم » .

ونلاحظ في هذه الكتب ظهور نظرية الغرائز كما قـال بها مكدوجل غير ان عرضها جاء سطحياً واحياناً مشوهاً . فكتاب الغمراوي في الغرائز وعلاقتهـا بالتربية (٢٤٣ ص ، ط ٤ ، ١٩٢٥) يحتوي على اربعة مباحث :

المبحث الاول : الغريزة والعقل – المبحث الثاني : المخ وخلاياه وعلاقتها بالتعليم، المبحث الثالث في موضوعات شتى في علم النفس مثل التعليم والملاحظة، والحفظ والذكر والخيال والعقل والوجدان وتداعي المعاني والميول والعوامل المؤثرة في الاخلاق . اما المبحث الرابع فيبحث في الغرائز وانواعها ، ونلاحظ في هذا المبحث خلطاً بين الغرائز والانفعالات فيتحدث المؤلف عن غريزة الغضب مثلاً . والكتاب بوجه عام خليط من المعلومات المبسطة ومن الحكم والنصائح والقطع الادبية . ولا يوجد اي ذكر لمرجع ما .

ويحتوي كتاب مصطفى امين وعلي الجارم : « علم النفس وآثاره في التربية والتعليم» (٢٨١ ص – ط اولى ١٩١٥) . على فصل طويل في الغرائز وقد ذكرا آراء بعض علماء النفس دون ذكر المراجع . نجد أن هذه الاراء مذكورة لذاتها دون الربط بينها ودون اعادة صياغتها داخل اطار واحد من التفسير . فقد جاء مثلاً في صفحة ٦٥ في الحديث عن الغرائز « ولقد حلل الاستاذ لوب Loeb عدداً كثيراً من الغرائز واثبت ان كل واحدة منها مكونة من حركات منعكسة ومن الموجح ان كل الغرائز كذلك » وكان في امكان المؤلفين مناقشة هذا الرأي في ضوء نظرية مكدوجل مثلاً او في ضوء التجارب التي اجراها العالم الامريكي جننجز Jennings للرد على نظرية لوب .

ثم يرد ذكر جيمس ونظريته في الغرائز والانفعالات . ويجب ان نذكر هنا ان الخلط الذي وقع فيه المؤلفون في مصر بين الغريزة والانفعال يرجع الى جيمس نفسه اذ نراه يتحدث عن غريزة الخوف في الفصل الخامس والعشرين من كتابه « موجز في علم النفس » غير ان وليم جيمس يشرح لنا سبب هذا الخلط ، وهذا ما لا نجده في الكتب العربية . ففي مطلع الفصل الرابع والعشرين وموضوعه « الانفعال »

يتحدث وليم جيمس عن العلاقة بين الانفعال والغريزة ، اي بين جانب الشعور والوجدان من جهة وبين جانب النشاط الحركي والسلوك من جهة اخرى ولكن الجانب الذي يمكن مشاهدته ودراسته تجريبياً هو الجانب السلوكي ، اي التعبيرات الجسمية فالمهمة الرئيسية هي تفسير المظاهر السلوكية سواء اطلقنا على الخوف اسم الانفعال او الغريزة . وبهذا الموقف يمهد وليم جيمس بدون ادنى شك للمدرسة السلوكية على الرغم من اعتماده الكبير على الاستبطان في وضعه الرائع لمجرى الشعور .

هذا الاتجاه السلبي ازاء النظريات المختلفة هو الطابع السائد لكتب علم النفس التي نشرت في الربع الاول من هذا القرن وقد انتقلت مادة هذه الكتب الى الكتب المختصرة التي وضعها مدرسو الفلسفة في المدارس الثانوية عندما بدىء بتدريس علم النفس او المنطق في عام ١٩٣٣ ، وهذه الكتب ليست جديرة بالذكر لانها مجرد تكرار لكتب سابقة وظلت متخلفة عن علم النفس كما كان يدرس في الجامعة مما خلق مشكلة تكيف الطلبة المستجدين في الجامعة للأسلوب الجديد لتدريس مادة علم النفس.

نجد ان كتاب امين مرسي قنديل « اصول علم النفس واثره في التربية والتعليم » جزءان ٣٦٨ ، ٢٣١ ص ، ط ٢٤ سنة ١٩٢٩ – يمتاز بشمول موضوعاته وبمعالجتها بصورة واضحة حية ومناقشة الآراء المختلفة مدعمة بنصوص مع ذكر المراجع . ومما يسترعي الانتباه هو عدم اكتفاء المؤلف بالمراجع الانكليزية وذكره لكثير من الفرنسية . ولاول مرة نجد عرضاً منظماً في فصول مستقلة للجهاز العصبي (من ص ١٠٧ الى ١٥٧) ولموضوع اللاشعور ، والتعب ، والذكاء وقياسه ، ونجد طبعاً فصلاً طويلاً عن الغرائز (من ص ١٥٨ الى ٢٣١) .

ومن الكتب المدرسية الكبرى في علم النفس كتاب في ثلاثة اجزاء اشترك في تأليف الجزء الاول منه حامد عبد القادر ومحمد عطية الابراشي ومحمد مظهر سعيد. اما الجزءان الثاني والثالث فمن تأليف حامد عبد القادر ومحمد عطية الابراشي. وسيطول بنا المقام لو شرعنا في ذكر جميع محتويات هذا الكتاب الشامل وسنكتفي بذكر الملحوظات الآتية :

يحوي الجزء الاول فصلاً في المجموع العصبي، ثلاثة فصول في الغرائز والنزعات العامة، وتتناول الفصول الثلاثة الاخيرة : دراسة الطفولة، والمراهقة والبلوغ - العقل الفردي والعقل الجمعي - ثم المامة بالتحليل النفسي، وربما هي المرة الاولى التي يرد فيها عرض موجز للتحليل النفسي في كتاب مدرسي.

ويناقش الكتاب محاولة ارجاع السلوك الغريزي الى سلسلة افعال منعكسة « الفعل الغريزي اعلى مرتبة من الفعل المنعكس... الانسان ليس - كما يقول الماديون « العوبة » في يد الظروف وتحركه كيف تشاء، ولا، « آلة » تؤدي عملها بطريقة آلية كما يقول الاليون... »

وقد جاء في مقدمة الكتاب ان علم النفس كان مقصوراً على مدارس المعلمين والمعلمات وكان يقتصر تطبيقه على ناحية التدريس فحسب، بل درس بالقسم الادبي الثانوي وطلبة القسم الاعدادي من كلية الحقوق، ولكن دراسته لا تتجاوز المبادىء العامة. ثم درس علم النفس بعد ذلك بشعب التخصص الملحقة بكليات الازهر وبكلية اصول الدين التي كتب هذا الكتاب بكليتها ولقد وعد مؤلفو الكتاب بكتابة كتاب في علم النفس التطبيقي. وفيما يختص بالناحية التطبيقية الخاصة بالاختبارات لم يشر مؤلفو الكتاب الى ضرورة اعداد فئة من الاخصائيين النفسانيين

للقيام بتطبيق الاختبارات وظنوا ان في امكان المدرسين والنظار القيام بهذا العمل فقد ورد النص التالي : ولكي تسهل الاستفادة باستعمال هذه الاختبارات سنضمها ثم نشرح طريقة استكمال كل اختبار على حدة مـــع كيفية تقدير الدرجة حتى يتمكن المدرسون والنظار من استخدامها والانتفاع بها . »

اننا وصلنا الآن الى ابواب مرحلة جديدة وهي التي تبـدأ سنة ١٩٢٩ بانشاء معهد التربية وتخرج الدفعة الاولى من طلبة كلية الاداب - قسم الفلسفة . ولكن لا بد اولا من الاشارة الى انشاء الجامعة المصرية الاهلية في ١٢ اكتوبر سنة ١٩٠٦ وقد استمرت حتى انشاء جامعة فؤاد الاول في سنـــة ١٩٢٥ ، وكانت الدراسة في الجامعة المصرية القديمة مقصورة على الاداب والتاريخ والفلسفة ، كما القيت فيهـا محاضرات في التربية وعلم النفس . فقد القت لبيبة هاشم ، صاحبة ومحررة مجلة فتاة الشرق ، في عام ١٩١١ عشر محاضرات في التربية ، كما القى في عام ١٩٢٢-١٩٢٣ الاستاذ حسين رمزي « محاضرات نفسية تتضمن اتجاهاً اولية لدراسة علم النفس » .

والاستاذ حسين رمزي وهو خريج مدرسة الحقوق الخديوية قد اوفدته الجامعة المصرية الى اوروبا سنة ١٩٠٩ الى جامعة فورينو بايطاليا . فتلقى فيها علم النفس وعلوم الامراض العقلية ، اسبابها وتشخيصها ومعالجتها وعلوماً اخرى مرتبطة بهـا من الوجهة القضائية ثم تطبيق هذه العلوم على انواع المجرمين والجرائم . وبعد عودته من اوروبا قـام بتدريس علم طبائع الانسان الجنائية في قسم العلوم الجنائية .

وقد نشرت مجلة القضاء الشرعي المحاضرات التي القاها في علم النفس خلال السنة الدراسية ١٩٢٢ — ١٩٢٣ (٧١ ص) وفي فاتحة الكتاب يتحدث المؤلف عن حرية الفكر وعن التعصب ويعد التعصب دليلاً على وجود مرض عقلي خفي لدى المتعصب

«فالمتعصب(١) اسير فكرة او عاطفة استبدت بسائر الافكار والعواطف ولا تتحمل المناقشة والبحث ولا تطيق ان تعيش بجانبها لحظة ما عاطفة او فكرة اخرى تخالفها خطأ كانت ام صواباً» .

ومحاضرات الاستاذ حسين رمزي هي بمثابة مدخل الى دراسة علم النفس اذ ان موضوعاتها تتلخص في النقط الاربع التالية :

١ – علم النفس والفلسفة (ص١٠ – ١٦)   ٢ – الروح والنفس (١٧ – ٤٣) .
٣ – تطور علم النفس (ص٤٤–٥٦)   ٤ – تعريف علم النفس وموضوعه ومفاهيمه (٥٦ – ٧٤)

والمراجع التي يذكرها المؤلف فرنسية وايطالية وكتابين المانيين مترجمين الى اللغة الفرنسية هما كتاب لوب Loeb ديناميكية ظواهر الحياة وكتاب ابنجهاوس Ebbinghaus في علم النفس . ومعالجته لموضوعات الكتاب قريبة جداً مما نجده في الكتب المدرسية الفرنسية في الفلسفة وعلم النفس .

ولم ينهض تدريس علم النفس بحيث يدفع بدارسيه الى البحث والتأليف فيه

---

(١) ثلاثون سنة بعد كتابة هذا الكلام القى الدكتور مصطفى زيور في ١٠ فبراير ١٩٥٢ بدار الحكمة تحت اشراف الجمعية المصرية للصحة العقلية محاضرة عالج فيها باسهاب وتعمق وفي ضوء التحليل النفسي موضوع التعصب واعتبر التعصب ضرباً من الامراض النفسية فهو يقول « فالتعصب اذن يجيء من موقفه كسباً ، غير ان هذا الكسب لا يختلف عما يجنيه العصابي من سلوكه الشاذ ، اي انه كسب وهمي ناقص يفوت على صاحبه فرصة حل اشكاله حلاً رشيداً واقعياً مجدياً . انظر ص ٣٠٠ من مجلة علم النفس » المجلد السابع فبراير ١٩٥٢ ، نص محاضرة الدكتور مصطفى زيور : سيكولوجية التعصب ، (ص ٢٨٥ – ٣٠٠) .

بصورة شخصية اصيلة الا بعد انشاء معهد التربية وايفاد البعثات الى الخارج من خريجي مدرسة المعلمين العليا وما حل محلها بعد الغائها من معهد التربية و كلية الآداب للتخصص في علم النفس .

في ١٩ سبتمبر سنة ١٩٢٩ صدر مرسوم بقانون يقضي بانشاء معهد تربية للمعلمين وذلك بناء على التقرير الذي قدمه العالم السيكولوجي السويسري والخبير في التربية كلاباريد في مارس ١٩٢٩ عن انشاء معهد لعلوم التربية . (١)

واشترك اسماعيل القباني (١٨٩٨ - ١٩٦٣) في البحوث التي قام بها كلاباريد وعند انشاء المعهد عين استاذاً للتربية التجريبية كما عين الاستاذ محمد مظهر سعيد استاذاً لعلم النفس وكان قد عاد من انكلترا حيث كان موفداً منذ عام ١٩٢٥ للتخصص في الدراسة الجامعية لعلم النفس . وقد اهتم اسماعيل القباني بصفة خاصة باعداد الاختبارات لقياس الذكاء وتقنينها محلياً واليه يرجع الفضل في خلق حركة القياس السيكولوجي وتكوين تلاميذ اكفاء .

ان فكرة القياس العقلي لم تكن جديدة في مصر عندما شرع اسماعيل القباني في اعداد الاختبارات ، غير انه هو اول من اقام هذه الدراسة على اسس علمية سليمة . وقد يكون من الطريف ان نذكر المحاولات الجزئية التي بذلت في هذا

---

(١) راجع ص ٤٨ - ٥٦ من التقرير العام الذي رفعه كلاباريد الى وزارة المعارف العمومية المطبعة الاميرية ١٩٣١ ، ٧٣ ص زائد جدول ورسمان بيانيان . للوقوف على تاريخ معهد التربية ثم كلية التربية والاقسام والمناهج راجع دليل كلية التربية جامعة عين شمس-طبعة سنة ١٩٥٩ . دليل عام ١٩٦٣ تحت الطبع عند كتابة هذا التقرير .

المجال . فلدينا اولاً الكتيب الذي نشره احمد فكري عام ١٩٢٠ بعنوان «الطريقة المبتكرة لقياس العقول – قانون تقف به على درجة ذكاء الاطفال في كل من ادوار اعمارهم – ٣٤ ص – » وبه مقدمة تشرح النشأة النفسية للطفل وكيف يربى وهو اول كتاب عربي ظهر من نوعه لا يستغني عنه والدون ومربون . ومن بين مراجع المؤلف كتب لكبار علماء النفس امثال : يرز وبينيه وثورنديك وسيرل بيرت ، غير انه من الواضح ان المؤلف لم يستفد البتة من المراجع التي ذكرها سوى انه ترجم بتصرف اختبار بينيه – سيمون من سن ٣ الى سن ١٢ ، وقدم تعليمات مقتضبة وكان يعتقد خطأ ان المدرس دون تدريب سابق في امكانه تطبيق الاختبار والحكم على ذكاء الطفل . وقبل ذكر فقرات الاختبار اورد مقدمـــة غاية في الايجاز عن العقل لدى الطفل من السنة الاولى حتى العشرين وكل هـــذا في عشر صفحات من القطع الصغير .

ومن ص ٢٧ الى ٣٠ ذكر المؤلف اختبارات اخرى مثل اختبار التنقيط dotting لمكدوجل لقياس « دقة الانتباه وضبط العضلات » ثم اختبار قوى الحفظ والذاكرة بواسطة جهاز العرض السريع واخيراً اشار الى « اكتشاف عجيب » كما يقول ، وهو استعمال الكهرباء في « تحويل الاغبياء الى نجباء » .

وبعد عام ١٩٢٠ لم اعثر عـــلى اي بحث في اختبارات الذكاء حتى عام ١٩٢٧ عندما نشرت مجلة المقتطف في عدد اغسطس ١٩٢٧ (ص ١٥٦ – ١٦٣) مقالة في « مقاييس الذكاء » ثم تلتها مجلة التربية الحديثة : « اختبارات الذكاء » بقلم الدكتور امير بقطر ، ابريل ١٩٢٨ مجلد ١ ، عدد ٢٤ ص ٢٤٦ – ٢٥٦ .

وفي عام ١٩٢٨ نشر الدكتور حسن عمر كتابه « مقياس الذكاء » (ط ٢ ،

٢٣١ ص ١٩٢٩) والمؤلف طبيب غير متخصص في علم النفس وما ذكره عن نتائج التجارب التي قام بها المقارنة بين ذكاء المصريين وذكاء الامركيين هو موضع شك غير ان كتابه يعطي فكرة عن مقاييس الذكاء المختلفة من « فردية وخاصة وجمعية » وهو يقصد بالخاصة الاختبارات العلمية او الادائية مثل اختبار بنتر وباترسون » ثم تأتي ترجمة اختبار استانفورد – بينيه من سن ٣ الى ١٨ وقد ارفق بالكتاب المجموعة المصورة » .

تلك كانت الحالة عندما بدأ اسماعيل القباني نشاطه العلمي وشرع في اعداد الاختبارات ووضعها وقد عاونه عدد من تلاميذه ومن زملائه وفيما يلي بيان بأهم اعمال القباني :

اعداد اختبار استانفورد – بينيه للذكاء (تعديل ترمان ١٩١٦) وضع اختبار الذكاء صورتين وقنن محلياً .

وضع بالاشتراك مع د . محمد عبد السلام احمد اختبار استانفورد للحساب من صورتين وقنن محلياً .

وضع اختبار الذكاء الثانوي وقد اسهم د . محمد عبد السلام احمد في تقنينه . وقد تم تقنين الاختبار محلياً على اساس فئات الاعمار على عينة كبيرة ممثلة من طلبة المدارس الثانوية واولى جامعة . وهذا الاختبار من الاختبارات المستندة علمياً بالنسبة الى صدقه او ثباته وله قوة تنبؤية كبيرة فيما يختص بالنجاح المدروس .

وفي سنة ١٩٤١ اشترك القباني في اعداد اختبارات الذكاء الحسية وهي مقتبسة من سبيرمان مع مجموعة من اعضاء هيئة التدريس هم د . عبد العزيز القوصي د . محمد عبد السلام احمد ، د . رأفت نسيم ، علي شلتوت ونجيب غالي فرج .

وكذلك اعد القباني اختبار الذكاء المتوسط واختبار الذكاء المصور للاطفال والقى في نوفمبر وديسمبر ١٩٣٤ ثلاث محاضرات في قياس الذكاء نشرت في عام ١٩٣٨ (١٠٤ ص) :

١ — ما هو الذكاء ؟ ٢ — كيف يقاس الذكاء ؟

٣ — بعض نتائج قياس الذكاء في المدارس الابتدائية بالقاهرة .

ومن اهم مؤلفاته :

سياسة التعليم في مصر	١٤٣ ص — ١٩٤٤
دراسات في مسائل التعليم	٣٧٢ ص — ١٩٥١
التربية عن طريق النشاط	١٧٠ ص — ١٩٥٨
دراسات في تنظيم التعليم بمصر	٢٩٨ ص — ١٩٤٨

وانشأ في يونيو ١٩٤٨ مجلة « صحيفة التربية » وهي تصدر عن رابطة خريجي معاهد التربية بالقاهرة ويتولى الآن رئاسة تحريرها الدكتور عبد العزيز القوصي .

واسماعيل القباني هو صاحب فكرة الفصول التجريبية التي قامت على اساسها المدارس النموذجية ، كما انه حارب نظم التعليم التلقينية التي تهتم فقط بتدريس المعلومات دون تثقيف عقل التلميذ وتنمية قوة الابتكار وروح النقد فيه ، كما انه اخذ على نظام الامتحانات العامة جمودها واقتصارها على اختبار قدرة الطالب على الاستظهار فحسب . وقد تحدث الدكتور محمد عبد السلام احمد عن بحث اسماعيل القباني لهذه المشكلة في كتابه « القياس النفسي والتربوي » المجلد الاول ، ١٩٦٠ من ص ٦٠٠ الى ٦١٠ .

بعثات الخارج للتخصص في علم النفس :

سبق ان ذكرنا ان اول طالب اوفد الى الخارج للتخصص في علم النفس هو محمد مظهر سعيد في يناير ١٩٢٥ . وكانت الجامعة التي تخرج فيها هي جامعة برمنجهام بانكلترا .

ويلاحظ ان كل الذين اوفدوا من خريجي المعلمين العليا ثم من معهد التربية وعادوا للتدريس في معهد التربية ، كانوا من قسم الرياضة واوفدوا الى انكلترا ، واتجهوا في رسائلهم واغلبها في علم النفس التربوي - الى استخدام الطرق الاحصائية والتحليل العاملي بصفة خاصه .

اما بعثات كلية الآداب بجامعة القاهرة ثم بجامعة الاسكندرية وجامعة عين شمس للدراسة السيكولوجية فكانت ترسل الى جامعة باريس حيث يختلف نظام الليسانس والدكتوراه عما هو في انكلترا وسوف نرى اوجه الاختلاف بين التيار الانكليزي والتيار الفرنسي في ميدان السيكولوجية . ثم اوفدت بعثات الى الجامعات الامريكية حيث يميل الدراسة الى الجانب المهني اكثر منه الى الجانب الاكاديمي وسنستعرض الآن الرسائل الجامعية مع اشارة وجيزة الى موضوعها ونتائجها العلمية كلما امكن ذلك . (١)

---

(١) اعتمدنا في الحديث على الرسائل عن البيانات التي وصلتنا ردا على الخطاب الذي ارسلناه الى المشتغلين بعلم النفس في ج . ع . م . هذا بالاضافة الى اطلاعنا الشخصي على بعض الرسائل كلما تيسر لنا ذلك .

محمد مظهر سعيد

١) رسالة درجة البكالوريوس في الآداب (فلسفة وتربية) سنة ١٩٢٦ وموضوعها عرض لمفهوم افلاطون للنفس البشرية كما ورد في كتاب الجمهورية .

٢) رسالة درجة بكالوريوس في العلوم (علم نفس ورياضيات عالية) سنة ١٩٢٦ وموضوعها : طريقة دائرية جديدة لتعلم الشعر « تجمع بين الطريقتين التقليديتين الكلية والجزئية » .

٣) رسالة درجة ماجستير في العلوم (علم نفس وتربية سنة ١٩٢٨) وموضوعها « مذهب سيكولوجية الملكات » وتتضمن آراء فلاسفة اليونان والعرب وعلماء النفس المحدثين في الملكات العقلية وتفند مزاعم الاقدمين في ان الملكة قوة طبيعية تعمل بصفة عامة .

٤) رسالة اعدت للحصول على درجة الدكتوراه في الفلسفة (علم نفس سنة ١٩٢٩) موضوعها : « الطبيعة النوعية لذاكرة الالوان والاشكال » . والبحث طويل يقع في ٢١٥ صفحة وفيما يلي بعض النتائج الخاصة بذاكرة الالوان كما جاءت في البحث الذي قدم في المؤتمر الدولي الحادي عشر لعلم النفس الذي عقد في باريس عام ١٩٣٧ وكان وقتئذ الاستاذ محمد مظهر سعيد رئيس قسم علم النفس في معهد التربية واستاذ علم النفس المساعد بجامعة الازهر . يقدم الباحث نظرية العاملين لتذكر الالوان ، فهناك عامل عام يشترك في جميع العمليات التي بها تدرك الالوان ونتعرفها ونتذكرها وهو مستقل عن العامل العام ، لدى سبيرمان ، وعوامل خاصة يعمل كل واحد منها مستقلا عن الآخر ، ولا يتم الربط بينها جميعا الا بفضل العامل العام .

ان نظرية العاملين في تذكر الالوان كان مصيرها مصير نظرية العاملين لسبيرمان التي لم يبق من شكلها الا على الشيء الكثير . ومع ذلك فان بحث محمد مظهر سعيد جدير بالذكر من الناحية التاريخية خاصة وان البحوث التي تتناول موضوع تذكر الالوان نادرة للغاية . هذا ولا يفوتنا ان ننوه بالجهود الحميدة الموفقة التي بذلها الاستاذ محمد مظهر سعيد لادخال تدريس علم النفس في كثير من المعاهد والتنبيه الاذهان لاهمية علم النفس وهو يقول في تقريره : وبعد جهد شاق وكفاح مرير نجحت في ادخال علم النفس في كلية أصول الدين بالجامعة الازهرية سنة ١٩٣٠ ، والمعهد العالي للفنون المسرحية سنة ١٩٤٥ . والمعهد الصحي العالي سنة ١٩٤٦ وقسم تخصص التدريس بكلية اللغة العربية سنة ١٩٤٠ ، وقسم تخصص الضباط بكلية الشرطة سنة ١٩٥٠ الى جانب الدراسات الصيفية في علم النفس المدرسي والفنون والصنائع والزراعة ، وبرنامج أعرف نفسك ، بالجامعة الشعبية سنة ١٩٤٩ .

بحوث التحليل العاملي للقدرات العقلية :

ان جانباً كبيراً من اسهام علماء الجمهورية العربية المتحدة السيكولوجيين يتمثل في الرسائل الجامعية والبحوث التي استخدمت فيها طريقة التحليل العاملي لمعالجة نتائج الاختبارات المختلفة للكشف عن قدرات عقلية أولية نقية او عن بعض سمات الشخصية . ولم يكن هذا الاسهام مقصوراً على الحركة العلمية المحلية ، بل كان ذا طابع دولي .

ومن العوامل التي ساعدت على بعض هذه الحركة منذ اكثر من ثلاثين عاماً واستمرارها حتى اليوم ان عدداً من البعثات في علم النفس التحق اصحابها بالجامعات الانكليزية وجامعة لندن بصفة خاصة ، حيث كان يقوم بتدريس علم النفس عالمان جليلان هما : شارلز سبيرمان وسيرل بيرت وهما من رواد حركة التحليل العاملي ،

وقد حدث من جهة اخرى ان هؤلاء المبعوثين كانوا متخصصين في الرياضة مما سهل عليهم تمثيل الاساليب الرياضية والاحصائية في معالجة البيانات والنتائج ، هذا بالاضافة الى ان الطلبة المبعوثين كانوا موفدين من قبل معهد التربية للمعلمين ليعدوا رسائلهم في علم النفس التربوي ، والاطلاع على كل ما يعمل في مجال الاختبارات والاقيسة السيكولوجية وكيفية الاستفادة من الاختبارات في التوجيه التربوي والمهني .

ورائد هذه الحركة في دراسة القدرات العقلية هو الدكتور عبد العزيز القوصي . ويرتبط اسم القوصي في الاوساط العلمية في الخارج بمجموعة الباحثين الذين كشفوا عن القدرات المكانية ، ويرتبط بصفة خاصة بالعامل المكاني K الذي اكتشفه عام ١٩٣٤ عندما كان يعد رسالته للدكتوراه تحت اشراف سبيرمان وتلميذه ستيفنسن في جامعة لندن . ونشرت الرسالة عام ١٩٣٥ بعنوان : « بحث في العوامل باستخدام اختبارات تتضمن الادراك البصري للمكان » (١) .

ولكي نقدر اكتشاف القوصي للعامل K حق قدره يجب ان نذكر ان سبيرمان ظل حتى اواخر حياته متمسكاً بنظريته المعروفة بنظرية العاملين (العامل العام والعوامل الخاصة) ولم يسلم بوجود العوامل الطائفية مثل العامل اللفظي والعامل المكاني الا بكثير من الحذر والتحفظ . والسبب الذي من اجله لم يهتد سبيرمان وتلامذته حتى عام ١٩٢٧ الى وجود العوامل الطائفية هو صغر العينات التي كانت

(1) El Koussy, A. A. H., An Investigation into the Factors in Tests Involving the Visual Perception of Space. Brx. J. Psychol. Monogr. Suppl., 20, 1-89, 1935.

مستخدمة في البحوث . ويرجع الفضل الى اثبات وجود العوامل الطائفية بوجه عام الى سيرل بيرت C. Burt منذ ١٩٠٩ ثم الى ستيفنسن والقوصي والى اثبات وجود العامل المكاني بصورة قاطعة الى القوصي وحده .

ففي عام ١٩٣١ توصل الى ستيفنسون باستخدام ٧ اختبارات لفظية و٨ اختبارات غير لفظية على عينة مكونة من ١٠٣٧ تلميذة عمرهن يتراوح بين عشر واثنتي عشرة سنة الى اثبات وجود عامل طائفي لفظي والى احتمال وجود عامل طائفي آخر من طبيعة ادراكية مكانية في الاختبارات غير اللفظية . وكذلك في بحث آخر لبراون وستيفنسون نشر عام ١٩٣٣ اشارة بعيدة الى احتمال وجود عامل طائفي مكاني وفي هذه الاثناء كان القوصي يقوم ببحثه بتطبيق ٢٦ اختباراً ، منها ١٥ اختبارا ذات طبيعة مكانية على ما يبدو وثمانية اختبارات مرجعية لقياس العامـل العام ، وذلك على عينة مـن ١٦٢ تلميذاً من سن ١١ الى ١٣ عاماً . وقد انتهى القوصي الى نتائج حاسمة تؤكد وجود هذا العامل مؤكداً بعد ان كان موضع احتمال وتخمين فحسب . وأطلق القوصي على هذا العامل اسم العامل K وقد تبنى جميع علماء النفس الانكليزيين هذه التسمية ، في حين انه يشار الى العامل المكاني في بحوث ترستون بالحرف S وفي بحوث هولزنج بالحرف M وسيربط فيما بعد فرنون Vernon (١٩٥٢) بين العامل المكاني والعامل الميكانيكي ، ويشير الى هذه المجموعة بالحرفين K/m

ويفسر القوصي العامل المكاني K بأنه القدرة على سهولة استخدام التصورات البصرية التي تسمح بنقل الاشكال في المكان في المجال الذهني . ويعتمد في تأويله على هذا التحليل العمليات التي قام بها الاشخاص المختبرون والتي وضعوها بعد تتبعها استبطانياً . وستأتي بحوث ترستون وايت مؤيدة للتأويل الذي وصل اليه القوصي . وقد حدث فيما بعد ان حاول بعضهم التمييز بين العامل المكاني K وعامل التخيل

البصري المجسم كما سيصنع عالمان مصريان آخران في عام ١٩٥١ هما الدكتور محمد عبد السلام احمد والدكتور فؤاد البهي السيد .

وحيث ان القوصي استخدم في تحليل نتائج الاختبارات طريقة سبيرمان فانه يوافق سبيرمان موافقة جزئية في ان الاختبارات المكانية تقيس ايضاً صورة اولية للعامل العام g .

ويعرض الدكتور القوصي مراحل بحثه والنتائج التي وصل اليها وما استنبطت هذه النتائج من بحوث اخرى قام بها علماء اجانب وعلماء عرب امثال محمد عبد السلام وفؤاد البهي ومختار حمزة وبركات وخيري مرسي وذلك في البحث الذي القاه في باريس في يوليو ١٩٥٥ اثناء انعقاد الحلقة الدراسية الدولية عن التحليل العاملي وتطبيقاته ، وعنوان البحث اتجاهات الابحاث في القدرات المكانية (١) وقد جاء ذكر اكتشاف القوصي في كثير من المراجع الاجنبية مثل كتب فرنون وترستون واوليرون (١٩٥٧) ، وجيلفورد (١٩٦٠) .

ومن الوجهة التطبيقية فقد اثار العامل المكاني اهتماماً كبيراً ، اذ ان الاختبارات التي تقيسه لها قيمة تنبؤيه في مجال التربية والمهن الصناعية . وفيما يلي بعض النتائج العملية التي توصل اليها القوصي بالاشتراك مع سلامة وهنا :

١ - ان العامل K يظهر بصورة واضحة ومميزة فيما بعد السن الحادية عشرة .

---

(1) El Koussy, A.A.H., Les directions de recherches dans le domaine des aptitudes spatiales. Collogue International surl'Analyse factorielle. Paris, 1955, C.N.R.S., 327-51.

٢ – لدى تلاميذ المدارس الصناعية التطبيقية اختبارات ثبات الرد والتآزر اليدوي لا تقل اهمية عن الاختبارات التي تقيس القدرة على النجاح المدرسي .

٣ – ان القدرة على التصور المكاني (عامل K) لها اهمية بالغة في الرسم .

٤ – ان العوامل المكانية والميكانيكية اكثر تنظيماً وتأكيداً لدى مجموعة طلبة الهندسة الجامعيين المدربين منها لدى مجموعة غير المدرسين .

٥ – ان افضل الاختبارات المكانية لقياس القدرة الهندسية لدى المجموعة المدرسية هي الاختبارات المكانية ذات البعد الثالث واختبارات تذكر الاشكال الهندسية (١) .

ومن البحوث التي تدخل في هذا النطاق والتي تدعم وجود القدرة المكانية ، بحث الدكتور محمد خليفة بركات والذي تقدم به لنيل درجة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة لندن تحت اشراف سيرل بيرت وموضوع البحث : تحليل القدرات الرياضية عند تلاميذ المدارس الثانوية (١٩٥١) .

وقد قام بتطبيق ١٣ اختباراً على ١٦٠ تلميذاً و ١٦٠ تلميذة وتوصل الى ان النجاح في الرياضيات يتطلب العوامل الآتية : العامل العام ، العامل العددي ، العامل اللفظي ، العامل المكاني . وقد اتضح ان للقدرة العددية ناحيتين : تتعلق الاولى بالعمليات الرياضية التي تتطلب الاتقان والسرعة ، وتعتمد على الذاكرة والاتزان الانفعالي ،

---

(١) المرجع نفسه

والثانية تتعلق بالتفكير الرياضي وحل المسائل ، وهي تعتمد على الاستدلال (١) .

ونتناول الآن بحثاً قيماً للدكتور مختار حمزة في التأخر الدراسي في الرياضة في المدارس الثانوية وهو البحث الذي نال به درجة الدكتوراه في الفلسفة عام ١٩٥١ من جامعة ليدز بانكلترا(٢) ، وكانت العينة مكونة من طلبة المدارس الثانوية اختير منهم ١٣٦ تلميذاً عادياً و١٣٦ تلميذاً متخلفاً في الرياضيات بين سن ١٢ و١٤ عاماً ، وكانت بطاريته تتكون من ٢٢ اختباراً ، منها ١٩ اختباراً في القدرة الرياضية صمم منها ١١ وثلاثة اختبارات تحصيلية واختباراً للذكاء .

وتتلخص النتائج فيما يلي :

١ – انخفاض مستوى الذكاء لدى مجموعة المتأخرين بشكل جوهري .

٢ – كانت مجموعة المتأخرين أضعف من العاديين في القدرة الرياضية فيما يختص باستخدام الارقام وفهمها والتصور البصري .

٣ – اتضح ان بعض الافراد في مجموعة المتأخرين يتمتعون بذكاء عال وقدرة رياضية جيدة .

---

(١) نشر البحث في مجلة علم النفس الاحصائي التي تصدرها الجمعية البريطانية لعلم النفس عام ١٩٥١ . وتوجد خلاصة باللغة العربية في مجلة « صحيفة التربية » عدد مايو ١٩٦٠

(٢) نشر ملخص الرسالة في : The Brit Y. Educ. Psychol. Nov. 1952

بعنوان : Retardation in Mathematics amongst Grammar School Pupils, by Mukhtar Hamza

٤ – أن أعلى نسبة مئوية للتأخر كانت في مادتي الحساب والجبر مما يوحي بأن هاتين المادتين تتطلبان بعض القدرات الخاصة التي تختلف عن القدرات اللازمة للنجاح في الهندسة ، أي انه يجب التمييز بين كل من القدرة العددية والقدرة المكانية (العامل K) او بعبارة أدق القدرة على التصوير البصري الاشكال الهندسية .

٥ – وقد ظهر عامل آخر غير عقلي خاص بالعمل لمادة الرياضة .

* * *

ان العبارة التي استخدمها الدكتور مختار حمزة في بحثه هي visual imagery والسؤال الذي يمكن طرحه هو ، ما اذا كانت القدرة على التصور البصري قدرة بسيطة او قدرة اولية يمكن تقسيمها (١) . وقد بين الدكتور فؤاد البهي السيد في رسالته للدكتوراه (٢) عام ١٩٥١ عن العوامل المعرفية في القدرة الهندسية ، ودراسة في القدرات المكانية ، ان القدرة المكانية تنقسم الى قسمين : المكانية الثنائية ، والمكانية الثلاثية ، كما بين ضرورة التمييز بين القدرة الهندسية والقدرة المكانية

وفي السنة نفسها أي في عام ١٩٥١ كان الدكتور محمد عبد السلام قد توصل الى تقديم حل حاسم لمشكلة كثيراً ما كانت مثار الجدل والتساؤل بين علماء النفس

(١) انظر : الدكتور فؤاد البهي السيد : القدرة العددية ، الطبعة الاولى ١٩٥٨ ، ١٧٦ صفحة ، ص ١٣ .

(2) Fouad el-Bahay el-Sayed; The Cognitive Factors in Geometrical Ability: a Study in Spatial Abilities, Ph. D. Thesis, 1951

منذ عصر السير فرانسيس جالتون ، وهي مشكلة القدرة على التصور المجسم . هل التصور البصري للاشيا. وتصور حركة الاشياء قدرة واحــدة كما ذهب الى ذلك جيلفورد وآخرون في تقريرهم السيكولوجي الخامس عن سلاح الاميركي عــام ١٩٤٧ . فقد توصل عبــد السلام الى التمييز بين القدرة على تصور البعد الثالث three-dimensional visualization والقدرة عــلى المعالجة الذهنية المكانيــة mental-spatial manipulation والقــدرة الاولى لا تتضمن تصور الحركة ، في حين ان القدرة الثانية تتضمن تصور الاشيا. في المكان وتحويرهــا . كما بين ان قدرة المعالجة الذهنية ليست قاصرة على العلاقات المكانية كما كان يظن بــل تدخل في حل جميع المسائل الفكرية من تفكير لفظي وعمليات حسابية وتفكير مجرد وقضايا منطقية وغير ذلك حيثما كانت هناك حاجة الى التعديــل والتغيير في ترتيب عناصر الموضوع أو المشكلة ترتيباً يسهل معه ادراك العلاقات بين عناصر المشكلة ومن ثم اكتشاف الحلول .

وهذه القدرة على المعالجة الذهنية التي اثبت عبد السلام وجودها باتباع طريقة التحليل العاملي هي القدرة نفسها التي وصفها الجشطاليون ، عندما تحدثوا عن اعادة بناء المجال ، غير انه يوجد فرق بين التصورين ، فلدى عبد السلام نحن بصدد نشاط عقلي تؤدي فيه العوامل الذاتية والشخصية دوراً هاماً في حين ان لدى الجشطلتيين تؤدي العوامل الموضوعية الدور الاكبر في تغيير بناء المجال . ومها يكن من امر فمن الطريف ان تسجل ظاهرة تدعيم الحقائق التي توصل اليها باستخــدام الطريقة الاكلينيكية تدعيماً تجريبياً رياضياً .

وقد استخدم عبد السلام في بحثه ثلاثة عشر اختباراً طبقت على ٢٣٩ تلميذاً . وقد وضع الباحث خمسة اختبارات منها اثنان لتصور البعد الثالث واثنان للمعالجــة

الذهنية وقد استخدم القسم السيكولوجي في سلاح الطيران الاميركي هذه الاختبارات في ابحاثه بعد استئذان واضعها . وقد اهتم الاستاذ جلفورد بصفة خاصة بالنتائج التي توصل اليها عبد السلام وبعامل المعالجة الذهنية على وجه الخصوص نظراً لما له من اهمية نظرية وعملية .

وقد نشر النص الانكليزي لجزء من رسالة الدكتور محمد عبد السلام احمد في « الكتاب السنوي في علم النفس » الذي اشرف على اصداره الدكتور يوسف مراد ، عام ١٩٥٤ ، من ص ٢٣ الى ٨٨ (١) .

* * *

ومن البحوث القيمة التي قام بها علماؤنا ، بحث كان له اثر بعيد في الاوساط العلمية في الخارج ، اعني الرسالة التي تقدم بها محمد خيري حربي لنيل درجة الدكتوراه من جامعة لندن في عام ١٩٥١ وموضوعها « مسؤوليات العمليات العقلية والمعرفية (٢) » وفيما يلي ملخص البحث كما جاء في ص ١٨٤ من الكتاب السنوي في علم النفس ، ١٩٥٤ .

---

(1) Mohamed Abdel-Salam Ahmed : Mental Manipulation, A Study Demonstrating for the First Time the Existence of a Distinct Mental Manipulation Factor. The Egyptian Year Book of Psychology, 1354, P. 23-88. Dar Al-Mararef Press. Cairo.

٢) نشر باللغة الانكليزية في مجلة علم النفس البريطانية القسم الاحصائي – عدد نوفمبر ١٩٥٦ والملخص العربي في الكتاب السنوي في علم النفس ١٩٥٤ من ص ١٦٣ الى ١٨٤ .

« تتلخص المشكلة التي يرمي البحث الى فحصها في تقسيم العمليات المعرفية تقسيماً يتفق مع طبيعة هذه العمليات واختلافها بعضها عن بعض من حيث النوع ودرجة التعقيد ، وقد اجري لذلك بحث تجريبي على ١٦٦ ولداً بين العاشرة والحادية عشر واستعمل فيه عشرون اختباراً لعمليات عقلية تدل الملاحظة النفسية على ان كلا منها ينتمي الى مستوى من المستويات العقلية تحت الاختبار ، وقـد حللت النتائج التجريبية بالطرق الاساسية في التحليل العاملي ، واتضح ان التقسيم الذي رجحـه هذا التحليل يتم في خطوتين : في الخطـوة الاولى تنقسم العمليات الى طائفتين هما المجموعة التفكيرية والمجموعة العملية ، وفي الخطـوة الثانية تنقسم الاولى الى العمليات العلاقيـة والعمليات الارتباطية وتنقسم الثانية الى العمليات الادراكية والعمليات الحسية الحركية . وقد اتفقت جميع الطرق على وجـود عامل مشترك هو القدرة المعرفية العامة تدخل في كل هذه العمليات الـتي تنتمي الى المستويات المختلفة . »

في الرسائل التي سبق ذكرها كان يقوم بالاشراف اما سبيرمان او سيرل بيرت، والآن ننتقل الى ادينبورا في اسكتلندا حيث يقوم بتدريس التربية استاذ اشتهر في ميدان التحليل العاملي هو جود فري تومسون الذي اشرف على الرسالة المقدمـة من رمزية الغريب للحصول على الدكتوراه في الفلسفة في ديسمبر سنـة ١٩٤٩ . وكان موضوع رسالتها « التحليل العاملي للقدرة العملية وعلاقتها بالاستعداد العقلي العام والسمات المزاجية والتحصيل الدراسي » . وهو اول بحث من نوعه يحاول تحديـد طبيعة القدرة العملية وتحليلها الى مكوناتها ، فمنذ ان اكتشف الكسندر العامـل العملي F باستخدام اختبارات ادائية غير لفظية والبحوث التي تجري لمعرفة مـا اذا كان لهذا العامل اصالة تميزه عن العامل الميكانيكي m او عامل الدكتور القوصي

اي العامل المكاني K . فاتضح ضعف العلاقة بين F و S M ، في حين ان برايس Price في بحثه عام ١٩٤٠ ارجع العامل F الى العامل المكاني K . وفي عام ١٩٤٩ نشر ايمث Emmeth بحثاً ينتهي فيه الى القدرة العملية تتضمن العامل العام والعامل المكاني .

وفي نفس السنة توصلت الدكتوره رمزية الغريب الى نتائج هامة تؤيد بعضها ما توصل اليه ايمث Emmeth . فقد طبقت على عينات من تلاميذ وتلميذات المدارس الثانوية والصناعية حوالي ٢٠ اختباراً منها سبعة اختبارات عملية غير لفظية ، ثم طبقت هذه الاختبارات العملية على عينة عشوائية من الفلاحين والعمال .

وقد اسفر التحليل العاملي لمجموعة الارتباطات لعينات التلاميذ من النتائج الآتية :

أ – ان القدرة العملية معقدة يمكن تحليلها الى القدرات الآتية :

١ – قدرة عقلية عامة G .

٢ – قدرة على ادراك العلاقات المكانية K

٣ – قدرة على سرعة الادراك (شبيه بعامل P ثرستون) .

٤ – قدرة تحصيلية معرفية .

ب – ان هناك علاقة كبيرة بين القدرة العملية والاستعداد العقلي العام ، وليس من الصحيح ان هذه القدرة لا تتطلب قدراً لا بأس به من هذا الاستعداد العام .

جـ – لم يؤد التحليل الى عزل قدرة خاصة متعلقة بالسمات المزاجية .

وقد اهتمت الدكتورة رمزية الغريب ببحث النواحي التطبيقية للقدرة العملية في التوجيه الدراسي لمختلف انواع التعليم الثانوي ، ويتضح ذلك من مجموعة الاختبارات التي اعدتها منذ عام ١٩٥٩ . وقد اعدت في عام ١٩٦٢ اختبار الاستعداد العقلي للمرحلة الثانوية والجامعية .

* * *

اشرنا في عرضنا بحث الدكتورة رمزية الغريب الى المشكلات التي اثارهـا العامل العملي k لالكسندر ومدى علاقته بالعامل الميكانيكي والعامل المكاني . ونود الآن ان نشير الى بحث حديث جداً (مايو سنة ١٩٦٣) يتنـاول بالدراسة التجريبية والعاملية القدرة الميكانيكية وما تتضمنه من عوامل ، قدمه محمود عبد القادر لكلية الاداب – جامعة عين شمس (قسم الدراسات النفسية والاجتماعية) . لنيل درجة الماجستير في علم النفس ، تحت الاشراف العلمي للدكتور السيد محمـد خيري موسى الذي سبقت الاشارة الى بحثه . وهذا البحث الذي يرتبط باكثر من صلة ببحوث الدكتور القوصي عن العامل المكاني والدكتور محمد عبد السلام عن عامل المعالجة الذهنية ، جدير بكل ثناء . كما انه مبعث فخر للدراسة الجامعيـة في الجمهورية العربية المتحدة لانه لا يكتفي بان يكون في مستوى اقـوى البحوث السيكولوجية التي تجري في الخارج ، بل في نظري يفوق الكثير منها ، وذلـك للاسباب الآتية : اتساع ثقافة الباحث مع تعمقه في موضوع تخصصه ، ووضوحـه في عرض الابحاث السابقة التي تناولت الذكاء الميكانيكي وما يتعلق به من قدرات طائفية او خاصة واتخاذه موقف الناقد المنصف ، المجهود الضخم الذي بذله في اعداد

ادوات البحث من اختبارات وتحليلات للاعمال الميكانيكية المختلفة ، مناقشته العميقة لمفهوم الصدق وقيمته النسبية ، وبالاضافة الى براعته في صياغة الافكار العلمية والمعالجة الذهنية العقلية للمشكلات ، يجب ان نذكر اتقانه في استخدام ادق الطرق في التحليل العاملي وحسبنا ان نذكر ان تطبيق الاختبارات ، وعددها ١٩ على ٢١٢ تلميذاً أدى الى استخراج ١٧١ من معاملات الارتباط عولجت عاملياً وتتطلب بعد عدة مراحل اجراء ٣٧ عملية تدوير ادت الى الكشف عن تسعة عوامل متعامدة ، بيانها فيما يلي : (ص ٢٢٥ - ٢٢٦ من الرسالة) .

١ - الاستدلال الميكانيكي . ٢ - المهارة (الاصابع واليدين والذراعين) .

٣ - السرعة الحركية (التآزر بين حركات اليدين والذراعين وحركات العينين)

٤ - السرعة الادراكية للعلاقات المكانية . ٥ - العامل المكاني الاول وهو التصور البصري ثلاثي البعد اي القدرة على لف أو نقل المجسمات والاشكال تصويباً من مكانها أو وضعها الاولي الى مكان أو وضع جديد بناء على تعليمات محددة بذلك .

٦ - ذاكرة الاوضاع المكانية . ٧ - العامل المكاني الثاني (التصور البصري الدينامي) ويمثل المعالجة أو الحركة البصرية في تنظيم أو ترتيب عناصر المشكلة ، او اعادة تنظيمها من زاوية جديدة حتى يسهل فهمها . ٨ - عامل الاتزان ويمثل القدرة على دقة وثبات حركات اليد مع تحريك الاصابع واليد حركات ارادية بسرعة ودقة الى اهداف معينة حسب تعليمات محددة . ٩ - البقايا .

ويجب هنا التعليق على العامل السادس وهو عامل ذاكرة الاوضاع المكانية

فان استخلاص هذا العامل يعتبر تحقيقاً عاملياً خاصاً بالفرض الذي توصل اليه الباحث من تحليل العمل الذي اتضح منه أن معظم الاعمال الميكانيكية تتطلب قدراً معيناً من تذكر الاوضاع المكانية ؛ هذا بالاضافة الى ان هـذا العامل لم يظهر في اي دراسة سابقة ويعتبر بحق اضافة جديدة لمكونات القدرات الميكانيكية .

ولا يتسع المقام للاشارة الى جميع نتائج هذا البحث القيم ، وحسبنا ان نشير في النهاية الى الجانب التطبيقي ، فقد تمكن الباحث من تكوين بطارية كاملة لاختبار القدرات الميكانيكية لمن تتراوح سنهم بين ١١ و١٤ سنة من الذكور تتمتع بخصائص البطارية الجيدة وتتكون من ٩ اختبارات تقيس القدرات السابقة بصورة نقية في ١١ دقيقة ، وتستخدم في مجال الاختبار والتوجيه المهني بالنسبة لجميع الحرف الميكانيكية التي توجـد على مستوى الجمهورية . كما يمكن تشخيص جوانب الاضطراب التي تحدث في مرحلة بعينها من العمل او التدريب بناء على المفهوم الجديد للصدق كما وصفه الباحث . وكذلك يمكن تحديد الدرجات الفاصلة التي يمكن ان تقبل أو ترفض على اساسها العمال في عمليات الاختبار بناء على مستوى الكفاية المطلوبة للعمال المختارين .

* * *

قدمنا فيما سبق عرضاً سريعاً لاحدى الحركات العلمية الهامة التي قام بها علماؤنا، وهي الدراسة التحليلية العاملية لبعض القدرات العقلية (١) ، وقد دفعنا الى تقديم

---

(١) الهامش على الصفحة التالية –

هذا الموضوع حركة البعثات العلمية التي اوفدت الى انكلترا حيث كان الاتجاه السائد في الدراسات السيكولوجية التحليل العاملي للقدرات العقلية وما يترتب على نتائج هذه الدراسات من تطبيقات عملية في وضع الاختبارات .

وسنتناول الآن عرض اهم البحوث السيكولوجية تبعاً لمختلف ميادين علم النفس بعد ان نصف بايجاز وضع الدراسات النفسية في كليات الاداب الجامعية .

* * *

---

١) هناك بحوث عاملية اخرى تتناول التفكير الابداعي وسمات الشخصية واماده سيأتي ذكرها . وكان بودنا ان نعرض للبحث* الطريف المبتكر الذي قام به الدكتور فؤاد البهي السيد في محاولته البرهنة على ان القدرة العددية ليست وحدة متماسكة لا تنقسم الى قدرات ابسط منها . وقد توصل في بحثه الى تقسيم القدرة العددية الى ثلاث قدرات عددية بسيطة هي :

١ – القدرة على ادراك العلاقة العددية .

٢ – القدرة على ادراك المتعلقات العددية .

٣ – القدرة على الاضافة العددية .

والبحث مثال نموذجي في عرض خطوات المشكلة ومراحل حلها . ولكن هناك سؤال تثيره القدرة الخاصة بادراك العلاقات والمتعلقات العددية وهو خاص بالتمييز بين الشكل (اي عملية ادراك العلاقات والمتعلقات مها كانت طبيعة الاطراف) ، والمضمون ، (وهنا هو العدد وقد يكون غير العدد مثل رموز واشكال او غيرها من المعطيات الحسية او اللفظية) . وحبذا لو اسهب المؤلف في توضيح هذه المشكلة اكثر من الاشارة البسيطة التي وردت في ص ١٧٦ من كتابه الى احتمال الشبه بين التكوين العاملي للقدرة العددية كما اسفر عنه البحث ونظرية العاملين لاسبيرمان .

* الدكتور فؤاد البهي السيد « القدرة العددية » من سلسلة « ابحاث تجريبية مصرية في علم النفس » ١٧٩ ص دار الفكر العربي القاهرة ١٩٥٨ .

عند انشاء كلية الآداب عام ١٩٢٥ تضمن برنامج الدراسة في قسم الفلسفة مادة علم النفس وكان يقوم بتدريسها اساتذة فرنسيون وظل الامر كذلك حتى عام ١٩٤٠ عند عودة يوسف مراد من البعثة بعد حصوله على ليسانس التعليم في الآداب سنة ١٩٣٣ ودبلوم الدراسات العليا سنة ١٩٣٤ ودكتوراه الدولة في الآداب مع التخصص في علم النفس يناير سنة ١٩٤٠ من جامعة باريس .

وكانت كلية الاداب قد اوفدت ضمن بعثاتها الى باريس للتخصص في علم النفس مصطفى زيور الذي نجح في الجمع بين دكتوراه الطب والتحليل النفسي والذى سيقوم كما سنرى بدور رئيسي هو وتلاميذه في اقامة حركة التحليل النفسي على اسس متينة وفي انشاء اول قسم متخصص للدراسات النفسية في جامعة عين شمس عام ١٩٥٢ .

وفي هذه الفترة ايضاً كان يدرس في باريس عزت راجح الذي قدم لجامعة باريس اول رسالة في علم النفس الصناعي للحصول على درجة الدكتوراه ، والذي خلف الدكتور زيور في تدريس علم النفس بجامعة الاسكندرية بعد ان تولى الدكتور مصطفى زيور رئاسة قسم الدراسات النفسية والاجتماعية بجامعة عين شمس

فبينما كان تدريس علم النفس في معهد التربية متأثراً بالاتجاه الانكليزي ومرتبطاً بالاهتمامات التعليمية والتربوية كان الاتجاه الفرنسي هو السائد في التدريس الجامعي ، ثم انضم الى هذين الفريقين فريق ثالث مكون ممن اتموا دراستهم العليا في الجامعات الامريكية فانضم بعضهم الى كلية التربية وكلية البنات وكلية الاداب بجامعة عين شمس وعين احدهم في كلية الآداب بجامعة القاهرة .

ولا بد هنا من الاشارة الى ما يميز الاتجاه الفرنسي في علم النفس عن الاتجاه

الانكليزي والاميركي . ان تدريس علم النفس في الجامعة الفرنسية تغلب عليه النزعة الاكاديمية التي تهتم بعرض النظريات ونتائج التجارب ومناقشتها وربطها بالتيارات الفكرية والفلسفية وهي تهدف الى اعداد مدرسين لا الى تكوين مهنيين اما الجانب التطبيقي والمهني فهو من اختصاص معهد خاص هو المعهد القومي للعمل والتوجيه المهني اما تدريس علم النفس في الجامعات الاميركية فانه وان كان لا يهمل الجانب الاكاديمي ، يتجه بصفة خاصة نحو الاعداد المهني سواء في مجال تطبيق الاختبارات او الارشاد والتوجيه والعلاج النفسي . والدراسة الانكليزية وسط بين الفرنسية والاميركية وهي اكثر اهتماماً بتطبيق الطرق الاحصائية وبمحاولة اقامة الدراسات الخاصة بالشخصية وبالسلوك الشاذ على اسس موضوعية ودقيقة .

لا شك ان في هذا التمييز شيئاً من التصنع لانه من السهل ان نبين كيف ان الاتجاهات الكبرى في الدراسات السيكولوجية ممثلة جميعها في انكلترا وفرنسا واميركا ، غير ان التمييز الذي نقترحه تؤيده الى حد كبير التيارات المختلفة في البحوث النفسية وبصفة خاصة في رسائل الماجستير والدكتوراه التي قدمت للجامعات في العشرين سنة الاخيرة .

* * *

والان نعود في حديثنا الى اهم الرسائل الجامعية التي قدمت للجامعات الفرنسية :

في عام ١٩٣٨ قدم عزت راجح وهو من خريجي مدرسة المعلمين العليا رسالة عنوانها « المهارة اليدوية في مجال التوجيه المهني » (١) للحصول على دكتوراه جامعة باريس

(1) Rageh, Ezzat; L'habilete manuelle Etude experimentale en vue de l'Orientation professionnelle. Baghdad, The Royal Press, 1939, pp. 135.

باشراف الاستاذ الدكتور هنري فالون ، ومضمون الرسالة بحث تجريبي احصائي يقوم على اجراء اختبارات المهارة اليدوية ويحلل النتائج تحليلاً عاملياً . وقد استهدف البحث هدفين اولها اعداد بطارية من الاختبارات المنوعة للتأكد من العوامل المختلفة التي يحتمل ان تنطوي عليها المهارة اليدوية ، ثم استخدام هـذه البطارية لاغراض التوجيه المهني . اما الهدف الثاني فهو الاستعانة بهذه البطارية لمعالجة بعض المشكلات المعلقة والتي لا تزال موضع خلاف بين علماء القياس السيكولوجي مما يتصل بموضوع المهارة اليدوية . وقد اسفر البحث عما يأتي :

١ — عدم وجود مهارة يدوية عامة .

٢ — وجود خمسة عوامل طائفية مستقلة هي :

أ — سرعة الاصابع والرسغ ب — سرعة حركة الذراع ج — ثبات اليد والذراع
د — الدقة في التصويب الى هدف — هـ — التآزر بين حركة اليدين .

٣ — ان قياس المهارة اليدوية في مجال معين يجب ان يتم باختبارات اجمالية وليس باختبارات تحليلية .

٤ — ان الاختبارات اليدوية المركبة اصدق في التمييز بين الافراد من الاختبارات البسيطة .

٥ — ان العسر — وهو استخدام اليد اليسرى — يزداد بنمو الطفل ، وان الطفل البطيء لا السريع هو الطفل الاضبط في اغلب الاحوال ، اي الذي يستخدم كلتا يديه بنفس السهولة .

وقد اهتم الدكتور عزت راجح منذ عام ١٩٦٠ بتدريس علم النفس الصناعي بجامعة الاسكندرية فانشأ في عام ١٩٦٠ معملاً لتدريب تلاميذ السنة الرابعة الذين

يدرسون مادة علم النفس الصناعي . والعمل مزود بطائفة من الاجهزة والاختبارات المستوردة من الخارج وبمكتبة خاصة . كما انه نشر في عام ١٩٦١، كتاباً في علم النفس الصناعي من ٥٠٤ صفحات . وفي عام ١٩٥٤ نشر بحثاً في الكتاب السنوي في علم النفس موضوعه :

« الاختبارات السيكولوجية في انتقاء طلبة الجامعة » (ص ٨١ — ٩٦) .

* * *

وفي يناير ١٩٤٠ حصل يوسف مراد على دكتوراه الدولة في الآداب من السربون . ويقتضي الحصول على دكتوراه الدولة في الآداب اولاً على ليسانس التعليم في الآداب وعلى دبلوم الدراسات العليا ثم تقديم رسالتين للدكتوراه احداهما رئيسية والثانية مكملة .

وكان موضوع رسالة الدبلوم « سيكولوجية الجهد من عهد الفلاسفة اليونان حتى الدراسات التجريبية في القرن العشرين »، وهي منشورة وتقع في ١٧٠ صفحة وتحتوي على سبعة فصول : ويتناول الفصل الاول مفهوم الجهد في الفكر اليوناني واللاتيني وتعتمد الدراسة بوجه خاص على تحليل شتى المصطلحات اليونانية اللاتينية التي يدور معناها حول مفهوم الجهد والمشقة والرياضة الروحية والتقشف والجلد وما اليها . ويعالج الفصل الثاني مفهوم الجهد في القرنين السابع عشر والثامن عشر ، ثم يخصص الباحث الفصل الثالث لعرض رأي الفيلسوف مين دي بيران في الجهد اذ ان مفهوم الجهد هو المحور الذي تدور من حوله نظرية مين دي بيران في الشخصية وفي نشأة الشعور بالأنا . ثم يستعرض الفصل الرابع التفسيرات المختلفة التي تناولت الشعور بالجهد في القرن التاسع عشر . ثم يعود فيخصص فصلين احدهما لعرض

نظرية برجسون في الجهـد العقلي والثاني اشرح نظرية بيير جانيـه فيما يسميه بسلوك الجهد (١) اما الفصل الاخير فيدرس العلاقة بين الجهد والعمل .

اما رسالتا دكتوراه الدولة في الآداب فقد استغرق اعدادهما وطبعهما اربع سنوات ونصف . ورأى الباحث ان يخصص الرسالة الكبرى لموضوع في علم النفس الحديث والرسالة الصغرى لاحياء جانب من التراث العربي في الدراسات النفسية . ومن الموضوعات التي كانت تستأثر باهتمامـه دراسة الشروط العضوية الجسمية للنشاط النفسي او للسلوك كما يحاول علم النفس وصفه وتفسيره .

وموضوع الرسالة الكبرى وعنوانها « بزوغ الذكاء » (٢) دراسة مقارنة بين السلوك الحيواني وسلوك الطفل الرضيع مع الافتراض بان القوانين ذاتها التي تفسر سلوك الحيوان تفسر ايضاً سلوك الطفل الرضيع ، ثم محاولة الذهاب بهذا الفرض الى اقصى حدوده حتى يتفجر الاختلاف الجوهري بين السلوكين وهذا الاختلاف يتمثل في اللغة وما يتضمنه اكتساب اللغة من قدرات عقلية تنقص الحيوان .

وكان الفرض الثاني الذي حاول الباحث التحقق من صحته هو التوازن القائم

---

(١) نشر هذا الفصل في مجلة علم النفس ، المجلد الخامس ، العدد الثالث ، فبراير ١٩٥٠

Mourad Youssef : La conduite de l'effort d'après Pierre Janet, The Egyptian Journal of Psychology, Vol. V, No. 3, February 1950, p. 1-13

(٢) Mourad Youssef, L'Eveil de l'Intelligence ; Etude de psychologie et comparée, 2e eds, Paris 1955, pp. 348. Presses Universitaires de France, Bibliotheque Scientifique Internationale.

بين تطور الجهاز العصبي وتطور السلوك الذكي وتشمل هذه الدراسة مراحل الترقي في الجانبين العصبي والسيكولوجي من الاميبا الى الشامبانزيه الى الانسان وقد تبين خلال هذه المرحلة الطويلة كيف كان مدلول الذكاء يتطور ويرتقي من مجال التكيف البيولوجي الى مجال التعلم الحسي الحركي ثم الى مجال السلوك الرمزي ثم العقلي المجرد .

وسمة الذكاء التي نطلقها على فعل من الافعال لا تتضح الا بالقياس الى السلوك الكلي . ويتميز هذا السلوك بانه قصدي ، موجه نحو غاية ، وهي الغاية التي تعين وسائل تنفيذها . ومبدأ كل نشاط موجود في الكائن الحي ذاته والمنبه الخارجي ليس الا وسيطاً يسمح للنزعات بأن تعبر عن نفسها ولهذا السبب يمكن التحدث عن تعدد الدلالة لذى المنبه الواحد .

وحيث ان ارتقاء الذكاء مرتبط بدرجة التمايز والتفاضل التي تكون قد وصلت اليها الوظيفة الاستطلاعية لأعضاء الاستقبال فأن اول بادرة للذكاء تظهر عندما يكتسب المنبه الخارجي صفة الاشارة عندما يكون غير ملائم للتفريغ المباشر للتوتر الذي احدثه تنشيط الحاجة او النزعة او الميل او الدافع على وجه العموم ، وفي هذا الكف المؤقت للدافع وفي هذه الصفة الاستباقية proleptique المنبه ما يميز الفعل الذكي . والشعور من الوجهة الوظيفية هو توقع اتمام خبرة اعتماداً على ما يحويه الموقف الراهن من امارات . وكلما كان تطور النزعة مبكراً ، اي عندما لا تزال بعد غامضة وغير متعينة ، او بعبارة اخرى كلما كانت درجة عدم اتمام الخبرة عالية في اللحظة التي يصبح فيها الشخص شاعراً بالمشكلة التي عليه ان يحلها ، زاد مدى تنوع وتعين التفاصيل في مجال سلوكي اكثر امتدادا ، كما تثرى مجموعة انماط التوافق الممكنة . وفي الذكاء الحيواني تكون درجة عدم اتمام الخبرة صغيرة في اللحظة التي يواجه فيها الحيوان العقبة او الصعوبة . وكلما صغرت هذه الدرجة

ضاق مجال يواجه فيها الحيوان العقبة او الصعوبة . و كلما صغرت هـذه الدرجة ضاق مجال الذكاء وانحصرت القدرة على التجريد في حدود ضيقة — فالحاول المسكنة التي تعرض للحيوان تتميز بدرجة كبيرة من التنظيم والتعين وتترك مجالا صغيرا ضيقـاً لاختبار جديد لاحق .

ويتميز ذكاء الطفل عن ذكاء الحيوان في ان تبلور النزعة يتم تمهيـدا لاختبار عن طريق المحاولة والخطأ وذلك في غيبة المنبه الخارجي . ففي امكان الطفل ان يستبعد الخبرة قبل أن توجد في مجال الادراك .

ويتوقف السلوك الذكي على مرونة الادراك وقابلية مجاله للتشكل ولاعادة بنائه بحيث تتاح فرصة الاستبصار السريع . وما يقال عن مجال الادراك يقال عن مجال المعالجة الذهنية ، فكلما كان الفشل موضع تفكير بدلاً من ان يكون موضع معاناة تكون درجة الذكاء اكبر .

واخيراً يسير تقدم الذكاء وارتقاؤه نحو درجات اكبر فأكبر لعدم تعين الاشارات والرموز التي يميزها الشخص أو يتفقدها أو يستخدمهـا ، نحو تحرير اكبر فأكبر من القيود المكانية والزمانية ، نحو تدعيم القدرة على الكف والترقيع والالتفاف والاستباق والاختبار .

ومن خلال تتبعه لارتقاء الجهاز العصبي في الانواع الحيوانية من اللافقريات الى الفقريات ودراسته للمراحل التي يمر بها النمو الحسي والحركي والانفعالي والادراكي لدى الطفل اتضح للباحث مدلول عملية التكامل كما أشار اليها هوجلنجز ـ جاكسون وشرنجتون في انكلترا ثم موناكوف ومورج في فرنسا وسيتخـذ يوسف مراد من عملية التكامل المحور الذي سيبني حوله نظريته الشاملة في الحياة النفسية ويصيـغ

القوانين العامة التي تفسر ارتقاء الحياة النفسية . ان نقطة البداية عنده هي دائماً دراسة الشروط البيولوجية والفسيولوجية للسلوك الفردي ومن رأيه انه لا يمكن فهم الانسان الا اذا فهمنا اولاً طبيعته الحيوانية ، كما انه لا يمكن فهم المجتمع الا اذا فهمنا اولاً طبيعة الانسان الفرد . ولا يعني هذا ان يوسف مراد ينزع في تفكيره نزعة تخفيضية بارجاع الانسان الى الحيوان والاجتماعي الى الفردي ، بل على العكس من ذلك فأن منهجه التكاملي ، تطوري في نزعته يسلم بوجود مراتب تصاعدية من الوجود بحيث تحفظ كل مرتبة حيوانية كانت او نفسية او اجتماعية بنوعيتها واستقلالها الذاتي .

طبعت هذه الرسالة عام ١٩٣٩ ونوقشت في يناير ١٩٤٠ وقد اشرف على البحث الاستاذ هنري دبلاكروا ثم بعد وفاته الاستاذ جيوم وقد قال عن الرسالة في تقريره ان من بين مميزاتها انها تقدم لعلماء النفس الفرنسيين حقائق ونتائج تجريبية هم للأسف يجهلونها وقد اعيد طبع الرسالة في عام ١٩٥٥ ونشرت في مجموعة يشرف عليها الاستاذ هنري بيرون هي « المكتبة العلمية الدولية ، قسم العلوم الانسانية فرع علم النفس » . وقد اصبح كتاب الدكتور يوسف مراد « بزوغ الذكاء » من الكتب التي تذكر في المراجع الاساسية لكتب علم النفس للطلبة الجامعيين . وقد استشهد ببعض ما جاء فيه الاستاذ هنري بيرون (١) . في موسوعة

---

(1) PIERON, Henri, Psychologie Zoologique, in Nouveau Traite de Psychologie, Tome VIII, 1941, Pp.255, Paris, P.U.F. وقد جاء في صفحة ١٨٧ ما يلي

"Une excellente analyse des processus complexes de L'apprentissage avec articipation des organisations intelligentes, a cote des reflexes conditionnes, a ete donnee par MOURAD (1939), dans la deuxieme partie de son livre : L'Eveil de L'Intelligence."

علم النفس (فصل سيكولوجية الحيوان) وجان فيو في كتابه عن سيكولوجية الحيوانات وكذلك العالم الهولندي بويتنديك. وفي كتابه عن ذكاء الطفل وتفكيره عدل جان بورجاد رأيه في طبيعة الذكاء في الطبعـة الثانية من كتابه عام ١٩٤٢ ص (١٥٤) (١)

ويشير فيو في ص٦٧ الى التمييز الذي اقامه يوسف مراد بين السلوك المكتسب عن طريق التعلم والسلوك المكتسب الذكي ، اي العلاقة بين التعلم والذكاء. وهو موضوع الفصل الرابع من كتاب بزوغ الذكاء . كما ان فيو في حديثـه عن تعلم الفأر اجتياز المتاهة يرجع القارىء الى الفصل السادس ٠ وفي خاتمة كتابه يذكر فيو ص ١٢٥ – ١٢٦ نصاً مقتبساً من كتاب الدكتور يوسف مراد في التمييز بين ذكاء الحيوان وذكاء الانسان .

وكان الغرض من الرسالة الثانية لدرجة الدكتوراه الدولية في الآداب احياء جانب من التراث العربي في الدراسات السيكولوجية . وكان اقرب موضـوع الدراسات الوقعية المرتبطة بالعلاقة بين الجسم والنفس ما يتصل بعلم الامزجة او الطباع وما تفرع عنه من تأويلات وتكهنات فيما سمي بعلم الفراسة وهـو علم

---

(1) FILLOUX, Jean-C.: Psychologie des Animaux, 1950,Paris, P.U.F., Pp. 121. انظر صفحة ٦٧ ، ٧٨ ، ١٢٥–١٢٦ ص ١٥٤

BUYTENDIJK, F.J.J.: Traite de Psychologie Animale, 1952, Paris, P.U.F.
Bourjade, Jean: L'Intelligence et la Pensee de L'Enfant 2e ed. 1942.

راجع ايضاً ما جاء في عدد اوغسطس ١٩٤٠ من مجلة Psychological Abstracts

والمقالة التي نشرها الاستاذ اندريه لالند Lalande في عدد يناير من مجلة Philosophical Review

الفيزيوجنومونيا لدى اليونان . وقــد وفق الباحث الى الكشف عن نص لم ينشر للامام فخر الدين الرازي (المتوفي سنة ٦٠٦ هـ) في علم الفراسة ، فوجد منه نسخة مخطوطة في مكتبة جامعة كمبردج ونسخة ثانية في قسم المخطوطات في مكتبــة لندن كما انه اعتمد على صورة فوتوغرافية لنسخة ثالثة موجودة في مكتبــة ايا صوفيا في اسطنبول ، وقد حقق النص العربي وشرح التعليقات على النص . وقدم للنص والترجمة بدراسة وافية عن تطور علم الفراسة منذ عهد اليونان حتى يومنا هذا في اربعة فصول من ص ٧ الى ٦٧ . ويتناول الفصل الاول موضوع الفيزيوجنومونيا وتطورها في الغرب في القرن الوسطى . وفي العصر الحديث مع الاشارة الى العلاقة بين بعض القضايا في علم الفراسة ومبادىء نظرية الجشطلت من جهة ومبادىء السلوكيــة الحديثة من جهة أخرى .

ويعــالج الفصل الثاني موقف علم الفراسة من سائر العلوم في تصنيف العلوم كما نجده لدى الفارابي وابن سينا والغزالي وابن رشد والاكفاني وطاشكبري زاده والحاج خليفة .

اما موضوع الفصلين الثالث والرابع فهو عرض لكل ما كتبه اليونان والعرب في علم الفراسة وقد تطلب العثور على كل ما كتبه العرب في هذا الموضوع زيارة المكتبات الغنية بالمخطوطات العربية فقد قضى الباحث اكثر من سنة في التنقيب والبحث في مكتبات باريس ثم لندن وكمبردج واكسفورد في انكلترا وليدن في هولاندا وبرلين وميونخ وجوطا في المانيا .

وقد وفق اثناء بحثه في المكتبة البودليانية في اكسفورد الى الكشف عن مفقود كان مستتراً تحت اسم غريب هــو « مذاهب الكلدانيين لابن وحشية » . وهذا الكتاب المفقود هــو الجزء الثاني من كتاب مطالع الانوار في الحكمة

لسراج الدين محمود ابن ابي بكر الارموي (٦٨٢ / ١٢٨٣) . اما الجزء الاول فهو في المنطق وكان من الكتب المأثورة تناوله بالتعليق والتوضيح تسعة وعشرون من الشراح منهم قطب الدين التحتاني الرازي(٧٦٦ /١٣٦٥) والجرجاني (٨١٦/١٤١٣) وقد طبع على الحجر في طهران عام ١٢٩٤ هـ .

اما الجزء الثاني وموضوعه في الحكمة فظل مختفياً ولم يذكره الحاج خليفة في كتابه « كشف الظنون ، من اسامي الكتب والفنون » اذ ان النسخة الوحيدة منه قد انتقلت الى اوربا قبل ان يبدأ الحاج خليفة رحلته في المكتبات العامة والخاصة .

وهذا الكتاب الذي يعالج موضوعات الفلسفة الاولى والفلسفة الطبيعية والالهية جدير بالنشر لانه يقارن آراء ابن سينا وردود فخر الرازي . غير ان النسخة الموجودة في اكسفورد ، وهي النسخة الوحيدة حسب علمنا ، نسخة ناقصة ومكونة من جزء قديم (عشر ورقات) يحمل على هوامشه تعليقات بعضها لمحمود بن عبد الرحمن ابن محمد الاصفهاني الشافعي (٧٤٩ / ١٣٤٨) ، والجزء الثاني حديث الكتابة لا توجد شروح على هوامشه ورقم المخطوط Bodl. I, 494 (١) .

---

(١) راجع هامش ص ٦٦ ، ٦٥ من : MOURAD, Youssef: La Physiognomonie arabe et le Kitab al-Firasa de Fakhr al-din al-Razi. Librairie Orientaliste Paul Geuthner, Paris, 1939. Pp. 162 - 88 p. de texte Arabe.

(2) ZIWAR, Mostapha: A phasie et Gaucherie cerebrale, These de Medecine, Lyon, 1941.

وقد رحب المستشرقون ومؤرخو العلوم ببحث الدكتور يوسف مراد في علم الفراسة عند العرب وقد تلقى المؤلف من مؤرخ العلم جورج سارطون خطاباً يثني فيه على قيمة الرسالة وقد جاء ذكر الرسالة في مجلة ايزيس لتاريخ العلم والفلسفة في عام ١٩٤١ وفي الجزء الثالث من كتاب جورج سارطون « مدخل الى تاريخ العلم » .

وقد ظل الدكتور يوسف مراد معنياً بالتراث العربي وكتابه في مبادىء علم النفس العام هو الكتاب العربي الوحيد الذي يستشهد فيه المؤلف بنصوص عربية اما قديمة لابن سينا والغزالي وكبار اطباء العرب أو حديثة لكبار أدبائنا امثال طه حسين والعقاد وتيمور . وسنرى فيما بعد كيف ان مفهوم التكامل وجه بحوث الدكتور يوسف مراد سواء في المقالات التي نشرها في مجلة علم النفس التي أنشأها عام ١٩٤٥ وفي الكتاب السنوي لعلم النفس عام ١٩٥٤ بعد توقف المجلة عن الصدور ، أو في دراساته لسيكولوجية الفنان والفنون الجميلة .

* * *

وننتقل الآن الى رسالة الدكتوراه التي حصل عليها مصطفى زيور من جامعة ليون عام ١٩٤١ وموضوعها الافازيا والعسر الدماغي . وقد نشأت فكرة هذه الرسالة – بوصفها تتوجاً للدراسات الطبية التي قام بها الباحث كأساس لما يهدف اليه من التخصص في الدراسات النفسية – من الرغبة في دراسة مشكلة يلتقي فيها بوضوح العضوي والنفسي أي مشكلة الافازيا ، أي فقدان القدرة على استخدام اللغة وفهمها ، وما يكتنفها عادة من اعراض الاجنوزيا والابراكسيا . ويكون الدكتور مصطفى زيور في اتجاهه هذا مخلصاً للتقاليد الفرنسية في الجمع بين الثقافة الطبية والثقافة السيكولوجية كما ان الامر مع اساتذتنا بيير جانيه وجورج ديما وهنري فالون

وجورج بوايه واندريه اومبردان كما هو الامر كذلك اليوم مع اندريه لاجاش وجولييت بوتونيه اساتذة علم النفس في السربون . ورغبة تضييق نطاق البحث حتى يتاح تعمق المشكلة اختار الباحث مشكلة الافازيا الصليبية Aphasie Croisee التي يبرز فيها خطل النظرية الميكانيكية عن المراكز الحائية في تفسير اضطرابات اللغة بوجه خاص واضطرابات التفكير بوجه عام .

وقد استفاد الباحث بدراسته الفلسفية السابقة من ناحية ودراسته في علم النفس الفسيولوجي من ناحية اخرى(تجارب في الادراك البصري وظاهرة Phi بوجه خاص) لاقامة الدليل على وجوب النظرة الدينامية في هذه المشكلة ، تلك النظرة التي سبقه فيها في مشكلات اخرى من ميدان الافازيا كل من فرويد ، بيير ماري ، الاجوانين هنري هيد ، ج . فرومان وغيرهم . وقد انجز الباحث هذه الرسالة تحت اشراف احد اساتذة النيورولوجيا البارزين وهو ج . فرومان Y. Froment ، تلميذ بابنسكي Babinski وأحد رواد التفكير النقدي الدينامي في الطب العصبي — النفسي .

وسنعود الى الحديث عن اعمال الدكتور مصطفى زيور في بعثة حركة التحليل النفسي في الشرق وتنظيمها وتنميتها

* * *

ومن الحاصلين على دكتوراه الدولة في الآداب من السربون (فرع علم النفس) الدكتور صلاح مخيمر ، استاذ علم النفس بكلية المعلمين بالقاهرة ، والدكتور سامي محمود علي مدرس علم النفس بكلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ، والاثنان من تلاميذ الدكتور دانييل لاجاش المحلل النفسي واستاذ علم النفس المرضي بالسربون .

كان صلاح مخيمر ضابطاً بالجيش واشترك في موقعة العلمين وكان من ابطالها واضطر الى ترك الخدمة العسكرية بعد أن فقد بصره واحدى ذراعيه فالتحق طالباً بقسم الفلسفة بكلية الآداب جامعة القاهرة وكان من المتفوقين ثم سافر الى باريس والتحق بالسربون وحصل على دكتوراه الدولة في الآداب (فرع علم النفس) عام ١٩٥٧ وتعد رسائله اسهاماً قيماً في الدراسات الخاصة بعميان الحرب وفيما يلي تلخيص موجز عن اعماله .

في عام ١٩٥٣ قدم رسالة للحصول على دبلوم الدراسات العليا باشراف الدكتور لاجاش وموضوعها : « نظرية الجشطلت وعلم النفس الاجتماعي » وهي محاولة للامتداد بالتصورات الجشطلتية الى مجال الحقيقة النفس اجتماعية . ومن النقط الهامة التي ناقشها الباحث اوجه الاختلاف بين نظرية الجشطلت ونظرية المجال كما قال بها كيرت ليفين Kurt Lewin وانتهى الى اثبات عكس ما هو شائع وهو ان ليفين ليس من الجشطلتيين . وقد وصف الدكتور لاجاش هذه الرسالة بانها « عمل جد جاد، دسم منهجي وشخصي » .

وفي عام ١٩٥٧ قدم صلاح مخيمر رسالتي دكتوراه الدولة في الآداب وكان موضوع الرسالة الرئيسية : « التكيف الانفعالي لعميان الحرب » وهي تقع في ٣٠٠ ص تقريباً وكان المشرف الدكتور لاجاش . ويحاول الباحث في هذه الرسالة رسم المنحنى الانفعالي الذي يسلكه الممى في سيره من العصاب الصدمي الذي يستثيره الى هذه الصورة او تلك من صور الاستقرار الانفعالي التي ينتهي اليها . ولكن هذا الرسم لا يقدم صورة قطية جامدة دائماً هي علاقة مثالية تعتبر الحالات الفردية العيانية مجرد تجسيدات متباينة وتشكيلية متنوعة لها . وهكذا فأن وحدة العلاقة المثالية تتكثر في الحالات العيانية . ولقد استعرضت الرسالة من الناحيتين

التاريخية والفنية لمختلف الطرائق التي استخدمت لتأهيل عميان الحرب وخاصة منذ الحرب العالمية الاولى وأثناء الحرب العالمية الثانية في المعسكرين الغربي والشرقي . والفكرة الاساسية في هذه الرسالة انما تنحصر في استجلاء الطبيعة الخاصة لعملية التكييف ، ثم ما كان من خروج على هذه الطبيعة او اغفال لهـا في جميع المحاولات التأهيلية التي تمت حتى هذه السنوات الاخيرة . فالوحدة الكلية لعملية التكييف غالباً ما فهمت من زاوية ميكانيكية وكأنها مجرد حاصل لسلسلة من التوافقات الفيزيائية والمهنية بوجه خاص والعاطفية والجنسية الخ . . والى هذا التمزيق التعسفي لوحدة العملية الكلية انضاف خطر العمل ، « من الخارج » مع ان عملية التكييف شأنها شأن كل تربية او اعادة تربية لا بد وان تنطلق من الداخل ، وحين يبلغ منحنى التطور الانفعالي نقطة بعينها ، عندها وعندها فقط يستطيع الكائن ان يفيد من الامكانيات الخارجية أو يستخدمها او يستعيض عنها ببدائل لها . وفي هذا كله تظل القدرات aptitudes مجرد وسائل يفيد منها اولاً الشخص وفقاً لاتجاهه attitude من نفسه ومن ثم من الحياة بأحيائها وأشيائها .

اما الرسالة المكملة او الصغرى فموضوعها « المشكلات الجنسية لاعمى الحرب » وتقع في ٢٥٠ ص تقريباً ، تحت اشراف الدكتورة بوتونيه ، استاذة علم النفس بالسربون . وهذه الرسالة تعد بحق محاولة جديدة في الغرض الذي وجهها وفي الوقائع التي استندت اليها . ويرسم الباب الاول الخطوط الرئيسية العامة للمجال الجنسي وقت الحرب . اما الباب الثاني فيتتبع التغيرات التي يستثيرها العمى في المجال الجنسي ويسير معها الى نهاية مختلف مثاليها الممكنة . ولقد كشفت الدراسة عن الاهمية البالغة لدور التجنيس sexualisation في عملية الابصار . ذلك أن العمى يستمد أغلب ثقله ويتهول أمر احباطاته من افتقاده الاشكال والالوان

والاضواء بعد ما تكون قد اصطبغت ابان البلوغ بالصبغة الجنسية التي تحيل عالم المراهق شيئاً يختلف تماماً عما كان عليه . ويقدم هذا الباب ايضاً صورة للانتظام الجديد الذي يتحقق في عالم المجال الجنسي عند النخبة من المكفوفين وذلك عندما يتحقق لهم من الاتزان ما تتيح لهم أن يقتحموا الامكانيات الجديدة التي هي في معظمها لمسية حركية. اما الباب الثالث والاخير فينصب على المجال الزوجي والاسرى ويستند الى مفاهيم التحليل النفسي في رسمه لنمط الفتاة التي تنجذب الى الاعمى بصورة عامة والى اعمى الحرب بصفة خاصة . وهذا النمط ، نمط المرأة المنافحة ، يفرض على المجال صراعات بعينها قد تجعل من الحياة الاسرية جشطلتا اجتماعيا مقلوب القيادة او متناوب القيادة قبل ان تبلغ صورتها الثقافية السوية .

وقد واصل الدكتور صلاح مخيمر جهوده في سبيل رعاية المكفوفين وتأهيلهم فانشأ عام ١٩٥٨ مجلة « الكفيف العربي يتحدث » ونشر الكتب الآتية :

المجال الفيزيائي والمهني للكفيف ، ٢٠٠ ص، ١٩٥٩، ومذيل بقاموس المصطلحات الخاصة بالتأهيل .

تاريخ تأهيل المكفوفين ، ١١٠ ص ، ١٩٦٠

الانماط الانفعالية للمكفوفين ٢٧٤ ص ، ١٩٦١ . والناشر للكتب الثلاثة مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة .

وحصل الدكتور سامي محمود علي على درجة دكتوراه الدولة في الآداب ، فرع علم النفس من السربون عام ١٩٥٨ . وكان موضوع الرسالة الرئيسية « الاسقاط والطرق الاسقاطية » وقد اشرف على اعداد الرسالة الاستاذ الدكتور دانييل

لاجاش وهي تتناول مشكلة الاسقاط في مستواها النظري وفي علاقتهـا بالطرق الاسقاطية المختلفة ، وركز الباحث اهتمامه حول اختبار بقع الحبر لروشاخ واختبار تفهم الموضوع وانتهى الى عرض نظرية في الاسقاط اساسها التحليل النفسي والمنهج الفينومينولوجي وعلم النفس التجريبي تحقيقاً لفكرة لاجاش في « وحـدة علم النفس » (١) .

اما الرسالة الصغرى فكانت باشراف الاستاذ جان بياجيه وهي عرض نقدي منظم للدراسات التي بدأها « برونر وبوستمان في العلاقة بين الادراك والدوافـع » وهي تضع في النهاية خطوطاً عامة لتفسير نتائج البحث التجريبي تفسيراً نظريـاً شاملاً .

والدكتور سامي محمود علي عضو الجمعية الباريسية للتحليل النفسي والرابطـة الدولية للتحليل النفسي ، وسنعود الى ذكر اعماله التعليمية الاخرى عند الحديث عن حركة التحليل النفسي في الجمهورية العربية المتحدة .

وبقي لنا ان نشير الى رسالة دكتوراه في عـلوم التربية (فرع علم النفس) قدمت الى جامعة جنيف في سويسرا ، هي الرسالة التي اعدها الدكتور سيد غنيم تحت اشراف الاستاذ جان بياجيه Jean Piaget عام ١٩٥٩ وموضوع الدراسة

---

(1) GHONEIM, Sayed: Les deformations perceptives du losange de l'enfant a l'adulte. Archives de Psychologie, Vol. 37, No. 145, Geneve, 1959.

التجريبية تتبع سير الخداع البصري الهندسي في مراحل النمو المختلفة

* * *

انتهينا الآن من ذكر علماء النفس الذين يمثلون الاتجاه الفرنسي وهو يمثله بصفة خاصة في مجال علم النفس التكويني والمقارن الدكتور يوسف مراد وفي مجال التحليل النفسي والتفكير الفينومينولوجي الدكتور مصطفى زيور والدكتور سامي محمود علي.
ونود الآن استكمالاً لعرض الاتجاهات المختلفة الاشارة الى اهم رسائل الدكتوراه التي قدمت للجامعات الامريكية، وقد سبق ان ذكرنا احداها عند حديثنا عن التحليل العاملي للقدرات العقلية وهي رسالة الدكتور محمد عبدالسلام احمد (ص ٢٧ - ٢٨). كما اننا سنستوفي الحديث عن بقية رسائل الدكتوراه التي قدمت للجامعات الانكليزية وذلك عند حديثنا عن الانتاج العلمي في العشرين السنة الاخيرة في مختلف ميادين علم النفس.

ملحق رقم (١)

عن نشاط مراقبة الاختبارات النفسية والاشراف الاجتماعي بمصلحة الكفاية الانتاجية والتدريب المهني بوزارة الصناعة

لما كان من الاهداف الاساسية لوزارة الصناعة رفع الكفاية الانتاجية لكافة مصادر الانتاج على مستوى الجمهورية كلها ، انشأت الوزارة مصلحة الكفاية الانتاجية لتحقيق هذا الهـدف ، ثم انشأت المصلحة مراكز خاصة بالاختبارات النفسية عام ١٩٥٦ وكان عملها قاصراً على اختيار اصلح العمال والتلاميـذ الصناعيين المتقدمين للتدريب في المؤسسات الصناعية المختلفة وغير الصناعية التي توجد في جميع انحاء البلاد، ثم اتسع نطاق عملها بعد افتتاح مراكز التدريب المهني للمهن المختلفة .

وعلى هذا كان لا بد للمراقبة الجديدة ان تواجه كل هـذه الاعباء عن طريق تحليل جميع الحرف التي تتضمنها كل هذه المراكز ، ثم تصميم بطاريات الاختبارات المختلفة التي تقيس هذه المهن . ويرجع الفضل في تطوير هذه البطاريات، بل في تصميمها وتقنينها الى مجهودات الدكتور السيد محمد خيري استاذ علم النفس المساعد بجامعة

عين شمس والخبير الفني في المصلحة والى الاخصائيين النفسيين الذين كانوا يعملون معه . وقد اتسع نشاط المراقبة في ابريل سنة ١٩٦٠ ليشمل الاشراف الاجتماعي .

وكان لزاماً على المراقبة بناء على التوسع الكبير في افتتاح مراكز التدريب المهني سواء أكان للتلمذة الصناعية او للتدريب السريع - كان لزاماً عليها ان تقوم بالابحاث السيكولوجية والاجتماعية المختلفة لتطوير وسائل الاختبار والتوجيه النفسي والاجتماعي . بيد ان الاهتمام الاكبر في هذه البحوث كان قاصراً في بادىء الامر على الاختبار المهني من حيث هو الوسيلة العلمية الدقيقة لانتقاء اصلح التلاميذ والصناع المراكز المختلفة ، التي تتفق مع استعداداتهم ومهاراتهم المختلفة ، كذلك تتفق وسماتهم المهنية والشخصية .

ولقد ابتدىء بالدراسات الخاصة بتحليل العمل ، فترجمت كثير من استمارات تحليل العمل الاجنبية واستخلص منها استمارة تتفق وطبيعة الظروف والبيئة المحلية .

وكان لاستمرار تحليل العمل في المراكز المختلفة والمؤسسات الصناعية ايضاً الفضل في تطوير استمارة تحليل العمل . حتى وصلت لصورتها الحالية ، وهي تعادل تقريباً نفس استمارة مكتب التوظيف الاميركي USES من حيث ان لها كتيب تعليمات خاصة بخطوات التحليل وتعريف بمفاهيم الاستمارة واجزائها المختلفة ، كما ارفق بها ايضاً قائمة بتعريف السمات او الخصائص الجسمية وشروط العمل وظروفه بناء على احدث الدراسات التي تمت في مجال القدرات العقلية والسمات النفسية في الخارج حتى تكون عملية التحليل موضوعية ومقننة .

ويمكن ان نقول الآن بان لدى المراقبة تحليل شبه مفصل لمعظم الاعمال والحرف التي يتدرب عليها التلاميذ في مراكز التدريب المختلفة واهم هذه الاعمال هي :

١ - الحرف الخاصة بصناعة واصلاح السيارات
٢ - الحرف الخاصة بالمعادن
٣ - الحرف الخاصة بالكهربا.
٤ - الحرف الخاصة بالنسيج
٥ - الحرف الخاصة بالزجاج
٦ - الحرف الخاصة بالجلود
٧ - الحرف الخاصة بالبناء.
٨ - الحرف الخاصة بالطباعة

وبناء على التحليل السابق لهذه الاعمال ، امكن للمراقبة من تصميم مجموعات متعددة من بطاريات اختبارات الحرف المختلفة ، على اساس ان كل اختبار منها يقيس قدرة او مهارة مهنية كشف عنها التحليل ، وبين ان العمل يتطلبها او انها اساسية للنجاح في هذا العمل . واول هذه الاختبارات واهمها هي بطارية اختبارات حرف المعادن — وهي تعتبر من اقدم البطاريات المستخدمة في المراقبة واكثرها تقنيناً، حيث ان المراقبة تجري عليها بحوثها الاحصائية والتجريبية من سنة ١٩٥٧ حتى الآن حتى تستكمل تقنينها النهائي . ولقد سرت هذه البطارية وغيرها من بطاريات الحرف المختلفة بعمليات التقنين والتجريب المختلفة من تحليل وحدات الاختبارات التي تتضمنها ، وترتيب اسئلتها حسب مستوى صعوبتها ، وتقدير ثبات كل فقرة وصدقها ، وحذف الفقرات غير المميزة من كل اختبار وتقدير الزمن النهائي للاختبار في صورته الجديدة ، ثم تقدير ثباته وصدقه بالطرق المختلفة ... الخ .

بعد كل هذا ضمت بعض الاختبارات التي تقيس قدرات معينة مع بعضها على نها بطارية واحدة تقيس القدرات والسمات المهنية المتطلبة لحرف معينة ، او لعمل امعين .

وعلى سبيل المثال تتكون بطارية اختبارات حرف المعادن من الاختبارات الآتية :

١ – الاستدلال اللفظي	٢ – اختبار الذكاء الاعدادي
٣ – اختبار الاستدلال الميكانيكي	٤ – اختبار تذكر الاشكال
٥ – اختبار التصور المكاني	٦ – اختبار تكميل الاشكال
٧ – اختبار المعلومات الميكانيكية	٨ – اختبار العمليات الحسابية
٩ – اختبار التجميع الميكانيكي	١٠ – اختبار ثبات اليد

اما الجزء المكمل لهذه البطارية وللبطاريات الاخرى ، فهو تقدير الجانب الانفعالي او الشخص في عملية الاختبار . وتستخدم المراقبة في الوقت الحالي اسلوب المقابلة الشخصية Interview للتعرف على هـذه الجوانب لتتيح للاخصائي فرصة اكبر للتعرف على المفحوص عن كثب وتقدير مدى ثباته الانفعالي وقدرته العامة على التوافق في مراكز التدريب ، وفي العمل بصفة عامة . وللمقابلة استمارة خاصة تقيد فيها ظروف الطالب الاجتماعية ونشاطه الدراسي والمهني وميوله المختلفة ، كما ان هناك استمارة اخرى تقدر فيها السمات الشخصية باوزان معينة .

ولدى المراقبة اختبارات شخصية اخرى اهمها اختبار زازلو الجمعي – وجرى البحث الآن لتطبيقه بشكل جمعي لتقدير سمات المرونة والجمود لدى الطلبة ، كما ان هناك اختباراً « خاصا » بالتوافق المهني ، بيد ان هذين الاختبارين ما زالا في طور الاعداد والتقنين ، ومن المعتقد ان نتائجها سوف تساعد في التعرف على الجوانب المختلفة الشخصية بالاضافة الى نتائج المقابلة .

وثمة بطاريات من الاختبارات لكل حرفة من الحرف المذكورة قبلاً .

وجميع البطاريات السابقة خاصة بالتلمذة الصناعية – وهو نظام مراكز التدريب

التي تقبل خريجي المدارس الاعدادية العامة ، والذي لا يزيد سنه عن ١٨ سنة – ويستمر برنامج الدراسة ٣ سنوات بالنسبة لاي مركز .

كما توجد لدى المراقبة مجموعة اخرى من البطاريات المختلفة التي لم يكتمل تقنينها بعد مثل بطارية حرف البناء وبطارية حرف الطباعة وبطارية حرف التعدين – هذا بالاضافة الى بطاريات التدريب السريع الذي طبقته المصلحة منذ سنة ١٩٦١ ، وهذا النظام لا يشترط في المتقدم ان يكون حاصلاً على الاعدادية العامة – كما هو الحال بالنسبة لنظام التلمذة الصناعية التي تشترط في المتقدم ان يكون حاصلاً على الاعدادية العامة ولا تزيد سنه عن ١٨ سنة ، ويستمر التدريب في نظـام (التدريب السريع) من ثلاثة اشهر حتى ثمانيـة وذلك حسب نوع الحرفة وهو يشمل التدريب على حرف النسيج ويمكن قبول الصانع الذي سنه اكثر من ١٥ سنة ، وحرف المعادن ، ويمكن قبول الصانع الذي يزيد سنه عن ١٩ سنة ، وحرف الكهرباء ايضاً وحرف البناء . وجميع هذه المراكز تشترط في المتقـدم ان يجيد القراءة والكتابة – وتهدف من هذا النظام الى رفع مستوى الكفاية الانتاجية للعمال الحاليين او العمال الجدد لتؤهلهم لان يكونوا عمالاً ممتازين .

وبطارية التدريب السريع لا تقيس القدرات بالمعنى المعروف ، انما تقيس القدرة على القراءة والكتابة والعمليات الحسابية والذكاء العـام (القدرة على الفهم او الاستدلال اللفظي) هذا بالاضافة الى الاختبارات العملية المختلفة التي سبق عرضها في بطاريات التلمذة الصناعية وذلك على حسب نوع الحرفة .

وبعد نجاح المتقدم في الاختبارات السابقة يتقدم الصانع للمقابـلة الشخصية .

وتعمل المراقبة على عمل صور لاختبارات البطاريات المختلفة واستخراج معايير

جديدة لها لتتفق مع التغيرات الدائمة التي تحدث في طبيعة العينة والمستويات الثقافية لها ، كما تقوم الوحدة الاحصائية بالمراقبة باستخراج معاملات الارتباط بين اختبارات كل بطارية وتقوم ادارة البحوث بالدراسات العاملية المختلفة لاستخراج العوامل التي تتضمنها كل بطارية واختصار عدد الاختبارات ، والاقتصار على أكثر الاختبارات تشبعاً ونقاء .

وفيما يلي احصائية كلية شاملة بعدد المتقدمين لمراكز التدريب التي تم اختيارهم عن طريق بطاريات الاختبارات المختلفة بالنسبة لجميع المراكز من سنة ١٩٥٧ حتى سنة ١٩٦٢

* * *

احصائية تبين مدى نشاط مراقبة الاختبارات النفسية في القيام بعمليات الاختبار المهني من سنة ١٩٥٧ الى سنة ١٩٦٢

سنة	عدد	ملاحظات
١٩٥٧	٢٣٠	مركز المعادن — مركز الزجاج
١٩٥٨	١١٨٢	〃 〃 — 〃 〃 — مركز البناء
١٩٥٩	٤٩٢٣	〃 〃 — 〃 〃 — 〃 〃
١٩٦٠	٢٣٨٢	〃 〃 — 〃 〃 — 〃 〃 ومركز الجلود
١٩٦١	٧٥٣١	مركز المعادن — زجاج — جلود — نسيج — تدريب سريع
١٩٦٢	٩٠٠٤	مركز المعادن — زجاج — جلود — نسيج — كهرباء — تدريب سريع .

خطة الاختبار التي تقوم بها مراقبة الاختبارات النفسية :

لما كان الاختبار المهني عملية منظمة تعتمد على مبادىء اساسية ، لذلك كان لا

بد ان يكون هناك برنامجاً محدداً يتبع اسلوب المنهج العلمي في كل من خطواته ، ويستوحي برنامج الاختبار خطواته من الهدف الذي يسعى اليه . ولما كان اول ما يهدف اليه هو المطابقة بين العامل وعمله ، وهو بالنسبة لمراكز التدريب المهني اختبار اصلح التلاميذ الذي يتوقع نجاحهم في برنامج التدريب ، وبالتالي صلاحيتهم لان يكونوا عمالا ممتازين في المستقبل .

لذلك يعتبر تحليل كل من العمل ، الاساس الاول لبرنامج الاختبار في المراقبة .

ولقد تناولنا في بداية هذا التقرير تحليل العمل والفرد ، وذكرنا ان المراقبة قامت بتصميم استمارة حديثة لتحليل العمل مع تعريف شامل دقيق لجميع متطلبات المهنة ، بالاضافة الى تحليل معظم الاعمال التي توجد في مراكز التدريب المختلفة . ثم ذكرنا ايضاً ان تحليل الفرد يعتمد على بطاريات الاختبارات المختلفة (حسب كل حرفة) - وان البحث جاري الآن لتقنين معظم بقية هذه البطاريات على عينات حديثة .

بيد ان تحليل الفرد بالاضافة الى اهتمامه بالنواحي العقلية او المعرفية (الاختبارات العقلية) يهتم ايضاً بالنواحي الانفعالية والمزاجية والشخصية المختلفة ، ويكشف عنها بواسطة المقابلة الشخصية ، اذ يعمل في المراقبة اكثر من عشرة اخصائيين نفسيين درب معظمهم على فن المقابلة وطريقة اجرائها وتقييم الفرد عن طريقها .

ويقع معظم التركيز في المقابلة المهنية على السمات الخاصة والسمات العامة ، وهو ما يعرف بالانفعالية العامة والثبات الانفعالي والواقعية في مجابهة مشاكل الحياة ومدى تحمل المسؤولية ، بالاضافة الى حسن التصرف وتقبل الذات واحترامها .

وتوجد معينة لتقييم هذه النواحي باوزان خاصة ، (استمارة المقابلة الشخصية)

كما نؤكد على عملية الاختبار على العوامل الاجتماعية او (البيئية) ، لانها تلقي الضوء على كثير من ظروف التربية التي مر بها الفرد وتساعد في التنبؤ بمدى نجاحه مستقبلاً في مهنته وتؤكد فيها العوامل داخل المنزل مثل الحالة الاقتصادية والظروف والمعاملة المنزلية ومشكلات المنزل وتوافق الفرد فيه ، والعوامل التي توجد خارج المنزل كالعمل او المدرسة والنشاط الاجتماعي وتقضية اوقات الفراغ . . . الخ ،وتوجد استمارة خاصة بذلك تعرف باستمارة الحالة الاجتماعية .

واكثر ما نهتم به في عملية الاختبار ، هو تكامل جميع البيانات عن الفرد في كل متحد من الناحية الكمية والكيفية ، بحيث تتضح لنا طبيعة شخصية الفرد من جميع الجوانب المختلفة حتى يتسنى مطابقتها المهنة المناسبة

ويبتدىء برنامج الاختبار بما يعرف « بكشف الهيئة » للتعرف على مدى الصلاحية واللياقة البدنية للمتقدمين للحرف المختلفة (طول - نظر - سن . . .) ، وبعد النجاح في كشف الهيئة تجري الاختبارات العقلية (على نوع الحرفة) ويبدأ عادة باختبارات الورقة والقلم ، فاذا نجح فيها بنسبة معينة حسب تقدير النسبة الحرفية وحاجة المراكز - يسمح له بتطبيق الاختبارات العملية والشخصية،فاذا نجح في كل منها قبوله في المركز المتقدم له .

نشاط المراقبة في غير عمليات الاختبار المهني :

تنقسم المراقبة الى ثلاثة اقسام رئيسية ، القسم الاول ، ويعرف بقسم اختبارات

النفسية ، وهو يقوم اساساً بعمليات الاختبار المهني وتحليل العمـل ، القسم الثاني ، وهو قسم البحوث النفسية يقوم اساساً بتصميم الاختبارات وتقنينها واجراء البحوث المختلفة عليها وعقد الندوات الخارجية والاشتراك فيها وحضور المؤتمرات العلمية والقيام بجميع الابحاث الميدانية المختلفـة . والقسم الثالث ، خاص بالاشراف الاجتماعي ، ويتضمن الاشراف الاجتماعي والرياضي في مراكز التدريب المهني وفي المؤسسات المختلفة التي يتدرب فيهـا طلبة السنوات النهائية في هذه المراكز هذه بالاضافة الى تنظيم النشاط الترفيهي ، وتتبع الحالات الاجتماعية وتحويلهـا اذا استدعى الامر الى الاخصائيين النفسيين في المراقبة . ويقوم القسم ايضاً بصرف المعونات المالية والقيام بالتوجيه الاجتماعي اللازم لبعض التلاميذ واولياء امورهم . وتقوم الاقسام المختلفة جميعها في بعض الاحيـان متعاونة في عملية التوجيه الفني والاجتماعي بالنسبة لبعض الحالات او لبعض المراكز التي يظهر فيها اي مشاكل اجتماعية او تربوية .

وبالاضافـة الى ذلك تقـوم المراقبة باختيار التلاميذ والصناع المتقدمين الى المؤسسات المختلفة في القطاع العام ومراكز التدريب فيها .

اهم البحوث التي قامت بها المراقبة :

قامت المراقبة منذ انشائها بتنفيذ كثير من البحوث السيكولوجية والاجتماعية . اذ بالاضافة الى بحوث تحليل العمل وتصميم الاختبارات المختلفة واستخراج معاييرها المختلفة وتقدير معاملات ثباتها بالطرق الاحصائية المعروفـة ، قامت ادارة البحوث باجراء دراسات مختلفة على هذه الاختبارات لتقدير مدى صدقها التجريبي سواء اكان ذلك بالطريقة التتبعية او بطريقة العمال الحاليين .

كما بذلت كثيراً من المحاولات لتحديد محكات مناسبة نرجـع اليها في

دراسات الصدق المختلفة ، كان اهمها ، النجاح في برامج التدريب المختلفة سواء اكانت نظرية او عملية . ولقد اكدت هذه الدراسات صدق بعض اختبارات البطاريات المختلفة ، وعدم صدق البعض الآخر – وهو الذي نقوم بتعديله او تغييره ليرفع من الصدق الكلي بطاريات الحرف المختلفة .

كذلك يقوم قسم البحوث بعمل البحوث العاملية المختلفة على البطاريات المتنوعة ، وقد ركز اساساً على بطارية المعادن وامكن استخراج مجموعة عوامل مستقلة بطريقة الجمع البسيط اسبرت ، واهم هذه العوامل يعرف بالذكاء الميكانيكي العام ، والقدرة الميكانيكية والقدرة العملية . ولقد اكدت هذه الدراسات ان معظم اختبارات بطارية المعادن تقيس قدرات مستقلة نوعاً وغير متداخلة مع بعضها الا في حدود ضيقة .

كما تم اجراء اكثر من بحث على المقابلة الشخصية لتطويرها ومحاولة توحيد اساليب اجرائها وقيادتها ، ولقد اكد البحث الاول ان نتائج المقابلة الشخصية تتعلق بسن المقابل وخصائصه السيكولوجية ، كما تتوقف على مدى ما حصله من تدريب وخبرة وقراءات مختلفة ، وان كل مقابل له نمط معين في التقدير يختلف عن غيره من المقابلين اختلافاً كمياً . وبعد اجراء برامج التدريب موحدة للمقابلين، امكن في البحث الثاني اثبات تقارب المقابلين مع بعضهم في كل من اساليبهم ونمط تقييمهم للافراد .

هذا بالاضافة الى البحوث الاخرى المتعلقة باختبارات الشخصية ، مثل اختبار زازلو واختبار التوافق المهني وبعض الاختبارات الفردية .

وفيما عدا ذلك تقوم المراقبة باعداد برامج لتدريب المشرفين والمدرسين من الوجهة السيكولوجية وتعرفهم بعلم النفس واصول التربية والتعليم ومبادئه

الاساسية ، وهذه البرامج قاصرة على مصلحة الكفاية الانتاجية فقط ، وهي دورية منتظمة ، خصوصاً بالنسبة لمعهد تدريب المدربين التابع للمصلحة .

كما قامت ايضاً بالاشتراك في المؤتمرات الدولية - مثل مؤتمر التلمذة الصناعية الدولي (لدى حوض البحر الابيض المتوسط) ، وقدمت فيه بحوثاً خاصة بالاختيار والتوجيه المهني في مراكز التدريب العربية . واشتركت ايضاً في مؤتمر تنمية الانتاج البشري الذي عقد في شهر اغسطس الماضي في الاسكندرية وقدمت فيه بحوثاً عن علاقة الاختيار والتوجيه المهني بزيادة الانتاج البشري وتطويره .

القسم الثالث

ما اسهم به المؤلفون العرب في المائة سنة الاخيرة
في علم الاجتماع

لبنان

بقلم الدكتور سمير خلف

١ - تمهيد :

منذ عام ١٣٧٥ حين اعتكف ابن خلدون في قلعة ابن سلامة قرب وهران ، وانكب مدة اربع سنوات على وضع «مقدمته» وضع لنا ، ربما من حيث لا يدري، حجر الاساس لما اصبح يعتبر بعد ذلك مساهمة كبرى منه في علم الاجتماع كمنهج علمي . ومن خلال جهده العقلي طرح لنا ابن خلدون بعض المبادىء الاساسية التي يرتكز عليها علم الاجتماع الحديث . وهذه المبادىء ، كما احسن تلخيصها تشارلز عيساوي هي (١) :

يتقدم المؤلف بالشكر من الآنسة حياة سلام والسيد فايز صيّاغ للمساعدة التي قدماها له في وضع هذه الرسالة .

(1) Charles Issawi, *An Arab Philosophy of History* (London: John Murray, 1950). pp. 7-13.

اولاً : ان الظواهر الاجتماعية تخضع لقوانين . ورغم ان هذه القوانين ليست مطلقة كالتي تسيّر الظواهر الطبيعية ، الا انها من الثبات بحيث تضبط الاحداث الاجتماعية في انماط منتظمة محدودة متسلسلة لهذا فان هذه القوانين تسهل على عالم الاجتماع فهم مجرى الاحداث المحيطة به .

ثانياً : ان هذه القوانين تؤثر على الجماعات ولا تتأثر بدرجة كبيرة بالحالات الفردية .

ثالثاً : لا يمكن اكتشاف هذه القوانين الا بجمع عدد كبير من الحقائق ، وملاحظة ما فيها من التوافق والتسلسل . ويمكن ، على العموم ، جمع هذه الحقائق من أحد مصدرين أو كليهما ، فاما ان نطلع على سجل ما مضى من الحوادث ، أو ان نراقب الحوادث الجارية .

رابعاً : ان مجموع القوانين هذه تنطبق على المجتمعات ذات البناء المتشابه ، دونما اعتبار لما بين هذه المجتمعات من تباعد في المكان والزمان

خامساً : ان المجتمعات ليست ساكنة راكدة ، بمعنى ان الاشكال الاجتماعية تتغير وتتطور على الدوام

سادساً : ان هذه القوانين اجتماعية ، وليست مجرد انعكاس للدوافع البيولوجية أو العوامل الطبيعية

واخيراً يجب ان نلاحظ ان ابن خلدون كان يقصد معالجة الظواهر الاجتماعية بشكل وصفي وموضوعي . فهو لم يمدح ولم يذم ، بل اراد ان يعرف ويكتشف

القوانين التي تتحكم في نشوء المؤسسات الانسانية ، لا ان يطلق الاحكام القيمية على تلك المؤسسات .

وحين نستعرض ما عالجه الكتاب العرب من بحوث اجتماعية في المائة سنة الاخيرة ، واذا وضعنا جانباً بعض المساهمات القليلة ، لا بد أن نخرج بحقيقة واحدة تبعث على الاسف ؟ وهي ان الكتاب العرب لم يفشلوا في تتبع خطى ابن خلدون فحسب ، لكنهم ، وفي اكثر من مناسبة ، تجاهلوا المبادىء التي وضعها منذ ما يقارب ستمائة عام .

وليس في هذه التهمة ، كما يبدو لنا من الوهلة الاولى ، شيء من الاجحاف والتجني . فالواقع انه لم يتبق لدينا الا القليل مما يمكن ان نسميه علم اجتماع بالفعل اذا طبقنا عليه مقياساً اكثر حزماً وصرامة ، اي اذا اشترطنا في اي منهج علمي وجود منهجي موحد وركائز نظرية واتفاق على اولوية الموضوع او المشكلة التي يتوجب على العالم الاجتماعي بحثها .

وعلم الاجتماع كما هو معروف اليوم ، يشارك بقية العلوم الاجتماعية مهمة دراسة السلوك الاجتماعي بطريقة علمية . والحقيقة انه ليس هناك خط واضح حاسم يفصل بين مختلف هذه العلوم . وقد بدأت الحدود بين مختلف العلوم الاجتماعية تمحي تدريجياً ، واصبح من الواجب دراسة السلوك الاجتماعي بالاعتماد على ركائز نظرية يشترك فيها اكثر من علم واحد . الا ان علم الاجتماع ، كأي منهج فكري ، ما زال يتميّز عن غيره من العلوم ببعض المفاهيم والقواعد النظرية وطرق البحث . وفوق كل ذلك ، فأن علم الاجتماع في الغرب ، قد اتخذ عدة اتجاهات ، نتيجة للتقاليد الفكرية المختلفة التي اهتدى بها علماء الاجتماع الغربيون

ويبدو ان هـذه المقاييس المنهجية لا تنطبق الا على القليل من المواد التي سنعرضها في هذه الرسالة . الا ان كلامي يجب ان لا يؤخذ ، على اية حـال ، على انه اعترافات بعدم وجود كتابات ذات علاقة بعلم الاجتماع فأن ما الفه المؤرخون والكتاب الاجتماعيـون ، والمربون ، والحقوقيون والصحفيون ، والاخلاقيون ، والروائيون وادباء المهجر ، زاخر بالمعلومات التي تهم علم الاجتماع ، والتي يمكن اعتبارها فرضيات اولية نتمكن بها من اختبار بعض التعميمات النظرية . ويمكننا سرد بعض الامثلة على ذلك .

فأنيس فريحة ، وهو استاذ للدراسات السامية ، وقد استطاع دون اية ممارسة سابقة للبحث الاجتماعي العلمي ، ان يصور لنا حياة القرية اللبنانيـة بنظره الثاقب ، وملاحظته الدقيقة (٢) وكذلك استطاع توفيق الشرتوني ، حين عاد الى وطنه بعد غربة ثلاثة عشر عاماً في المكسيك ، ان يرسم من خلال انطباعاته وملاحظاتـه العابرة صورة عن الحياة الاجتماعية وما طرأ على لبنان من التغيرات، بطريقة يحسد عليها الكثيرون من علماء الاجتماع في ذلك الوقت (٣) . كما ان ملاحظات فيليب حتي ، فيما يختص بالعلاقات التاريخية بين مختلف الجماعات الدينية في العالم العربي ، تلقي الكثير من الضوء على طبيعة الطبقات الاجتماعية (٤) وها هـو المنسنيور ميشال فغالي ، رغم كونه عالماً لغوياً في الاصل ، يقدم لنا جرداً جامعاً للخرافات والاقاصيص

(٢) ملحق ٢ : فريحة رقم ٤١ ، ٣٩

(٣) » » : الشرتوني رقم ٣٧

(٤) P. K. Hitti, *History* of *the Arabs*, 8thed., Macmillan, London, 1963.

الشعبية والامثال التي قد يستفيد منهـا كل من العالم الانثروبولوجي وعالم الاجتماع الريفي (٥) . واخيراً ، علينا ان نأخذ بعين الاعتبار ما انتجه الادباء من روايات وقصص قصيرة ومسرحيات ، ونذكر منهم على سبيل المثـال ميخائل نعيمه وامين الريحاني وسعيد تقي الدين وسهيل ادريس ، الذين عالجوا في ادبهم الكثير مـن المشكلات الجدية التي تهم علم الاجتماع .

ويعمد الباحثون الذين ينصرفون الى دراسة ظاهرة اجتماعية معينة في العالم العربي الى اهمال مثل هذا النوع من الادب والتغاضي عنه لانه لا يقـع في نطاق علم الاجتماع المنهجي المتعارف عليه .

يتبين لنا من هذا ان المقاييس الحازمة التي من شأنها ان تضيق مجال المنهـج ، وتحد من عدد المشتغلين فيه تستدعينا بالتالي الى الاعتراف بأن ليس لدينا الا القليل من علم الاجتماع ، وقلة من علمائه المحترفين . الا ان مقاييسنا هذه يجب ان تخف وتلين بعض الشيء ، لان علم الاجتماع في لبنان ما زال حديث العهد كمنهج اكاديمي ، وبغير ذلك لن تتكون لدينا سوى صورة جزئية عن التطور الفكري في هذا البـلد ، او مـا ساهم به الكتّاب العرب في علم الاجتماع في لبنان .

فالغرض من هذه الدراسة ، اذن ، بسيط واضح ، فاذا تشددنا في التعريف ، فلن يكون لدينا لا علم اجتماع ولا علماء اجتماع . الا ان هناك كمية لا بأس بها من الكتابات التي تهم علماء الاجتماع وتمت بصلة وثيقة لمجال عملهم .

---

(٥) ملحق ٢ : فنائي رقم ٦٠

٢ ـ عرض للمادة :

هناك حقيقة واضحة تماماً ولا تحتاج الى مزيد من الايضاح . وهي ان التقدم في اي فرع علمي يعتمد ، وبشكل نهائي ، على التطور في مجالي النظرية والبحث وعلى الترابط الوثيق بينهما . ومن ابرز اغراض علم الاجتماع ، في لبنان وفي كل مكان بلا شك ، تزويدنا بأدق تفسير للظواهر الاجتماعية ، كوسيلة تمكننا من التكهن والضبط بشكل افضل . فعندما نتكلم عن نظرية ما ، فاننا لا نعني سوى ذلك النظام من الفرضيات التفسيرية المترابطة والمرتكزات الفكرية . ونعلم اليوم ان نفاذ البصيرة لا يعطينا دائماً فرضيات علمية ، وان التأملات غير المنسقة ، التي لا تخضع للاختبار التجريبي ، لا تساهم في التقدم العلمي الا بالنزر اليسير . و كذلك شأن المعلومات والحقائق المجمعة بطريقة عشوائية غير مترابطة . وبالطبع لا يمكننا ان نعتبر كل بحث تجريبي جزءاً من علم الاجتماع . ولا يمكننا التأكد من انتظام اي حدث اجتماعي وامكانية معاودته الا بعد ان نربط بين ملاحظات معينة وبين بعض الفرضيات والمسلمات النظرية . والدراسات التجريبية وحدها هي التي تعطي لاي بحث اجتماعي الاسس العلمية . وهي المادة التي نستخلص منها التعميمات العلمية . وباختصار ، اذا اردنا للتخمينات النظرية والبحوث التجريبية ان تساهم في تطور العلم ، فيجب ان تتصف بالتكامل . وهذا الى جانب اشياء اخرى ، يفترض في النظرية الدقة اللازمة للبحث المباشر . ويفترض في البحث ان يسعى الى تأسيس تعميمات نظرية . ويجب ان نضع هذه الملاحظات العامة نصب اعيننا قبل ان نستعرض ما بين ايدينا من مادة .

ان استعراضنا لما ساهم به الكتاب العرب في علم الاجتماع في لبنان خلال المائة سنة الاخيرة ، حتى ولو كانت هذه المساهمة مجرد جرد ، لا بدّ وان يكون ذا

طبيعة انتقائية . ولا ندعي في هــذه الرسالة الكمال في استقصاء جوانب الموضوع كلها . ولسنا بصدد تقديم تقويم انتقادي لمجهودات الكتاب الفردية . بل سنعرض لطبيعة الكتابات ونوعيتها بشكل عام ، في محاولة لتبين اتجاهاتها وملامحهــا العامة ولهذا الغرض اعددنا التقسيمات العامة التالية ، لاستخدامها كوسيلة للتصنيف (٦) . وينبغي القول ان هذه التقسيمات لا تمثل تسلسلاً رتبياً لما في هــذه المؤلفــات من قيمة لعلم الاجتماع بالذات . كما انها ليست في الحصر بحيث تمنعنا من وضــع المادة تحت اكثر من فئة . وقد كان ادراج المادة تحت اي من هذه التقسيمات يعتمد على ابرز ما فيها من الصفات .

١ ـ **الدراسات التحليلية** : وتقع في المجال التحليلي التجريبي وتتضمن اختبار الفرضيات وجمع المعلومــات بشكل منسق ، واستعمال السلالم والضبط وطرائق البحث الاخرى .

وهي في الغالب من وضع العلماء الاجتماعيين المختصين ، وتنشر عــلى شكل بحوث واطروحات وكتب ومقالات في المجلات المختصة المتداولة على مستوى علمي . وينحصر قراؤها عادة في علماء الاجتماع المتمرسين المحترفين .

---

(٦) يستخدم لنكولن ارمسترونغ سلماً اكثر نبياناً للتسلسل الرتبي لتقديم نوعية البحوث الاجتماعية العلمية في الشرق الاوسط ، بحسب تشددها بالقوانين العلمية . انظر :

Lincoln Amstrong, "Middle East", *Contemporary Sociology*, Joseph Roucek, Ed., (New York: Philosophical Library, 1958), pp. 1057-1059.

٢ – **الدراسات الوصفية** : وترتكز على اسس نظرية ومنهجية سليمة . ولا تتضمن بالضرورة تحليلاً للعوامل او اختبار فرضيات معينة . وقد يعتمد تقديم المعلومات وتفسيرها على استشارة المراجع في المكتبة ، او على الاتصال المباشر ، او على المراقبة المشاركة . وقد لا يختلف مؤلفوها ، ووسطها ، وتداولها وقراؤها كثيراً عمن ذكرناهم في الفئة الاولى ، رغم ان بعض هذه الدراسات قد يؤلفها اناس ايسروا على قدر كبير من الممارسة لوسائل البحث العلمي . وتبعاً لذلك ، فقد يختلف كل من الوسط الذي تنقل فيه ، والجمهور الذي تتوجه اليه هذه الحالة .

٣ – **الدراسات النظرية العامة** : وهي ما يقدمه الكتاب من الدراسات الجدية المثيرة للاهتمام الا انها ليست تجريبية بالضرورة ، وهي عادة تتضمن اما بحثاً شاملاً او محصوراً يضعه الكاتب من خلال مطالعاته ، او جمعاً للمعلومات من مصادر ثانوية وفي اغلب الاحيان يكون موضوع مثل هذه الدراسات عاماً متسعاً يعالج بعض الملامح البارزة في المجتمع العربي . ويكون كتابها من العاملين في مختلف الحقول الثقافية ويتخذ نشرها عدة اشكال ، الا انها عادة تنشر في المجلات والكتب شبه العلمية ، وتتداول على مستوى اقليمي ويكون جمهورها على العموم طبقة المثقفين المتنورين .

٤ – **الدراسات الانطباعية والذاتية** : وهي الدراسات التأملية الضعيفة الاسناد ، المشوبة بالاجتهاد الشخصي ، والتي تفتقر عادة الى كل من النزعة التجريبية واستشارة المراجع . واغلب هذه المنشورات ذو مسحة اصلاحية ونزعة اخلاقية ، تستهدف اول ما تستهدف ، الاصلاح الاجتماعي . وقد يكون المؤلف اي شخص صاحب رسالة ينقلها عادة الى عامة الناس . وتتداول مثل هذه المطبوعات عموماً على نطاق محلي .

٥ ـ حلقات دراسية ومؤتمرات : وهذه لا تشكل ، فيما يختص محتواها فئة مستقلة . فالمؤتمرات بطبيعتها تجتذب اشخاصاً قد تتفاوت اهتماماتهم ومنطلقاتهم الفكرية . وتبعاً لذلك يمكننا ان ندرج ايا من هذه الدراسات المقدمة ، حسب موضوعها ومنهجها ضمن ما يناسبها من الفئات المذكورة اعلاه . غير انه من الانسب ، تنظيمياً ، ان توضع تحت عنوان مستقل . وغالباً يشرف على هذه المؤتمرات واحد من اربعة مصادر : الحكومات او المؤسسات التعليمية ، المنظمات العالمية ، او جمعيات الانعاش الخيرية . ولا يتسع مجال المشاركة فيها الا بعدد محدود ، وفي حالة نشر حيثيات هذه المؤتمرات ووقائعها ، يكون تناولها محدوداً ايضاً .

جدول ١ : الدراسات التحليلية

المؤلف	نوع المادة	الوسط	اللغة	الناشر	مكان النشر	السنة
طالب ماجستير	علم نفس اجتماعي	اطروحات	الانكليزية	مؤسسة تعليمية	لبنان	١٩٥٠-١٩٦٠
١٣	٩	١٥	٢٥	١٩	١٣	١٨
عالم نفس اجتماعي	علم اجتماع صناعي	مجلات مختصة	العربية	مؤسسة تجارية	الولايات المتحدة	١٩٦٠ —
٩	٧	١٠	١	٧	١٢	٨
طالب دكتوراه	علم التبيؤ	كتب			الجمهورية العربية المتحدة	
٢	٢	١			١	
عالم اجتماع	علم اجتماع ريفي					
١	٢					
عالم اقتصاد	العائلة					
١	٢					
	الطبقات الاجتماعية					
	٢					
	التغير الاجتماعي					
	١					
	مواضيع اخرى					
المجموع :	١					
٢٦	٢٦	٢٦	٢٦	٢٦	٢٦	٢٦

الدراسات التحليلية :

ان الجدول رقم «١٥» يبين لنا ان النصف بالضبط من ست وعشرين دراسة في هذه الفئة قد كتبه طلاب ماجستير في الجامعة الاميركية في بيروت . اما البقية فقسمة منها لمختصين في علم الاجتماع النفسي واثنتان لطلاب دكتوراه وواحدة لعالم اقتصاد ، واخرى لعالم اجتماع . وهذا التوزيع الغريب وبشكل خاص النسبة العالية لاطروحات الماجستير ، يعكس لنا بوضوح اثر المدرسة الوضعية الجديدة (neo-positivist) والمدرسة السلوكية (behaviorist) على علم الاجتماع الاميركي ، او على الاقل على ما يمثله في الجامعة الاميركية في بيروت . ويتسع مدى هذه الاطروحات ليشتمل على الموضوعات التالية : علم الاجتماع الصناعي ، التغيير البشري ، علم الاجتماع الريفي ، العائلة ، الطبقات الاجتماعية والتغير الاجتماعي . واذا استثنينا حالة واحدة (٧) ، فانه لم تنشر حتى الآن اية مقالة او رسالة صغيرة من هذه الاطروحات في المجلات ذات الاختصاص

اما الجزء الاكبر من الدراسات التحليلية ذات الطابع الجدي ، فقد كان ثمرة لجهود العاملين في حقل علم الاجتماع النفسي مثل ليفون ميليكيان بالاشتراك مع تيري بروثرو ولطفي دياب . وباستثناء حالة او اثنتين فأن هذه الدراسات تتخذ من طلبة الجامعة موضوعاً لهـا . وقد يختار المختصون بعلم الاجتماع النفسي المواضيع التي تتفق واهتماماتهم كالاتجاهات ، والاهداف ، السلوك الجنسي والانفتاح النفسي والتماءات الجماعات وبروز الشخصية التسلطية في طلبة الجامعة (٨) . ورغم الحصر

(٧) ملحق ١ : ارمسترونغ وبشور رقم ٣

(٨) ملحق ١ : مليكيان وبروثرو ودياب رقم ١ - ٤ - ٥ - ٦ - ٧ - ٨ - ٩ - ١٠ - ١١ .

والتحديد الواضحين في العينات التي بني عليها البحث ، فأن هذه الدراسات ستظل من المعالم البارزة في تاريخ البحث الاجتماعي في العالم العربي .

ومن بين الدراسات الست والعشرين جميعها لا نجد الا واحدة فقط ظهرت على شكل كتاب . اما البقية فعلى شكل اطروحات ومقالات في المجلات المحترفة . وهذا الكتاب هو « الرواد الصناعيون في لبنان » (٩) ليوسف صايغ . وهو ذو قيمة كبرى من عدة وجوه . فالطريقة المنظمة التي جمعت بها المعلومات بالاضافة الى ما اعتمد عليه البحث من مرتكزات نظرية وفكرية ، كلها تدل على الجهد الذي بذله المؤلف ، فليس مما يدعو الى العجب ، اذن ، ان يصبح هذا الكتاب موضع حفاوة واهتمام في الحلقات الثقافية العالمية ، بعد سنة واحدة فقط من صدوره .

وباستثناء مقالة واحدة نشرت بلغتين في وقت واحد ، فان كل الدراسات من هذه الفئة مكتوبة بالانكليزية وقد نشرت منها المؤسسات التعليمية تسع عشرة ، بينما تولت المؤسسات التجارية طبع السبع الباقية . اما بالنسبة لمكان صدورها فيمكن تقسيمها مناصفة بين الولايات المتحدة ولبنان . ونشرت مقالة واحدة منها في مجلة مصرية لعلم النفس . ويجب ان لا يغرنا هذا الرقم العالي نسبياً في لبنان . فالدراسات الثلاث عشرة التي صدرت في لبنان ليست الا اطروحات ماجستير غير منشورة . كذلك يجدر بنا ملاحظة ان الدراسات الست والعشرين جميعها قد ظهرت في السنين العشر الاخيرة

---

(٩) ملحق ١ : صايغ رقم ٣

جدول ٢ : الدراسات الوصفية

المؤلف	نوع المادة	الوسط	اللغة	الناشر	مكان النشر	السنة
كاتب شعبي ١٣	البنيان الاجتماعي ١٢	كتاب ٣٢	انكليزية ٢٩	دار نشر تجارية ٢٥	لبنان ٣٢	١٩٠٠–١٩١٠ ١
الكهنة ١١	التراث الشعبي ١١	مجلة مختصة ٢١	عربية ٢٨	مؤسسة تعليمية ٢٥	الولايات المتحدة ١٤	١٩١٠–١٩٢٠ ٦
مؤرخ ١١	اجتماع ريفي ١١	مجلة شبه علمية ٥١	الفرنسية ١٨	جمعيات محترفة ١٦	فرنسا ١١	١٩٢٠–١٩٣٠ ٦
عالم اجتماع ١٠	العائلة ٨	تقرير ٥		منظمات عالمية ٨	مصر ٨	١٩٣٠–١٩٤ ٥
مرشد اجتماعي ٧	العلاقات العرقية ٧	مجلة شعبية ١		الحكومة ١	انكلترا ٥	١٩٤٠–١٩٥٠ ١٣
عالم اقتصاد ٧	اجتماع صناعي ٥	محاضرة ١			النمسا ٥	١٩٥٠–١٩٦٠ ٣٢
لغوي ٤	انعاش اجتماعي ٥					١٩٦٠ — ١٢

انثروبولوجي اجتماع سياسي

١ ٤

حقوقي اجتماع حقوقي

٤ ٣

عالم نفس اجتماعي السكان

٣ ٣

جغرافي التغير الاجتماعي

١ ٣

الجريمة

٢

اجتماع مدني

المجموع ١

٧٥ ٧٥ ٧٥ ٧٥ ٧٥ ٧٥ ٧٥

الدراسات الوصفية :

ان نظرة عاجلة على توزيع كل من المؤلفين والمواضيع ، كما هو مبين في جدول «٤٢» ستلفت انتباهنا في الحال الى طابع عدم الاختصاص الذي يسود علم الاجتماع لكثرة المشتغلين فيه من الكتاب الهواة من مختلف الاتجاهات . وليس في ذلك ما يبعث على الدهشة . ففي غياب علماء الاجتماع المتمرسين المحترفين ، خاصة في مجتمع ذي بناء متغير وغير متجانس ، لا نستطيع ان نتوجه باللوم الى الكتاب او غيرهم ، اذا تصدوا لدراسة ما يجابهه مجتمعهم من مشاكل ، على طريقتهم الخاصة . ولبنان في الحقيقة لا يختلف في هذا المجال عن غيره . فان علم الاجتماع ابان نشأته الاولى في الغرب ، او على الاقل في الولايات المتحدة ، قد اجتذب بعض رجال الدين والمؤرخين والمصلحين الاجتماعيين والكتاب الشعبيين بمختلف اصنافهم . ومثلما فعل اقرانهم في الغرب ، فان هؤلاء الكتاب كما يبدو ، لم يلحقوا اي ضرر بعلم الاجتماع . وبالطريقة نفسها التي يدين بها علماء الاجتماع الاميركيون المعاصرون بالجميل لكتاب مثل سمنر ووارد وسمول ، فان علينا ان نعترف بفضل بعض رجال الدين عندنا ، امثال شمالي وفغالي وصافي الذين شرعوا في مطلع هـذا القرن في دراسة بعض جوانب الحياة العائلية والقروية . ورغم ان اكثر كتابات هؤلاء الكتاب الاوائل كانت بالفعل تقريرية ووصفية ، الا اننا لا نستطيع ان نمر عليها مر الكرام الا اذا اردنا ان نلصق بانفسنا تهمة التبجح الثقافي . فبدون هذه المؤلفات المفصلة الدقيقة الوصف ان يكون بامكاننا ان نرتقي الى مستوى الشرح والتفسير . وكما يبدو لنا في الجدول «٤٢» فان ثلاث مجموعات من الكتاب قد ادوا اكبر مساهمة من هذه الفئة ، وهم الكتاب الشعبيون ورجال الدين والمؤرخـون . ومن الكتاب الشعبيين يمكن ان

نذكر لحد خاطر ، توفيق الشرتوني، امين الريحاني، ونصرة محمود (١٠). اما الكهنة فقد حصروا اهتمامهم في ثلاثة مجالات هي الفن الشعبي ومؤسسات العائلة والقرابة وتقاليد الحياة القروية بشكل عام ، ودراسات الآباء فغالي وشمالي وصافي والبشعلاني وشيخو تعالج جميعها هذه المواضيع (١١) .

ومما يستدعي الاعجاب في هذه الدراسات الرائدة هو تخلي المؤلفين عن دور الوعاظ . فليس فيها اثر للنزعة الوعظية الاصلاحية التي نجدها عادة في كتابات رجال الدين بشكل عام . وبدلا من ذلك فانا نجد ثروة من الوصف الموضوعي الرصين للمعايير الاجتماعية ، والتراث الشعبي والتقاليد المتعلقة بتربية الاطفال ، والتنشئة الاجتماعية ، والزواج والطلاق والموت والجنازات .

اما المؤرخون ، فمجال اهتمامهم اوسع من هذا بالطبع . اذ ان دراساتهم تعالج عادة ، البنيان الاجتماعي كله . وفي هذا المجال قد يجد علماء الاجتماع مادة ذات قيمة لبحوثهم في كتابات فيليب حتي والبرت حوراني ونقولا زيادة وجورج حداد، وكمال صليبي واسحق موسى حسيني وعمر فروخ (١٢) .

---

١٠) ملحق٢ : خاطر رقم ٨٩ ـ ٥٠، الشرتوني رقم ٣٧، الريحاني رقم ٣٥ ، نصرة رقم ٥٤

١١) ملحق ٢ فغالي رقم ٦٠ ـ ٦١ ـ ٧٩ ، شمالي رقم ٧٥ ـ ٧٦ ـ ٧٧ ، صافي رقم ٩٣ ، بشعلاني رقم ٤٦ ، شيخو رقم ٥١ .

١٢) ملحق ٢ — حتي رقم ٩٣ ـ ٨٠ ، حوراني رقم ٦٤ ـ ٦٥ — ٨١ ، زيادة رقم ٧١ ، حداد رقم ٦٣ ، صليبي رقم ٥٢ ، حسيني رقم ٦٦ ، فروخ رقم ٧٨ .

وهناك وثيقة تاريخية غاية في الاهمية ، قلما يرجع اليها العلماء الاجتماعيون الاسف . وهي كتاب يضم بين دفتيه مجموعة من الدراسات نشرت عام١٩١٥ تحت عنوان « لبنان مباحث علمية واجتماعية » وقد عنيت بنشرها لجنة من الادباء برعاية اسماعيل حقي بك متصرف جبل لبنان في ذلك الوقت . وكان القصد منها استقصاء احوال لبنان بوجهيه العلمي والاجتماعي . ويشتمل الكتاب على قدر وافر من الجداول والاحصاءات التي تتعلق بالامور الصحية ، وعدد السكان والحالة الاقتصادية والمالية . كما تتناول هذه المجموعة ، بشيء من الاسهاب اخلاق اهل لبنان ومعاملاتهم الاهلية والعامة كما تتناول ايضاً وصف العادات اللبنانية خلال مراحل الحياة كالنسل والولادة وتربية الاولاد والافراح والاحزان . (١٣)

وفي هذا الكتاب تصادفنا تخمينات وملاحظات حدسية اثبت صحة بعضها العلم الحديث ونذكر على سبيل المثال ان هذه الدراسة قد سبقت ، وبالعبارات ذاتها تقريباً ، بعض ما توصل اليه ا . ت . بروثرو بعد دراسته لاساليب تربية الاطفال في لبنان (١٤)

ويبدو انني لست المعجب الوحيد بهذه الوثيقة التاريخية ، فان اديب لحود لا بد وانه قد تأثر بها ايضاً ، والا لما ذهب الى حد نقل كتابه باجمعه (والمنشور عام ١٩٥٧) وبشكل حرفي غالباً ، عن هذا المؤلف الاصيل (١٥) .

١٣) ملحق ٢ : حقي بك رقم ٢٩

١٤) E. T. Prothro, Child Rearing in the Lebanon, (Centre for Middle Eastern Studies, Harvard University, 1961).

١٥) ملحق ٤ : لحود رقم ١٨٣

اما مساهمة علماء الاجتماع من هذه الفئة ، فتكاد تكون وقفاً على شخص واحد هو عفيف طنوس . وكل المقالات المذكورة هنا هي نتيجة لدراسته حول بشمزين ، مسقط رأسه وهي قرية مسيحية ارثوذكسية في شمال لبنان . والمواضيع التي عالجها ، كالهجرة والسلوك الجماعي ، واستصلاح الاراضي ، والتربية الخ ... كلها حيوية وضرورية لفهم الحياة القروية في اطار مجتمع متغير متحرك ، وقد كانت هذه الدراسات في العشرين سنة الاخيرة منبعاً زاخراً بالآراء والمعلومات لبقية العلماء الاجتماعيين نظراً لصواب منهجها ولاختلاط مؤلفها مباشرة مع اهل قريته (١٦) .

وقد صدرت مؤخراً دراسة اخرى تتعلق بالقرية، وقد لا تجاري سابقتها بالمضمار النظري ، وهي لتوفيق توما عن قرية حدث الجبة . والدراسة وصفية عموماً بطبيعتها وتنحو منحى تقليدياً في دراسة المجتمعات القروية (١٧) .

وتأتي مساهمات المرشدين الاجتماعيين وعلماء الاقتصاد بعد ذلك من حيث الحجم . وقد اهتم المرشدون الاجتماعيون كما هو متوقع بالرفاه الاجتماعي وتحسين الريف بشكل اساسي ، وقد كان المركز الدولي للتربية الاساسية في العالم العربي ، سرس الليان ، اكثر الجميع انتاجاً في هذا المضمار بدون شك . فمنذ عام ١٩٥٤ نرى كتاباً مثل منذر حيدر ، ابراهيم دياب ، امين النجار ، جورج حويك ، كاظم الحاج علي ، وجميلة العاقل (١٨) ، يوجهون عنايتهم للمراكز الاجتماعية الريفية في لبنان ،

١٦) ملحق ٢ : طنوس رقم ٥٣ ـ ٧٠ ـ ٩٤ ـ ٩٥ ـ ٩٦ ـ ٩٧ ـ ٩٨ ـ ٩٩ ـ ١٠٠
١٧) ملحق ٢ : توما رقم ٦٨
١٨) ملحق ٢ : حيدر رقم ٣٣ ، دياب ٣٤ ، النجار رقم ٤٥ ، حويك رقم ٣١ الحاج علي رقم ٢٨ ،

خاصة فيما يتعلق بادارتها واغراضها وتوصياتها الرامية الى استغلال هـذه المراكز بشكل افضل .

اما بالنسبة لكتابات علماء الاقتصاد ، ذات القيمة الاجتماعية ، فتشمل بالطبع مواضيع اكثر اتساعاً ، وعلى سبيل المثال فقد اخترنا ثلاثة مجالات هي : العلاقات بين العمال والادارة ، وعلم السكان ، والضمان الاجتماعي . ويمكن لعلماء الاجتماع ان يعتمدوا كمنطلق لابحاثهم الدراسات الوصفية والتفسيرية التي قدمها يوسف صايـغ وجورج حكيم وبول خلاط والياس سابا وسليم الحص وشارل عيساوي (١٩) .

وكما اشرنا آنفاً ، فان اللغويين والحقوقيين قد اسهموا مساهمة كبرى في فهم الظواهر الاجتماعية في لبنان . فمؤلفات انيس فريحة مثلاً ، سواء اكانت استعـادة مشوبة بالحنين للقصص السالفة ، ام عرضاً للامثال الشعبية ، ام تدويناً لتراث القرية المندثر ، هي مصادر غنية بالمعلومات والملاحظات الذكية (٢٠) . ومن دواعي الاسف الشديد ان علماء الانتروبولوجيا والاجتماع قلما يرجعون اليها قبل شروعهم في اية دراسة علمية لمجتمع القرية .

وكتابات فؤاد عمون وبشارة طباع وابراهيم عوض تعتبر من ابرز ما ساهم به الحقوقيون في هذا المجال . فدراسة فؤاد عمون عن الجريمة في سوريا ولبنان وفلسطين رغم قدمها (١٩٢٩) ما تزال المرجع الوحيد المعتمد حول هذا الموضوع . والكتاب

---

١٩) ملحق ٢ : صايغ رقم ٩٣ ، حكيم رقم ٧٣ ، خلاط رقم ٨٤ ، سابا رقم ٩١ ، الحص رقم ٤٨ ، عيساوي رقم ٨٢ .

٢٠) ملحق ٢ : فريحة رقم ٣٩ — ٤٠ — ٤١

يشتمل على معلومات عن اشكال الجريمة ، ووسائل منعها واصول القوانين الجزائية والحد من انتشار الجرائم (٢١) . وكتابات بشارع الطباع في القانون السياسي ، رغم ما يطغى عليها من صبغة نظرية عامة ، تتطرق الى العوامل التاريخية والاجتماعية التي تؤثر على اشكال الملكية والفردية في سوريا ولبنان (٢٢) . ودراسة ابراهيم عوض عن القوانين الخاصة بالموارنة ابان حكم الشهابيين (١٦٩٧ – ١٨٤١) تشتمل على ملاحظات قيمة حول قوة الكهنة والنبلاء الاقطاعيين والطبقات الاجتماعية ، ومنزلة الفرد في مجتمع تسيره علاقات القربى (٢٣) .

اما مساهمة علماء الانتروبولوجيا من هذه الفئة كمساهمة علماء الاجتماع وقفاً على جهود باحث واحد هو الاب سليم عبو ، وقد ركز الاب عبو اهتمامه كدارس للثقافة على استقصاء الجذور التاريخية والثقافية للازدواجية اللغوية في لبنان وتبيان بعض نتائجها الاجتماعية والنفسانية . والبحوث المذكورة هنا مأخوذة عن رسالة تقدم بها المؤلف لنيل الدكتوراه من السربون عام ١٩٦٢ (٢٤) ويمكن لعلماء الاجتماع المهتمين بالثقافة الشعبية والتغير الاجتماعي ان يجدوا فيها الكثير من المواد القيمة التي تبحث في بعض المؤثرات الاجتماعية والنفسانية في الادب المعاصر .

---

٢١) ملحق ٢ : عوض رقم ٥٧

٢٢) ملحق ٢ : طباع رقم ٦٧ – ٦٨

٢٣) ملحق ٢ : عوض رقم ٥٨

٢٤) ملحق ٢ : الاب عبو رقم ٥٥ – ٥٦ – ٧٢ – ١٠١

بقي علينا ان نستعرض مساهمة آخر فئتين من الكتاب ، وهم علماء النفس وعلماء الجغرافيا البشرية . فعلماء النفس الاجتماعيون كما يبدو من كتابات ليفون مليكيان وبرغوري نجاريان قد ركزوا اهتمامهم على دراسة اعراض ونتائج العلمانية والتغير الاجتماعي في لبنان . ويقدم لنا مليكيان دليلين على هذه التيارات ، الاول انهيار سلطة الاب والثاني الميل الى اعطاء اسماء دنيوية للاطفال عند العماد عند الجماعات المسيحية (٢٥) . بينما درست نجاريان من جهة اخرى ، التغير في انماط العلاقات العائلية (٢٦) .

ومن حقل الجغرافيا البشرية ، تأتي مساهمة سعيد شهاب الدين ، وهي دراسة وصفية بحتة للتركيب المدني لمدينة بيروت . وتستعرض هذه الدراسة وهي ايضاً رسالة دكتوراه مقدمة السوربون سنة ١٩٥٣ ، التطور التاريخي لمدينة بيروت ولوظائفها المدنية وللانماط العامة لحياة سكانها بمختلف قطاعاتهم (٢٧) .

هل نستطيع الآن ، بعد ان لخصنا مساهمات الكتاب بمختلف فئاتهم ان نستخلص اطاراً عاماً فيما يختص بطبيعة مواضيع البحث . ان الجدول «٢» يبين لنا ان الدراسات المتعلقة بالبنيان الاجتماعي ، وعلم الاجتماع الريفي والتراث الشعبي والعائلة قد حازت على القدر الاكبر من الاهتمام . ويمكننا بشكل عام ان نقدم سببين لتفسير هذا الميل . الاول ان الحياة القروية كانت على الدوام نموذجاً للفضائل التقليدية ورمزاً لبعض القيم الخاصة بتراث لبنان الثقافي . وقد بدأت هذه السمات

---

٢٥) ملحق ٢ : ملكيان رقم ٨٦ ــ ٨٧

٢٦) ملحق ٢ : نجاريان رقم ٨٨

٢٧) ملحق ٢ : شهاب الدين رقم ٥٩ .

الثقافية الى جانب روابط القربى ، بالاندثار خلال عمليتي التحضر والتغير الاجتماعي. وتبعاً لذلك فقد دفع هذا الكثير من الكتاب الى ملاحظة الملامح الثقافية للقرية وتدوينها قبل ان يطويها النسيان. والسبب الثاني هو ان الاهتمام بالتنمية الريفية والرفاه الاجتماعي قد اثار الرغبة في الاصلاح والتطوير الاجتماعي في نفوس الجماعات والمؤسسات ذات النشاط التوجيهي في الشرق الاوسط . وقد ادى هذا ايضاً الى الاكثار من البحث في هذا المجال .

وقد كان هناك مجال آخر للبحث استقطب كمية لا بأس بها من الكتابات ، هو العلاقات العرقية والاقليات. ففي مجتمع مثل لبنان يتصف بتكوين فسيفسائي للسكان وبنيات غير متجانس ، يصبح من الصعب اغفال هذا النوع من البحث .

ويأتي بعد ذلك ما نشر من بحوث حول الرفاه الاجتماعي ، وعلم الاجتماع الصناعي والحركات الاجتماعية او المؤسسات السياسية . اما ما نلاحظه من عدد الدراسات القليل نسبياً في علم السكان وعلم الجريمة وعلم الاجتماع المدني فيجب ان لا يؤخذ دليلاً على قلة الاهتمام بهذه المجالات او على عدم الحاجة اليها، بل ان ذلك يرجع الى افتقارنا الى الاحصائيات الموثوقة وعلماء الاجتماع المتدربين . فدراسة السكان والتحضر والجريمة تختلف عن دراسة الحياة القروية او التراث الشعبي في انها تتطلب معرفة بطرائق البحث ، الى جانب توفر الاحصائيات الحيوية .

ما الذي يمكننا قوله عن المادة التي تقع ضمن هذه الفئة من حيث وسطها ولغتها وناشرها ، وهل تبين لنا نمطاً او اتجاهاً معيناً ؟ ان الجدول «٣» يظهر لنا ان اثنتين وثلاثين مادة من التي عرضنا لها (وهي اقل من النصف بقليل) قد نشر على شكل كتب. اما البقية فقد توزعت على الشكل التالي : واحد وعشرون مقالة في مجلات مختصة ، وخمس عشرة في مجلات شبه علمية ، وخمسة تقارير ومقالة واحدة

في مجلات شعبية ومحاضرة واحدة . واذا قارنا هـذا بتوزيع الدراسات التحليلية تبين لنا ان تغيراً واضحاً قد طرأ على وسائط هذه المطبوعات .

وقد تغيرت اللغة ايضاً . فقد نشرت من الدراسات التحليلية واحدة فقط باللغة العربية بينما ارتفع هذا الرقم هنا الى ثمانية وعشرين ، اما البقية فقد نشرت منها تسع وعشرون بالانكليزية وثماني عشرة بالفرنسية .

وقد تولت المؤسسات التجارية والمؤسسات التعليمية ، كما هو متوقع نشر الجزء الاكبر من هذه المواد بمعدل خمسة وعشرين لكل منهما ، ونشرت الجمعيات المختصة ست عشرة والمنظمات العالمية ثماني ، وتولت الحكومة نشر دراسة واحدة فقط .

وما زال لبنان في طليعة البلدان من حيث النشر ، فقد نشر في لبنان اثنتان وثلاثون دراسة من اصل خمس وسبعين ، وتأتي بعدها بالترتيب الولايات المتحدة ، ففرنسا ، فمصر ، فانكلترا ، فالنمسا .

ومن المفيد ان نعرف ان التغير قد لحق ايضاً بتاريخ نشر هذه الكتابات . فالرغم من ان اغلبها ، اربع واربعون ، قد نشر خلال العقد الاخير ، فان كمية لا بأس بها منها قد نشرت في العقد الاول والثاني والثالث من هذا القرن . وعلينا هنا ان نذكر انه لم تكتب دراسة تحليلية واحدة قبل ١٩٥٣ .

جدول ٣ : الدراسات النظرية العامة

المؤلف	نوع المادة	الوسط	اللغة	الناشر	مكان النشر	السنة
مؤرخ	الفكر والحضارة	مجلة شبه علمية	عربية	دار نشر تجارية	لبنان	١٩١٠–١٩٢٠
١٧	١٩	٢٩	٤٦	٢٦	٦٠	١
كاتب شعبي	التطور الاجتماعي والاقتصادي	كتاب	انكليزية	مؤسسة تعليمية	انكلترا	١٩٢٠–١٩٣٠
١٦	١٥	٢٥	٢٤	٢٥	٩	٢
عالم اقتصاد	عالم سياسي	محاضرة	فرنسية	الندوة اللبنانية	مصر	١٩٣٠–١٩٤٠
١١	١١	٢١	٩	٢٢	٥	٣
استاذ فلسفة	البنيان الاجتماعي	مجلة مختصة		جمعية محترفة	الولايات المتحدة	١٩٤٠–١٩٥٠
٦	٦	٤		٦	٥	١٦
صحفي	التغير الاجتماعي					١٩٥٠–١٩٦٠
٦	٦					٤٠
عالم سياسي	مشاكل الشباب					–١٩٦٠
٥	٥					١٧
حقوقي	عام					
٥	٥					

طبيب ٣	الشخصية القومية ٤					
اديب عربي ٣	السكان ٣					
استاذ في العلوم ٢	الجنس ٢					
مرابي ١	العائلة ٢					
كاهن ١	الفكر الاجتماعي ١					
عالم اجتماع ١						
عالم نفسي اجتماعي ١						
عسكري ١						
المجموع :						
٧٩	٧٩	٧٩	٧٩	٧٩	٧٩	٧٩

الدراسات النظرية العامة :

تتميز هذه الدراسات بحكم طبيعتها وخاصة ما هو تاملي منها عن الفئتين اللتين عرضناهما آنفاً ، بانها تستهوي من المثقفين عدداً اكبر واكثر تنوعاً . وقد تأكد لدينا هذا الرأي بعد استعراضنا لما سبق من مادة . وعلينا ان نتذكر ان الدراسات الوصفية قد اجتذبت احدى عشرة مجموعة من المؤلفين الذين وزعوا اهتمامهم على ثلاثة عشر مجالا من مختلف مجالات البحث . اما هنا فقد تغيرت النسبة بعض الشيء . فالمؤلفون من هذه الفئة رغم انهم من المشتغلين في خمسة عشر حقلاً فقد حصروا اهتمامهم في عدد اقل من المواضيع .

وقد كان المؤرخون ، من هذه الفئة ايضاً ، اكثر الكتاب عطاء . كما يتبين لنا من الجدول ٣ . ان نوعية اهتماماتهم نفسها قد تغيرت هنا . فلم يعودوا يركزون الكثير من الاهتمام على دراسة البنيان العام للمجتمع اللبناني . بل اصبحت كتاباتهم تدور حول موضوعات ثلاثة :

الاول هو دور المثقفين والتربية عموماً ، في نهضة المجتمع الثقافية ويتضح ذلك من كتابات كل من قسطنطين زريق ونبيه فارس ونقولا زيادة (٢٨) .

والثاني هو تأثير الغرب على المؤسسات الاجتماعية في الشرق الاوسط . وفي كتابات البرت حوراني ونبيه فارس امثلة على ذلك (٢٩) .

---

٢٨) ملحق ٣ : زريق رقم ١٢٢ــ١٢١ــ١٠٦ ، فارس رقم ١١٢ــ١٣٠ ، زيادة رقم١٢٣ .
٢٩) ملحق ٣ : حوراني رقم ١٦١ ــ ١١٨ ، فارس رقم ١٢٩

اما الموضوع الثالث والاخير فهو دراسة مراحل تطور الحركات الاجتماعية والمؤسسات السياسية ، كما يتمثل ذلك في مؤلفات نبيه فارس ونقولا زيادة وقسطنطين زريق وكمال صليبي وعمر فروخ (٣٠) .

وقد ابدى الكتاب الشعبيون ايضاً ، اهتماماً واضحاً بالمشكلات العامة للتطور الثقافي وبدور المثقفين في مجتمع متغير . فقد عالج فؤاد صروف في بعض مقالاته في مجلتي الابحاث والمقتطف بعض جوانب هذا الموضوع المتشعب (٣١) . كما ان كتابات انطون الجميل وجورج حنا تدور في هذا المضمار (٣٢) .

وهناك مجموعة اخرى من الكتاب الشعبيين مثل ميشال شيحا وهنري الجميل وفؤاد باشا الخطيب استجابوا لسلسلة من المحاضرات التي اشرفت عليها الندوة اللبنانية ، فانصرفوا الى دراسة مشكلة « اعمدة البيت اللبناني » وعالجوا مشكلة الشباب في مجتمع دائم التغير (٣٣) .

اما الفئة الاخيرة من الكتاب الشعبيين فقد ركزوا اكثر اهتمامهم على تعريف الجمهور ببعض المبادىء الاساسية لعلم الاجتماع . وضمن هذه الفئة يقع كتاب نقولا

---

٣٠) ملحق ٣ : فارس رقم ٥٧ ، زيادة رقم ١٧٢ ، زريق رقم ١٠٧ ، فروخ رقم ١٥٨ .

٣١) ملحق ٣ : صروف رقم ١٢٦ ـ ١٢٤ ـ ١٢٥

٣٢) ملحق ٣ : الجميل رقم ١١٩ ، حنا رقم ١٠٤

٣٣) ملحق : شيحا رقم ١٧٦ ، الجميل رقم ١٣٧ ، الخطيب رقم ١٤٠ ،

الحداد « علم الاجتماع » الذي صدر في جزئين عام ١٩٢٥ والذي يمكن اعتباره اول محاولة من نوعها في العالم العربي . كما ان القول نفسه يمكن ان ينطبق على كتاب يوسف داغر في الدعاية والنشر (٣٤) .

وباستطاعتنا القول ان علماء الاقتصاد فاقوا اية فئة اخرى من حيث اجتماعهم في الرأي ووضوح مفاهيمهم عن المشكلات الاساسية التي عالجوها وباستثناء حالتين او ثلاث فقد انصرفوا جميعاً الى دراسة مشكلة واحدة كبرى في اليقظة الاجتماعية والتنمية الاقتصادية . والواقع ان العديد من مؤلفات شارل عيساوي وسعيد حمادة وجورج حكيم التي تهم علم الاجتماع حول هذه المشكلة قد تتصف احياناً بالتكرار (٣٥) .

وقد تجنب ذلك يوسف صايغ الى حد كبير في محاولاته الجريئة الرائدة في كتابه « الخبز مع الكرامة » الذي يبحث فيه في المحتوى الاقتصادي الاجتماعي للمفهوم القومي العربي (٣٦) .

ويحتل الفلاسفة والصحفيون المرتبة الرابعة من حيث كمية كتاباتهم . وتعتبر مؤلفات كل من رينيه حبشي وهايج خاتشادوريان ذات اهمية خاصة بعلم الاجتماع فان ما تناولاه من معضلات وما ابدياه من تحسس للمشكلات الاساسية الخاصة بالبنيان

---

٣٤) ملحق ٣ : الحداد رقم ١٠٣ ، داغر رقم ١٠٥

٣٥) ملحق ٣ : عيساوي رقم ١٧٩ ــ ١٣٨ ــ ١٦٣ ، حمادة رقم ١١٦ ــ ١١٧ ــ ١٦٠ ، حكيم ١٣٩

٣٦) ملحق ٣ : رقم ١٠٩

الثقافي ، تشهد لها بالتفرد او ما يسميه س . رايت ملز « بالمخيلة الاجتماعية ». فان رينه حبشي في كتابه « حضارتنا على المفترق » (٣٧) وهو ترجمة عن محاضرات سبع القاهـا في الندوة اللبنانية ، يحـاول ان يتبين اسباب الشعور بالتأزم الذي طغى على العالم العربي ، خاصة بعد الحرب الاهلية التي نشبت في لبنان عام ١٩٥٨ . ان تفكير رينه حبشي الخلاق وتحليله للمواقف الثورية مثلاً يسهلان مهمة عـالم الاجتماع المهتم بدراسة الانتفاضات الاجتماعية .

ويكشف لنا هايغ خاتشادوريان ، وبالطريقة نفسها ، المواقف التي تبرز فيها قيمنا الاساسية واتجاهاتنا الثقافية ، ويحاول استقصاء جذورها التاريخية في مقالتيه الرصينتين « القناع والوجه » و « الايهام الخلقي في المجتمع العربي » (٣٨) .

اما الصحفيون ، فرغم مـا تتصف به كتاباتهم من المباشرة والاجتهـاد الشخصي بوجه عام ، فقد قام بعضهم احياناً ببعض التأملات القيمة حول المشكلات الاجتماعية الكبرى . واهتموا كغيرهم من المثقفين بهـذا الاحساس بالتأزم الذي تعانيه النخبة والشبيبة ، واهتموا كذلك بدراسة دور الرأي العام والتغير الاجتماعي وغيرها من القضايا الحيوية . وممن عالجوا مثل هذه المشكلات غسان تويني وسعيد عقل ورشدي المعلوف وجورج نقاش وفاضل عقل (٣٩) .

---

٣٧) ملحق ٣ : حبشي رقم ١٠٢

٣٨) ملحق ٣ : خاتشادوريان رقم ١٦٤ – ١٦٥ .

٣٩) ملحق ٣ : تويني رقم ١١٥ ــ ١٣٥ ، عقل رقم ١١٠ ، المعلوف رقم ١٤٦ ، نقاش رقم ١٨٠ ، عقل رقم ١٤٢

ويبدو ان الحقوقيين ، سواء في محتوى كتاباتهم ، او في منهجهم لم يخرجوا من الاطار العام للقضايا المذكورة اعلاه . فمشكلات الشباب والعلمانية ، والطائفية والبنيان الاجتماعي ، والاسس الخلقية للعائلة ، كلها قد استهوت الكثير من الحقوقيين امثال الشيخ ميشال الخوري وجوزيف مغيزل وادمون نعيم وجواد بولس وشارل حلو (٤٠) .

وفيما يختص بعلماء السياسة ، فأن فايز صايغ قد وضع كتاباً في غاية الاهمية هو « تفهم العقل العربي » (٤١) يساهم فيه في تحليل بعض القوى التاريخية والسياسية والنفسانية التي توجه تفكير العرب . كما ان مقالات وليد الخالدي وجبران مجدلاني ومحمد عياد ، التي ظهرت في مجلد واحد جمعه والتر . ز . لاكور ، والتي تتناول التيارات السياسية في الشرق الاوسط ، والحركة الاشتراكية العربية ومستقبل الثقافة في العالم العربي ، كلها تقدم مادة مهمة لعلماء الاجتماع في تحليلهم للحركات الاجتماعية والتغير السياسي (٤٢) .

والى هنا نكون قد استعرضنا المساهمات الكبرى لهؤلاء الكتاب بفئاتهم السبع . ولايختلف من تبقى من الكتاب كثيراً عمن عرضنا لهم سابقاً ، رغم الاختلاف في منهجيتهم . الا اننا هنا سنستثني حالتين ، الاولى دراسة

---

٤٠) ملحق ٣ : الخوري رقم ١٦٦ ، مغيزل رقم ١٦٨ ، نعيم رقم ١٦٧ ، بولس ١٧٥ ، حلو رقم ١٧٨ .

٤١) ملحق ٣ : صايغ رقم ١٥٣

٤٢) ملحق ٣ : الخالدي رقم ١٦٣ ، المجدلاني رقم ١٦٧ ، عياد رقم ١٥٥

انيس المقدسي عن « الاتجاه الاجتماعي في الادب العربي » وهي ذات قيمة كبرى لعلماء الاجتماع المهتمين بدراسة المعرفة والادب كظاهرتين اجتماعيتين (٤٣). والثانية كتاب كمال اليازجي « ملامح من فلسفة العرب الاجتماعية » . وهي مصدر وافر المادة بالنسبة لتطور الفكر الاجتماعي . والكتاب يشتمل على مقتطفات من كتابات ابن طفيل واخوان الصفا وابن خلدون وابن سينا والفارابي، وقد قدمهم المؤلف تحت ثلاثة عناوين هي المجتمع الناشئ، المجتمع الراهن، والمجتمع الفاضل (٤٤) .

والمؤلف الوحيد الذي وضعه عالم الاجتماع ، ويمكننا اعتباره من هذه الفئة هو كتاب سنية حمادة « مزاج العرب وشخصيتهم » (٤٥) وكشأن كل الدراسات التي تبحث في الشخصية القومية (National Character) فان منهجية المؤلفة وبعض ما اطلقته من تعميمات حول القيم السائدة في المجتمع العربي يمكن بسهولة ان تكون موضع تساؤل . وبالنسبة لهذا الكتاب بالذات فقد ذهبت المؤلفة في تفسيراتها التأملية الانطباعية الى حد قد يؤدي بالقارئ الى تجاهل ما في الكتاب من حسنات .

وهكذا يبدو لنا ان الكتاب عموماً وعلى اختلاف مجالاتهم الفكرية ، قد اظهروا شبه اجماع على اولوية المواضيع المدروسة . غير ان هذا الاجماع لم يكن

---

٤٣) ملحق ٣ : المقدسي رقم ١٣٢ - ١٣٣ .

٤٤) ملحق ٣ : اليازجي رقم ١١٤

٤٥) ملحق ٣ : حمادي رقم ١٥١

بارزاً باي شكل من الاشكال . الا اننا اذا استثنينا بعض الدراسات كتلك التي تبحث في دور المثقفين في تطور الثقافة في المجتمع والتطورات الاجتماعية والاقتصادية، وبعض جوانب التموع السياسي . وهي المجالات التي استهوت عدداً لا يستهان به من الكتاب ، فانه سيتبين لنا ان الكتاب لم يطرقوا ما تبقى من المواضيع الا نادراً . وعلى سبيل المثال ، نلاحظ ان ستة من اصل تسع وسبعين دراسة بين ايدينا ، قد عالجت بعض الملامح الاساسية للبنيان الاجتماعي . ومثل هذه الدراسات هي ما نحتاجه بشكل جوهري لفهم الانماط الاساسية لمجتمع انتقالي كمجتمعنا . وبدونها قد لا نستطيع البدء بتكوين اية فرضيات عن بنيان مجتمعنا .

والجدول ٣ يبين لنا ان تسعاً وعشرين من هذه الكتابات قد نشر في مجلات شبه علمية ، وخمساً وعشرين على شكل كتب واحدى وعشرين منها قدمت اصلاً في محاضرات ، وان اربعة فقط من المقالات نشر في مجلات مختصة .

واذا قارنا هذه الدراسات بالدراسات التحليلية والوصفية لتبين لنا ان الجزء الاكبر من الكتابات في هذه الفئة ، قد نشر بالعربية . وعلى التحديد فان ستة واربعين (اي سبعة وخمسين بالمائة) من المطبوعات قد ظهرت بالعربية واربعة وعشرين بالانكليزية ، وتسعة فقط بالفرنسية .

وهنا ايضاً نلاحظ ان مؤسسات النشر التجارية قد تقدمت بقية وسائط النشر بشكل محسوس . وقد كانت من المؤسسات التعليمية والندوة اللبنانية على مستوى واحد من النشاط . ومن الجدير بالملاحظة هنا ان ستا فقط من المطبوعات قد نشرت بواسطة مؤسسات خاصة .

وقد نشرت في لبنان ستون من اصل تسع وسبعين دراسة ونشرت تسع في انكلترا وخمس في كل من مصر والولايات المتحدة .

واخيراً، اذا استعرضنا تواريخ نشر هذه المطبوعات فاننا لن نجد اي تغير يذكر . فقد كان العقد الماضي كما هو متوقـــع وافر الانتاج فان اكثر من اثنين وسبعين بالمائة من جميع المطبوعات قد ظهر في السنين العشر او الاثنتي عشر الماضيـــة ولم ينشر في العقود الثلاثة الاولى من هذا القرن الا القليل .

جدول ٤ : الدراسات الانطباعية الذاتية

المؤلف	نوع المادة	الوسط	اللغة	الناشر	مكان النشر	السنة
كاتب شعبي	مشاكل اجتماعية	مجلة شعبية	عربية	دار نشر تجارية	لبنان	١٩٠٠–١٩١٠
٣٤	١٣	٢٩	٣٥	٣٤	٢٢	١
كاهن	مقام المرأة	كتاب		مؤسسة تعليمية	مصر	١٩١٠–١٩٢٠
١	٨	٥		٢	١٣	١
	اجتماع سياسي	مجلة شبه علمية				١٩٢٠–١٩٣٠
	٦	١				٦
	العادات والاخلاق					١٩٣٠–١٩٤٠
	٤					٨
	عام					١٩٤٠–١٩٥٠
	٣					٨
	اجتماع ريفي					١٩٥٠–١٩٦٠
	١					١١
المجموع						
٣٥	٣٥	٣٥	٣٥	٣٥	٣٥	٣٥

الدراسات الانطباعية الذاتية

انه لمن الصعب جداً ان نضع اية حدود على نوعية الكتابات الواقعة ضمن هذه الفئة ، ويمكننا في الواقع ان نوسع قائمة المطبوعات من هذا النوع لتضم مجموعة كبيرة من الدراسات التأملية والمعتمدة على الاجتهاد الشخصي . وهذه الفئة ليست جامعة بحد ذاتها . فان اية دراسة ، مهما تشددت في التزام قواعد الموضوعية ، لا بد وان تحتوي على بعض التفسيرات الشخصية . الا ان الدراسات الخمس والثلاثين التي سنلخصها فيما يلي تتسم بملامح عامة تميزها عن بقية المواد .

وعلينا ان نلاحظ منذ البداية ان غالبية هذه المؤلفات تميل الى دراسة المشكلات الاجتماعية . وهذه الصفة ، بحد ذاتها لا تبعث على اليأس اذا اتجهت الدراسة الى الفهم اكثر مما تتجه الى الاصلاح . ومن المتفق عليه ان معالجة مواضيع من هذا النوع تغري في كثير من الاحيان الى اتخاذ مواقف اخلاقية وشخصية الا ان المرء مثلاً يستطيع ان يتحدث عن التغير في مكانة المرأة والحجاب والبغاء والهجرة دون ان يضفي عليها صفة الرذائل الاجتماعية ، كما لو كانت من عمل قوى لا اخلاقية شريرة في المجتمع .

والجدول ٤ يبين لنا ان ما يقرب من اربعين بالمائة من هذه المطبوعات يتناول بعض المشكلات الاجتماعية ، سواء منها الخاص والعام ، وتحتل منها الهجرة المنزلة الاولى . ومقالات اديب فرحات ووداد سكاكيني في العرفان والرسالة تعالج طبيعة الهجرة ونتائجها فيما يختص ببعض المناطق في لبنان (٤٦) .

---

٤٦) ملحق ٤ : فرحات رقم ٣٠٦ ، سكاكيني رقم ٣٠٠

اما قضايا التقدم والتغير الاجتماعي ، فلانها تخلق بعض الاضطراب داخل النظام الاجتماعي ، فقد عولجت كمشكلات اجتماعيـة . ويمكن ان نتبين اشارات الى هذا الاتجاه في كتابات جورج حنا ونزار رضا ونقولا حداد وفريد ملحم (٤٧) .

وبهذا المنطق الاخلاقي الاصلاحي نفسه نوقشت ايضاً قضايا الطائفية والصراع بين القوى الروحية والعلمانية ومساوىء البغاء . ويتمثل هذا المنحى فيما كتبه اديب فرحات ومحمود فضل الله وحبيب المعوشي (٤٨) .

اما موضوع التغير في مكانة المرأة ، والجدل حول مساوىء الحجاب ومحاسنه ، فقد استهوى جماعة اخرى من الكتاب الشعبيين . ومن الطريف ان سبعة من اصل ثمانية ممن عالجوا هذا الموضوع كانوا من النساء ، وكانهن بالطبع يطالبن بالتحرر وبمزيد من الحرية (٤٩) .

ومن جميع الكتاب الذين عرضنا لهم حتى الآن لا نجد واحداً اجتمعت فيه خصائص الكاتب الشعبي مثلما اجتمعت في نقولا حداد . فمنذ عام ١٩٢٥ ، حين اصدر كتابه « علم الاجتماع » في جزئين وهو لا يكاد يترك موضوعاً يمت لعلم الاجتماع من قريب او بعيد ، الا ويطرقه بشكل او بآخر . فهو الكاتب الانطباعي الشعبي بدرجة امتياز ، اذا صح التعبير .

---

٤٧) ملحق ٤ : حنا رقم ١٩٧ ، رضا رقم ١٩٨ ، الحداد رقم ١٨٧ ، ملحم رقم ٢١٥

٤٨) ملحق ٤ : فرحات رقم ٢٠٥ ، فضل الله رقم ٢٠٧ ، المعوشي ٢١٣

٤٩) ملحق ٤ : مروة رقم ٢١١ — ٢١٢ ، زين الدين رقم ١٨٣ ، قدورة رقم ٢٠٨ــ٢٠٩ سكاكيني رقم ١٩٩ — بيهم رقم ١٨١ .

ويمكننا ان نذكر على سبيل المثال المواضيع التالية التي تقع ضمن هذه الفئة ، وهي الوراثة الاجتماعية، والرأي العام الاجتماعي، الحرية والدكتاتورية ، الديموقراطية، العبودية ، السلام العالمي وغيرها (٥٠) .

والجدول ٤ يبين ان المناقشات حول العادات والاخلاق قد استحوذت على اهتمام بعض الكتاب الشعبيين . وفي هذا المجال تسنح الفرصة لتوجيه النصائح من قبل الذين ينصبون انفسهم حماة لفضائل المجتمع التقليدية . ويمكن ان نعثر على عدة اشارات الى هذا فيما كتبه الخوري انطون يمين وعيسى المعلوف وعباس مروة (٥١) .

ان هذه الدراسات لا تتميز بمحتواها ومنهجها الذاتي فحسب بل تختلف عن غيرها من انواع الدراسات من حيث الشكل ، واللغة، ونوعية المطبوعات التي نشرت فيها . فمن ناحية وسطها ، مثلاً نرى ان تسعاً وعشرين منها، من اصل خمس وثلاثين قد نشرت في مجلات شعبية كالهلال والعرفان والمقتطف ، وخمساً على شكل كتب، وواحدة فقط في مجلة شبه علمية . وكما هو متوقع ، فقد تولت دور النشر التجارية طبع اربعاً وثلاثين منها . وقد صدرت هذه الدراسات الخمس والثلاثين كلها باللغة العربية .

اما بالنسبة لتواريخ النشر ، فيبدو ان هذه المواد قد توزعت بشكل متساو على العقود الاربعة الماضية ، وقد صدر آخرها عام ١٩٥٣ .

---

٥٠) ملحق ٩ : الحداد رقم ١٨٦ الى ١٩٦

٥١) ملحق ٩ : يمين رقم ١٨٥ ، المعلوف رقم ١٨٦ ، مروه رقم ٢١٠ .

المؤتمرات والحلقات الدراسية :

لقد استجاب الكتاب في العالم العربي، كغيرهم من الكتاب في الدول الناشئة، بحمية وحماس لفكرة الاجتماعات والمؤتمرات . وليس في هذه الفكرة شيء من الجدة . فنحن نعلم ان العرب ، حتى في فترة ما قبل الاسلام قد استهوتهم مثل هذه التجمعات . واذا نظرنا الى ما عقد من حلقات دراسية في العقدين او الثلاثة عقود الماضية ، لتبينا ان الاهتمام بها لم يخف عن ذي قبل . وسوف نناقش هنا ما يهم علماء الاجتماع بنوع خاص ونعرض لها باختصار حسب تسلسلها الزمني .

١ - الاسابيع الاجتماعية ١٩٤٠ - ١٩٤٧

وقد شرعت جامعة القديس يوسف عام ١٩٤٠ بتنظيم مؤتمرات دورية باسم « الاسابيع الاجتماعية » على غرار اجتماعات مماثلة كانت تعقد في بعض مدن فرنسا الاساسية . وكانت الغاية من هذه الاسابيع عرض المشاكل الاجتماعية ، والعمل على دراساتها بأكثر ما يمكن من التمحيص ، والاشارة الى ما هو مناسب من حلول . وقد كانت المواضيع المختارة في كل سنة تتصف بالشمول والاتساع ، الا انها كانت تحتل المشاكل الحيوية التي ما زال لبنان يجابهها حتى اليوم .

وباستثناء « الاسابيع » الثاني ، والثالث ، والسادس ، والتي ركزت اهتمامها على مشاكل التربية الوطنية والموارد الطبيعية ، والشروط المسيحية لتحقيق السلام ، فان ما يتبقى منها يمت بصلة مباشرة امام الاجتماع .

فالحلقة الدراسية الاولى مثلاً ، تعالج موضوع المكاسب والاخلاق ، ومواضيع مثل المساومة وتأثير المذهب في اعمالنا الكسبية والاعمال الفائقة في المهن الحرة ،

والمشاريع الاقتصادية الكبرى في لبنان ، وكان ممن يشترك في تقديمها ميشال شيحا وجورج حكيم وبشارة طباع وجوزف نجار (٥٢) .

اما الحلقة الرابعة ، المنعقدة عام ١٩٤٣ ، فقد اتخذت من العائلة اللبنانية موضوعاً للنقاش ، وقد قدم بعض المشتركين ، وبشكل خاص ميشال شيحا وفؤاد عمون وروبير عبدو ، بحوثاً عن العائلة في وضعها الوطني والريفي . واستعرضت البحوث الاخرى العلاقة بين العائلة وبين المؤسسات الاقتصادية والقانونية والدينية (٥٣) .

وقد طرح موضوعا الحس بالمسؤولية الاجتماعية ، والوطنية ، في « الاسبوع » الخامس عام ١٩٤٤ ، وانصب اهتمام المشتركين هنا بشكل خاص ، على تبيان سيادة الفرد وقدراته غير المحدودة على المساهمة في تطوير الدولة (٥٤) .

اما آخر « اسبوعين » فقد خصصا لدراسة قضايا العمل وتحرير المرأة . وتكلم في الاول كل من جوزيف دوناتو وجورج اسمر وانطون خليفة والبير سارة ، عن القوة العمالية ، وبيئتها الاجتماعية العائلية ، وعن التشريعات العمالية والمنظمات العمالية (٥٥)

٢ ـ الحلقات الدراسية الاجتماعية للدول العربية :

وكان من ثمار التعاون بين منظمة الامم المتحدة وجامعة الدول العربية في الميدان

---

٥٢) ملحق ٥ : الاسابيع الاجتماعية رقم ٢١٦

٥٣) ملحق ٥ : الاسابيع الاجتماعية رقم ٢١٩

٥٤) ملحق ٥ : الاسابيع الاجتماعية رقم ٢٢٠

٥٥) ملحق ٥ : الاسابيع الاجتماعية رقم ٢٢٣

الاجتماعي ان عقدت عدة حلقات دراسية تناولت دراسة مختلف المسائل الاجتماعية في المجتمع العربي : وكانت هذه الحلقات تعقد مرة كل سنتين ، سلفت منها ست حتى الآن ، عقدت اولاها في بيروت عام ١٩٤٩ ، وآخرها في بنغازي عـام ١٩٥٩ . وتعتبر دراسات هذه الحلقات وتوصياتها من الوثائق الاساسية في دراسة المجتمع العربي وهي مرجع دائم للباحثين من العرب وغيرهم في شتى جوانب الحياة العربية .

وقد تناولت هذه الحلقات مواضيع شتى اهمهـا موضوع الاصلاح الاجتماعي ، ورعاية الطفل ، والاصلاح الريفي ، والمساعدات الاجتماعيـة ، والتخطيط والجهاز الاداري ، والقيادة في مشروعات النهوض بالمجتمعات المحلية ، والتسجيل والاحتياجات الاحصائية (٥٦) .

٣ ـ المجتمع العربي : مؤتمر الدراسات العربية (١٩٥٣)

وقد اشرفت هيئة الدراسات العربية في الجامعة الاميركية على اعداد سلسلة من المؤتمرات ، كان الثالث منها ، بلا شك اكثرها اهمية بالنسبة لعلماء الاجتماع. وقد عولجت فيه مواضيع اربعة ، هي البيت العربي ، والتربية العربيـة ، والفرد والمجتمع وحياة الريف في المجتمع العربي . وهذه الدراسات ليست حيوية لفهم بنيان المجتمع العربي فحسب ، بل هي ضرورية كذلك لتطوره اجتماعياً واقتصادياً . فقد صور لنا حكمت هاشم واقع البيت العربي ومشاكله المتأزمـة ، وامكانيات تطوره وتقدمه ، كما حدد قسطنطين زريق اهداف التربية العربيـة وعرض بعض

٥٦) ملحق ٥ : حلقات الدراسات الاجتماعية للدول العربية رقم ٢٢٥ — ٢٣٠

الطرق التربوية الواجب اتباعها لتحقيق هذه الاهداف ، واخيراً بحث عفيف طنوس في اهمية الحياة الريفية في المجتمع العربي وبعض ما يواجهه من مشاكل (٥٧) .

٤ - مؤتمر خبراء الشؤون الاجتماعية العرب (١٩٥٥ - ١٩٥٨)

لقد صدرت عن حلقات الدراسات الرابعة المنعقدة في بغداد عام ١٩٥٤ توصية تدعو الى تنظيم اجتماعات دورية لوزراء الشؤون الاجتماعية في الدول العربية لتوجيه السياسة الاجتماعية توجيهاً موحداً . وقد انبثقت عن هذه التوصية فكرة مؤتمر خبراء الشؤون الاجتماعية ، ذلك المؤتمر الذي تدعو اليه الجامعة العربية كل عام ، وهو بمثابة برلمان دوري لمناقشة سياسات الدول الاعضاء في الميدان الاجتماعي .

ويبحث عادة في هذه المؤتمرات ثلاثة مواضيع رئيسية :

١) بحث التقارير السنوية التي تصدرها وزارات وادارات الشؤون الاجتماعية في الدول العربية ، وما تم تنفيذه من مشروعات اجتماعية وما يعترض هذه المشروعات من صعوبات ووسائل التغلب عليها .

٢) موضوع مدى تنفيذ الدول لتوصيات مؤتمرات خبراء الشؤون الاجتماعية .

٣) بحث الموضوع الذي تم اختياره ليكون موضوع البحث في الدورة القادمة لحلقة الدراسات الاجتماعية (٥٨)

---

٥٧) ملحق ٥ : المجتمع العربي رقم ٢٣١

٥٨) ملحق ٥ : مؤتمرات خبراء الشؤون الاجتماعية العرب رقم ٢٣٢

مؤتمر الانعاش الريفي (١٩٥٦)

نظمت هذا المؤتمر وزارة الشؤون الاجتماعية في لبنان وحضره مندوبون عن الدول العربية والامم المتحدة ومنظمة اليونسكو وهيئة الصحة العالمية ووكالة غوث اللاجئين. ومن اهم الامور التي تناولها المؤتمر بالبحث : طرق نشر المعلومات عن الاصلاح الريفي ، ومساهمة الشباب العربي في احياء الريف والمشكلات الفنية والمادية التي يواجهها المرشدون الريفيون والاجتماعيون ووسائل التغلب عليها (٥٩).

٦ ـ المؤتمر السابع عشر للمنظمة العالمية لعلم الاجتماع (بيروت ١٩٥٩).

وقد كان انعقاد مثل هذا المؤتمر المختص بعلم الاجتماع في لبنان حدثاً فريداً بالطبع . فقد وجد الكتاب اللبنانيون انفسهم وجهاً لوجه مع مجموعة من علماء الاجتماع العالميين ، كما اطلع مثقفونا لاول مرة ايضاً ، على كمية وافرة من علم الاجتماع المختص ، واشترك في هذا المؤتمر قسمة من الكتاب اللبنانيين ، وطرقوا في بحوثهم المواضيع التالية ، علم السكان وعلم الاجتماع الريفي ، والمواصلات الجماهيرية والانتشار ، ومؤسسات العائلة والعوامل الاجتماعية الثقافية المؤثرة في التنمية الاقتصادية في العالم العربي (٦٠)

ملاحظات عامة

يستحيل علينا ، في مثل هذه الدراسة القصيرة ، ان نقدم تقويماً شاملاً لما صدر

---

٥٩) ملحق ٥ : مؤتمر الانعاش الريفي رقم ٢٣٣

٦٠) ملحق ٥ : المؤتمر السابع عشر للمعهد العالمي لعلم الاجتماع رقم ٢٣٤ .

من كتابات تهم علم الاجتماع . الا ان ما قلناه حتى الآن يبين بوضوح انه ليس هناك الا القليل مما قدمه الكتاب العرب ، والذي يمكن ان يساهم في نشأة علم اجتماع منهجي في لبنان .

ان علم الاجتماع في لبنان لم يبلغ بعد طور النضوج . ولم توضع له بعد الاسس الحقيقة ، بنوعيها النظري والتطبيقي ، ضمن التراث الثقافي والمدرسي في هذا البلد . ولبنان ليس وحيداً في هذا المجال . فنحن نعلم ، مثلاً ، ان علم الاجتماع لم يدخل الجامعات الالمانية في مطلع هذا القرن الا بعد ان جابه صعوبات شتى ، وبعد ان استطاع علماء الاجتماع ان يثبتوا انه ليس في منهجهم اي تعد على مناهج البحث الموجودة آنذاك (٦١) . وكذلك كانت الحال في انكلترا ، فرغم ما كان يلقاه علم الانتروبولوجيا من اهتمام ، فان علم الاجتماع لم يلق ما يليق به من الاعتراف والتقدير الا مؤخراً (٦٢) .

ما هي اذن ، اوجه الغرابة في نشأة علم الاجتماع في لبنان ؟ وما هي ملامحه البارزة وكيف نفسر ما اتصف به نموه من بطء وتعثر ؟ وسوف نحاول في هذه الخاتمة ان نقدم بعض الاسباب .

١ — يجب ان نعلم اولا ان علم الاجتماع في الغرب قد ارتبط ارتباطاً وثيقاً

---

(61) George Simpson. *Sociologist Abroad*, (The Hague: Martinus, Nijhoff, 1959), p. 5.

(62) J. Rummay, "British Sociology", in *Twentieth Century Sociology*, Survitch & W. E. Moore, (Eds.), N.Y. Philosophical Library, 1945), pp. 562-585.

بالمؤسسات التعليمية . وقد ازدهر في الولايات المتحدة على الاقل ، على شكل منهج تعليمي للبحث ، نتيجة للتقدم المطرد في مجال التعليم العالي .

اما علم الاجتماع ، كميدان للاختصاص ، فانه ما زال في طوره الاول كمادة دراسية في برامج الجامعات اللبنانية والواقع ان بعض مواد علم الاجتماع قد درّست في الجامعة الاميركية في بيروت ، وفي معهد الاداب الشرقية لمدة تقارب الاربعين سنة . الا ان عمره ، كمنهج تام ذي دائرة خاصة ، لا يتجاوز عشر سنوات في الاولى ، وثلاث سنوات في الثاني . وقد اعطيت اول شهادة بكالوريوس آداب في الجامعة الاميركية عام ١٩٥٣ . ومن بين جميع الخريجين (الذين كانوا يتخرجون بمعدل ثمانية في السنة) لم يستطع الا ثلاثة ان يكملوا دراستهم لنيل الدكتوراه . ومن هؤلاء الثلاثة ، يعمل اثنان كاعضاء في الهيئة التدريسية للدائرة .

اما المعاهد الثلاثة الاخرى للتعليم العالي في لبنان ، فقد شرعت منذ مدة وجيزة فقط بمنح شهادات الليسانس في علم الاجتماع . كما ان عمر البرامج في كل من الجامعة اللبنانية والجامعة العربية و École des Lettres لا يتجاوز ثلاث سنوات ، الا اننا اذا نظرنا الى الزيادة السريعة في عدد الطلاب المنتسبين الى هذا الفرع (الجامعة اللبنانية ٢٨٠ والجامعة العربية ١٠٣) لاتضح لنا ان الاقبال يتزايد باطراد على التخصص في علم الاجتماع والعلوم المرتبطة به . وقد تنقضي اربع سنوات او خمس على الاقل ، قبل ان تتمكن هذه الدفعة من المتخصصين من تقديم اية مساهمة ذات قيمة لهذا الحقل .

لقد فشلنا اذن في تكوين علم اجتماع منهجي منظم لافتقارنا الواضح الى علماء اجتماع محترفين متمرسين

ويقضي الواجب هنا ان نشير الى فضل العلماء والمدرسين الاجانب في تمهيد السبيل امام الكثير من علماء الاجتماع العرب الناهضين ونخص بالذكر منهم ستيوارت دود ، جوردين هيرابياشي ، لينكولن ارمسترنغ ، توماس ماثيوس ، دافيد يوكي ، شارلز تشرشل ، جين بيترسون ، مورو بيرغر ، دانيال لارنر ، وبيار روندو وغيرهم

٢ . ويجب ان لا نعزو ما نلاحظه من تأخر في علم الاجتماع الى النقص في عدد العاملين فيه فحسب . فقد يعوق نموه ، كأي مذهب منهجي ، الطابع العام للنشاط الفكري الذي تمتد جذوره في الثقافة ذاتها . فما زال الطابع الفرنسي يسود نظام التربية في لبنان . وقد ادى هذا الى ما نلاحظه في نشاطاتنا الفكرية من ميل الى الفنون الحرة ، مع ما يصاحب ذلك من نزعة فلسفية وتشدد مذهبي . وقد لا يؤدي مثل هذا النظام ، بالاضافة الى التعصب القوي والميول الدينية ، الى نمو مذهب علمي كعلم الاجتماع ، الذي يتطلب ، فيما يتطلب ، تحليلاً موضوعياً متجرداً ، للحياة الاجتماعية .

وليس مما يبعث على العجب ، اذن ، ان نجد ما نجد بين ايدينا من الكتابات زاخراً بالدراسات التأملية والانطباعية ، او ان نرى ميدان علم الاجتماع مكتظاً بالمصلحين الاجتماعيين ، الساعين الى انقاذ المجتمع مهاوي الحياة العصرية كما يدعون . وقد يفلح كثير من محاولاتهم الا انهم مضاون في الغالب ، وفي رأيي ان نظام التربية قد يكون مسؤولاً عن بعض ذلك . فحين يعالج كاتب عربي مشكلة مثلاً ، يبدو وكأنه مسيّر برغبة في الاصلاح العملي ، لا بنزوع الى المعرفة العلمية . فنحن لم نبد الا القليل من الانتباه الى نظريات الاجتماع العلمية ، او الاهتمام بالبحث العلمي ، بل انهمكنا في حملات لاصلاح المجتمع . او ليس من الغريب

حقاً ، ان بلداً مثل لبنان يفتخر بأن فيه اكثر من مائتين وخمسين منظمة للانعاش الاجتماعي ، لا يكاد من فيه من علماء اجتماع محترفين يعدون على اصابع اليد ؟

٣ – ان ما نعانيه من افتقار الى علماء الاجتماع ، مضافاً اليه تحيّز نظامنا التربوي السائد الى الفنون الحرة ، قد شجعا اكثر من هاو على ان يدلي بدلوه في علم الاجتماع ، متخذاً منه هواية فكرية يقضي بها اوقات فراغه . ان علم الاجتماع اللبناني ، هذا اذا استطعنا ان نتبين هويته وملامحه ، لم يعتبر نفسه علماً مستقلاً يعالج ما يخصه من مشاكل بطريقة منهجية وضمن اطار نظري محدد . بل شاع الرأي القائل بانه لا يفترض فيمن يكتب في علم الاجتماع ان يكون عالم اجتماع ، وتبعاً لذلك ، رأينا الكثير من الدراسات التي تدخل في النطاق الشرعي لعلم الاجتماع في بلاد اخرى تجري في لبنان باسم علوم اخرى . والعكس صحيح في هذه الحالة فأن الكثير مما يجري باسم علم الاجتماع عندنا ، ليس فيه من علم الاجتماع شيء .

٤ – وربما كان من نتائج ما ذكرنا من عوامل ان علم الاجتماع قد لجأ الى التبسيط بشكل يحبب الجماهير به قبل ان يبلغ مرحلة النضوج . ولا شك في ان طبيعة مادة علم الاجتماع ، وتطرقه في اغلب الاحيان الى مشكلات الحياة اليومية ، قد دفعا به الى مثل هذا التبسيط . وهو لم يستطع بعد حتى في الغرب ، ان يتجنب مثل هذا الاتجاه الذي لا مفر منه . الا ان التبسيط في الغرب لم يبدأ الا بعد ان اتخذ علم الاجتماع شكلاً منهجياً ، وبعد ان امتدت جذوره في بقية العلوم الدراسية في المجتمع . اما في لبنان ، فيبدو اننا اندفعنا الى تبسيط علم الاجتماع واشاعته قبل ان نختبر مدلته .

وقد ساعد على نشوء هذا الميل عندنا ، العقلية التجارية لاكثر دور النشر التي

لا تميز بين الغث والسمين ولا نبالغ اذا قلنا ان اي شيء تقريباً يمكن ان ينشر في لبنان، وان كل من يجد في نفسه رغبة في الانتاج يمكنه دائماً ان يجد داراً للنشر او مطبعة تحول مخطوطته الى كتاب .

فلو توفر لدينا مزيد من دور النشر التي تحسن الانتقاء، لوفرنا على انفسنا الاحراج الذي نعانيه بسبب كثير مما يصدر عندنا من منشورات عديمة الفائدة، ولكنا اقرب الى تحقيق ما نرجوه من هدف، الا وهو وضع انظمة منهجية لعلم الاجتماع في مؤسسات الدراسة والبحث في هذا البلد .

ما هو الاتجاه الذي سيسير فيه علم الاجتماع في المستقبل ؟ وهل فيه ما يبعث على الامل، ام انه سيظل سائراً في هذا المجرى المضطرب ؟

ان لبنان، ككل مجتمعات الشرق الاوسط، يمر الآن في مرحلة انتقالية، ويطرأ على بنيانه الاجتماعي تغير دائم وعميق . لذا فان اي علم اجتماع في العالم العربي ينبغي ان يكون، بالضرورة، علم اجتماع التغير . ففي السنين العشر الاخيرة مرت على لبنان سلسلة من الاحداث، والتطورات . وقد تقدم بعض تلك التغيرات بخطى سريعة ومذهلة : فالاشكال الجديدة للمواصلات، والتعرض المتزايد للوسائط الجماعية، وتفكك صلات القربى وبقية اشكال السلطة التقليدية، ونشوء الحركات الاجتماعية الجديدة، وتحرير المرأة، والاشتراك المتزايد في الامور الاقتصادية والسياسية، كل هذا ادى الى خلق مشكلات جديدة يتوجب علينا فهمها ومعالجتها وقد تتطلب هذه التطورات المتغيرة تجارب وحلولا جديدة بالطبع . ونحن نعلم ان المجتمعات الغربية والمتقدمة قد مرت في مثل هذه المرحلة من التغير فيما مضى، الا ان ذلك لا يعني بالضرورة، ان نتبنى الاساليب والطرائق نفسها، ونستخدمها، بلا

تميز ، في فهم مشاكلنا وحلها . فيجب علينا اذن ان ننتقي ما هو مناسب منها ، لا ان نطبقها جملة .

ومن جهة اخرى ، علينا ان لا نقع فريسة الانغلاق الفكري والتعصب ، فنرفض ما في الثقافات الاخرى من معارف غنية بلا داع بحجة انها غريبة وغير مألوفة . ولنكن اكثر تحديداً ، فثمة عدد لا بأس به من اساليب علم الاجتماع ومفاهيمه يمكن ان تطبق ، مع قليل من التعديل ، في كل المجتمعات الانسانية : فوسائل البحث البسيطة كاستخدام الاحصائيات الحيوية ،والجداول السكانية ، وعملية اختيار العينات ، والمقابلات ، والاستجوابات ، وتحليل المادة ، ووضع السلالم ، كل هذه الادوات يمكن استخدامها كما هي في هذا الجزء من العالم . وبالطريقة نفسها يمكن استعمال بعض المفاهيم كالتنظيم الاجتماعي ، والثقافة ، والتنشئة الاجتماعية ، والطبقات ، والجماعات الاولية وما الى ذلك ، ويمكننا تطبيقها في دراستنا لمختلف جوانب الحياة الاجتماعية في العالم العربي . واذا ادى تطبيق مثل هذه المفاهيم والاساليب الى نتائج مغايرة وغير متوقعة ، وقد يشكل هذا تحدياً لبعض قناعاتنا الراسخة ، والمتعارف عليها ، فينبغي ان لا يقودنا هذا ابداً ، الى التقليل من قيمة علم الاجتماع وفعاليته كمذهب علمي .

وينبغي ان نذكر انه اذا رغبنا في تطور علم اجتماع منهجي ذي اصول ، فان هذا الهدف لا يمكن تحقيقه من خلال التعميمات التأملية والانطباعية ، بل بالتوصل بطريقة استقرائية الى مبادىء وفرضيات اساسية تتعلق بالظواهر الاجتماعية . وستبقى هذه المبادىء والفرضيات ، بحكم طبيعتها ، مجرد تعميمات مؤقتة ، الى ان تخضع لسلسلة لا تنتهي من الاختبارات واعادة الاختبارات ولا ريب ان هذه الطريقة صعبة ومثبطة للعزيمة ، وقد تؤدي الى نتائج ليست اصوب من رؤى

الشعراء او مما يهبط على الصوفيين المتكفين من اشراقات روحانية . الا انها ما تزال حتى الآن الوسيلة الوحيدة المضمونة ، التي نتمكن بها من البدء في تطوير علم اجتماع يساعدنا على فهم البنيان الاجتماعي على افضل وجه .

ومما يبعث على التفاؤل ان ثمة دلائل كثيرة تشير الى هذا الاتجاه . وفي اعتقادي انه لو عقد هذا المؤتمر بعد خمس سنوات من الآن ، لكانت لهجة هذه الرسالة مختلفة بشكل واضح .

ملحق ١ : الدراسات التحليلية

١ بروثرو ، تري ، وليفون ملكيان

« المواقف الاجتماعية لطلاب الجامعات في الشرق الادنى »

مجلة علم النفس (١٩٥٣) ، ٢٩١ – ٢٩٧

كتب ومقالات حررت بلغة اجنبية

Books:

٢ Sayegh, Yusif A.
Entrepreneurs of Lebanon, Harvard University Press, Cambridge, Massachusetts. 1962

Articles and Periodicals

٣ Armstrong L. and Bashshur, R.
"Ecological Patterns and Value Orientation in Lebanon", *Public Opinion Quarterly*, XXII (1958), 406-415.

٤ Diab L.N., Melikian L.H.
"Group Affiliations of University Students in the Arab Middle East", *Journal of Social Psychology*, XXXXIX (1959), 145-59.

٥ Melikian, Levon
"Some Correlates of Authoritarianism in Two Cultural Groups", *The Journal of Psychology*, XXXXII (1956), 237-248.

٦ "Preference for Delayed Reinforcement: An Experimental Study among Palestenian Arab Refugee Children", *The Journal of Social Psychology*, L (1959), 81-86.

٧ "Self-Disclosure among University Students in the Middle East", *The Journal of Social Psychology*, LVII (1962), 257-263.

٨ Melikian Levon, and E. Terry Prothro
"Sexual Behavior of University Students in the Arab Near East", *The Journal of Abnormal and Social Psychology*, XXXXVI (1954), 59-64.

"Goals Chosen by Arab Students in Response of Hypothetical Situations". *The Journal of Social Psychology*, XXXXVI (1957), 3-9. ٩

Prothro, E. Terry and Levon H. Melikian ١٠
"Social Distance and Social Change in the Near East", *Sociology and Social Research*, XII (1952), 369-84.
"The California Public Opinion Scale in an Authoritarian Culture", *Public Opinion Quarterly*, XVII (1953), 353-62. ١١

Ph.D. Dissertations:

Ayoub, Victor I. ١٢
Political Structure of a Middle East Community: A Druze Village in Mount Lebanon, Cambridge: Ph.D. Dissertation, Harvard University, 1955.

Khalaf, Samir G. ١٣
Managerial Ideology and Industrial Conflict in Lebanon, Princeton, N.J.: Ph.D. Dissertation, Princeton University, 1963.

M.A. Theses: American University of Beirut ١٤

Abdul-Husn, Latif
Consumption Expenditure Patterns among Selected Lebanese Villages, 1959.

Abu-Khadra, Rihab ١٥
Recent Changes in Lebanese Moslem Marriages, 1959.

Adham, Siham Faik ١٦
Socio-Psychological Factors underlying Occupational Choice and Mobility Orientation among a Selected Sample of Male Lebanese Students, 1961.

Bashur, Rashed L. ١٧
The Influence of Ecological Factors on Values, 1956.

Ghandour, Leila H. ١٨
The Relationship of Attitude to Social Classes in Beirut, Lebanon, 1960.

Habib, Habib Raji ١٩
Relationship between Occupational Security and Resistance to Technical Changes, 1959.

Khalaf, Samir G. ٢٠
Management's Attitude towards Human Relations in Lebanese Industry, 1957.

Marroun, Linda Kattan ٢١
Political Unemployment: A Study of Palestine Arab Refugees, 1957.

٢٢ Mavrovouniotis, Irini
A Study of Verbalized Role Conflict among a Selected Sample of Arab University Students, 1961.

٢٣ Ribani, Zahi
Social Stratification as a Factor in Determining the Academic Performance of Adolescents in Cedarstown, 1961.

٢٤ Sa'aty, Grace E.
Social Goals and Values Related to Education in Three Selected Lebanese Communities, 1955.

٢٥ Sukkarieh, Bassimah E.
Divorce Factors among the Greek Orthodox in Beirut, 1960

٢٦ Zacharia, Alfred
Vocational Skill Level and Educational Background in the Printing Industry in Beirut, 1955.

ملحق ٢ : الدراسات الوصفية

كتب :

٢٧ ابو اسماعيل ، سليم

الدروز ، بيروت ، فضول ، ١٩٥٣

٢٨ الحاج علي ، كاظم خليل

توجيه في الانعاش الريفي في لبنان ، المركز الدولي للتربية الاساسية في العالم العربي ، سرس الليان ، المنوفية ، ١٩٥٤ .

٢٩ حقي بك ، اسماعيل

لبنان : مباحث علمية واجتماعية ، عني بنشرها لجنة من الادباء باشراف اسماعيل حقي بك متصرف جبل لبنان . المطبعة الادبية ، بيروت ١٩١٥ .

٣٠ حنا ، جورج

من الاحتلال الى الاستقلال،لبنان في ربع قرن ، بيروت ، مطبعة دار الفنون ١٩٤٤

٣١ الحويك ، جورج بطرس

المراكز الاجتماعية في مصر ولبنان – كيفية ادارتها والاشراف عليها ، المركز الدولي للتربية الاساسية في العالم العربي ، سرس الليان ، المنوفية ، ١٩٥٩

٣٢ حيدر ، منذر

مقترحات لنشر الخدمات في الريف اللبناني ، المركز الدولي للتربية الاساسية في العالم العربي ، سرس الليان ، المنوفية ، ١٩٥٧

٣٣ داغر ، يوسف

المهاجرة في لبنان ، صيدا ، منشورات مجلة الرسالة المخلصية .

٣٤ دياب ، ابراهيم قزحيا

المراكز الاجتماعية في مصر ولبنان واهدافها وكيفية ادارتها ، المركز الدولي للتربية الاساسية في العالم العربي ، سرس الليان ، المنوفية ، ١٩٥٨

٣٥ الريحاني ، امين

قلب لبنان ، بيروت ، مطابع صادر ريحاني ، ١٩٤٧

٣٦ سعيد ، محمد مظهر والمرصفي ، فتح الله

جرائم الاحداث ، دراسة مقارنة للشرق الاوسط، القاهرة، مطبعة دار النهار ، ١٩٥٦

٣٧ الشرتوني ، توفيق حسن ابي نادر

كتاب الحياة في لبنان ، بيروت ، المطبعة الادبية ، ١٩٢٧

٣٨ العاقل ، جميلة

دراسة الهيئات المعنية بالانعاش الريفي في لبنان ، المركز الدولي للتربية الاساسية في العالم العربي ، سرس الليان ، المنوفية ١٩٥٩

٣٩ فريحة ، انيس

اسمع يا رضا ، جونية ، مطبعة الكريم ، ١٩٥٦

٤٠ **الامثال العامية اللبنانية من رأس المتن** ، جونية ، مطبعة المرسلين اللبنانيين ، ١٩٥٣

٤١ **حضارة في طريق الزوال القرية اللبنانية** ، بيروت ، سلسلة العلوم الشرقية جامعة بيروت الاميركية ، ١٩٥٧

٤٢ اللبناني ، يحيى

لبنان في الحرب ، او ذكرى الحوادث والمظالم في لبنان في الحرب العمومية ١٩١٤ بيروت ، المطبعة الادبية ، ١٩١٩ .

٤٣ المدني هاشم الدفتردار ، والزعبي محمد علي

الاسلام والمسيحية في لبنان ، بيروت ، دار الانصاف ، ١٩٥٢

٤٤ مسعد ، الاب بولس

لبنان وسوريا قبل الانتداب وبعده ، مصر ، المطبعة السورية ، ١٩٢٩

٤٥ النجار ، امين

المنزل الريفي ، سرس الليان ، المنوفية ، ١٩٥٦

مقالات :

٤٦ البشملاني ، الاب اسطفان

« تاريخ الاسر المارونية »

المشرق ، م ٤٥ ، تموز ايلول ١٩٥١ ، ص ٤٠١ — ٤١٦ م ٤٧ ، نيسان حزيران ١٩٥٣ ، ص ٢٠٧

٤٧ **تاني** ، الاب يوسف الماروني

« العوائد اللبنانية »

المشرق ، م ٢ ، ١٨٩٩ ، ص ٢٤ — ٢٩ ، ٥١٠ - ٥١٥ ، ٦٧٧ — ٦٨٤ م ٣ ، ١٩٠٠ ، ص ٥٨٦ — ٥٩١

م ٤ ، ١٩٠١ ، ص ٣٠٨ — ٣١٢

٤٨ الحص ، سليم

« الهجرة من لبنان ، تاريخها واسبابها »

الابحاث ، م ١٢ ، اذار ١٩٥٩ ، ص ٥٩ — ٧٢

٤٩ خاطر ، لحد

« الامثال والاساطير اللبنانية المختصة باشهر السنة الشمسية »

المشرق ، م ٣١ ، ١٩٣٣ ، ص ٤١ – ٤٥ ، ١٢٤ – ١٢٩ ، ٢٠٣ – ٢٠٨ ، ٢٨١ – ٢٨٥ ، ٢٩٦ – ٣٠١ ، ٥٣٤ – ٥٣٧ ، ٦٤٥ – ٦٦٤ ، ٧٥٤ – ٧٥٨

٥٠ خاطر ، لحد

« العادات والتقاليد »

المشرق م ، ٤٥ ، تموز – ايلول ١٩٥١ ، ص ٤١٧ – ٤٣٤

٥ شيخو ، الاب لويس اليسوعي

« العادات الشرعية والاجتماعية »

المشرق ، م ١٩ ، آب ١٩٢١ ، ص ٦٢٣ _ ٦٢٤

٥٢ صليبي ، كمال سليمان

« تعريف تاريخي بلبنان »

الابحاث ، م ١٥ ، ايلول ١٩٦٢ ، ص ٣٦١ _ ٣٧٣

٥٣ طنوس ، عفيف

« حياة الريف في المجتمع العربي »

الابحاث ، م ٦ ، حزيران ١٩٥٣ ص ١٧٥ _ ١٩١

٥٤ نصرة ، محمود

« الحياة الادبية والاجتماعية في جبل الدروز »

العرفان ، م ٣٨ ، ايار ١٩٥١ ، ٦٢٦ _ ٦٣٠

كتب ومقالات حررت بلغة اجنبية

Books:

٥٥ Abou, Père Selim
Le Bilinguisme Arabe-Français au Liban. Thèse d'Anthropologie Culturelle, Thèse pour le Doctorat Es-Lettres presentée a la Faculté des Lettres et Sciences Humaines, de l'Université de Paris, Presses Universitaires de France, 1962.

٥٦ *Enquêtes sur les langues en usage au Liban,* Thèse complementaire pour le Doctorat Es-Lettres, Beyrouth, Collection "Recherches", Institut des Lettres Orientales, 1962.

٥٧ Ammoun, Fouad
La Syrie Criminelle, Paris, Giard, 1929.

٥٨ Aouad, Ibrahim
Le Droit Privé des Maronites au Temps des Emirs Chihab (1697-1841). Paris: Librairie Orientaliste, Paul Geuthner, 1938.

٥٩ Chéhabe-ed-Dine, Said
Géographie Humaine de Beyrouth, Thèse presentée à la Faculté des Lettres de Paris (Sorbonne) en 1953. Beirut: Imprimerie Calfat, 1960.

٦٠ Féghali, Michel (Monseigneur)
Contes, Légendes, Coutumes populaires du Liban et de Syrie, Paris: Librairie d'Amérique et d'Orient, 1935.

٦١ *Notes sur la Maison Libanaise*, Paris, Ernest Leroux, 1923.

٦٢ Haddad, Georges M.
Fifty Years of Modern Syria and Lebanon, Beirut, Dar-al-Hayat, 1950.

٦٣ Hitti, Philip Khuri
History of Syria: Including Lebanon and Palestine, London: Macmillan, 1951.

Hourani, Albert H. ٦٤
Minorities in the Arab World, London: Oxford University Press, 1947.

Hourani, Albert H. ٦٥
Syria and Lebanon, London: Oxford University Press, 1946.

Husaini, Ishak Musa ٦٦
The Moslem Brethren, Beirut, Khayat, 1956.

Tabbah, Bichara ٦٧
Droit Politique et Humanisme, Paris, R. Pichon et R. Durand Auzias, 1955.

Propriété Privée et Registre Foncier, 2 Volumes, Paris: R. Pichon et R. Durand — Auzias, 1947 et 1950. ٦٨

Touma, Toufic ٦٩
Un Village de Montagne au Liban, Hadeth el-Jobbé, Paris: Mouton & Co., 1958.

Tannous, Afif ٧٠
The Arab Village Community of the Middle East, Washington; Government Printing Office, 1944.

Ziadeh, Nicola ٧١
Syria and Lebanon, London: Benn, 1957.

Articles and Periodicals:

Abou, Père Selim ٧٢
"Le Bilinguisme au Liban, Rencontre de Deux Cultures", *Esprit,* XXXème Année, No. 311, Novembre 1963.

Abu-Izzedin, Fuad and Hakim, George ٧٣
"A Contribution to the Study of Labour Conditions in the Lebanon", *International Labour Review,* XXVIII (May 1933), 673-682.

Bawarshi, Tewfiq ٧٤
"The Lebanese Labour Scene", *Middle East Forum,* XXXIV (June 1963) 21-24.

Chémali, Bichara (Abbé) ٧٥
"Marriage et Noce au Liban", *Anthropos,* X-XI, V Vienne, 1915-1916, pp. 913-941.

"Moeurs et usages au Liban", *Anthropos*, IV, pp. 37-53, XII-XIII, 625-640. Vienne 1901 and 1917-1918. ٧٦

"Naissance et Premier Age au Liban", *Anthropos*, V, 734-747, 1072-1086. Vienne, 1910. ٧٧

Farroukh, Omar
"The Social Aspect of Islam", *The Islamic Review*, XXXXI (December 1953), 13-15. ٧٨

Féghali, Michel (Monseigneur)
"La Famille Catholique au Liban", *Revue d'Ethnographie*, VI, (1925), 291-308. ٧٩

Hitti, Philip Khuri
"The Impact of the West on Syria and Lebanon in the Nineteenth Century", *Cahiers d'Histoire Mondiale*, II, No. 3 (1955), 608-33. ٨٠

Hourani, Albert H.,
"Race and Related Ideas in the Near East", in Andrew W. Lind, ed., *Race Relations in World Perspective*, Honolulu, University of Hawaii Press, 1955, Chapter 6. ٨١

Issawi C., and Dobezies C.
"Population Movement and Population Pressure in Jordan, Lebanon and Syria", *Milbank Memorial Fund Quarterly*, XXIX (October 1961). ٨٢

Kherpolian, D.G.
"Armenians To-day", *Middle East Forum*, XXXVII March 1961), 13-17. ٨٣

Klat, Paul J.
"Labour Legislation in Lebanon", *Middle East Economic* Papers, Beirut: Economic Research Institute, American University of Beirut, 1959, pp. 69-82. ٨٤

Laboud, Aline
"Amshit, Village of Mount Lebanon", *Middle East Forum*, XXXVI (May, 1960), 81. ٨٥

Melikian, Levon
"By their Names", *Middle East Forum*, XXXIX (April 1963), pp. 34-39. ٨٦

٨٧ "The Dethronement of the Father", *Middle East Forum,* XXXVI (October 1960), 23.

Najarian, Pergrouhi

٨٨ "Adjustment in the Family and Patterns of Livnig", *Journal of Social Issues*, XV (No. 3, 1959), 38.

Nakhla, Raphael

٨٩ "Le Bilinguisme dans les Pays de Langue Arabe", *Lettres de Fourvière* (revüe hors commerce), 3ème Série, No. 8, Lyon, 1935.

Nimri, N.N.

٩٠ "The Warrior People of the Djebel Druze", *Journal of the Middle East Society,* I, (1946-47), pp. 47-62, 90-96.

Saba, Elias

٩١ "Social Security in Lebanon: A Blessing or a Curse?" *Middle East Forum,* XXXVII (April 1961), 27-30.

Safi, M. (Abbe)

٩٢ "Marriage au Nord du Liban", *Anthropos,* XII-XIII, 134-143, Vienne 1917-1918.

Sayegh, Yusif A.

٩٣ "Relations between Labor and Management in Iraq, Syria, Lebanon, Jordan and Egypt", *Middle East Forum,* XXXIV (January 1959), 21-23, 31-33.

Tannous, Afif.

٩٤ "Dilemma of the Elite in Arab Society", *Human Organization,* (Fall, 1955), 11-15.

٩٥ "Emigration, a Force of Social Change in an Arab Village", *Rural Sociology,* VII (March, 1942), 62-74.

٩٦ "Group Behavior in the Village Community of Lebanon", *American Journal of Sociology,* XXXXVIII (1942), 231-239.

٩٧ "Land Reform: Key to the Development of Stability in the Arab World", *The Middle East Journal,* V (1951), 1-20.

"Missionary Education in Lebanon: A Study in Acculturation", *Social Forces*, XXI (March 1943), 338-343. ٩٨

"Social Change in an Arab Village", *American Sociological Review*, VI (1941), 650-662. ٩٩

"The Village in the National Life of Lebanon", *The Middle East Journal*, (April, 1949), 151-163. ١٠٠

Lectures:

Abou, R.P. Selim ١٠١

"Conditions et Problemes d'une Culture Bilingue", *Conférences du Cénacle*, No. 7, 1963.

ملحق ٣ : الدراسات النظرية العامة

كتب :

١٠٢ حبشي ، رينه

حضارتنا على المفترق ، بيروت ، منشورات الندوة اللبنانية ، ١٩٦٠

١٠٣ حداد ، نقولا

علم الاجتماع (في جزئين) ، القاهرة ، المطبعة العصرية ، ١٩٢٥

١٠٤ حنا ، جورج

الحقيقة الحضارية ، بيروت دار العلم للملايين ، ١٩٥٨

١٠٥ داغر ، يوسف اسعد

الدعاية والنشر ، بروباغندا ، حريصا ، مطبعة القديس بولس ، ١٩٤٧

١٠٦ زريق ، قسطنطين

اي غد ؟ ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٥٧

١٠٧ زريق ، قسطنطين

معنى النكبة ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٤٨

١٠٨ زيدان ، جرجي

طبقات الامم والسلائل البشرية ، القاهرة ، مطبعة الهلال ، ١٩١٢

١٠٩ صايغ ، يوسف عبد الله

الخبز مع الكرامة ، بيروت ، دار الطليعة ، ١٩٦١

١١٠ عقل ، سعيد

مشكلة النخبة في الشرق ، بيروت ، دار الكشاف ، ١٩٥٤

١١١ فاخوري ، عمر

آراء غربية في مسائل شرقية ، بيروت ، دار الكاتب العربي ، ١٩٥٥

١١٢ فارس ، نبيه امين

دراسات عربية ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٥٧

١١٣ المنجد ، صلاح الدين

الحياة الجنسية عند العرب ، بيروت ، دار الكتب ، ١٩٥٨

١١٤ اليازجي ، كمال

ملامح من فلسفة العرب الاجتماعية في نصوص من اثار

اعلامها ، بيروت ، مكتبة رأس بيروت ، ١٩٦٣

مقالات :

١١٥ تويني ، غسان

« دور الرأي العام في النهضة العربية »

الابحاث ، م ٣ ، ايلول ١٩٥٠ ، ص ٣٤١ — ٣٥٤

١١٦ حماده ، سعيد

« اهم العوامل التاريخية والاقتصادية والاجتماعية المسببة للوضع الراهن لسكان المناطق الريفية في البلدان العربية »

الابحاث ، م ٣ ، كانون اول ١٩٥٠ ، ص ٤٢٦ — ٤٣٦

١١٧ حماده ، سعيد

« اليقظة الاجتماعية والانماء الاقتصادي في الشرق الاوسط »

الابحاث ، م ٧ ، ايلول ١٩٥٤ ، ص ٢٤١ ـ ٢٥٣

١١٨ حوراني ، البرت

« العرب والمدنية الغربية »

سلسلة الابحاث الاجتماعية ، الحلقة السادسة ، يوليو ١٩٤٦

١١٩ الجميل ، انطون

« الحضارة والثقافة وعناصرهما »

الهلال ، م ٥١ ، تشرين اول تشرين ثاني ١٩٤٣ ، ص ٤٧٣ — ٤٨١

١٢٠ الجميل ، الاب يوسف

« القضية الاجتماعية والتقدم الصناعي »

المشرق ، م ٣٩ ، نيسان حزيران ١٩٤١ ، ص ١٢٠ – ١٣٩

١٢١ زريق ، قسطنطين

« التراث الحضاري »

الابحاث ، م ١٣ ، آذار ١٩٦٠ ، ص ٣ – ٢٤

١٢٢ زريق ، قسطنطين

« الحضارة العربية »

الابحاث ، م ٢ ، آذار ١٩٤٩ ، ص ٣ – ٢٢

١٢٣ زيادة ، نقولا

« أثر الجامعة في حياة العالم العربي »

الابحاث ، م ٨ ، ١٩٥٥ ، ص ٢١٧ – ٢٣٨

١٢٤ صروف ، فؤاد

« روح الصومعة في معترك الحياة المادي »

المقتطف ، م ٨٥ ، كانون الاول ١٩٣٤ ، ص ٤٥٩ – ٤٦١

١٢٥ صروف ، فؤاد

« العلم والمجتمع العربي »

الابحاث ، م ١٤ ، ايلول ١٩٦١ ، ص ٣٤٢ – ٣٦١

١٢٦ صروف ، فؤاد

« عنصر حتمي من عناصر النهضة ، مقام العلم في الحضارة »
المقتطف ، م ٧٦ ، نيسان ١٩٣٠ ، ص ٣٦٥ — ٣٧٢

١٢٧ عسيران ، الدكتور شريف

« مشكلة السكان »
المقتطف ، م ٩٤ ، نيسان ١٩٣٩ ، ص ٤٢٦ — ٤٣٣

١٢٨ عيساوي ، شارل

« النظام الاقتصادي الاجتماعي الامثل »
سلسلة الابحاث الاجتماعية ، السنة الثالثة ، العدد الثالث ، سبتمبر ١٩٤٧

١٢٩ فارس ، نبيه امين

« اميركا والنهضة العربية الحديثة »
الابحاث ، م ١١ ، ايلول ١٩٥٨ ، ص ٣٧٩ — ٣٩٥

١٣٠ فارس ، نبيه امين

« دور لبنان في تاريخ الثقافة »
الابحاث ، م ١٣ ، حزيران ١٩٦٠ ، ص ٢٤٨ — ٢٦٥

١٣١ كوراني ، حبيب امين

« آراء وملاحظات حول تدريس العلوم الاجتماعية في الشرق

الاوسط »

الابحاث ، م ١١ ، آذار ١٩٥٨ ، ص ٨٧

١٣٢ المقدسي ، انيس

« الاتجاه الاجتماعي في الادب الحديث »

الابحاث ، م ٣ ، حزيران ١٩٥٠ ، ص ١٥٢ — ١٤٠

م ٣ ، ايلول ١٩٥٠ ، ص ٢٨٤ — ٢٩٨

م ٣ ، كانون اول ١٩٥٠ ، ص ٤٤٨ — ٤٦٢

١٣٣ المقدسي ، انيس

« الجو الاجتماعي الذي نشأت فيه الاداب العربية »

الكلية م ١٢ ، الجزء الثالث اذار ١٩٢٦ ، ص ١٦١ — ١٦٨

الجزء الخامس ، تموز ١٩٢٦ ، ص ٣٨٦-٣٩٧

١٣٤ مايكيان ، ليفون

« المشكلة الجنسية »

الابحاث ، السنة ٣ ، كانون الاول ١٩٥٠ ، ص ١٩٤

محاضرات الندوة اللبنانية

١٣٥ تويني ، غسان

« قضية الشباب اللبناني » ، القيت في ٢٠ اذار ١٩٥٠ ،

(م ٤ — ١٩٥٠)

١٣٦ جمول ، محمود

« شباب امـام المشكلة الاجتماعية » القيت في ٤ اذار ١٩٥٧ ، (م ١١ — ١٩٥٧)

١٣٧ الجميل ، الشيخ هنري

« علاقـات البيت اللبناني بابنائه المغتربين » القيت في ٢٩ ايار ١٩٤٨ ، (م ٢ — ١٩٥٧)

١٣٨ حرفوش ، الدكتورة جمال

« السياسة الاجتماعية اللبنانية » ، القيت في ٣٠ نيسان ١٩٥٦ ، (م ١٠ — ١٩٥٦)

١٣٩ حكيم ، جورج

« تنظيم الانماء الاقتصادي والاجتماعي في لبنان » ، القيت في ٥ كانون الثاني ١٩٥٣ ، (م ٧ ــ ١٩٥٣)

١٤٠ الخطيب ، فؤاد

« التيارات العربية ومركز لبنان منها » القيت في ٢٢ اذار ١٩٤٨ ، (م ٢ ــ ١٩٤٨)

١٤١ شخاشيري ، زكي

« لبنان تجربة اجتماعية جديـدة » القيت في ٦ شباط ١٩٥٦ ، (م ١٠ — ١٩٥٦)

١٤٢ عقل ، فاضل سعيد

« خواطر في الاغتراب والمغتربين » القيت في ٦ شباط ١٩٥٦ ، (م ١٠ — ١٩٥٦)

١٤٣ غازي ، الزعيم عزيز

« طبائع لبنانية وجوه ومشاهد » ١٩٥٥ ، (م ١٠ — ١٩٥٥)

١٤٤ المعلوف ، رشدي

« بين الأفراد والجماعات » القيت في ١٤ اذار ١٩٤٩ ، (م ٣— ١٩٤٩)

١٤٥ نصار ، الدكتور سلوى

« الطاقة الذرية وجوه استخدامها واثرها في المجتمع » القيت في ١٢ كانون الاول ١٩٥٥ ، (م ١٠ — ١٩٥٥)

١٤٦ النصولي ، مصطفى

« التراث اللبناني من الحرفة الى الصناعة » القيت في ١٦ آذار ١٩٥٣ (م ٧ — ١٩٥٣)

١٤٧ نعيم ، ادمون

« الوضع الاجتماعي والقانوني للمواطن اللبناني » القيت في ٢٨ آذار ١٩٦٠ (م ١٤ — ١٩٦٠)

Books:

١٤٨ Abouchédid, Eugénie
Thirty Years of Lebanon and Syria, Beirut: Sader, 1948.

١٤٩ Attiyyah, Edward
An Arab Tells His Story: A Study in Loyalties, London: John Murray, 1946.

١٥٠ Habachi. René
Un Nouvel Age de Civilisation.

١٥١ Hamadi. Sania
Temperament and Character of the Arabs, New-York; Twayne 1960.

١٥٢ Qubain, Fahmi I.
Crisis in Lebanon. Washington: The Middle East Institute 1961.

١٥٣ Sayegh, Fayez A.
Understanding the Arab Mind. New York: Organization of Arab Students in the U.S. 1953.

Articles and Periodicals:

١٥٤ Atiyah, Edward.
"Social Revolution in the Arab Countires", *The Islamic Review*, XXXXIV, (February 1956), 14-16.

١٥٥ Ayyad, Muhammad Kamel
"The Future of Culture in Arab Society" in Walter Z. Laqueur ed., *The Middle East in Transition*, London: Routledge and Kegan Paul, 1958, pp. 462-77.

١٥٦ Faris. Nabih Amin
"The Arabs and their History". *The Middle East Journal.* VIII (1954), 155-62.

١٥٧ "The Islamic Community and Communism", in Walter Z. Laqueur, ed., *The Middle East in Transition, London*: Routledge and Kegan Paul, 1958, pp. 351-59.

Farroukh, Omar A.
"The Arab Religio-Social Reformers", *The Islamic Review*, XXXIX (November 1951), 99. ١٥٨

Habachi, René
"A Vocation for Lebanon", *Middle East Forum*, XXXVII (March 1961), pp. 33-37. ١٥٩

Himadeh, Sai'id B.
"Social Awakening and Economic Development in the Middle East", in Walter Z. Laqueur, ed., *The Middle East in Transition*, London, Routledge and Kegan Paul, 1958, pp. 52-60. ١٦٠

Hourani, Albert
Twenty Years of Change", *Middle East Forum*, XXXII (May 1957), p. 7. ١٦٠

Issawi, Charles
"Economic and Social Foundations of Democracy in the Middle East", in Walter Z. Laqueur, ed., *The Middle East in Transition*, London: Routledge and Kegan Paul, 1958, pp. 33-57. ١٦٢

Khalidi, Walid
"Political Trends in the Fertile Crescent", in Walker Z. Laqueur ed., *The Middle East in Transition*, London: Routledge and Kegan Paul, 1958, pp. 121-128. ١٦٣

Khatchadourian, Haig
"The Mask and the Face", *Middle East Forum*, XXXVII (February 1961), pp. 15-18. ١٦٤

"Moral Make-Believe in Arab Society", *Middle East Forum*, XXXVIII (May 1962), pp. 16-20. ١٦٥

El-Khoury, Sheikh Michel
"The Youth of Lebanon", *Middle East Forum*, XXXVI (May 1960), p. 41. ١٦٦

Majdalany, Gebran ١٦٧
"The Arab Socialist Movement", in Walter Z. Laqueur, ed., *The Middle East in Transition*, London: Routledge and Kegan Paul, 1958, pp. 337-330.

Mughaizel, Joseph ١٦٨
"Secularism and Arab Nationalism", *Middle East Forum*, XXXVI, (December 1960), p. 11.

Nassar, Salwa ١٦٩
"The Creative Individual and Society", *Middle East Forum*, XXXVII, (May 1961), pp. 11-12.

Salibi, Kamal ١٧٠
"Six Aspects of Lebanon", *Middle East Forum*, XXXVI, (March 1960), pp. 30-34.

Sayegh, Yusif ١٧١
"The Social Philosophy of the Revolution", *Middle East Forum*, XXXVIII (March 1962), p. 10.

Ziadeh, Nicola A. ١٧٢
"Parties and Politics in Syria and Lebanon", *Foreign Affairs Reports*, IV (May 1955), pp. 53-63.

Les Conférences du Cénacle: (C.C.) ١٧٣

Abdel-Al, Ibrahim
"La Paysannerie Libanaise", faite le 16 Février 1953, *C.C.* (Vol. VII, 1953).

Ammoun, Charles ١٧٤
"Le Liban: Risque et Possibilités", faite le 28 Avril 1947, *C.C.* (Vol. I, 1947).

Boulos, Jawad ١٧٥
"Patrimoine Libanais: le Milieu Ethnique Libanais, la Nation Libanaise, Réalité Sociale", faite le 23 Février 1953, *C.C.* (Vol. VII, 1953).

Chiha, Michel ١٧٦
"Reconstruction de la Maison Libanaise: Valeurs", faite le 7 Juin 1948, *C.C.* (Vol. II, 1948).

Corm, Charles ١٧٧
"L'humanisme au Liban: une UNESCO six fois Millenaire", faite le 23 mai 1949, *C.C.* (Vol. III, 1949).

Helou, Charles
"La maison Libanaise: Les fondements moraux", faite le 27 Février 1950, *C.C.* (Vol. IV, 1950). ١٧٨

Issawi, Charles
"Fondements sociaux et économiques de la démocratie", faite le 3 Février 1947, *C.C.* (Vol. I. 1947. ١٧٩

Naccache, Georges
"Reflexions sur certains secteurs de la Vie Libanaise", faite le 7 mai 1956, *C.C.* (Vol. X, 1956). ١٨٠

ملحق ٤ : الدراسات الانطباعية

كتب :

١٨١ بيهم ، محمد جميل

فتاة الشرق في حضارة الغرب ، بيروت ، ١٩٥٢

١٨٢ زين الدين ، الآنسة نظيره

السفور والحجاب ، بيروت ، مطابع قوزما ، ١٩٢٨

١٨٣ لحود ، اديب

العادات والاخلاق اللبنانية ، بيروت ، مطابع صادر ، ١٩٥٣

١٨٤ المعلوف ، عيسى اسكندر

الاخلاق مجموع عادات ، المطبعة الادبية ، بيروت ، ١٩٠٢

١٨٥ يمن ، الاب انطون

تهذيب الاخلاق والعلوم الاجتماعية الوطنية ، بيروت ، مطبعة قوزما ١٩٢٧

مقالات :

١٨٦ الحداد ، نقولا

« بين الحرية والدكتاتورية » الدكتاتورية جسر بين الملكية

والجمهورية »

الهلال ، م ٤٥ ، تشرين الثاني ١٩٣٦ ، ص ٣٣٠ — ٣٣٩

١٨٧ الحداد ، نقولا

« التمدن الحالي وهل يمكن ان ينقرض ؟ »

الهلال ، م ٤٦ ، ١٩٣٨ ، ٧٨١ ـ ٧٨٧

١٨٨ الحداد ، نقولا

« تيار الرأي العام ، هل هناك رأي عام حقيقي ؟ »

الهلال ، م ٤٤ حزيران ١٩٣٦ ، ص ٨٩٠ — ٨٩٦

١٨٩ الحداد ، نقولا

« جمهور حيوانات ، مشكلات العصر الاجتماعية على طريقة كليلة ودمنة »

المقتطف ، م ١٠٣ ، اب ١٩٤٣ ، ص ٢١٧ — ٢٤٠

١٩٠ الحداد ، نقولا

« الحرية والعبودية »

المقتطف ، م ١١٦ ، كانون الثاني ، ١٩٥٠ ، ص ١١ ـ ٢٠

١٩١ الحداد ، نقولا

« دعوة عامة للعمل المنتج لاجل السلام العام واخماد الاضطراب العالمي الحالي المدمر »

المقتطف ، م ٨٩ ، تموز ١٩٣٦ ، ص ٢١٣ ـ ٢١٩

١٩٢ الحداد ، نقولا

« الدكتاتورية حمة عارضة »

الهلال ، م ٤٧ ، حزيران ١٩٣٩ ، ص ٧٥٣ -٧٥٩

١٩٣ الحداد ، نقولا

« الديمقراطية مسيرها ومصيرها »

المقتطف ، م ١١٦ ، ملحق ايار ١٩٥٠ ، ص ١ — ٤٨

١٩٤ الحداد ، نقولا

« الرأي العام الاجتماعي »

المقتطف ، م ١٠٩ ، تموز ١٩٤٦ ، ص ٨٢ — ٨٧

١٩٥ الحداد ، نقولا

« لم تضق الدنيا بما فيها زحام السكان في دائرة العمران »

الهلال ، م ٤٦ ، تموز ١٩٣٨ ، ص ٩٩٢ — ٩٩٨

١٩٦ الحداد ، نقولا

« الوراثة الاجتماعية تطغى على الوراثة الطبيعية »

المقتطف ، م ١١٥ ، كانون اول ١٩٤٩ ، ص ٣٧٠ — ٣٧٥

١٩٧ حنا ، جورج

« الوعي الاجتماعي »

العرفان ، م ٣٩ ، تموز ١٩٥٢ ، ٩١٣ — ٩١٨

م ٣٩ ، آب ١٩٥٢ ، ١٠٤٣ — ١٠٤٦

م ٣٩ ، ايلول ١٩٥٢ ، ١١٦٧ — ١١٦٩

١٩٨ رضا ، الدكتور نزار

« حقيقة اجتماعية »

العرفان ، م ٣٩ ، ١٩٥٢ ، ٣٧٦ _ ٣٧٧

١٩٩ سكاكيني ، وداد

« تطور المرأة »

العرفان ، م ١٤ ، كانون اول ١٩٢٧ ، ٣٩٩ - ٤٠٣

٢٠٠ سكاكيني ، وداد

« صوت الحجيرة »

الرسالة ، م ٢٠ ، تشرين اول ١٩٥٢ ، ١١٠٩

٢٠١ شرارة ، محمد

« في الريف »

العرفان ، م ٣٣ ، نيسان ١٩٤٧ ، ٦٣١ — ٦٣٩

٢٠٢ الشهابي ، الامير عبد القادر

« من اي جهة نعالج مصائبنا »

العرفان ، م ٣٥ ، حزيران ١٩٤٨ ، ١٠١٤ — ١٠١٦

٢٠٣ الصباح ، حسن كامل

« ادواؤنا الاجتماعية والدينية ودواؤها »

العرفان ، م ٤٥ ، ايار ١٩٥٨ ، ٧٠٩ — ٧١١

٢٠٤ عسيران ، عاكف

« بعث الشباب المسلم »

العرفان ، م ٣٣ ، تموز ١٩٤٧ ، ١٠٠٨ _ ١٠١٦

٢٠٥ فرحات ، اديب

« الطائفية وادوارها ، وهل هي مفيدة في بلادنا ام لا ولماذا ؟

العرفان ، م ٢٢ ، ايار ١٩٣١ ، ١٧ ـ ٣٢

٢٠٦ فرحات ، اديب

« الهجرة اللبنانية »

العرفان ، م ٣٦ ، تموز ١٩٤٩ ، ٧٢٧ — ٧٣٠

٢٠٧ فضل الله ، محمد جواد

« الصراع بين الدين والمجتمع »

العرفان ، م ٤٦ ، آذار ١٩٥٩ ، ٦٦٠ ـ ٦٦٥

٢٠٨ قدورة ، اديبة وسعادات

« الحجاب »

العرفان ، م ١١ شباط ١٩٢٦ ، ٦٤٠

٢٠٩ قدورة ، سعادات

« متى ترقى المرأة في بلادنا »

العرفان ، م ١٢ ايلول ١٩٢٦ ، ٧٢ — ٧٤

٢١٠ مروة ، عباس

« التفكير ومساوىء الاخلاق »

العرفان ، م ١٧ ، كانون الثاني ١٩٢٩ ، ٣٧

٢١١ مروة ، علية

« المرأة اللبنانية السورية »

العرفان ، م ٣١ ، نيسان وايار ١٩٤٥ ، ص ٢٦٧

٢١٢ مروة ، علية

« موقف المرأة من الحياة العامة »

العرفان ، م ٣٧ ، كانون الثاني ١٩٥٠ ، ٧٧ — ١٨

٢١٣ المعوشي ، حبيب

« البغاء »

الرسالة ، م ٢ ، آب ١٩٣٤ ، ١٢٩١ — ١٢٩٣ .

٢١٤ المغربي ، فائز

« بين السفور والحجاب »

العرفان ، م ٤٢ ، كانون اول ١٩٥٤ ، ٢١١ - ٢١٩

٢١٥ ملحم ، فريد

« الرقي الاجتماعي »

الكلية ، م ٣ ، شباط ١٩١٠ ، ١٠٤ ـ ١٠٩

ملحق ٥ : مؤتمرات وحلقات دراسية

LES SEMAINES SOCIALES DE BEYROUTH

Conférences Annuelles, Université Saint-Joseph de Beyrouth.

I *La Morale et les Affaires*, 21-27 Avril 1940 ٢١٦

Michel Chiha: La Morale et les Affaires au Liban.
Georges Hakim: La Règle du jeu ou le Marchandage.
Ernest Teilhac: L'Enjeu ou la Morale de l'Or.
Bichara Tabbah: Les Affaires Hors jeu, dans les Professions Libérales et les Fonctions Publiques.
Joseph Naggear: Les Grandes Affaires ou le jeu des Autres.
R.P. Christophe de Bonneville: New Deal, à renouveau moral.

II *L'Ecole et l'Education Nationale*, 27 Avril — 3 Mai 1941

Watrin: L'Ecole Rendue à César ٢١٧
Sami Chammas: Ce que L'Education primaire veut-être
Choucri Cardahi: Ce que l'Education primaire est actuellement au Liban.
Fouad Boustany: Maitres, Livres et Programmes pour l'Education Primaire au Liban.

III *L'Agriculture, Richesse Nationale*, 19-26 Avril 1942 ٢١٨

Fouad Saade: Le Problème de l'Agriculture
Soubhi Mazloum: Le Problème de l'Eau au Liban et en Syrie
Jean Debbané: Experimentation et Enseignement
Leon Mourad: Les Conditions Economiques de l'Agriculture
Bichara Tabbah: Les Données Juridiques du Problème de la Terre
R.P. Michel Gillet: Ecole Rurale, Retour à la Terre

٢٢٥ حلقات الدراسات الاجتماعية للدول العربية

نظمت الامم المتحدة هذه الحلقات ، وزودت الدول العربيـة هذه الاعمال التنظيمية بمادة من الاعمال التي تم تحقيقها .

الدورة الاولى ، بيروت ، ١٥ آب – ٨ ايلول ، ١٩٤٩
بحثت تدبير الاصلاح الاجتماعي ، وموضوع رعاية الطفل ،
وموضوع الاصلاحات الاجتماعية من حيث صلتها بقبائل البدو ،
ونحو ذلك من الموضوعات .

٢٢٦ الدورة الثانيـة ، القاهرة ، ٢٢ تشرين الثاني – ١٥ كانون الاول ، ١٩٥٠
موضوعها « الاصلاح الريفي »

٢٢٧ الدورة الثالثة ، دمشق ، ٨ – ٢٠ كانون الاول ، ١٩٥٢
موضوعها « المساعدات الاجتماعية »

٢٢٨ الدورة الرابعة ، بغداد ٦ – ٢١ آذار ، ١٩٥٤
موضوعها « الرعاية الاجتماعية في اتصالها بالتنمية الزراعية والصناعية في البلاد العربية »

٢٢٩ الدورة الخامسة ، عمان ، ١٦ – ٢٥ ايار ، ١٩٥٦
« النهوض بالمجتمع المحلي »

٢٣٠ الدورة السادسة ، بنغازي ، تموز ١٩٥٩
موضوعها « الامومة والبنوة في البيت العربي »

٢٣١ مؤتمر الدراسات العربية في الجامعة الاميركية في بيروت

المجتمع العربي ٢٧ نيسان ـ ١ نوار ١٩٥٣

اخراج هيئة الدراسات العربية في الجامعة الاميركية في بيروت

الدكتور حكمت هاشم : البيت العربي

الدكتور عفيف طنوس : الريف العربي

الدكتور قسطنطين زريق : التربية العربية

الدكتور حنا رزق : الفرد والمجتمع

٢٣٢ مؤتمرات خبراء الشؤون الاجتماعية العرب

باشراف جامعة الدول العربية .

عقدت المؤتمرات الثلاثة الاولى في القاهرة

وعقد المؤتمر الرابع في الكويت ، ١ - ٧ آذار ١٩٥٨

يبحث عادة في مؤتمرات خبراء الشؤون الاجتماعية ثلاثة موضوعات رئيسية :

١ - بحث التقارير السنوية التي تصدرها وزارات وادارات الشؤون الاجتماعية في الدول العربية ، وما تم تنفيذه من مشروعات اجتماعية وما يعترض هذه المشروعات من صعوبات ووسائل التغلب عليها . وتخصيص لجنة فرعية لدراسة التقارير السنوية لادارة الشؤون الاجتماعية وبحث ما نفذ وما تقترحه الادارة بالنسبة للعام المقبل .

٢ - موضوع مدى تنفيذ الدول لتوصيات مؤتمرات خبراء الشؤون الاجتماعية .

٣ - بحث الموضوع الذي تم اختياره ليكون موضع البحث في الدورة القادمة لحلقة الدراسات الاجتماعية .

هدف هذه المؤتمرات : تعمل هـذه المؤتمرات على تحقيق الرفاهية الاجتماعية للشعوب العربية .

٢٣٣ مؤتمر الانعاش الريفي

عقد في برمانا لبنان بين ٢٥ ايلول و ٢ تشرين الاول ١٩٥٦ . وقد دعت اليه وزارة الشؤون الاجتماعية بلبنان وحضره مندوبون عن الدول العربية والامم المتحدة ومنظمة اليونسكو وهيئة الصحة العالمية ووكالة غوث اللاجئين .

اهداف المؤتمر : طلب من المشتركين ان يدرسوا عدة امور منها :

١ الوسائل العملية لتوطيد التعاون بين القادة الاجتماعيين في الريف العربي وتنظيم التعاون وتبادل الخبرات فيما بينهم .

٢ طرق نشر المعلومات عن الاصلاح الريفي وتبادلها

٣ مساهمة الشباب العربي في احياء الريف العربي

٤ تنظيم تبادل الزيارات الريفية ، ودور جامعة الدول العربية والهيئات الاهلية في تحقيق هذه الزيارات

٥ بيوت الضيافة في البلدان العربية وطرق تشجيعها وتمويلها ومساهمة الدولة والمؤسسات في ذلك .

٦ المشكلات المادية والفنية التي يواجهها القادة الريفيون والاجتماعيون ووسائل التغلب عليها .

وقد شكلت لجنة خاصة باسم « لجنة التعارف في المجتمع الريفي » واوصى المؤتمر الحكومات العربية بان تتضمن برامجها رسم خطط النهوض بالقرية العربية والعمل على انعاش المجتمع العربي وزيادة العناية بسكانه .

٢٣٤ XVII *Congrès International de Sociologie*, Institut International de Sociologie Beyrouth 23-29 Septembre 1957.
Actes du Congrès publiés en deux volumes à Beyrouth.
Participants Libanais:

Sociologie Démographique:

— Elias Gannagé: "Incidences Sociales de la Pression Démographique au Moyen-Orient", Vol. I, 621-635.

Sociologie Rurale:

— Jean Debbané: "Évolution du Metayage et du Comptant au Liban", Vol. I, 751-760.

— Albert Farhat: "Liban et Sociologie Rurale", Vol. I, 763-774.

Effets Sociologiques des Moyens Modernes de Diffusion:

— Monseigneur Jean Maroun: "Sociologie Cinématographique", Vol. II, 77-86.

— Bichara Tabbah: "Les Incidences Sociologiques des Moyens Modernes de diffusion de la Culture", Vol. II, 139-142.

— Victor Hakim: "Une Crise de la Culture au Liban", Vol. II, 143-52.

Sociologie Familiale:

— Pergrouhi H. Najarian: "Adjustement in the Family and Patterns of Family Living", Vol. II, 425-448.

Le Point de Vue Geographique en Sociologie

— Jawad Boulos: "Influence du Milieu Géographique sur la Formation et l'Evolution des Sociétés Humaines", Vol. II, 507-525.

Problèmes Sociologiques des Pays Insuffisamment Développés

— Sania Hamady: "Psychological and Socio-Cultural problems in the Economic Development of the Arab Countries", Vol. II, 625-638

The New Metropolis in the Arab World

International Seminar on City Planning and Urban Social Problems Sponsered by the Congress for Cultural Freedom and the Egyptian Society of Engineers.

Cairo, U.A.R., December 1960.

٢٣٥ بين التقليد والتجديد ، بحوث في مشاكل التقدم

باشراف جامعة الخرطوم والمنظمة العالمية لحرية الثقافة ، الخرطوم يناير ١٩٦١ .

مواضيع الابحاث :

التنمية الاقتصادية

تطور القانون

الادارة والحكم

التعليم والثقافة

النفس والمجتمع

تقدم المرأة

بين التقليد والتجديد

جمعها واعدها للنشر الدكتور محمد النويهي

ونشرتها المنظمة العالمية لحرية الثقافة ، القاهرة ، ١٩٦١

٢٣٦ مشكلة الانحراف عند الاحداث في لبنان وأساليب معالجتها

المؤتمر العام ، بيروت ، ١١ ايار ١٩٦١ .

دعت اليه لجنة الشؤون الاجتماعية التابعة لجمعية المسيحية للشابات في بيروت .

وقائع المؤتمر :

– السيدة مي قرطاس : سبب الاهتمام بهذا الموضوع

– الدكتور رضا وحيد : مشكلة المجتمع ، الانحراف خلال عشر سنوات ، دوافع الانحراف ، المكافحة .

– القاضي فريد الزغبي : من اهم الاحداث وما هو الانحراف

تقرير لجنة الشؤون الاجتماعية عن التحقيقات في الشارع ، اسباب التشرد ، واقتراح بعض الحلول المتعلقة بالبيت والاسرة وبالمجتمع والشارع

تقرير لجنة الشؤون التربوية : الحالات النفسية والاخلاقية ، والتربية والتعليم من الاساليب الوقائية : المدرسة النموذجية واهم مقوماتها

تقرير لجنة الشؤون القانونية : الانظمة ، المحاكمة ، الاصلاح .

تقرير لجنة الفتيات الجانحات : ظاهرة الجنوح ، اسباب الجنوح ، مكافحة الجنوح

ملحق رقم ٦

دراسات قام بها اللبنانيون في مواضيع اجتماعية خارجة عن اجتماع البلاد العربية

١ ابراهيم ، ابراهيم يوسف

« الشباب في اميركا »

الرسالة ، م ٢ ، تشرين الثاني ١٩٣٤ ، ص ١٩٤٤

٢ اسطفان ، حبيب

« الشعوب الاميركية الاسبانية »

التمدن ، توكومان الارجنتين ، ١٩٤٩

٣ جريديني ، سامي

« الانقلاب الاجتماعي في اوروبا بعد الحرب »

الهلال ، م ٤٩ ، نيسان ١٩٤١ ، ص ٤٠٥ ـ ٤١٠

٤ جريديني ، سامي

« تيارات جديدة في نظم العالم الاجتماعية »

الهلال ، م ٥٣ ايار ، وحزيران ١٩٤٥ ، ص ٢٠٣ ـ ٢٠٨

جريديني ، سامي

« ميزة الحضارة الغربية »

المقتطف ، م ٨١ ، حزيران ١٩٣٢ ، ص ٢٠ - ٢٥

٦ زنتوت ، عبد الفتاح

« عادة الملوك في سيام »

العرفان ، م ١٦ ، ايلول ١٩٢٨ ، ص ١٥٣ ـ ١٥٦

٧ شبل ، فؤاد محمد

« تطور الخدمة الاجتماعية في بريطانيا العظمى »

المقتطف ، م ١٠٤ ، كانون الثاني ١٩٤٤ ، ص ٧٨ ـ ٨٣

٨ شهاب ، موريس

« عادات وتقاليد رومانية »

المشرق ، م ٣٥ ، تموز ١٩٣٧ ، ص ٣٢١ ـ ٣٣٩

٩ فرحات ، اديب

« تصادم الالوان شيء جديد في افريقيا »

العرفان ، م ١١ ، ايلول ١٩٢٥ ، ص ٥١ ـ ٥٦

" ، م " ، تشرين الاول ١٩٢٥ ، ١٧٠ - ١٧٤

" ، م " ، تشرين الثاني ١٩٢٥ ، ٢٥٣ - ٢٥٩

" ، م " ، كانون الاول ١٩٢٥ ، ٣٩٥ - ٤٠٠

١٠ مبارك ، زكي

« الشباب في جامعة باريس »

الهلال ، م ٤٤ ، نيسان ١٩٣٦ ، ص ٦٧٢ - ٦٧٨

دراسات حررت بلغة اجنبية

Hoyek, Camille Faris

١١ "Criminal Incendiarism", *The Journal of Criminal Law and Criminology of Northwestern University*, XXXXI (March-April, 1951).

١٢ "Observations on the Prevention of Arson", *The Journal of Criminal Law of Northwestern University*, XXXXII (January-February, 1952.

Nader, Albert

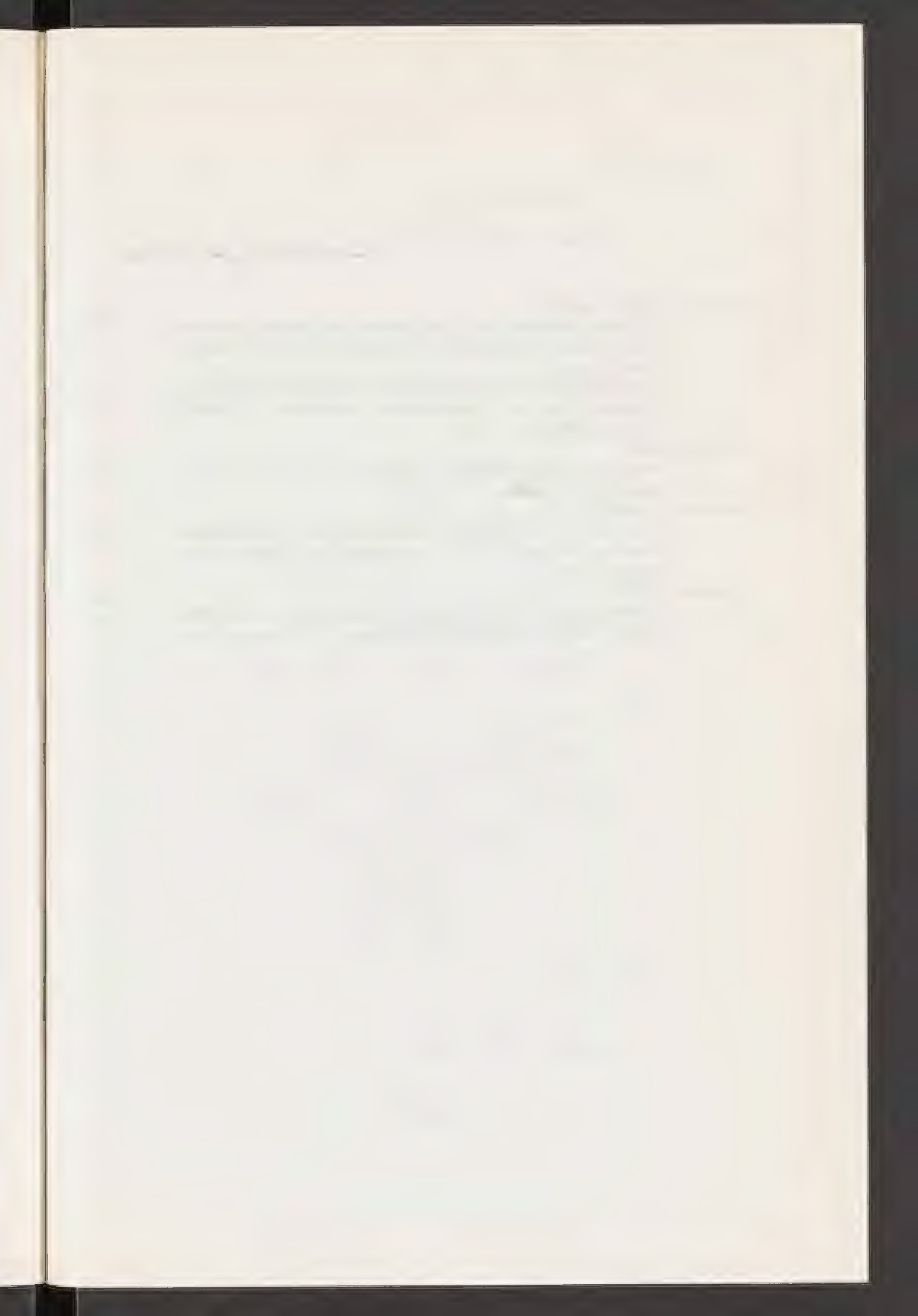
١٣ "Renouveau Economique et Social en Iraq", *Travaux et* Jours, No. 6, 1962.

Razzouk, Ass'ad

١٤ "*The Sources of Cultural Anthropology in Contemporary German Philosophy*, Ph.D. Dissertation at Tubingen University, 1963.

Tannous, Afif

١٥ "Acculturation of an Arab-Syrian Community in the Deep South" *American Sociological Review*, VIII (1943), 265.



سورية

بقلم الدكتور عبد الكريم اليافي

ملاحظة . – اشكر الزميل الدكتور محمد صادق العظم تزويده لي بعدد كبير من اسماء الكتب وعناوين المقالات مما استخرجه من مكتبة الجامعة الاميركية ومما الفه السوريون في تلك الفترة . وسوف اذكرها في الملحق الذي يشتمل على سرد اسماء الكتب والرسالات والمقالات في نهاية هذا البحث .

« وقال لي : لا تجترىء علي فلو جئت بالحرف كـله حسنات كانت حجتي ألزم »

« المواقف » النفري ص٥٨

توطئة

يشتمل هذا البحث على مقدمـة تبرز ما فيه من مصاعب ومن سهولة ، وعلى قسمين يتناول اولها التيارات الفكرية الاجتماعية التي وصلت بين القديم والحديث ونهوض الكتابة الاجتماعية بالعربية وتفتحها للآراء الغربية وعمـا حمل ذلك كله من تآليف ، ويسجل ثانيهما احوال البحوث والدراسات الاجتماعية والكتابة فيها للوقت الحاضر . ثم يتضمن البحث تعقيباً هو نهاية البحث .

مصاعب البحث وسهولته

من المناسب في مستهل هذا البحث ان نوضح معالمه ونحدد سبله ونحاول بعض المصطلحات المتشابهة في مضماره ونعرز المصاعب التي قد تعترضنا والسهولة التي قد نجدها .

لقد شاع في العصر الحاضر استعمال لفظ « العلوم الاجتماعية Sciences Sociales, Social Sciences » وكذلك لفظ « علم الاجتماع Sociologie, Sociology » ولا شك ان هذه العلوم التي يقرب بعضها من بعض تتصل صورها وقد تلتبس هذه الحدود وتشتبك موضوعاتها وقد تتشابه هذه الموضوعات ولا بد في مثل هذا البحث من ان نعمد كمساحي الارض الى تفريق ميادين تلك العلوم وبيان خطوط اتصالها ومدى انفصالها اي ان نعمد الى تأريفها اذا استعملنا تعبير مسح الاراضي .

العلوم الاجتماعية هي ما تناولت المجتمع أو الحياة الاجتماعية بالبحث والدراسة . ان العلوم بأنواعها كلها قد نشأت في حجر المجتمع وتربت في احضانه واستفاضت في ظلاله وهي في النهاية تصب في بحره الواسع وهو يجني خيراتها ويستفيد من مكتسباتها . ولكن بعضها لا يعالج قضايا المجتمع مباشرة بل يهتم بامور اخرى ليست لها الصفة الاجتماعية للوهلة الاولى كالرياضيات والفيزياء والكيمياء والفيزيولوجيا

والبيولوجيا وامثالها فهذه علوم يستفيد منها المجتمع الاستفادة كلها ولكنها ليست اجتماعية لانها لا تعالج قضايا المجتمع مباشرة . على خلاف علم السياسة مثلاً اذ يعالج الامور السياسية كنظم الحكم وتطور السلطة وعلاقات الشعب بالدولة والدولة بالشعب وهلم جرا ، وكعلم الاقتصاد الذي يبحث قضايا الثروة وانتاجها وتوزيعها في المجتمع . فهما علمان اجتماعيان اذ كانا يتأملان بعض جوانب الحياة الاجتماعية كل من وجهته وحسب اختصاصه ، وهما مستقلان عن علم الاجتماع وان كان بينهما وبينه علائق وثيقة . ثم ان علم النفس الاجتماعي والانتربولوجيا الاجتماعية يصح اعتبارهما فرعين من علم الاجتماع كما يصح اعتبارهما برغم اتصالهما العميق به مستقلين عنه . وكذلك بحوث المسح الاجتماعي اصبحت ذات مناهج وطيدة عملية قائمة على الاحصاء وعلى حساب الاحتمال ومتصلة بعلم النفس وعلم الاجتماع . ولقد اعتبرت مدرسة دركهايم بحوث السكان داخلة في المورفولوجيا الاجتماعية ومؤلفة موضوعها ، ولكن هذه الدراسات تقدمت جداً في العصر الحاضر منذ ان تناولها الرياضيون وعلماء الاحصاء وبدأت تنزع نحو الاستقلال وغدت يغلب عليها اسم « الديمغرافية » حتى اننا نرى اليوم في العالم ديمغرافيين أولي شأن في هذا الميدان دون ان يكون عندهم اطلاع كاف على بحوث علم الاجتماع او العلوم الاجتماعية الاخرى برغم الاواصر الكثيرة المتشعبة الواشجة بين الديمغرافية وهذه العلوم . كذلك لا يخفى اتصال علم الحقوق بعلم الاجتماع اذ كان علم الحقوق او القانون يعالج الشؤون والنظم التشريعية والقضائية في المجتمع ، ولكن دراسة الحقوق الى تكوين رجل القانون اكثر اتجاهاً منها الى تحليل النظم التشريعية والقضائية تحليلاً علمياً والى تبين آثارها في المجتمع الانساني ، ولذلك كانت الموازنة في الحقوق (الحقوق المقارنة) امس بحوث الحقوق بالدراسات الاجتماعية لاتجاهها العلمي العام .

ثم ان الجغرافية تتخذ موضوعها الاطار الطبيعي الذي تعيش عليه المجتمعات فهي في الحقيقة من العلوم الطبيعية ، ولكن أحد فروعها وهــو الجغرافية البشرية وثيق القربى بعلم الاجتماع كما يدل على ذلك اسمه .

وهنالك دراسات تتصل بعلم الاجتماع كما تتصل بعلوم اخرى غيره كدراسة العلائق الدولية التي هي فرع من فروع علم السياسة ، ولكن هذا الفرع آخذ بالتقدم والازدهار في العصر الحاضر ونازع نحــو الاستقلال عن علم السياسة . وكذلك علم الجرائم فهو يتعلق بعلم النفس وبعلم الحقوق ولا سيما الحقوق الجزائية وبالطب كما يتعلق بعلم الاجتماع .

ثم لا ننس التاريخ الذي يرفد الدراسات الاجتماعية ويعدها بمعين لا ينضب حتى ان بعض علماء الاجتماع يعتبر التاريخ بمثابة المختبر الذي تجري فيه التجارب الانسانية . ويتعلق بالتاريخ وبعلم الاجتماع دراسات التغير الحضاري

وكذلك ثمة بحوث تخدم العلوم الاجتماعيــة كلها وتنزل منها منزلة الآلات كالمنطق ودراسة مناهج العلوم والاحصاء وحساب الاحتمال وهي تهيء تهيئة مفيــدة لدراسة علم الاجتماع .

ولا شك ان دراسات الاخلاق والفلسفة الاجتماعية ذات وشائج بالحياة الاجتماعية وبعلم الاجتماع دون ان تؤلف علوماً بالمعنى العلمي المعروف .

ان علم الاجتماع نفسه واحــد من العلوم الاجتماعية وهكذا نرى الى جانبه علوماً وبحوثاً ودراسات اجتماعية متعددة بينه وبينها اواصر يكاد يتعذر حصرها ، يتناول كل منهــا الظواهر الاجتماعية المشتبكة من وجهته الخاصة . ولكن علم

الاجتماع يعتبر من بينها اعم اتجاها واوسع نظراً واكثر اشراقاً انه يبحث المناهج والطرق العامة والقضايا الانسانية المشتبكة الكلية فهو من العلوم الاجتماعيـة بمنزلة الفلسفة من بقية العلوم أي هو المهد الذي تنشأ فيه وتتدرج منه تلك العلوم . أو هو تركيب لنتائج العلوم الاجتماعية الخاصة وسكب لها في بوتقته العامة ثم سبكها في قالب شامل جديد ..

ثمة صعوبة تعترضنا اذن وهي قضية التفريق في بعض الاحيان بين حدود هـذه العلوم ولا سيما حين تتناول هذه العلوم الاجتماعية موضوعات واحدة أو متشابهة وحين يستفيد بعضها من اعتبارات بعضها الآخر ويستند اليه . ولكن هذه الصعوبة تقـل اهميتها بالنسبة لصعوبـة اخرى ثانية وهو ان علم الاجتماع نفسه علم حديث تطور بسرعة كبيرة واختلفت مناهجه واصوله واعتباراته .

وهكـذا اذا نقبنا في تاريخ هذا العلم وجدنا بحوثاً ودراسات شتى متفاوتة الاصول متباينة الطرائق والفينا ان مؤلفيها ليسوا على وفاق في صحـة الاصول التي يستندون اليها ولا يقر بعضهم البعض في الطرق التي يسلكونها . ومن المعلوم مثـلاً ان واضع لفظ « السوسيولوجيا » هو اوغست كونت وانه وضع هذا اللفظ سنة ١٨٣٩ فاستعمله في الدرس السابع والاربعين من كتابه « دروس في الفلسفـة الوضعية » وذلك لكي يميز دراساته الوضعية كما يسميها من بعض المحاولات الـتي كانت تسمى بالفيزياء الاجتماعية وكان يومىء بذلـك الى بحوث العالم الاحصائي البلجيكي (كيتله) الذي طبق الاحصاء على بعض الظواهر الانسانيـة كالزواج والولادة والوفيات والجرائم وهلم ما جرا . لم يكن مؤسس علم الاجتماع كما يدعوه بعض علماء الغرب راضياً عن الاحصاء الذي كان قد بدأ يطبق منذ حين في الدراسات البشرية كما لم يكن راضيا عن حساب الاحتمال ونحن نعلم الآن ان

الاحصاء وحساب الاحتمال قد غدوا ركنا من اركان العلوم الاجتماعية المختلفة ولا سيا علم السكان والمسح الاجتماعي .

ولقد ظهر فريق من الباحثين الاجتماعيين ارادوا ان يطبقوا قواعد الرياضيات والكيمياء والفيزياء والبيولوجيا في ميدان الظواهر الاجتماعية ونجم عن ذلك مدارس اجتماعية معروفة مقابلة لتلك المحاولات . و كذلك تنازع علماء الاجتماع وعلماء النفس في معالجتهم لبعض الظواهر وتفسيرها ومن المعلوم ان اوغست كونت لم يذكر علم النفس بين العلوم التي صنف مراتبها تصنيفاً منطقياً وتاريخياً بحسب اعتباره اذ لم يكن هذا العلم مستقلاً في نظره لان موضوعه اما ان يتناول دراسة وظائف الدماغ فهو عندئذ تابع للبيولوجيا وجزء منه واما ان يتناول دراسة الظواهر الانسانية وعندئذ يدخل في علم الاجتماع الحديث التأسيس .

واقد ذكر جورج داڤي (Georges Davy) الفرنسي في كتابه « علماء الاجتماع امس واليوم » (١٩٣١) اربعة اتجاهات للدراسة الاجتماعية في فرنسا منذ سنة ١٨٥٠ الى عهده وهي :

١ – الاتجاه الذي يبدأ من سان سيمون واوغست كونت ويصل الى دركهايم

٢ – الاتجاه الذي يتسمى بالاصلاح الاجتماعي ويمثله لوبلي

٣ – اتجاه اسبناس وورنه فورمس وقد نهجا في مذهبهما العضوي نهج سبنسر الانكليزي .

٤ – اتجاه تارد النفسي .

والمتتبع لتاريخ تلك الاتجاهات يعرف كيف كانت كل فئة من ممثليها تود

على الفئات الاخرى وتنكر عليهم اصولهم وتطمس زاويا دراساتهم . واشد ذلك النزاع ما وقع بين اتجاه تارد النفسي واتجاه دركهايم الاجتماعي وهما ما هما في تاريخ علم الاجتماع .

وقد نجد مثل ذلك احياناً في العصر الاخير فان دافيد كرتش David Krech بجامعة كاليفورنيا وريتشارد كرتشفيلد Richard Crutchfield بكلية سوارثمور Swarthmore يريان في كتابهما نظرية علم النفس الاجتماعي ومسائله «١٩٤٨» ان علم النفس العام هو بالضبط علم النفس الاجتماعي ولا فرق بينهما لان كليهما يبحثان ظواهر وقوانين واحدة ما دام الانسان لا يمكن تصوره منفكا عن الاخرين. ثم هما يستشفان عند بحث الظواهر الاجتماعية ثلاثة مستويات : الاول مستوى سلوك الفرد والثاني مستوى سلوك الجماعات والفئات والثالث مستوى المنظمات والهيئات الاجتماعية .

حتى دراسة الظواهر الانسانية من الناحية النفسية والناحية الاجتماعية لقيت انتقادات شديدة من قبل بعض المفكرين والفلاسفة الذين لم يرضوا عن الاصول العلمية الضيقة المتبعة في علم النفس وفي علم الاجتماع . ومن لا يعرف في تاريخ الفلسفة والدراسات الاجتماعية ما كتبه المفكر الالماني ولهلم دلتي (١٨٣٣ـ ١٩١١م) في كتابه «مدخل للعلوم الانسانية» حين فرق بين العلوم الطبيعية والعلوم الانسانية في الموضوع وفي الطريقة المتبعة للدراسة؟ ومن لا يعرف ايضاً ما اورده ادمون هوسرل (١٨٥٩ - ١٩٣٨ م) مؤسس الفينومينولوجيا من انتقادات حول طرائق الباحثين في تلك العلوم الانسانية ؟

لقد ادخلت تعديلات كثيرة في اعتبارات تلك المدارس النفسية والاجتماعية

ازاء تلك الانتقادات . ولقد ادى التفكير في العصر الحاضر الى تيارين اصيلين كبيرين في علم الاجتماع يتصفان معاً بصفة الالتزام وهي ان موضوع الدراسة الذي هو الظواهر الانسانية من نوع خاص لان الناس الذين يؤلفون الظواهر ليسوا موضع الملاحظة فقط بل هم يعيشون تلك الظواهر الاجتماعية ويتأثرون بهـا ، فنحن حين ندرس الظواهر الاجتماعية لا بـد من ان نتأثر بها وان نؤثر فيها فنبدلها وهكذا لا نتصور ان وصف المجتمع وصفاً حيادياً امر سهل وممكن . فالماركسيون مثلاً في دراستهم للظواهر الاجتماعية لا يكتفون بمجرد الدراسة بل يجـدون انفسهم مسؤولين تلقاءها بمجرد ادراكهم للتناقضات التي تطالعهم من خلالها فهم يسعون عند دراستهم لها لتغييرها وتبديلها وحل تناقضاتها وتوجيهها حسب ما يرونه منسجماً مع نظرياتهم .

وكذلك السوسيومتريا في الولايات المتحـدة فهي باساليب السيكودراما والسوسيودراما تسعى لدراسة الجماعات ونفسياتهم وعلاقات بعضهم ببعض ولاصلاحها بالدراسة نفسها . لقد قابل مورينو بينه وبين فرويد فرأى انه يبتدىء من حيث ينتهي فرويد . فرويد في تحليله النفسي يطلب الى الناس ان يحضروا ليحلل نفسياتهم في اطار مكتبه الصنعي ، ومورينو يصادفهم في الطريق وفي بيوتهم أي في اطارهم الطبيعي . فرويـد يحلل احلامهم ومورينو يشجعهم على المضي في احلامهم بـل يبعث فيهم هذه الاحلام . . .

واذا كنا قد اسهبنا في عرض الاختلاف بين علماء الاجتماع الحديثين عند الغرب حيث تقدمت فيه الدراسات الاجتماعية فلبيان المصاعب التي تعترضنا حين نجـد في اطواء تاريخنا العلمي الاخير كتاباً تمس بحوثه حياتنا الاجتماعية ونريد تصنيفه في عداد احد تلك العلوم الاجتماعية . ان الكتب الحديثة جداً ايسر تصنيفاً واكثر مطاوعة

في هذا الباب لانها اشد تأثراً بالدراسات الاجنبية المختلفة ، وربما بدت لذلك احيانا اقل اصالة في هذا الميدان على حين ان بعض الكتب الاجتماعية القديمة نسبيا اذا كانت قد بقيت فلانها تفردت ببعض المزايا والخصائص وان عالجت القضايا الاجتماعية والانسانية بالنمط القديم . اننا نخطىء حين نقيس علم الماضي بمقاييس الحاضر الدقيقة لان الاعتبارات قد اختلفت كل الاختلاف وكذلك التسميات . ان العالم الفيزيائي الحديث لا يكاد يتعرف على الفيزيا، التي كانت رائجة قبل خمسين سنة فكيف يكون الامر بالنسبة العلوم الانسانية ؟ لا شك ان موقفنا ينبغي ان يتغير حين نتصفح تاريخ هذه العلوم وعندئذ تقتضي النزاهة ان نتخذ مواقف تنسجم بعض الشيء مع مراحل هذا التاريخ . يضاف الى ذلك ان البحوث الاجتماعية عامة والاداب والصحافة في تاريخنا خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر تبدو متلازمة متداخلة ومتضامنة . واذا اتصلت احياناً هذه الامور عند الغرب فان مدى اتصالها هنالك اقل بكثير منه عند الذين يعتبرون الشعر عندهم « ديواناً لاخبارهم ». اليس الشعر ديوان العرب كما قال الشاعر منذ القديم ؟ ونستطيع ان نوسع هذا اللفظ فنقول الادب ديوان العرب . وكثير من الدراسات الادبية بهذا الاعتبار حين تمس المجتمع وتعنى بقضاياه لا تقل في طرافتها وجودتها عن الدراسات الاجتماعية الصرف.

واذا تذكرنا كلام مورينو ودعوته للناس الى المشي في احلامهم فاننا بصرف النظر عن طريقة المشي في تلك الاحلام لنسأل انفسنا الى اي مدى تكون المواعظ الدينية والخطب المنبرية والمقالات الحماسية في المساجد والكنائس والمحافل مصفية للاهواء على حد تعبير ارسطو منذ القديم مخففة لضغط الميول محلقة بالمستمعين والخطباء انفسهم على اجنحة الاحلام حسب تعبير مورينو ؟ اولا يجوز عندئـذ ان تذكر تلك الامور بين الاعمال الفكرية الاجتماعية ؟ اما نحن فسنتحاشى ذلك جهدنا وان كان لا بد لنا من التنويه ببعض كتاب المقالات الصحفية الاجتماعية البارزة

بيد ان تلك الصعوبة اذا ذللت بشكل من الاشكال فاننا سنزاول صعوبة من نمط آخر وهي ان هؤلاء المؤلفين الذين نريد ان نتعقب تآليفهم ينتسبون الى بلد تغيرت جغرافيته تغيراً كبيراً في خلال الاطوار التاريخية الاخيرة . لقد كانت سورية ابان الحكم العثماني وبعده بقليل تشتمل على ما هو معروف اليوم بهذا الاسم وعلى لبنان وفلسطين والاردن . كلها كانت بلاد الشام ولا ننس ايضاً لواء اسكندرون الذي انتزع منها والحق بتركيا ابان الانتداب الفرنسي ولا بعض الثغور السورية الشمالية التي سلخت ايضا عن سورية عقب الحرب العالمية الاولى . ثم تجزأت هذه البلاد على مراحل فسورية ولبنان ابان الانتداب الفرنسي كانا يطلق عليهما اسم سورية ايضاً وكذلك اسكندرون قبل انتزاعها سنة ١٩٣٨ - ١٩٣٩ . يضاف على ذلك ان تيار الهجرة بين البلاد العربية كلها لم ينقطع في عهد من العهود فكان السوري يذهب الى العراق ومصر او غيرهما ويقيم حيث هاجر . وبالمقابل نجد الكثيرين من ابناء البلاد العربية يؤمون سورية ويستوطنونها . وثمة ايضا هجرة الاياب فقد يهاجر المرء ثم يبدو له بعد ملاوة من الزمن ان يرجع الى وطنه الاصلي . على ان هجرة السوريين واللبنانيين لم تقتصر وجهتها نحو البلاد العربية بل حملتهم الهجرة الى مختلف ارجاء الارض . فالباحث في المؤلفين السوريين ينبغي له ان يكون عالما بالانساب حقا مع اطلاعه على تاريخ علم الاجتماع . وهذا ما لسنا ندعيه . ولكنا على الرغم من ذلك سنحاول ان نتبين ذلك في اكثر الاحيان وان نتعقب المهاجرين في اميركا بعض الشيء ونذكر طائفة من جهودهم في الميدان الثقافي الاجتماعي . وهكذا يبدو لنا اتساع الموضوع الذي نعالجه ورحب جوانبه وغموضها في بعض الاحيان .

اما السهولة فهي ان هذا الموضوع يقتضي صبرا واناة طويلين وتتبعا دائما يلاحق حتى شوارد الدراسات وانه تسجيل وتفهم وتصنيف لما كتب في المضمار الاجتماعي دون ان يستلزم ذلك ابداعا او ابتكاراً .

وسنتبين في القسمين الآتيين التيارات الفكرية الاجتماعيـة التي كانت تصل الناس في سورية بالحضارة العربية القديمة وكذلك الحركات الفكرية الاجتماعية العربية التي تفتحت لحضارة الغرب ثم حصيلة البحوث الاجتماعية لسورية في الوقت الحاضر .

القسم الاول

اتصال الحضارة العربية الاسلامية بما فيها

من تفكير اجتماعي

ان علم الاجتماع ودراسة التغير الحضاري وما الى ذلك من بحوث تشريعية وسياسية واقتصادية واشباهها يتصعب علينا عند التدقيق ان نجزم بانها ثمرة الحضارة الغربية . ان التراث الحضاري العلمي الانساني خلاصة التجارب الانسانية وابداع القلوب الموهوبة واختراع القرائح العبقرية عند مختلف الشعوب وعلى رغم ان الحياة الاجتماعية والفكرية قائمة على التبدل والتغير او الصيرورة كما تنوه بذلك المذاهب الجدلية نرى ان تلك الصيرورة تستند الى امور تصير وتتغير وتتبدل . وهكذا لا نستطيع ان ندرس مرحلة من مراحل التأليف والتفكير العلميين دراسة حقيقية الا بصفتها التاريخية وضمن المراحل التي سبقتها والتي تليها . كما انه من المناسب ان نحلل في كل مرحلة تلك العناصر الفكرية التي تؤلف المرحلة التاريخية نفسها . ولقد تطور التفكير الاجتماعي في عصور الحضارة العربية الاسلامية السالفة ووصلت امواجه الى شاطىء العصور الاخيرة بالوانها التاريخية الخاصة وباشتباك عناصرها المؤلفة لها . وجدير بنا ان نتبين اساليب التفكير

الاجتماعي المتصل بالتفكير الاسلامي في خلال تلك العصور الاخيرة وتبيين خصائص البحوث الاجتماعية والعمرانية وصفات هذا النوع من التأليف في ميدان التفير الحضاري ومدى تطوره من جيل الى جيل.

ومن المعلوم ان جميع العلوم التي ازدهرت في عصور الحضارة العربية الاسلامية من اجتماعية وكونية كدراسة العمران البشري والجغرافية وتاريخ وكالطب والرياضيات وعلم الهيئة مما زين جبين التاريخ في العصر العباسي تضاءلت جداً وأوشكت على الانقراض في العصور القريبة فبدت كرسوم الاطلال العافية . ومع ذلك فقد كان ثمة نوع واحـد من تلك العلوم هو الذي استمر مروره مع ما يتبعه ويستدعيه من بحوث الا هو علم القانون الاسلامي او النظام التشريعي الاجتماعي لان الاسلام يتضمن تدقيق النظر ويستلزم ضرورة التفكير في تنظيم المعاملات بين الناس وفي طبيعة الحكم السياسي وفي مختلف جوانب الحياة الاجتماعية. ولقـد خبا مثل هذا التفكير بانقطاع الاجتهاد الا انه استمر على اساس الدراسة الجامدة . ونجد في جميع العصور السالفة من يتابع دراسة التشريع الاسلامي والفقه وتدريسهما لان التنظيم القانوني في الاسلام جعله الدين فريضة عين . وبهذا جاء التوجيه النبوي : من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ، طلب العلم فريضة على كل مسلم وتستطيع ان نقول ان تلك الدراسات من تشريع ومعاملات لم تنقطع في العصور الاخيرة وان نضب فيها معين الابداع بسبب توقف الاجتهاد . واذا كان الخير والشر صنوين متصلاً احدهما بالآخر دائماً وهذا مما يجعل لكل تدبير نفعاً وضرراً وجانباً ايجابياً وآخر سلبياً فانا نرى اقتاء فقهاء المذاهب الاربعة عند اهل السنة والجماعة باغلاق باب الاجتهاد بعد المائة الرابعة للهجرة قـد كان له مسوغ كبير اذ قلت الصفات المؤهلة له من علم وورع بين الباحثين واشتد الانحراف والنسابت

الى صفاء التفكير الاسلامي عناصر مريبة . فاصبح يخشى من الاجتهاد الفردي ان يتقول اناس فيدخلوا في الشريعة ما ليس متسقاً مع اصولها بغية التشويه من وراء ستار الاجتهاد . واذا اغلق الباب على امثال تلك المحاولات لحفظ اصول الشريعة وفروعها كما قررتها اهم المذاهب الفقهية الكبرى . وكأن المفكرين القدماء عرفوا بعميق الهامهم ان مثل هذا الاغلاق ليس الا صونا لتراث عظيم يصبح في المستقبل اذا تقدم العرب والمسلمون ان يعودوا ليمسحوا عنه غبار الزمن ويستفيدوا منه .

ومن المعلوم ان مصادر التشريع الاصلية هي الكتاب والسنة والاجماع والقياس. اما الاجتهاد فهو استخراج احكام الحوادث الواقعة بالاستناد الى تلك المصادر الاربعة .

وثمة مصادر تبعية يأتي في طليعتها الاستصلاح والاستحسان والعرف ، وهنالك احكام تستند الى هذه الانواع الثلاثة ولكن هذه المصادر التبعية عليها دلائل من المصادر الاصلية .

والاستصلاح والاستحسان والعرف والقياس في نظر بعض المذاهب كالظاهرية تدعى الرأي . والعمل بالرأي طريق من الطرق التي يسلكها الاجتهاد . وهو طريق مختلف في جواز سلوكه عند بعض علماء السلف .

الاجتهاد باب مفتوح في الاصل لحيوية الشريعة فلا يجوز سده . ولكن فقدت مؤهلاته . كان طريق الازدهار فأصبح طريق المخاوف . هو سر المطابقة والملاءمة بين الشريعة وتطور الازمان لحل مشكلات الاجيال وارضاء الحاجات المتجددة . فلما اغلق جمد التشريع ولكنه صمد على صروف الليالي والايام .

وبسبب ما المنا به آنفا كان من الطبيعي ان تستمر دراسة التشريع الاسلامي

في الاوساط الاسلامية في كل مكان باعتبار انها من اعظم ما يتعبد به الله شأنها في ذلك شأن سائر الفروض العينية . واذا فسحنا المجال هنا لبحث هذه الامور لمبلغ تعلقها بالعلوم الاجتماعية وبعلم تنظيم المجتمع . واذا كانت تلك الدراسة عامة في البلاد الاسلامية فلا شك انها واضحة المعالم بارزة الاثر في سورية قلب البلاد العربية .
هذا التشريع الاسلامي له علوم مرافقة يستلزمها ويستدعيها ويقتضيها ، بعضها الآت ووسائل كالنحو والصرف وعلوم اللغة والبلاغة والعروض وامثالها وبعضها غايات ومقاصد كعلمي تفسير القرآن والسنة النبوية ومنها سيرة الرسول .

ومع ما بين انواع المعرفة هذه من اشتباك فانا نلح على جانب التشريع الاسلامي خاصة مركزين عليه لاتصاله بسائر تلك المعارف من جهة ولوشائجه العميقة بالتنظيم الاجتماعي .

على ان تلك العلوم المرافقة كان لها بالغ الاثر ايضاً في حفظ طابع المجتمع العربي . واذا درسنا بعض المجتمعات الاخرى القديمة مثلاً نجدها قد فقدت كثيراً من خصائصها وميزاتها اذ ضيعت لغاتها . ولكن المجتمع العربي امسك على ذاته اكثر خصائصه حين وصل الدين باللغة وحفظها من ان ينساب اليها التحريف والتشويه باعتبار انها لغة القرآن . والامر البارز في هذا الميدان ان العرب الاصلاء المسيحيين حين اقبلوا على دراسة العربية اقبلوا معها على دراسة القرآن والحديث

تلك العلوم المرافقة او ما يدعى بعلوم الآلات لم تكن هي الغاية الاولى من الدراسات التي نحن بصددها . ولكنها كانت ذات قيمة كبرى في صون الحضارة العربية واستمرارها وصمودها تلقاء عوادي الزمان وصروف الحدثان .

كانت مراكز تلك العلوم المدارس الوقفية القديمة المنتشرة في ربوع امثال العادلية الكبرى

والبدرائية والسميساطية ودار الحديث مقر الشيخ عبد الحكيم الافغاني الذي شرح كتاب كنز الدقائق في مجلدين والاصل متن فقهي حنفي ثم مقر الشيخ بدر الدين الحسني الذي لا يزال كثير من الشيوخ الاحياء يذكرون واسع علمه وخصيب تدريسه ، وذلك كله في دمشق ، وامثال المدرسة العثمانية والمدرسة الخسروية والمدرسة الشعبانية والمدرسة الحلاوية في حلب . وثمة مدارس اخرى اصغر في بقية المدن السورية . على ان كثيراً من هيئات التدريس كانت تعقد في الجوامع في اعقاب الصلوات الخمس او في ما بينها .

والى جانب تلك المدارس الرئيسية كانت تقوم حركات فقهية وتشريعية بحسب المذاهب والاجتهادات القديمة تمارس العلم والتدريس وفق بعض تلك المذاهب الفرعية كالحنابلة واشباهها .

انما نتكلم هنا على التشريع والفقه . ولكن ثمة حركات اخرى كانت تتناول التفكير الديني والاجتماعي عامة والسياسي احياناً واذا اغفلنا التفكير الصوفي الذي كان متركزاً في بعض الزوايا على شكل هيئات متعددة فلا بد لنا من ان نذكر حركة التجديد الديني التي كانت تعد في طليعتها جمال الدين القاسمي (دمشق) (١٢٨٣ — ١٣٣٢ هـ ١٨٦٦ — ١٩١٤ م) وعبد الرزاق البيطار (دمشق) ١٢٥٣ — ١٣٣٥ هـ ١٨٣٧ — ١٩١٦ م) وطاهر الجزائري (دمشق) (١٢٦٨ — ١٣٣٨ هـ ١٨٥٢ — ١٩٢٠ م) وعبد الرحمن الكواكبي (حلب) (١٢٧١ — ١٣٢٠ هـ ١٨٥٥ — ١٩٠٢ م) وعبد الحميد الزهراوي (حمص) (١٢٨٨ — ١٣٣٤ هـ ١٨٧١ — ١٩١٦ م) ورشيد رضا (طرابلس الشام) (١٢٨٢ — ١٣٥٤ هـ ١٨٦٥ — ١١٣٥ م) وشكيب ارسلان (جبل لبنان) (١٢٨٦ — ١٣٦٦ هـ ١٨٦٩ — ١٩٤٦ م) ومحب الدين الخطيب (دمشق) امد الله في عمره وغيرهم .

لتبين خصائص ذلك التعليم التشريعي في تلك المدارس الوقفية وطريقة تنيره فيها . كانت الدراسة فيها تعتمد على اساس « مجـاورة » الطلاب في غرف موزعة في كل مدرسة من تلك المدارس . ومعنى المجاورة ان يقيم الطالب في تلك الغرفةوحده او مع غيره حسب السعة او الضيق اقامة غير محدودة الامد . وهو يحضر الدروس التي يلقيها الشيخ المدرس في قاعة التدريس او في حرم الجامع الذي يكون في ضمن المدرسةوقد يبلغ الطالب المجاور مبلغ الاساتذة الكبار وهو يحتفظ بمركزه في المجاورة التي يتقاضى بسببها « مرتباً شهرياً » من الوقف المرصود ريعه على تلك المدرسة . ولا يكون في هذا النوع من المدارس الوقفية القديمـة امتحان سنوي ولا تخريج ولا شهادة بعد انصرام عدد من السنين . بل يجاور الطالب فيها ما شاء بهـذا الشكل المشروح حتى يترك هـو بنفسه . وهناك ينبـغ من ينبـغ بين الطلاب وقد يأخذ الطالب اجازة من شيخه ، وقد ينتهي بعض اولئك الطلاب الى وظائف التدريس في تلك المدارس او وظائف الافتاء والقضاء وامثالهـا .

بيد ان بعض الحلقات التعليمية التي كانت تعقد في حرم الجامـع او في غرف مخصصة لذلك في الجامع نفسه كان المدرسون فيها لا يتقاضون راتبا عنها ولا اجراً . وانما كانوا يقومون بذلك احتسابا لوجه الله اذ كانوا يعتبرون ان بث العلم فريضة في شريعة الاسلام كتعلمه كانت تلـك المدارس تدرس ، كما سبق ، التشريع الاسلامي اساسا والى جانبه سائر العلوم الاخرى دينية وعربية وأحيانا بعض العلوم كالتاريخ والحساب والمنطق والفلك والجغرافية .

وكان التدريس يعول في الغالب على قراءة الكتب نصا ، متونها وشروحهـا وحواشيها والتعليقات على تلك الحواشي . وكان الشيخ المدرس يقرأ شروح المتون بعد ان هيأ الدرس بنفسه ورجع الى الحواشي والتعليقات فيلخص ما يجد لزومـا

التقرير . وكانت هذه الدراسة تعتمد على تحليل العبارة وتفسير مضمونها وجلاء مفهومها ومنطوقها وقيودها واحترازاتها واشاراتها وما الى ذلك . وعلى هذا كان الدارسون المقتفون هذه الطريقة يتميزون بقدرتهم على فهم العبارات وتحليل النصوص من الوجهة العلمية واللغوية والنحوية وغيرها . وهي طريقة ذات مزايا لا بأس بها من هذه الناحية ولكنها بطيئة جد بطيئة . ويضاف الى بطئها كون هذه المتون كتبت في عصور متأخرة ابتعدت من روح البيان العربي الصافي وحدّت من تحفز الفكر وجافت الترتيب الموضوعي واثقلت بالاصطلاحات والرموز المعقدة وعنيت بالفروع أكثر من ترتيبها الموضوع .

لنورد امثلة لغير المختصين عن موضوعات اجتماعية كانت تعالجها تلك المدارس في خلال تدريسها للتشريع الاسلامي . نذكر تلك الموضوعات على سبيل التمثيل لكي نبين اننا في شرحنا هذا لم نكن مسهبين . فالتشريع الاسلامي بحث الى جانب العبادات جميع جوانب الحقوق القانونية . فهو يبحث في الحقوق الداخلية وهي التي تنظم علاقة الفرد بأسرته وتسمى الاحوال الشخصية ومنها الزواج والميراث والوصاية والطلاق ثم علاقته بمجتمعه صغيراً كان أو كبيراً وهي احكام المعاملات كالبيع والاجارة والرهن والهبة والقرض وغيرها والتصرفات الاخرى التي فيها خروج على القانون كالغصب والاتلاف والجنايات بأنواعها ثم الاحكام التي تتعلق بالسلطة والدولة وتنظم علاقة الفرد بالحكومة والرؤساء مما يسمى اليوم بالقانون الاداري ويمس علم الاجتماع السياسي أو يدخل في مضماره ، ثم الاحكام التي تتعلق بنظام الحكم في الاسلام من حيث كونه نظاماً يقوم على الشورى واختيار الحاكم الصالح المستوفي الشروط وتمثيل اولي الرأي والعلم ممن يسمون اهل الحل والعقد ورفض الاستبداد بالسلطة وميراث العروش الى آخر مايسمى اليوم بالقانون الدستوري

ويتعلق بعلم الاجتماع السياسي ايضا . اما الحقوق الخارجية فتتناول علاقـة الدولة بغيرها من الدول وتنظيم احكام السلم والحرب مما يسمى اليوم بالقانون الدولي ويمس دراسة العلائق الدولية .

والى جانب امثال تلك الدراسات التي لها صفة اجتماعية بارزة كان اولئك العلماء يدرسون احيانا بعض الكتب الاجتماعية امثال مقدمة ابن خلدون ويتفهمون مضامينها ويدرسون تاريخ السيرة النبوية كما سبق وتاريخ الدول الاسلامية على اختلافها كما كانوا يدرسون كتب آداب المجتمع وقواعده من الوجهة الانسانية والاسلاميـة ككتاب « احياء العلوم » للغزالي و كتاب « ادب الدنيا والدين » و « الاحكام السلطانية » للماوردي من اعلام هذه المدارس القديمة الوقفية في بلاد الشام العلامـة محمد بن عابدين (١١٩٨ – ١٢٥٢ هـ - ١٧٨٤ – ١٨٣٦ م) وانما ذكرناه ههنا لان كتابه « رد المحتار على الدر المختار » الشهير يعتبر الذخيرة الاخيرة الجامعـة الموثوقة في المذهب الحنفي وعمدة الباحثين والمدرسين في الفقه والفتاوى الحنفية حتى الآن في ارجاء العالم الاسلامي. وقد كمله ولده محمد علاء الدين عابدين (١٢٤٤ – ١٣٠٦ هـ ـ ١٨٢٨ – ١٨٨٩ م) وسمى التكملة « قرة عيون الاخبار لتكملـة رد المحتار » . وكذلك الشيخ محمد حمزة (١٢٣٦ - ٥ ١٣ هـ – ١٨٢١ ـ ١٨٨٧ م) فقيه دمشق وصاحب التآليف الفقهية العديدة ومن اشهرها كتاب « ترجيح البينات » وكتاب « الفرائد البهية في القواعد الفقهية » و« الفتاوى المحمودية » و« جدول الاحق بالحضانة للولد » و« التحرير في ضمان الآمر والمأمور والاجير » و«قواعد الاوقاف» و « تحرير المقالة في الحوالة والكفالة » وكان معاصراً للامير عبد القادر الجزائري وجاراً وجليسا له . والشيخ عبد الغني الغنيمي الميداني (١٢٢٢ – ١٢٩٨ - ١٨٠٧– ١٨٨١ م) تلميذ ابن عابدين له كتاب « اللباب » وهو شرح على مختصر القدوري

من متون فقه المذهب الحنفي والشيخ عبد القادر بدران (توفي ١٣٤٦ — ١٩٢٧ م) ولد في دوما وتوفي بدمشق له « المدخل الى مذهب الامام احمد بن حنبل » وله ايضا عدة مؤلفات منها « منادمة الاطلال ومسامرة الخيال » وهو مرجع هام في معرفة المدارس ودور العلم التي نحن في صدد الكلام عليها ، طبع اخيراً على نفقه حاكم قطر

والشيخ بكري العطار ، والشيخ بدر الدين الحسني (١٢٦٧ — ١٣٥٤ هـ ١٨٥١ — ١٩٣٥ م) الذي سلف ذكره مع دار الحديث وكان من ابنائه الشيخ تاج الدين الحسني وقد شغل هذا منصب القضاء الشرعي ثم تولى رئاسة مجلس الوزراء موقتاً ايام الانتداب ثم قبل ان يتولى في عهد ايام فرنسا الحرة بكتاب من المفوض السامي الجنرال كاترو رئاسة الجمهورية السورية ، والشيخ عطاء الله الكسم (توفي في سنة ١٣٥٧ هـ ١٩٣ م) المفتي العام للجمهورية السورية له « الاقوال المرضية في الرد على الوهابية » . ومن اولاده الدكتور بديع الكسم احد اعضاء الهيئة التدريسية بكلية الاداب في جامعة دمشق .

والشيخ امين سويد (توفي سنة ١٩٣٦ م) تولى تدريس اصول الفقه غداة تأسيس مدرسة الحقوق بدمشق . ومن البقية الحية لهذه المدارس الاستاذ الشيخ عبد المحسن الاسطواني القاضي الشرعي ثم رئيس الغرفة الشرعية في محكمة النقض السورية فسح الله في عمره الذي بلغ الخامسة عشرة بعد المائة ولا يزال تام الوعي . ولو جمعت الاحكام الصادرة عنه لكانت فريدة في اسلوبها وفي حسن معالجتها لكل ما يدخل في اختصاص القضاء الشرعي .

كل هؤلاء وكثير غيرهم من ثمرات تلك المدارس الوقفية في دمشق . ومن ثمراتها

في حلب الشيخ احمد الترمانيني الشهير (١٢٠٨ — ١٢٩٣ هـ ١٧٩٣ — ١٨٧٦ م) والشيخ علي القلعجي ثم الشيخ محمد الزرقا الذي كان مرجع الفقه الحنفي وعمدته في حلب ، وعلى يده تخرج معظم القضاة الشرعيين والمفتين والمدرسين من طبقة تلاميذه.

ومن ثمراتها في حمص الشيخ خالد الاتاسي (١٢٥٣ — ١٣٢٦ هـ ١٨٣٧ — ١٩٠٨ م) شارح « مجلة الاحكام العدلية » وهي عبارة عن القانون الشرعي في الدولة العثمانية ، ثم الشيخ عبد الغفار العيون السود وضع تفسيراً لبعض سور القرآن ، والشيخ احمد صافي المجرز في علوم الآلات وشيخ كاتب هذه السطور ، والشيخ عبد القادر الخجه المرجع في الفقه الحنفي تغمدهم الله بواسع رحماته .

ومن البقايا الحية لتلك المدارس في حماة الشيخ سعيد النعساني مفتي حماة الحالي الذي تجاوز التسعين من عمر قضاه في العلم والنشاط الاجتماعي الموموق وقد تخرج من بين يديه كثيرون .

وامثال اولئك الاعلام كانوا متفرقين في بقية المدن والضواحي السورية كالشيخ عبد القادر القصاب (١٢٦٤ هـ ١٣٦٠) ١٨٤٨ — ١٩٤١ م) درس في الازهر ورجع الى بلده دير عطية وانتفع به خلق كثير وقد نظم متن الدليل في فروع الفقه الحنبلي . ويصعب تعقبهم جميعاً ويطول استقصاؤهم . ومن العلماء الذين تجب الاشارة اليهم اذ ذلك في لبنان :

الشيخ حسين الجسر (١٢٦١ — ١٣٢٧ هـ — ١٨٤٥ — ١٩٠٩ م) الطرابلسي كتب عدة كتب في الشريعة وفي الادب وكذلك في فلسطين عبد الله العلمي (١٢٧٩ — ١٣٥٥ هـ — ١٨٦٢ — ١٩٣٦ م) ولد بغزة ودرس في الازهر وتوفي بدمشق الف كتباً في التفسير والفقه الشافعي .

وسعيد الكرمي (١٢٦٧ - ١٣٥٤ هـ - ١٨٥١ - ١٩٣٥ م) ولد في طول كرم واقام بدمشق وانتخب عضواً في المجمع العلمي العربي فنائباً للرئيس وتوفي في طول كرم له رسالة عنوانها « بماذا يكون انتظام المجتمع الانساني » .

على ان هؤلاء المشايخ الاعلام على اتساع معارفهم وثقوب نظرهم اتجه بعضهم اتجاهاً في التأليف اجتماعياً وطريفاً . فلقد اوحى الشيخ جمال الدين القاسمي الى ابيه بوضع «قاموس الصناعات الشامية » فبدأ الأب به وأدركته المنية وهو في حرف السين واكمله الابن جمال الدين مع صهره خليل العظم في جزأين كبيرين وقدم المعجم عند طبعه نقيب المحامين الاستاذ ظافر القاسمي بن الشيخ جمال الدين جاء في هذه المقدمة ما يلي :

« ويصف في كتابه صناعات الشام ادق وصف وأوفاه كما كانت قائمة في اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين. »

فهو وثيقة تاريخية هامة ، تتضمن تصويرا للصناعات الشامية ، فحفظ ما يمكن ان يندثر ، وما اندثر بالفعل من اسماء واوصاف كثير من الصناعات التي عاشت وعاش اهلها في بلاد الشام .

والكتاب قد حاول احصاء الصناعات المعروفة في العصر الذي وضع فيه ووضع لكل منها تعريفاً وايضاحاً للطريقة التي تزاول فيها الصناعة ولقد اقتضى هذا جهدا ليس باليسير . فما كان لمؤلفي الكتاب الاحاطة بجميع الصناعات الشامية وطريقة مزاولتها ، وما تحتاج اليه من الالات ، والادوات ، وأسمائها الاصطلاحية ، ومواسمها ، وغير ذلك مما تراه في تضاعيف الكتاب وسطوره . وما كان هذا متيسراً

ولا يمكننا الا بالاجتماع احيانا ، الى اهل الصناعات انفسهم والتعرف منهم ، الى طرائق صناعاتهم ، والا بالانتقال احياناً الى اماكن الصناعات انفسها ، والاطلاع على الطريقة ووصف آلاتها وذكر أسمائها .

وترى في الكتاب أسعار بعض الحاجات كما كانت معروفة بالعملة المتداولة في ذلك العصر ، كما تلحظ فيه بيان اجور بعض الاعمال . فهو من هذه الناحية مصدر تاريخ الحياة الاقتصادية في البلاد قد لا تظفر عن تلك الفترة بغيره من المصادر .

وفيه بعض المعلومات الزراعية التي ذهب ريحها أو كاد بسبب الرقي الذي طرأ على الزراعة وطرائقها .

ومن اهم ما تضمن هذا الكتاب انه وصف الحياة الاجتماعية في البلاد على شكل لا يمكن أن تجده في كتاب اخر فترى فيه مثلاً وصفاً للتهاليل وايضاحاً للطريقة التي كان يتبعها أهل الشام في اقامتها وما استتبع ذلك من العادات في أحزان الناس ، كما ترى فيه وصفا للسيارين التي اعتادها اهل الشام ، وما جرى عليه الناس في الاعراس والاعياد وغير ذلك مما امتلأ به الكتاب .....

وقد انفرد هذا الكتاب بوصف ألبسة الرأس التي كانت شائعة قبل عصر المؤلفين والتي نسمع بها ولا نعرف معانيها ونعتقد انه لولا استقصاء هذا الكتاب لهذا الموضوع لما كان للناس ان يعرفوا كيف كان يعتمر اجدادهم من النساء والرجال . . .

ولم يخل الكتاب من فوائد تاريخية نادرة قد لا تجدها في مصدر آخر كابتداء لبس الحذاء « كندرة » و « التصوير » والمسحر وانشاء الخط الحجازي وتاريخ التمثيل المسرحي في سورية وغيرها .

ومن الابحاث الهامة التي تضمنها الكتاب نسبة بعض الضرائب التي كانت تستوفي من المواطنين . . .

وتلحظ الدهشة من ظهور بعض الالات الحديثة التي الى دخلت المجتمع الدمشقي قبل نحو ثمانين عاما ، كآلة الخياطة التي « تسمى ماكينا وهي من اشغال الفرنج ذات دولاب والات مما يبهر العقول . . والخياطة بها قد تعلمها كثير من نساء المسلمين » .

ومن اهم ما في الكتاب تصويره للميول الفنية التي اتسم بها الشاميون ، فهم في سهراتهم (الدور) مولعون بالموسيقى وكذلك في سياريتهم ، اما شغفهم بالتمثيل الذي ظهر فجأة في جو دمشق عام ١٢٩٥ ، فقد جاوز الحدود « بحيث لو تأخر شخص آخر عن الميعاد المضروب لم يجد محلاً للجلوس ، واصبح الصانع الذي يعمل في يومه من الاجرة يصرفه على التفرج عليها ويترك اولاده وعياله يتضورون جوعاً » والكتاب بعد هذا جدير بأن يدرس دراسة علمية منظمة عميقة وفي الحقيقة لا تكفي هذه الفقرات وان تطاولت لبيان خصب الكتاب فهو كما يدل عليه اسمه معجم جامع لجوانب حياة الشام ، ومرجع اصلي ضخم في هذا الموضوع .

ومن اهم كتب الاستاذ جمال الدين القاسمي « جوامع الآداب في اخلاق الانجاب » شرح فيه آداب الحياة الاجتماعية . ولمعرفة مدى اتساع ما عالجه هذا الكتاب يكفي مثلاً ان نشير الى ما ذكر حول صفات النائب . وربما كان من المفيد ان نورد بعض الفقرات من هذا الكتاب لتبين اسلوب البحث والبيان فيه . فقد جاء في ص ١١٢ قوله : « لا يطلب النائب بين خزائن النقود ، ولا من وراء سجوف النعمة ورغد العيش فان من ترفع عنك لا يهبط اليك » ولا شك ان مثل هذه الفقرة شديدة التنويه بوثوق العلاقة بين الناخب والمنتخب وبضرورة كون المنتخب

صادق التمثيل لمن ينتخبونه بحيث يتفهـم حاجاتهم الحقيقية ويشعر بمشاعرهم . ولا يفوته ان يشترط على النائب تضلعه في علم الحقوق ومعرفته لحركة المجالس النيابية عند الامم الراقية وادراكه علاقة حكومته بحكومات اوربا وما نالته من الامتيازات وان يكون قـادراً على الاستخراج من كتب السياسة والادارة والقضاء باحدى اللغات الاجنبية . ولكن الكتاب ليس مقصوراً على الامور المهمة السياسية ، بل يتناول حياة الشخص في مجتمعه ويلاحقه في كل مجال فيعقد فصلاً عن آداب المشي في الطريق ، وعن آداب المائدة ، وآداب المعلم ، والمتعلم ، وآداب تشييع الجنازة ، وآداب البيع والشراء وما الى ذلك .

وله كتاب آخر وهو « الاستئناس في تصحيح انكحة الناس » وقد اعتمدته اللجنة التي وضعت قانون – الاحوال الشخصية في سورية في جملة مصادرها . عالج فيه احكام الاسرة ولا سيما من ناحية الطلاق بسبب ان الطلاق كان اذ ذاك مشكلة من مشاكل الاسرة عند العامة فدرس فيه دراسة قائمة على التفهم العميق روح الشريعة في توطيد اركان الاسرة وعدم تفككها بالنزوات . وله كتاب «شرف الاسباط » قصد المؤلف منه بمهارة خفية وفي ذلك العصر الى رفع مكانة المرأة في نظر المجتمع حين ابرز ان الشرف كما ينتقل عن طريق الآباء ينتقل عن طريق الامهات .

وله ديوان خطب منبرية . واذا اشرنا الى هـذا الكتاب فلبيان انه ينـحو فيه نحواً جديداً يخالف الاساليب التقليدية التي كان يجري عليها خطباء المساجد .

وله كتاب « موعظة المؤمنين من احياء علوم الدين » . اختصر به كتاب الاحياء للغزالي . وراج مختصره هذا رواجاً كبيراً ولا يزال يدرس في بعض المدارس الشرعية . وقد الف في التاريخ أيضاً « تعطير المشام في مآثر دمشق الشام » . على

ان اهم كتبه تفسيره الكبير « محاسن التأويل » في سبعة عشر جزءاً وهو من اجود التفاسير . وكان سلفي العقيدة لا يقول بالتقليد . وله كتب اخرى مطبوعـة . وقد درّس وعلم ونشر بحوثاً كثيرة في الصحف والمجلات وتوفي في اوائل الحرب العالمية الاولى .

وقد اتجهت طائفة من اولئك الاعلام اتجاهـاً سياسياً ونضالياً بارز امثال عبد الرحمن الكواكبي وقد ذكرناه آنفاً ألف « طبائع الاستبداد » « وام القرى » وانشأ في حلب جريدة دعاها « الشهباء » . وهو من رجـال الاصلاح الاجتماعي والنهضة الحديثة ومـن كبار المفكرين الاجتماعيين والسياسيين اذ ذاك . وكتاباته تنوه بالحرية وتحفز على الفكر والعمل وتهيب باليقظة والتقدم . وقد اقيم مهرجان لتخليد ذكراه ابان وحدة مصر وسورية . ولا يستطيع الباحث لتباشير النهضة العربية في العهد العثماني الاخير ان يتأمل شخصية هذا المؤلف الفكرية الاجتماعية ونضاله . وسنعود الى الكلام عليه حين نتتبع الحركات الفكرية السياسية في نهاية العهد العثماني. اما اقرانه كالشيخ طاهر الجزائري والشيخ رشيد رضا والامير شكيب ارسلان فالكلام على كل منهم وما قدم من بحوث فكرية اجتماعية وما قام به من نضال اجتماعي وسياسي يحتاج الى سفر منفرد . ولا بد بهذه المناسبة ان نشير الى مجلة « الامة العربية » التي كان يصدرهـا الامير شكيب ارسلان واحسان الجابري بالفرنسية في جنيف على مقربة من جمعية الامم وكان وصف هـذه المجلة انها لسان الوفد السوري – الفلسطيني عند تلك الجمعية . واعدادها سجل حافـل بالاحداث السياسية المتصلة بالبلاد وبنضال الشعب السوري العربي في مرحلة الانتداب .

الطور الحديث للتعليم الشرعي وما يتضمنه من تفكير اجتماعي

لننظر من قريب فيم آلت اليه تلك المدارس الوقفيـة وفي اتجاه التفكير

التشريعي الاسلامي الحالي في الوقت الحاضر . ولا بد في ذلك من تعقب الاحداث التاريخية .

وفي اعقاب الحرب العامة الاولى وجد فراغ كبير في صفوف علماء الشرع من الجارين على نهج العلم القديم المشروح والمتخرجين في المدارس التي وصفناها آنفاً . وخلت البلاد او كادت من طلاب العلم الذين كانوا « يجاورون » في تلك المدارس ويتابعون فيها تحصيلهم اذ عطلت تلك الحرب دور العلم بل شغلتها احيانا بالحاجات والمآرب العسكرية والقت على تلك الربوع ظلا اسود كئيبـا كشأن كل حرب لا تحصد الانسانية منها الا الخراب والدمار والتأخر . ولما وضعت الحرب اوزارها مر العهد الفيصلي كحلم خاطف قصير اذ زادت الحماسة فيه بالاستقلال ونهض المفكرون والعلماء الى ابراز العلوم العربية بأنواعها وتخليصها مما شابها او غطاهـا من اللكنة الاجنبية . ولكن لم يعتم ذلك الا قليلاً ولم يلبث ان توارى سريعا وفتحت البلاد اعينها على الواقع المرير وهو عهد الانتداب الفرنسي . وبعد فترة قصيرة من غسق الانتداب بدأت البقية الباقية من علماء الشريعـة تفكر في ضرورة وصـل الطريق العلمي وتهيئة خلف مختص لتلك الطبقة العلمية الاخيرة خشيـة ان تنقرض العلوم الشرعية بانقراضها . ولم يكن لذلك من سبيل صحيح الا اعادة الحياة العلميـة في تلك المدارس واعمارها بطلاب الشريعة .

لقد افتتحت اول مدرسة في حلب سنة ۱۹۲۱ وهي « المدرسة الخسروية » نسبة الى خسرو باشا أحد رجالات العثمانيين محبي العلم (وهو الذي اسس ايضـاً مدرسة وجامعا ومكتبة لا تزال قائمة حتى اليوم في سرايبفو بيوغسلافيا) .

كان ذلك الافتتاح قد تقرر في عهد مرعي باشا الملاح والي حلب (وهو اللقب

الذي انقلب بعد فترة الى اسم المحافظ) ثم نفذ في عهد يحي الكيالي مدير اوقاف حلب اذ كانت تلك المدرسة كغيرها من المدارس القديمة تابعـة للاوقاف . (ان نظام الاوقاف في القديم لا يشبهه الا نظام المؤسسات المالية العلميـة في الولايات المتحدة ، ومن الطريف انشاء دراسة في هذا السبيل وبيان مزايا ذلك النظام في المجتمع العربي السالف وكيف انحدر بانحدار الحياة الاجتماعية) . بيد ان استئناف هذه الحياة العلمية في المدرسة الخسروية تلك لم يكن على الطريقة القديمة ، بل على اساس تنظيم جديد يتمشى مع اساليب الدراسة العامة الحديثة . فقد وضع فريق من العلماء نظاماً دراسيا يجمع بين علوم الماضي وبين العلوم العصرية على حد التعبير المألوف لدى المشايخ وجعلوا مدة الدراسة محددة بست سنوات تصنف فيها الطلاب في ستة صفوف يتخرج في نهايتها الطالب حتما ويحصل عند تخرجه على شهادة خلافا للطريقة التي لم تكن تضع اجلا للمجاورة ، واجروا نمط التدريس فيهـا من حيث التنظيم وتوزيع ساعات الدراسة على غرار المدارس الحديثة .

وانما دخلنا في هذه التفاصيل لاهمية هذا الانتقال من طور قديم الى طور حديث . ولا عجب اذا كان الامر كذلك ان يؤم تلك المدرسة نخبـة من بيوتات الشهباء . يبتغون من دراستهم ان يجمعوا مزايا العلم القديم دون ان يفرطوا بمكتسبات العلم الغربي الحديث ، ولا بالاطلاع على اللغات الاجنبية . وربمـا كان من المناسب ان نورد اسماء بعض الاساتذة الذين تجردوا للتدريس فيها . يأتي في طليعتهم الشيخ احمد الزرقا بن الشيخ محمد الذي سلف ذكره . فلقد امسك بزمام تدريس الفقه الحنفي في المدرسة ، والشيخ راغب الطباخ (١٢٩٢ – ١٣٧٠ هـ – ١٨٧٥ – ١٩٥١ م) الذي انصرف الى التاريخ الاسلامي والحديث النبوي ، وهـو صاحب الكتاب التاريخي « اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء » في سبعة مجـلدات ومحقق كتب

متعددة وناشرها منها « السمط الثمين في مناقب امهات المؤمنين » ومنها « الطب النبوي» لابن القيم ، والاستاذ محمد الحنيفي (١٢٩٢ - ١٣٤١ هـ - ١٨٧٥ - ١٩٢٣ م) تلميذ الشيخ محمد عبده . ذلك ان طائفة من اولئك العلماء كانوا يتخرجون في الازهر الشريف . ومن الضروري عند بحث تيارات العلم الشرعي في البلاد العربية الا يغرب عن البال هذا الاتصال الوثيق الاشعاعي والاصداري بين الازهر والعالم العربي والاسلامي من جهة وبين مختلف الهيئات العلمية والمدارس والجامعات في أشتات ربوعهما ، لان الهجرة لطلب العلم واتصال العلماء بعضهم ببعض كانت من مزايا الحضارة القديمة . واذا كان مثل هذا الاتصال شديداً في العصر الحاضر بالغرب والبلاد الاشتراكية فمن المؤسف انه لا يزال ضئيلاً بين رجال العلم والثقافة العرب في العصر الحاضر . وكان الاستاذ الحنيفي يدرس التفسير والبلاغة والتوحيد ومنهم الاستاذ احمد المكتبي تلميذ الشيخ الامبابي الازهري وكان قائماً بركن تدريس النحو . . . الى غيرهم من الاساتذة .

واسست على غرار تلك المدرسة مدارس في مختلف البلدان السورية بعد فترة من ذلك كالكلية الشرعية في دمشق وامثالها في حمص وحماه . وتوبع تطوير مناهج الدراسة في تلك المدارس جميعها حتى سميت بالثانويات الشرعية بحيث تهيء طلابها من أراد منهم لكي يتقدم بجهود ضئيلة الى فحوص البكالوريا الرسمية العامة . وذلك ان مواد التدريس خصص ثلثها للعلوم الحديثة مما يدخل في نطاق التدريس الثانوي كالرياضيات والجغرافية والفيزياء والكيمياء وامثالها .

وقد ربطت تلك المدارس بهيئة ادارية عليا واحدة هي عمدة الثانويات الشرعية ثم الغيت تلك العمدة في ايام الوحدة وحلت محلها مديرية التعليم الشرعي في وزارة

الاوقاف ولا تزال حتى اليوم على هذا النظام . وتلك المدارس تنتهي الآن بفحوص الشهادةالثانوية الشرعية وتجري فحوصها العامة باشراف وزارة التربية والتعليم .

على ان التحصيل الحقيقي اذ ذاق الانسان لذته يدفعه اكثر الى التوسع في انواع الثقافة ولم يكن بد لبعض الخريجين في تلك المدارس ان يهيب بهم العزم الى متابعة التحصيل العالي الحديث. فنهدت طائفة منهم الى دراسة الحقوق في جامعة دمشق وفي جامعات اوروبا . وهكذا صعد ذلك الاساس العلمي المتين ببعضهم الآخر الى تبوء مناصب علمية عالية كالتدريس في الجامعة السورية (اصبح اسمها الآن جامعة دمشق بعد تأسيس جامعة حلب) واهتموا ايضاً ببعض القضايا السياسية . ولقد الفوا كتباً في المواد التي عهد اليهم في تدريسها، بل تجاوزوا ذلك الى التفكير في تفهم كثير من القضايا الاجتماعية والمشكلات المستجدة في ضوء ثقافتهم الشرعية المتينة . هل نستطيع ان نصل هنا دون ان نذكر الاستاذ مصطفى الزرقا رئيس قسم القانون المدني بكلية الحقوق واستاذ الشريعة الاسلامية فيها ومؤلف السلسلة الفقهية التي عنونها باسم « الفقه الاسلامي في ثوبه الجديد » واخرج منها « المدخل الفقهي العام » في مجلدين و« المدخل الى نظرية الالتزام العامة في الفقه الاسلامي » في مجلد و « العقود المسماة في الفقه الاسلامي » وهي التي لها اسم معين في النظام الشرعي كالبيع والاجارة والهبة وامثالها في عدة مجلدات ظهر منها الاول في « عقد البيع » .

هذه السلسلة الفقهية هي من طليعة المحاولات التي جرت في العصر الحاضر لصوغ الفقه الاسلامي في اسلوب جديد وتبويب حديث على غرار بحوث فقه القانون في الغرب بحيث نقلت « الاحكام الفقهية من الطريقة الفروعية الى الطريقة الموضوعية» على حد تعبير المؤلف .

ومن مؤلفاته « احكام الاوقاف » صاغه بنفس الطريقة التجديدية المذكورة الى جانب كتبه في شرح القانون المدني الذي يقوم بتدريسه . وتمتاز هذه المؤلفات الفقهية بكثير من المقارنات والموازنات بين نظريات فقه الشريعة الاسلامية والنظريات القانونية في الفقه الاجنبي .

ولقد اصدر اخيراً بمناسبة اسبوع الفقه الاسلامي الذي عقد بدمشق بين (٢-٦) نيسان سنة ١٩٦١ كتابه « في عقد التأمين وموقف الشريعة الاسلامية منه » حيث أقام فيه الادلة الشرعية على ان نظام التأمين مقبول في قواعد الشريعة الاسلامية وليس بقمار ولا بربا فكان هذا الموقف مخالفاً لموقف الاستاذ الكبير محمد ابي زهرة صاحب المؤلفات الشهيرة واستاذ الشريعة في جامعة القاهرة . ومن البديهي ان وجد في المؤتمر من العلماء من ايد كلا الاتجاهين تأييداً شديداً .

واذا اسهبنا بعض الشيء حول هذا الموضوع فلبيان جوانب التجديد في التشريع ولان حياتنا الاجتماعية متصلة في العمق جذورها بتلك الاعتبارات الشرعية ، فرأى كثير من المفكرين في جواز عقد التأمين من الوجهة الشرعية سعة كبيرة في الشريعة وقابلية لوفاء الحاجات وحل المشكلات المختلفة .

ولا شك ان مثل هذا التفكير الاجتهادي العميق انما كان مبنياً على ضرورات تطور الحياة المالية والاجتماعية في النظام القائم في مجتمعنا السوري الحالي . وبذلك استطاع المؤلف الاستاذ الزرقا ان يجد براهين للدلالة على رأيه . الا انه من المعلوم ان المجموع او الاطار يؤثر في التفاصيل وان شكل تنظيم المجتمع يستدعي نمطاً من الاراء توافقه كما نوهت بذلك بعض الفلسفات وكما نصت عليه بحوث « اجتماعية » المعرفة . وعليه قد يرى المرء انه اذا فكرنا في نظام اقتصادي آخر فلعلنا لا نجد مثل تلك الضرورة لعقود التأمين - بيد ان هذا الاعتراض لا وجه له اذ كانت

غاية المؤلف هو الكشف عن نظر الشريعة الى هذا العقد الحديث من حيث حكمه الشرعي بصرف النظر عن كونه تدعو اليه الحاجة والضرورة او لا تدعو .

اما الدكتور معروف الدواليبي فليس المجال هنا الا للكلام على اتجاهه العلمي بصرف النظر عن المكانة الكبيرة التي تبوأهـا في مضمار السياسة . ولقد كانت اطروحته التي نال بها الدكتوراه من جامعة باريس « الفقه الاسلامي » بين فيهـا خصائص هذا الفقه ومزاياه وسعة قابلياته بوفاء الحاجات المتجددة مع تطور المجتمع. ولما رجع بعد انتهاء الحرب العالمية الثانيـة قيض له ان يدخل في هيئة التدريس بكلية الحقوق في الجامعة السورية « جامعة دمشق » الآن ، وعندئذ انصرف الى تدريس الحقوق الرومانية وتاريخ الحقوق اذا كانت دراسته العليا في باريس تتعلق بتاريخ التشريع وبالحقوق الرومانية ، كما درس اصول الفقه الاسلامي ايضاً ، وكتب في ذلك كتباً ثلاثة « المدخل الى علم اصول الفقه الاسلامي » و« الحقوق الرومانية» في مجلدين و « تاريخ الحقوق » . اما الكتاب الاول فهو عرض جديد بكل معنى الكلمة لمبادىء اصول الفقه الاسلامي ومصادر التشريع فيه ولمزايا علم اصول الفقه الذي تفردت به الثقافة الاسلامية ، وقل ان يوجد له شبيه لدى الحضارات الاخرى. ولقد عمد المؤلف باسلوب جديد الى تبسيط هذا العلم الدقيق واضاءة جوانبه وزواياه المتداخلة المشتبكة اضاءة تتناسب مع حاجات الطلاب الجامعيين . واما الكتاب الثاني في الحقوق الرومانية فينزع فيه نزعة جديدة ايضا اذ ينهج نهج المطلع الاختصاصي في ايضاح معالم تلك الحقوق وتجلية غوامضها . والكتاب الثالث في تاريخ الحقوق ابرز تلك الكتب جرأة واكثرها اصالة وانفقها نظراً ، والفكرة الاساسية انه اراد ان يقلب الفكرة العامة الشائعة لدى جمهور مؤرخي الحقوق من ان الرومانية او القانون الروماني هـو الينبوع الاصلي القديم الذي انحدرت منه وتطورت مختلف التشريعات والنظم في العالم . وقـد انتهى الى بيان مكانة التشريع الشرقي

عامة في انشاء اركان التشريع في المضمار العالمي والى سبق ذلك التشريـع غيره من يوناني وروماني . وتأتي في طليعـة ذلك التشريع الشرقي الاصول التي يراها المؤلف عربية مما كان متداولا ومتعارفا في الجزيرة وما بين النهرين والبلاد التي نسميهـا اليوم سورية وذلك قبل الاسلام اذ كان يقطن تلك الربوع سلالات عربية . ومن الطريف ان الكشوف الاثرية التي حصلت بمدينة تل ماري بالجزيرة والتي ترجع الى ما قبل ثلاثة آلاف سنة ، وبعضها يشتمل على مكتبات تكاد تكون كاملة ، تؤيد ان اللغة المكتوبة بها تلك الآثار قريبة جداً من العربية المتداولة . بل ان المؤلف يذهب الى ابعد من هذا فهو يرى ان الحقوق الرومانية بقيت على شكلها البدائي حتى اتصلت بتلك الاصول الشرقية العربية وبالبلاد التي كانت تطبق الاصول وعندئذ اتيح لها التطور والاتساع والارتقاء . وينتهي المؤلف الى ان تاريخ الحقوق ينبغي ان يوسع ويدرس في ميدانه العلمي الرحب العالمـي لا ان يقتصر على دائرة ضيقة محدودة بالحقوق الرومانية . على ان تلك الدراسات العلمية الحقوقية والتشريعية التي تستند الى الثقافتين القديمة والجديدة في كلية الحقوق قـد توطدت اخيراً حين انشئت كلية الشريعة بين كليات الجامعة السورية بدمشق سنة ١٩٥٤ . وعندئذ اخذت الدراسات الشرعية طريقهـا بين الدراسات العالية مشتملة فيما تشتمل على جوانب تشريعية واجتماعية بالمعنى السوسيولوجي الحديث .

هذا التيار الذي يصل الحاضر بالماضي الى جانبه في العهد العثماني تيار آخر مهم يغذي الكتابة العربية في الميدان الاجتماعي ويرفدها بعناصر فكرية غربية .

نهوض الكتابة الاجتماعية والتفتح
للآراء الغربية

كانت اللغة الرسمية في الدولة العثمانية هي التركية في جميع الولايات على حد سواء . وكانت تلك التيارات الدينية الاسلامية التي تحفظ اللغة العربية وتنقل التراث الحضاري القديم في معزل عن الحركات الفكرية العالمية بينها وبين تلك الحركات حجب صفيقة سد لها الحكم العثماني ونشر ظلاماً على البلاد .

ولقد دخلت العلوم العصرية على اختلاف انواعها البلاد العثمانية اول الامر عن طريق المدارس العسكرية واول المؤلفات التي وضعت في العلوم المتنوعة وضعت في المدارس العسكرية ولكن المعاهد العالية عسكرية او غيرها كانت تنشأ في عاصمة السلطنة ولذلك كان التحصيل العالي فيها يتطلب توافر ظروف مالية لطلاب الولايات العربية لا يتيسر الا للقليل النادر منهم . ولقد كانت لغة التعليم فيها بطبيعة الامر هي التركية وكذلك الحال في المدارس « الرشيدية » التي انشيء بعضها في الولايات لاعداد الطلاب لدخول المدارس الثانوية العسكرية . حتى ان التعليم القليل للغة العربية بحكم الدين كان يجري في غالب الامر بالتركية . وكان المسلمون مأخوذين بالتبعية العثمانية غافلين ما عدا القليل منهم عن الخطر الذي يهدد كيانهم وقوميتهم ولغتهم . والغريب في الامر ان السياسة التعليمية العثمانية

كانت تجعل التعليم باللغة العربية من خصائص المدارس المسيحية وحدها فصارت هذه المدارس اكثر اهتماما باللغة العربية من المدارس الرسمية بوجه عام .

كذلك اخذت الدول الاوروبية خلال عهد التنظيمات الذي بدأ في عهد السلطان عبد المجيد تتنافس في توسيع نفوذها بالبلاد العثمانية عن طريق انشاء مدارس لها تنشر لغتها وثقافتها . وكانت هذه المدارس الاجنبية تقام في القرى والمدن التي يكثر فيها المسيحيون . وقد نشأت بهذه الصورة عدة مدارس اجنبيـــة في حلب والموصل وبيروت ولبنان والقدس . وكانت هذه المدارس الاجنبية اكثر عناية باللغة العربية من المدارس الحكومية . ولم يكن للعرب المسلمين مدارس خاصة بهم بـــل كانوا يرسلون اولادهم الى تلك المدارس الحكومية التركية . وهذه السياسة التعليميـــة كانت من اهم اسباب تذمر العرب من الحكم العثماني . ولذلك نجد ان حق التعليم باللغة العربية كان له موضع الصدارة عندما اخذ العرب يطالبون الحكومة بمراعاة حقوقهم القومية .

ثم ان تلك التنظيمات المشار اليها ارادت ان تحارب الفوضى الناجمة من نظام الاقطاع وان تحـــدد سلطات الولاة الا ان قسماً كبيراً منها كان مقتبساً من النظم الفرنسية فغالت وافرطت في المركزية . وقد اضر الافراط في المركزية بالبلاد العربية اضراراً بليغاً . فكان الحكم في كثير من الوجوه رهيناً بنزوات السلاطين وكبار رجال الدولة واستبدادهم ولذلك كانت طائفة من دعاة الاصلاح ينادون بالاستقلال الاداري للبلاد العربية .

ولئن كان العرب المسلمون بدأوا يشعرون باستغلال العثمانيين لحقوقهم باسم الدين فأن الولايات العربية كانت من اشد الولايات العثمانية تأخراً . وكان العرب المسيحيون

يشعرون اشد من اخوانهم اولئك بانفصالهـم عن ذلك الحكم المتداعي . وكان المتنورون منهم يدركون ان الامة العربية من اعاظم الامم في التاريخ كانت لها حضارة قبل الاسلام وصارت لها حضارة ارقى من ذلك بكثير بعد الاسلام وان المسيحيين انفسهم قد اشتركوا في بناء الحضارة العربية قبل الاسلام وبعد الاسلام فكانوا يفتخرون بالتاريخ العربي وبالحضارة العربيـة مثلهم في ذلك مثل المسلمين العرب . وقـد حرصوا اذ ذاك كل الحرص على دراسة اللغة العربية في مدارسهم والتبريز فيها فظهر منهم علماء واعلام وكتاب كبار كانوا في تلك الاجواء كالنجوم اشعاعاً ونوراً .

يقول مارون عبود في كتابه «رواد النهضة الحديثة» يصف ذلك العهد : « وكانت تلك الحقبة حقبة انشاء المعاهد العلمية فمن كلية اميركية الى كلية يسوعية ، الى مدارس بلدية ، كالحكمة والبطركية والمدرسة الوطنيـة للبستاني ، ثم قام الى جانب هذه جمعيات ادبية تعالج المواضيع العامة ، وتهمس ما استطاعت لتحرك الهمم محاربة للاستبداد ، ساعية وراء تحرير العقول . كانت هذه الحقبة غنية بالعلماء كالشدياق مالئ الشرق والغرب ، والبستانيين واليازجيين والاسير والاحدب والدبس والشميل وصروف وزيدان (١) » .

وحقا شهد النصف الثاني من القرن التاسع عشر في سورية ولبنان رجالات كباراً كانوا منارات واعلاما في ظلمات ذلك العهد وفي ايقاد لهيب النضال للتحرر من سيطرة العثمانيين وتخليص اللغة العربية من القيود التي كانت ترسف فيها والاطلاع عـلى علوم الغرب .

(١) بيروت ١٩٥٢ ص ١٨٧

وقد جرت الحوادث المشؤومة في بلاد الشام سنة ١٨٦٠ فازداد نزوح المبشرين الى لبنان وطبعوا الكتب الحديثة والفوا الجمعيات وانشأوا الصحف والفوا الكتب او ترجموها ، وفي هذا نبغ اركان النهضة وفيهم اشهر نوابغ الشام وعلمائها وشعرائها في القرن الماضي .

ووافق ذلك قيام اسماعيل على عرش الخديوية المصرية وقد رغب الناس في النزوح الى مصر ونشط اهل الادب والفكر فنزح اليها جماعـة منهم انشأوا الصحف والمجلات والفوا الكتب او ترجموها وبرزوا في فنون الادب والشعر . ويصعب علينا بالضبط ان نقيم حدودا فاصلة في ذلك الوقت بين السوريين واللبنانيين فبعضهم مثل الشيخ ناصيف اليازجـي (١٨٠٠ – ١٨٧١) من اكابر الادباء والمنشئين في عصره اصله من حمص في سورية ومولده في لبنان ووفاته ببيروت . وكذلك الامر بسبب هذا الاصل الحمصي بالنسبة الى ابنه ابراهيم . ولذلك لا بـد لنا من ان نكون متسامحين فنعد رجالات لبنان وسورية جملة واحدة وفي صف واحد . وهكذا لا بد من ان ننوه بعالم اللغـة الكبير احمد فارس الشدياق ولد في عشقوت (لبنان) (١٨٠٤ – ١٨٨٧) فالى جانب كتبه اللغوية التي تتضمن مـع اللغة انتباهات اجتماعية كتب بعض الكتب التي لها صلة وثيقة بالوصف والنقد الاجتماعيين مثل « كشف المخبا عن فنون اوروبا» يصف فيه سياحته في اوروبا وعادات اهلها وخصوصا الانكليز والفرنسيين كما يصف متاحف لندن وباريس . و « الواسطة في احوال مالطة » يصف فيه جزيرة مالطة جغرافياً وتاريخياً ومدنياً وعادات اهلها واخلاقهم ولغاتهم . ولقد اظهر جريدته المشهورة « الجوائب » في القسطنطينية وكانت مثالاً نيراً للتعبير العربي الحر البليغ .

وقد كنا كتبنا عنه : « ان طول ركوب السفر وتجرع الحلو والمر والتقلب

في انواع الحرف والامعان في دلالات الحرف كل ذلك افضى بهذا اللغوي الاديب الى الخروج عن قوالب الاساليب المتبعـة المفاولة بحسنات البديع، وكانه استطاع تحطيم اطر التعبير الضاغطة لما تحطمت نفسه بالمشكلات الاجتماعية والدينية التي عاناها والازمات النفسية والاقتصادية التي كابدها (١)».

ومثله في البلاغـة والنضال اديب اسحق (١٨٥٦ ـ ١٨٨٥) ولد في دمشق وتعلم في احدى مدارسها ثم انتقل الى بيروت وعاش متنقلاً بينها وبين مصر وباريس

يقول عنه مارون عبود : « شامي المولد لبناني المنشأ، مصري الهوى، عربي النزعة كاتب نضال (٢) » ثم يصف السيد عبود عصره فيقول : «كان اديب في عصر التناحر على المسألة الشرقية ونشأ في ارض كانت الناس ترزح فيها تحت نير الاقطاعيين، الديني والمدني فكيف تنفست ثلأ خياشيمك روائح استبداد تضيق لهـا الصدور وتنكمش النفوس : رسالات دينية اجنبية تتناحر على شطنا اللازوردي، يخدمون قيصر معتقدين انهم يخدمون الله. يقفـون امام مخازنهم كالتجار في ايام الكساد، كل ينادي على سلعته يجذب هـذا ويتمسك باذيال ذاك، داعياً اياه الى دكانه زاعماً ان عنده البضاعة الصحيحة، وان بضائع سواه مزجاة، ودرهمه زيف ...

اما المواطنون فافادوا من تناحر الفريقين — الكاثوليك والبروتستانت — علماً وثقافة، فاستنارت الافكار واستضاءت الاذهان وهكذا جنينا من عوسج التعصب

---

١) دراسات فنية في الادب العربي ١٩٦٣ ص ٦٠٩

٢) رواد النهضة الحديثة ص ١٨٦

ثيناً ، ومن قطربه عنباً . . . جنينا ثمار علم يانعة وجهتنا توجيهاً لم يكن في حسبان من دعونا الى مآدبهم الجدلية وكثيراً ما يؤدي باب الجدل الى حيث لا تريد (١).

وقد كتب مقالات بالفرنسية عن احوال الشرق ويذكر مارون عبود ان فكتور هوغو الشاعر قال لمن كانوا في حضرته على اثر انصراف اديب منها حين كان بباريس : « هذا نابغة الشرق » ولما عاد اديب مصدوراً الى بيروت رجع يحرر جريدة « التقدم » ويكتب فيها ما اطلع عليه في باريس من الاحوال والتشريعات فكانت بينه وبين الاباء اليسوعيين معركة « التعليم الالزامي ومجانية التعليم ».

والدكتور ميخائيل مشاقة الذي انتقل الى دمشق واقام فيها وتوفي بها . له نحو اربعة عشر كتاباً بعضها مطبوع منها ما له علاقة بوصف الحياة الاجتماعية والمعتقدات مثل « الجواب على اقتراح الاحباب » فيه حوادث الجزار وترجمة الاسرة المشاقية وكذلك « تقاليد اليهود وعقائدهم » ورسالة في « السعد والنحس والعين » ورسالة في تفضيل معتقدات الكنيسة الشرقية على معتقدات الكنيسة الغربية . . . ومن رسائله التي فقدت « جغرافية دمشق ومتعلقاتها » وكان صديقاً للشيخ محمود حمزة الذي سلف ذكره .

ونوفل نوفل (١٨١٢ ـ ١٨٨٧) ولد بطرابلس الشام وترجم عن التركية والف بالعربية واهم كتبه المترجمة كتاب « دستور الدولة العلية » وهو جزآن كافأته الدولة على ترجمته بثلاثماية ليرة عثمانية وكتاب « حقوق الامم » وكتاب « قوانين المجالس البلدية » التي قررها مجلس المبعوثان وكتاب في « اصل ومعتقدات الامة الشركسية »

---

١) رواد النهضة الحديثة ص ١٨٦ — ١٨٧

وخليل الخوري (١٨٣٦ – ١٩٠٧) من مؤسسي الصحافة السورية له عدة كتب وزيادة على شعره ومقالاته ترجم عن التركية كتاب « تكملة العبر » لصبحي باشا وهو تتمة تاريخ ابن خلدون وطبعه وتولى ادارة ترجمة « الدستور » التي قام بها نوفل نوفل وطبع مجلديه الاول والثاني .

ورزق الله حسون (١٨٢٥ – ١٨٨٠) الحلبي من اصل ارمني انشأ في الاستانة جريدة « مرآة الاحوال » وهو كاتب سياسي .

وفرنسيس مراش (١٨٣٦ – ١٨٧٣) من اهالي حلب صنف كتبا منها « رحلة باريس » و « مشهد الاحوال » و « غابة الحق » والكتاب الاخير قصة اجتماعية يطالب فيها مؤلفها بالحرية لجميع البشر ويدعو فيها الى السلام دعوة صارخة . يقول فيه مارون عبود : « الا ترى مثلي ان كاتباً قد دعا منذ ثمانين عاما الى ما تدعو اليه الاونسكو اليوم وانه قد ادرك ما قاله اشهر علماء الاجتماع اليوم : ما من امة بعد ولا انسان يستطيع ان يعيش في جزيرة فمصير الواحد مرتبط بمصير اخر انسان في ابعد نقطة من الارض » . ولعل المترجم يريد ان يقول منظمة الامم مكان الاونسكو .

وبطرس البستاني (١٨١٩ – ١٨٨٣) اعظم عمل وطني قام به تأسيسه وادارته للمدرسة الوطنية سنة ١٨٦٣ وهو صاحب « دائرة المعارف العربية » و « تاريخ نابليون » وكتب لغوية اخرى مهمة وقد انشأ ، مستعينا بابنه الاكبر سليم اربع صحف هي « نفير سورية » و « الجنان » و « الجنة » و « الجنينة » . وامين شميل (١٨٢٨ – ١٨٩٧) ولد بلبنان وانشأ في القاهرة جريدة « الحقوق » . من تآليفه « الوافي بالمسألة الشرقية » ظهر منه المجلد الاول و « السدرة الجلية في المباحث القضائية »

واخوه شبلي الشميل (١٨٦٠ – ١٩١٧) الطبيب ، له كتاب « فلسفة النشوء والارتقاء » و « مجموعة مقالات » مما نشره في الجرائد والمجلات .

وابراهيم الحوراني (١٨٤٤ – ١٩١٦) من اهل حمص جمع مقالات له مختلفة في كتاب وله كتب في الفلسفة زيادة على شعره . وقد تولى النشرة الاسبوعية التي كان يصدرها الامريكان في بيروت . وفرح انطون ١٨٧٤ – ١٩٢٢) كاتب ، باحث صحفي ، ولد وتعلم في طرابلس الشام ، وتنقل بينها وبين الاسكندرية وامريكا ومصر وتوفي في القاهرة . له كتاب « الدين والعلم والمال » في شكل رواية اجتماعية يقول عنه مؤلفه : انه عبارة عن بحث فلسفي اجتماعي في علائق المال والعلم والدين وهو ما يسمونه بالمسألة الاجتماعية وهي عندهم في المنزلة الاولى من الاهمية لان مدنيتهم متوقفة عليها وقد اصدر « مجلة الجامعة » وتولى تحرير « صدى الاهرام » يقول عنه مارون عبود : « فهو الذي عرف سواد الشرق الادنى ببوذا و كنفوشيوس ، واطلعهم على شرائع حمورابي ، وهو اول من اذاع فلسفة تولستوي ، وكان له مع الامام محمد عبده جولات موفقة حول ابن رشد وفلسفته شغلت العالم العربي حصة من الزمن . وهو من ارانا وجه جون روسكين النبيل ، ونشر تعاليم روسو وبرناردين دي سان بيار وترجم قسماً كبيراً من رائعة نيتشه ، زارادوتو سترا ، واخيراً اهتدى الى مكسيم غوركي فترجم اشهر رواياته « ملفا » . وهو الذي اكتشف تعاليم كارل ماركس قبل ان تحمر روسيا البيضاء . » (١)

وهو قصصي اجتماعي من الطبقة الاولى . ولقد كان حبه للشرق عميقاً وهو القائل يخاطب أثينا في تعليق له على ترجمته لصلاة رينان عند الاكروبول : « يا اثينا العظيمة ،

---

(١) رواد النهضة الحديثة ص ٢١٥

اسمحي لنا بعد صديقك العظيم – رينان – ان نوجه اليك رجاءنا ، وسؤالنا نحن الشرقيين ، ليس لك ان تتكبري علينا كثيراً فبيننا وبينك قرابة قديمة

اتذكرين ايتها الالهة ، اولئك الاسرى الذين كان يختطفهم تجارة جزائرك في الارخبيل من شواطىء صور وصيدا ويسوقونهم الى بلادك ؟

ان هؤلاء الاسرى كانوا من مساعديك على تمدين قومك ، وتعليمهم الفنون الجميلة وهم قواعد نهضتك ففي عروقك ، اذن ، ايتها العذراء الجميلة ، شيء من دماء شرقية ، فبحرمة هذا النسب نناشدك :

ابعثي الى الشرق ، جدك القديم ، شيئاً من سنا نورك العظيم . علينا ان ننسى اهواءنا ومصالحنا الخصوصية . علينا ان نجهر بمعتقدنا ولا نخاف فيه قوات الارض والسماء . أفهمينا معنى الحق والواجب والعدل والعقل ، لنتخذها نجوماً نهتدي بها في ظلمات الحياة . افتحي عيوننا فنكون مخلصين في طلب الاصلاح ، مهتمين بالجميع على السواء ، وان نبدأ بانفسنا . » (١)

ومن اقدم المؤلفين السوريين الذين كتبوا في الاقتصاد السياسي خليل غانم (١٨٤٦ ـ ١٩٠٣) السوري وقد طبع في الاسكندرية سنة ١٨٧٩ وهو مقالات كانت قد نشرت في جريدة « مصر » ثم طبعت على حدة . والمؤلف من كتاب العرب باللغات الاجنبية انتخب مندوباً عن سورية في مجلس النواب العثماني سنة ١٢٩٤ هـ ثم غضبت عليه حكومة الاستانة ففر الى باريز حيث انشأ فيها جريدة عربية سماها « البصير » ولم تطل مدة صدورها فعكف على التجارة والكتابة الى صحف عربية

---

١) المرجع نفسه ص ٢١٣

وتركية وفرنسية وانكليزية ونشر رسالة دحض فيها ما ترجمه الاجانب من حماية المسيحيين في البلاد العثمانية وكتاباً بالفرنسية « تاريخ السلاطين العثمانيين » بمجلدين وكتاباً بالعربية سماه « حياة المسيح » وانتقل الى سويسرا فانشأ فيها جريدة فرنسية دعاها « الكرواسان » حمل بها على السلطان عبد الحميد واشياعه ثم حجبها ، وكان شديد الغيرة على مصالح بلاده قوي العقيدة الوطنية مناوئاً لكل فكرة اجنبية .

وكذلك ترك سليم كساب (١٨٤١ ـ ١٩٠٧) الدمشقي بين مؤلفاته كتاباً في « الاقتصاد او تدبير المنزل » .

وقد شاقت بحوث الاقتصاد اذ ذاك كثيراً من المفكرين فعمد الشهيد رفيق رزق سلوم الى تأليف كتاب جيد اهداه الى صديقه ومواطنه عبد الحميد الزهراوي سماه « حياة البلاد في علم الاقتصاد » طبع في حمص سنة ١٩١٢ .

حتى الشعراء انفسهم اهتموا بقضايا الاقتصاد . فلقد اوعز حشمة باشا ناظر المعارف بمصر الى الشاعرين حافظ ابراهيم وخليل مطران بترجمة « الموجز في علم الاقتصاد » لمؤلفه بول لروا فنقلاه الى العربية في خمسة اجزاء سنة ١٩١٣ . ومطران كما هو معروف من اصل سوري .

ومن اعلام النهضة الدكتور يعقوب صروف (١٨٥٢ ـ ١٩٢٧) وهو من الذين برزوا في الفلسفة والرياضيات والفلك ومن كبار المترجمين عن الانكليزية وقد اصدر مع فارس نمر وشاهين مكاريوس مجلة « المقتطف » سنة ١٨٧٦ وانتقلوا بها الى مصر سنة ١٨٨٥ وكانت من ارقى المجلات العلمية والاجتماعية في اللغة العربية ، وشارك في اصدار جريدة « المقطم » سنة ١٨٨٩ ، وصنف وترجم عدة كتب منها « سر النجاح » و « سير الابطال العظماء » شاركه في ترجمته عن الانكليزية فارس نمر ونشر في المقتطف بحثاً طويلاً في « نوابغ العرب والانكليز » وازن فيه بين

المعري وملتن وبين ابن خلدون وسبنسر وبين صلاح الدين وريشارد قلب الاسد.
ولقد اضاف الى ثروة اللغة العربية الفاظاً واصطلاحات علمية عديدة ابتكرها او نحتها او استخرجها من مظانها وساقها في عرض مقالاته. وكانت « المقتطف » طليعة المجلات العربية التي فتحت صفحاتها لبحث الاشتراكية بحثاً مجرداً عن الهوى وجعلتها في متناول الجماهير.

وجرجي زيدان (١٨٦١ ـ ١٩١٤) ولد وتعلم ببيروت ورحل الى مصر فاصدر مجلة « الهلال » كان واسع الاطلاع كثير الدأب والتأليف الف في التاريخ والادب والاجتماع له من الكتب « تاريخ مصر الحديث » في جزأين و « تاريخ التمدن الاسلامي » في خمسة اجزاء و « تاريخ العرب قبل الاسلام » و « تاريخ الماسونية العام » و « تراجم مشاهير الشرق » في جزأين و « طبقات الامم او السلاسل البشرية » و « مختصر تاريخ اليونان والرومان » هذا عدا كتبه في الادب وعدا رواياته الكثيرة.

وقد جمع قسماً من مقالاته الاجتماعية في كتاب يشتمل على عدة اجزاء دعاه « مختارات جرجي زيدان في فلسفة الاجتماع والعمران » وهي مع اتجاهها العلمي تشف عن انواع الموضوعات التي كانت تهم المفكرين في ذلك العهد فيعالجونها وكان المجتمع العربي قد اصبح على تماس مع المجتمعات الاجنبية فكان ثمة مجال للمقايسة والموازنة.

ونعمان بن عبده القساطلي (١٨٥٥ - ١٩٢٠) ولد بدمشق وتوفي بها، تعلم العلوم العربية والرياضيات وكتب في التاريخ من آثاره : « الروضة النعمانية او مرآة فلسطين وسورية » في خمسة مجلدات وكذلك « الروضة الغناء في دمشق الفيحاء » وهو كتاب جيد لمعرفة احوال هذا البلد في ذلك العهد وطبع الكتاب بمطبعة الاميركان ببيروت سنة ١٨٧٩.

وحنا خباز (١٨٧١ ـ ١٩٥٥) مـن حمص مؤسس الكلية الانجيلية الوطنية فيها وقد تخرجت الوفـا من الطلبة . نشر جريدة « جادة الرشاد » في زمن السلطة العثمانية ولكن هذه السلطة انكرت جرأتها في الدفاع عن حقوق العرب ومناداتها في الاصلاح الجذري . ولم تكد تمر السنة الاولى وبعض الثانية حتى صدر الامر باقفالها ومحاكمة صاحبها . وعندئذ لم يسعه الا الفرار ، فسافر الى مصر ومنها الى الولايات المتحدة وجال في معظم جمهوريات امريكا اللاتينية . وقـد استغرقت رحلته هـذه اكثر من خمس سنوات ثم عاد الى حمص متابعاً ادارة الكلية التي انشأهـا . ولكن سلطة الانتداب الفرنسي لم تكن راضية عنه لنزعته العربية الاستقلالية . فاخذت تعرقل مساعيه ثم قطعت المساعدة المالية التي كانت مخصصة للكلية ، وبدأت باضطهاده عن طريق اثارة بعض عناصر الطائفة الانجيلية عليه وحاربوه باقذر الاسلحة ، فلم يسعه الا ان يستقيل ويسافر الى مصر حيث عكف فيها على التأليف والترجمة والصحافة فحرر في المقتطف وترجم « جمهورية افلاطون » وكانت هدية المقتطف السنوية (١١٢٩) ، والف « المعارك الفاصلة في التاريخ » و « لماذا حاربت سورية فرنسا » وهو افضـل مرجع لمن شاء ان يدرس حقيقة الانتداب في سورية ولبنان . وهو يقع في جزأين و « تاريخ اسرائيل » وسواها من المؤلفات . وله كتاب مخطوط بعنوان « مذكراتي » يشتمل عـلى العادات والتقاليد والصناعات والحيـاة الاجتماعية في سورية في السنوات المائة والخمسين السالفة . وقد علمت ان نجله توفيق خباز مدير كلية سوق الغرب مهتم بطبع هذه المذكرات الطريفة .

واخيراً رزق‌الله عبود كان مؤرخاً بارعاً . وقد نشر بحوثاً تاريخية شائقة في مجلة الضياء التي كان يصدرها الشيخ ابراهيم اليازجي . وهو اول من وضع تاريخاً لحمص . ولكن المنية عاجلته فلم يتسن له طبع الكتاب .

وكثيرون غيرهم يطول تعقب كتاباتهم وبيان مواهبهم .

بعض الاتجاهات السياسية ومؤتمر باريس

على ان التيارات السياسية في ذلك العهد من النصف الثاني للقرن التاسع عشر كانت في البلاد العربية تقوى شيئاً فشيئاً وتشتد وتبرز بالرغم من السيطرة والقمع.

يلخص الاستاذ ساطع الحصري الاراء والنزعـات السياسية التي ظهرت قبل اعلان « المشروطية » اي الحكم الدستوري في خمسة تيارات وهي :

ا — السعي لاقامة خلافة عربية تقوم مقام الخلافة العثمانية لان العرب اصبحوا ينظرون الى الخلافة العثمانية على انها مغتصبة وقد اهتضمت حقوق العرب.

ب — المطالبة باصلاحات خاصة بالبلاد العربية .

ج — ألاشتراك مع احرار الاتراك المطالبة باصلاحات عامـة تشمل جميع الولايات العثمانية وتغير في الوقت نفسه الولايات العربية .

د — الدعوة الى انفصال البلاد العربية عـن السلطة العثمانية لتأسيس دولة عربية مستقلة .

ه — طلب الحماية من دولة اوروبية . (١)

ويعلق المؤلف على هذه التيارات بان الاول منها كان خاصاً ببعض الجماعات من المسيحيين واما التيارات الثلاثة الاخرى فكانت مما يشترك فيه الجماعات من المسلمين والمسيحيين .

---

١) ساطع الحصري في كتابيه : « محـاضرات في نشوء الفكرية القومية » مصر ١٩٥١ و « البلاد العربية والدولة العثمانية » مصر ١٩٥٧ .

تلك كانت الخطوط الرئيسية للتيارات والنزعات الفكرية والسياسية في الولايات العربية العثمانية حتى بدء الحياة النيابية الدستورية سنة ١٩٠٨ .

ولقد ظهرت الدعوة الى اقامة خلافة عربية بوضوح في كتاب « ام القرى » الذي صدر باللغة العربية بمصر سنة ١٣١٦ هـ والكتاب من تأليف عبد الرحمن الكواكبي الذي سبق ذكره آنفاً ولكن المؤلف اخفى اسمه واكتفى بـ « السيد الفراتي »

وكتب تحت عنوان الكتاب ما يلي : « اي ضبط مفاوضات ومقررات مؤتمر النهضة الاسلامية المنعقد في مكة المكرمة سنة ١٣١٦ هـ » تكلم المؤلف في كتابه على العوامل التي ادت الى انحطاط العالم الاسلامي على شكل محاورات تجري بين منتسبين الى مختلف البلاد الاسلامية وينتهي من المحاورات الى الدعوة لاقامة خلافة عربية في مكة المكرمة ولا شك ان مثل هذا الكتاب يصدر اذ ذاك يعد جرأة كبيرة اذ كان العثمانيون يتذرعون بالدين لفرض سيطرتهم على البلاد العربية .

والمؤلف يصرح بان حقوق العرب مهضومة وينتقد الحكومة العثمانية انتقاداً مراً ويقول : « من اهم الضروريات ان يحصل كل قوم من اهالي تركيا على استقلال نوعي اداري يناسب عاداتهم وطبائع بلادهم » ثم انه ينفي عن العرب التعصب الديني والجنسي . ولاثبات ذلك يشير الى عدم اشتراك البلاد العربية العثمانية في حوادث الارمن الاخيرة ويقول : « واما حوادث لبنان والشام وحلب في القرن السابق ما كانت متولدة عن تعصب ديني أو جنسي بل عن غرور جماعة من الدروز بالانكليز وجماعة من المسيحيين بنابليون الثالث . »

وقد ظهرت الدعوة لانشاء دولة عربية مستقلة بوضوح تام في كتاب « نهضة الامة العربية في آسيا » الذي صدر في باريس باللغة الفرنسية سنة ١٩٠٥ وهو من تأليف نجيب

عازوري . ولقد كان المؤلف من الموظفين الاداريين في الدولة العثمانيـــة تولى وكالة متصرفية القدس فكان مطلعاً على احوال الدولة العثمانية اطلاعا عاما وملما بشؤون الطوائف المسيحية على الخصوص ونجده يصف في كتابه هذا احوال البلاد العربية ويدعو الى توحيد الكنائس الكاثوليكية تحت اسم « الكنيسة الكاثوليكيـــة العربية » ويدعو ايضا الى انفصال الولايات العربية عن الدولة العثمانية على ان يكون الحجاز مقراً لخلافة اسلامية عربية وان تتكون من العراق وسورية ولبنان وفلسطين دولة عربية واحدة حديثة .

ولما اعلن الدستور ولد اعلانه موجة من السرور والابتهاج وداعبت الامـــال القلوب بسرعة التقدم في ظل القانون وفق شعار الحرية والعدالة والمساواة الذي صارت تردده السنة الجميع في انحاء البلاد . فاذا كان ثمة مجلس تمثيلي يراقب اعمال الحكومة ويوجهها ويشتمل على ممثلين للبلاد العربية امكنت ازالة عوامـــل الفساد واستكمال وسائل النهوض وتيسير اسباب الرخاء في جميع انحاء البلاد .

بيد ان السياسة التي بدأت تسير عليهـــا « جمعية الاتحاد والترقي » وحكومتــها بعد اعلان المشروطية خيبت الامـــال واضطرت مفكري العرب وساستهم الى تغيير ارائهم واتجاهاتهم في ضوء التجارب والاحداث .

ان اهم العوامل في هـــذه التطورات نشأ عن تمسك الجمعية وحكوماتهـــا بنظام المركزية وتشددها في امر اللغة الرسمية تشددا لا يكترث بحقوق العرب وآمالهم .

وجرت حوادث كثيرة زادت من استياء العرب وحدثت سلسلة مـــن الأزمات السياسية اضطرت نواب العرب الى التكتل والى المعارضة .

وقد استمرت تلك الازمات وتفاقمت نقمة العرب فرأى بعض الجماعات اللجوء

الى التشكيلات السرية ورأت جماعات اخرى ان تسعى لعقد مؤتمر عربي في خارج البلاد العثمانية . وقد تولى تحقيق هذه الفكرة الاخيرة جماعة من شبان العرب المقيمين في باريس .

وانعقد المؤتمر العربي الاول في باريس من ١٧ حزيران ــ ٢٣ منه سنة ١٩١٣ واشترك في المؤتمر ممثلون عن مختلف الجمعيات العربية القائمة في الاستانة ودمشق وبيروت والقاهرة وعن مهاجري العرب في المكسيك وفي الولايات المتحدة الاميركية .

وقد القيت في المؤتمر عدة خطب جرت بعد كل واحدة منها بعض المناقشات وتلقى المؤتمر خلال انعقاده عدداً كبيراً من برقيات التهنئة والتأييد من مختلف المدن العربية ولا سيما من المدن السورية وهذه هي عنوانات الخطب :(١)

تربيتنا السياسية ـ حقوق العرب في المملكة العثمانية ـ الحياة الوطنية في البلاد العربية العثمانية ـ آمال السوريين المهاجرين ـ تحية العراق للمؤتمر ـ المهاجرة من سورية والى سورية ـ الاصلاح على قاعدة اللامركزية ـ رقي المهاجرين وتعضيدهم للمؤتمر .

وذلك عدا خطب الافتتاح والختام التي كانت موضوعاتها عامة .

وانما نوهنا بهذا المؤتمر لان تلك الخطب التي القيت فيه مرجع مفيد للاطلاع على الاحوال السياسية وبعض الامور الاجتماعية في ذلك العهد .

ولقد اكد جميع الخطباء ان حركتهم بعيدة عن الغايات الدينية وانهم يقفون

(١) انظر كتابي ساطع الحصري المذكورين آنفاً

مسلمين ومسيحيين صفاً واحداً في مطالبهم لانهم افراد امة واحدة هي الامة العربية ،
وكان رئيس المؤتمر عبد الحميد الزهراوي .

ومن المفيد للقارىء ان يطالع قرارات المؤتمر وان يتبين نتائجه اذ اضطرت الحكومة العثمانية في آخر الامر الى أن تتفاوض مع زعماء المؤتمر في شؤون الاصلاحات والى ابرام اتفاقية بين المركز العام للاتحاد والترقي وبين هيئة الشبيبة العربية .

الا ان الحوادث السريعة التي توالت بعدئذ ولا سيما الحرب العالمية الاولى غيرت مجرى الامور .

في بيوت الله ايضاً

ولم ينقطع رجال الدين في ظلال الكنائس عن نشر تعاليم السيد المسيح وعن التأليف في القضايا التاريخية الدينية والكتابة في الامور الاجتماعية والوعظ والارشاد . وهنا لا بد من ان ننوه ببعض الاسماء بصرف النظر عن المراتب الدينية .

فلقد قدم سابقاً اقليميس يوسف داود (١٨٢٩ ـ ١٨٩٠) الى دمشق واصله من كردستان ليكون رئيس الاساقفة على السريان الكاثوليك في اوائل سنة ١٨٧٩ وكان واسع الاطلاع عميق الاستبحار يعرف خمس عشرة لغة كتب في بعضها . من اهم كتبه المطبوعة « التواريخ البيعية » (بالعربية) و « مختصر التواريخ البيعية » (بالعربية) و « تاريخ مجمع السريان المعقود سنة ١٨٨٢ في الشرفة » (بالفرنسية) و « مقالات شتى طقسية وتهذيبية » ألفها وطبعها في روما (باللاتينية

والايطالية) و« كالندار عام للبيعة السريانية على مدار السنة » (بالعربية) و« كالندار عام لجميع الطقوس غربية وشرقية » (بالعربية) و « المقدمة والنتيجة في الخطبة والزيجة» (بالعربية) .

والمثلث الرحمات البطريرك أفرام الاول برصوم (١٨٨٧ ـ ١٩٥٧) اصله من العراق ، وكان بطريرك انطاكية وسائر المشرق للسريان الارثوذكس وقد كان مركز البطريركية في مدينة حمص ولكن هذا المركز انتقل منذ برهة الى دمشق . ومن مؤلفاته : « اللؤلؤ المنثور في العلوم والآداب السريانية » يتضمن تاريخ العلوم والآداب السريانية وطقوسها وادبائها واطبائها وخطاطيها . الخ و « الدرر النفيسة » يتناول تاريخ الكنيسة المسيحية منذ تأسيسها حتى اواخر القرن الرابع وتاريخ دير الزعفران وهو دير قديم بقرب ماردين (وهو في تركيا الآن) و « تاريخ الابرشيات السريانية » نشر قسماً منه تباعاً في « المجلة البطريركية » و « تاريخ طور عابدين » وضعه بالسريانية و « الالفاظ السريانية في المعاجم العربية » وقد نشر « رسالة في علم النفس الانسانية » للفيلسوف الكبير ابن العبري طبعت في دير مار مرقس للسريان بالقدس سنة ١٩٣٨ .

وقداسة(١) مار اغناطيوس يعقوب الثالث بطريرك انطاكية وسائر المشرق للسريان الارثوذكس الحالي ، نصب بطريركاً سنة ١٩٥٧ ومقره في دمشق ، من مؤلفاته : « تاريخ الكنيسة السريانية الهندية » و « تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية » يتناول تاريخ الكنيسة المسيحية منذ تأسيسها حتى اوائل

١) هذا هو لقبه الصحيح اما البطاركة من المذاهب الاخرى فلقبهم غبطة

القرن السادس و « نزهة الرائـد في الكتاب الخالد » و « المشعل الوضاء في طريق السماء » وهما خطب دينية القاها في مناسبات شتى و « دفقات الطيب في تاريخ دير مار العجيب » ، وهـذا الدير من اشهر الاديرة السريانية يقع في منطقة الموصل في العراق و « بين الشرق والغرب » وهو لمحة تاريخية موجزة و « الكنيسة السريانية امس واليوم » وهي نبذة صغيرة . وهو يصدر الآن في دمشق مجلة دينية ادبية تاريخية .

والخوري عيسى اعتنى بالتاريخ والجدل الديني وتولى تحرير جريـدة « حمص » سنوات اشهر مؤلفاته كتب « تاريخ حمص » من الالف الثاني قبـل الميلاد حتى العصور المسيحية الاولى (طبع في حمص ١٩٣٩) و « تاريخ الكنائس الشرقية » .

والبطريرك مكسيموس مظلوم له « المعين الرائق في خلاصة الحقائق » و « الكنز الثمين في اخبار القديسين » (في ثلاث مجلدات سنة ١٨٦٦) .

والمطران جرمانوس معقد له « رحلة الفيلسوف الروماني » وهو كتاب ديني اجتماعي و « سبيل الصلاح » و « السلوى » وهي قصص اجتماعية فكاهية .

والمطران جراسيموس مسرة له « تاريخ الانشقاق » وكتب مقـالات مختلفة اجتماعية ظهرت في جريدة « الهدية » و « والمحبة » و « المنار » في بيروت .

والاب فـؤاد برباره ترجم كتاب « السياسيات » لارسطو وكتاب « دستور الاثينيين » عن اليونانية مباشرة .

والاب افرام بولس له كتاب « عبد في سنير » تناول فيه حياة بعض عظـماء الكنيسة وله « الجدول الرقراق » وهو قصص سريانية اجتماعية .

والى جانب البحوث الاجتماعية الـتي كانت تحرر في ارجاء سورية لم يقتصر

ابناء هذه البلاد في ميدان الكتابة الادبية عامة والاجتماعية خاصة حيث هاجروا وانى قاموا .

وفي المهجر

يبحث العالم الاجتماعي الفرنسي هلفاكس في كتابه «المورفولوجيا الاجتماعية» الهجرة بحثاً يبرز فيها صفتيها الاجتماعيتين في نظر مدرسة دركهايم وهي كونها خارجية اي موجودة وجودا خارجا عن الافراد وكونها ذات قوة ضاغطة مؤثرة .
وهو في ذلك يصف تنظيمات الهجرة في اشكال مؤسسات تشتمل على مكاتب للسفر ومكاتب للوصول وشركات للنقل واتفاقيات بين الدول احياناً وهلم جرا فهي تستجيب لميول جمعية وحاجات مشتركة تتجاوز الافراد المهاجرين. وكأنه عند تحليله ظاهرة الهجرة من الناحية الاجتماعية يذهب تفكيره الى وصف تيار الهجرة الذي حمل الوفا والوفاً من الناس في القرن التاسع عشر من اوربا الى العالم الجديد ، فحصل ذلك التيار على شكل دفعات كبيرة متوالية او امواج متدفقة مترادفة تصعب مقاومتها . بدأ بالدفعة الانجلوسكسونية ثم الالمانية ثم الايطالية ثم تلتها دفعات قوية اخرى صدرت عن روسيا وبولونيا واوروبا الشرقية ثم حوض البحر الابيض المتوسط . وهكذا تبرز الصفة الاجتماعية للهجرة في هذه الدفعات التي تتناول كتلاً كبيرة من البشر . ولو كانت الهجرة مجرد تصرف كتصرفه الافراد ينضاف بعضه الى بعض وكان هؤلاء الافراد لا يخضعون لتلك القوى الاجتماعية لانتثروا على السواء في جميع الجهات كما يتفق لهم او للبثوا في امكنتهم اذ ان بلادهم على وجه العموم وفي الحال الطبيعية ممسكة بهم كما ان البلاد الاجنبية دافعة لهم ومباعدة اياهم . فهم لا يخرجون عن هذا التأثير الا اذا حصلت تيارات بعكس ذلك الاتجاه فحملتهم فيها واوصلتهم الى نهاية مداها .

ولا شك ان للعامل الاقتصادي اثره البالغ في ابتعاث تيـار الهجرة وتوجيهه ولكنه ليس السبب الاوحد في ذلـك . بل ثمة تصورات ونزعات مشتركة جمعية قوية الاثر تنضاف اليه وتزيد في تأثيره .

لقد هاجر السوريون اول الامر الى بعض البلاد العربية ولا سيما مصر . فأقاموا في القاهرة والاسكندرية . وكان في طليعة المهاجرين المثقفون هربا من الاحوال المتخلفة في الولايات العثمانية ثم هاجر التجار والعمال . ولما وصل تيار الهجرة العالمية الى سورية وسواحلها على حوض البحر الابيض المتوسط بدأت تلك الهجرة تستخف السوريين دفعات قوية الى الولايات المتحدة والى كندا حول سنة ١٨٩٠ ، ولكن القوانين التي وضعتها هذه البلاد في سبيل الهجرة خففت بعدئذ تيارها وقـد جذبت المكسيك السوريين واللبنانيين اليها . ثم صدف المهاجرون عنها للاضطهادات الدينية التي نشبت فيهـا ، وتحول القسم الاكبر من المهاجرين الى امريكا الجنوبية ولا سيما البرازيل والارجنتين واورغواي ، وبعضهم توقف في بوليفيـا وفنزويلا . ثم شرع السوريون ينتجعون افريقية ولا سيما بعد سنة ١٩٣٥ .

هـذا وقد تألقت نجوم كثير من المغتربين في ميادين الثقافة والعلم والسياسة والاقتصاد الى جانب تألقها في آفاق الادب .

واذا كان الشعر المهجري معروفاً ومتداولاً فلانه سريع الانتقـال كالبرق ، ولان حافزه على الاغلب حب الوطن والنزوع اليه ، فموضوعاته قومية اجتماعية وسياسية الى جانب كونها فكرية وعاطفية ، ولان ذلك الشعر قد قرض بالعربية .

ويصعب علينا ان نتعقب ما انجزه المغتربون في ميدان العلوم الاجتماعية فان هـذا الموضوع وحده جدير ان يقتصر عليه بحث يجلو غامضه وخباياه فينقب في الجمعيات

والاندية والصحف والمجلات والمكاتب عن تلك الآثار في مختلف الافاق وشتيت البلاد وفي متفاوت اللغات .

ومع ذلك فلا بـد لنا من ان نذكر اطرافاً فيه مختزلة وسريعة وغير كافية وكل ما نستطيع ان ننوه به فهو طبيعة الشعب السوري العربي الكريمة المعطاء في ميادين الفكر بالاضافة الى الميدان الديمغرافي . ونختصر في كلامنا على السوريين توخياً للايجاز .

ففي الولايات المتحدة تبدو لنا شخصية نسيب عريضة منشيء مجلة الفنون واليه يعزى الفضـل في انطلاق الادب المهجري وفي تأسيس الرابطة القلمية التي كان ينتسب لها جبران وابو ماضي ونعيمه ورشيد أيوب ونده وعبـد المسيح حداد وسواهم .

وكذلك عبـد المسيح حداد صاحب جريدة السائح النيويوركية التي كان لها أثر كبير في توجيه الحياة الادبية والاجتماعية في المهاجر الاميركية . وقد صدرت بانتظام مدى خمس وأربعين سنة ، ثم وقفت عن الصدور لعجز صاحبها عن متابعة جهاده الصحفي . وكانت السائح صحيفة الرابطة القلمية . ولعبـد المسيح حداد كتابان وهما « حكايات المهجر » و « انطباعات مغترب » وقد كتبه عـلى أثر زيارته لسورية ولبنان ومصر سنة ١٩٦١ وطبعته وزارة الثقافة والارشاد في دمشق وتولى الاستاذ نظير زيتون مراجعته وتنقيحه .

هذا وقد أعانه شقيقه اللامع ندرة حداد في تحرير السائح ، وكان من مؤسسي الرابطة القلمية أيضاً ، ولكن الشعر غلب عليه .

ولا بد هنا من ان نشير بهذه المناسبة الى بدري فركوح الذي نشر ديواناً

شعرياً باللغة الانكليزية في الولايات المتحدة قبل أن يطلع جبران بمؤلفاته الانكليزية . ولولا ان توفاه الله باكراً لكان له مستقبل باهر في عالم الشعر الانكليزي .

وفي المكسيك ميخائيل صباغ أصله من دمشق قام بعمل لغوي جبار لا تقوى عليه غير المجامع العلمية ، وذلك عندما ألف معجمه الكبير «معجم صباغ» العربي الاسباني . وهو أول معجم في موضوعه وقد بلغت مواده نحو خمسين الف لفظة . وبينها بطبيعة الأمر الفاظ ومصطلحات اجتماعية وسياسية واقتصادية .

وجلال هذا المؤلف الثمين لا يقف عند حد التأليف فقط . بل يجاوزه الى طباعته التي أربت نفقاتها على ما يعادل خمسين ألف ليرة سورية . وكاد يقف عن متابعة طبع المعجم لنفاد ما يملكه من ثروة لولا أن تداركه الاصدقاء بالمساعدة المادية اللازمة . وقد توفي المؤلف فقيراً لا يملك من حطام الدنيا شيئاً ، ولكنه رقد خالداً بين مؤلفي المعاجم الجبارة

وفي البرازيل نظير زيتون أصله من حمص تولى تحرير جريدة «فتى لبنان» مدى خمس وعشرين سنة الى جانب صاحبها اللغوي المعروف رشيد عطية (سوق الغرب) مؤلف معجم عطية في العامي والدخيل ، وقد نشره في سان باولو ، علاوة على مؤلفات أخرى نشرها في بيروت .

واشتهرت جريدة فتى لبنان بدفاعها عن القضايا العربية عامة والسورية واللبنانية خاصة ، ولذلك منعتها السلطات الفرنسية من دخول سورية ولبنان .

وانظير زيتون مؤلفات كثيرة منها استقلال البرازيل » والامبراطورية الاولى» وتاريخ البرازيل و « الشعلة » وهي مجموعة من الخطب المختارة التي القاها في الاندية السورية والحفلات العامة و «هيرودوس الكبير » و« يسوع المصلوب » و« روسية في

-وكب التاريخ» وهذا الكتاب الذي يقع في جزأين كبيرين يشتمل على تاريخ روسية منذ اقدم العصور حتى انتهاء الحرب العالمية الثانية وسقوط النظام الهتلري النازي . وهذه الكتب وسواها ، مما ألفه وترجمه نشرت كلها في البرازيل ثم انتشرت في المهاجر الاميركية .

وكذلك رشيد شكور مؤلف كتاب « الشرق والغرب » وقد قابل بينهما بأسلوب علمي تاريخي ودل على مواطن القوة والضعف .

ثم انطون أنيس شكور مارس الصحافة العربية في ريودي جانيرو مدة سنتين في جريدة انشأها لمكافحة الاستعمارات والاستثمارات الاجنبية . ونشر مؤلفاً طريفاً بعنوان « من اللحد الى المهد » تحدث فيه عن الانظمة الاجتماعية بنظرات اشتراكية .

وجورج اطلس واسمه الاصلي راشد النداف وكان قساً واعظاً ابتدأ حياته العلمية في كندا والولايات المتحدة ثم انتقل الى البرازيل بعد زواجه من الاديبة سلوى سلامة . اصدر في سان باولو جريدة « الزهراوي » تكريماً لذكرى الشهيد العربي الشيخ عبد الحميد الزهراوي ، ثم اصدر « الاتحاد العربي » واحتجب بوفاته .

وقد اشترك مع قرينته السيدة سلوى سلامة في انشاء مدرسة عربية لتعليم ابناء الجالية واصدر كتاب « تاريخ البرازيل » مختصراً .

وقرينته هذه هي اول سيدة سورية مارست الصحافة في المهاجر الاميركية اذا انشأت مجلة « الكرمة » التي عاشت نحو اربعين سنة واحتجبت بوفاة صاحبتها . وكان لهذه المجلة اثرها الكبير في توجيه المرأة المغتربة وتشجيع الادباء والناشئين .

وفي تشيلي بندكتو شوحي ، مارس الصحافة العربية مدة قصيرة ، ثم حجب

جريدته وانصرف الى المطالعة باللغة الاسبانية فحذقها والف فيها « الامثال العربية العامية » وهو كتاب ضخم و « مذكرات مغترب » وقد فازت بالجائزة الاولى اسنطياغو عاصمة تشيلي كما ترجم معظم مؤلفات جبران خليل جبران ، ونشر كتباً اخرى من تأليفه كان لها صدى استحسان شديد .

وهذا كله بصرف النظر عن الادباء والشعراء السوريين في المهاجر . وطائفة منهم من مدينة حمص ويعدون من الطراز الاول في الشعر مثل حسني غراب ونصر سمعان وميشل مغربي وموسى الحداد ولكنهم مغمورون قلما يجري الحديث عنهم في الاوطان العربية والسبب ان واحداً منهم لم ينشر ديوانا .

واذا كنا قد تقرينا البحوث والتآليف الاجتماعية بوجه عام فلقد آن الوقت ان ننظر في الذين كانوا رواد التأليف في علم الاجتماع نفسه .

رواد علم الاجتماع

لا شك ان مقدمة ابن خلدون من الكتب القيمة التي كتبت في علم الاجتماع ، وقد كان مؤلفها يسمي هذا العلم علم العمران الذي يشعر بجدته وطرافته في عصره . عاش ابن خلدون من (٧٣٢ – ٨٠٨ هـ – ١٣٣٢ – ١٤٠٦ م) وليس هو ولا مقدمته هنا من موضوع بحثنا هذا . ولكن كثيرين من الباحثين الذين اتوا بعده ربما اقتفوا طريقه واقتصوا اثره . ومن الطبيعي ان نجد اصداء لآرائه وترسماً لكتاباته عند فريق من الكتاب والعلماء الذين ذكرناهم آنفاً . فقد كانت مقدمة ابن خلدون متداولة بعض الشيء حتى ان اسلوبها الكتابي المترسل والمتحرر من قيود الصنعة اثر في اساليب بعض الكتاب والمنشئين .

بيد ان علم الاجتماع بهذا اللفظ انما هو ترجمة الكلمة الاجنبية السوسيولوجيا. فاذا استعمل في العصور الحديثة دل عندنا في اللغة العربية على البحوث المؤلفة حسب مناهج العلماء والمفكرين الغربيين وحسب اعتباراتهم في ميدان هذا العلم . وقد سبقوا اليه في العصر الحديث . فاذا كان ثمة ابتكار او اضافة فبالنسبة لما تقرر من تلك الاصول والاعتبارات التي هي بطبيعة الامر رهينة التبدل والتغير شأن سائر العلوم . ونحن نريد ههنا ان نبحث عما الفه السوريون في هذا الميدان في العصور الحديثة بالنسج على غرار المؤلفين الاجتماعيين الاجانب وبالاعتماد على اساليبهم الفكرية واصولهم العلمية وباقتباس آرائهم . ذلك ان كل معرفة متصلة بالمرحلة التاريخية التي صيغت فيها فهي تحمل طابعها . ونحن في العصر الحاضر نقتدي على الاغلب بالامم المتقدمة في اساليبها الفكرية ونقتبس من علومها كما نقتدي بها في اساليب حياتنا وعاداتنا وفي كثير من امورنا ومرافقنا .

ولم نعمد الى التنقيب عن اول بحث صيغ في هـذا الشأن ولكن وجدنا ان اول كتاب سوري حديث في مكاتبنا ظهر تحت شعار هذا العلم هو « الموجز في علم الاجتماع » لمؤلفه عارف النكدي مفتش المعارف . كلف تدريس علم الاجتماع بمدرسة الحقوق فوضعه سنة ١٩٢٥ . طلب اليه تأليفه سامي العظم مدير المعارف . وهـو كتاب صغير جيد يبحث في المقدمة انواع العلوم الاجتماعية ثم موضوع علم الاجتماع وتاريخ هذا العلم ومعنى الهيئة الاجتماعية وعواملها ويريد بالهيئة الاجتماعية ما يسميه بعض الباحثين اليوم بالمؤسسة الاجتماعية ترجمة الكلمة الفرنسية Institution كالاسرة والامة والانسانية وغيرها .

ثم يبحث في الفصل الاول الانسان واصله وحاجته الى الاجتماع وفي الفصل الثاني بعض الهيئات الاجتماعية كالتي ذكرنا في الفصل الثالث ما يحفظ الهيئات

الاجتماعية كالزواج والوطن واللغة والعنصر ويريد بالعنصر ما يدعوه بعض الباحثين اليوم بالعرق وكالدين والمنفعة ، ويبحث في الفصل الرابع الدولة والحكومة وانواع الحكم والقوانين والعقوبة والقوة والحق .

ويعتمد في بحوثه على ما كتبه علماء الاجتماع في عصره المشهورون امثال باريتو وبوكله كما يكتب هو هذا الاسم (Bougle) ولوبون وكذلك يعتمد على اقوال المفكرين العرب امثال الجاحظ وابن خلدون والمفكرين الاجانب امثال روسو وسبنسر وموريس باوك . ويظن ان تدريسه لهذه المادة في مدرسة الحقوق هو الذي اقتضى تأليف هذا الكتاب . وقد ظهر في السنة نفسها كتاب علم الاقتصاد لعارف الخطيب وهي دروس القاها في المدرسة نفسها .

ولا يخفى ان مثل هذا الكتاب مرحلة واضحة في توطيد علم الاجتماع في ميدان التأليف باللغة العربية . وفي الوقت نفسه تقريباً ظهر كتاب « علم الاجتماع » في جزءين لنقولا حداد (١٨٧٠ ـ ١٩٥٤) في مصر وهو من أصل لبناني . وقد ذكر المؤلف في مقدمة كتابه انه قضى خمسة عشر عاماً درس وطالع فيها نخبة من المؤلفات الاجتماعية على مختلف وجهاتها ومناحيها . ويلاحظ حداثة هذا العلم وعدم الاتفاق على قواعده وهو اوسع كتاب لذلك العهد في علم الاجتماع قسمه ابوابا وفصولا واشار في اول كل باب الى المؤلفات التي عدل عليها فيه واتخذها قاعدة لبحوثه .

ومن المعلوم انه درس الصيدلة ببيروت ثم اشتغل بالصحافة ثم سافر الى مصر ومنها الى نيويورك سنة ١٩٠٧ وعاد الى مصر فعمل في تحرير جرائد « الاهرام » و « المحروسة » و « الرائد المصري » واصدر مع زوجته روز حداد وهي اخت فرح انطون « مجلة السيدات » سنة ١٩٢١ ثم حولا اسمها الى « مجلة السيدات والرجال »

واستمرت نحو ربع قرن واشرف قبيل وفاته على تحرير المقتطف مدة قصيرة وقد اكثر من التأليف والترجمة عن الانكليزية وثقافته هذه كان اكثر اعتماد في كتابه علم الاجتماع على العلماء الاجتماعيين الانكليز والاميركيين ولا سيما جدنز وبلاكمار وروس وديلي وورد، كما انه ضرب امثلة متعددة في بحوثه واظهر وجهات نظره الخاصة .

وقد قرظ الكتاب كثير من المفكرين عندظهوره ونوهوا بالجهد المبذول فيه. نقرأ في جريدة « الف باء » الشامية من مقالة بقلم عيسى اسكندر المعلوف : « اننا بحاجة كبيرة الى معرفة اصول علم الاجتماع وتدريسه في مدارسنا والى كثير من مثل هذه المباحث العصرية المفيدة ، فجاء هذا الكتاب يسد ثلث الثلمة لان مؤلفه اللوذعي بحث في العلل الاجتماعية ومنشأ الاجتماع وتبويب علومه بأساليب لطيفة وعبارات رشيقة وتقسيم معقول » . وكذلك نوهت بالكتاب جريدة « المقتبس » الشامية . وجريدة « حمص » . وقد جاء في هذه الجريدة الاخيرة هذا التقريظ : « اذا أحصينا الكتاب الاجتماعيين نستطيع ان نضع في طليعتهم الالمعي الذكي الفؤاد السيد نقولا الحداد الذي لم ينس قراء المقتطف والهلال والجامعة وسواها مقالاته الاجتماعية الممتعة ... لانه كان يجيد في كل نقطة يحوم حولها طائر فكره » .

واذا تطرقنا الى هذه التقريظات فليبان ان الكتب الجديدة كانت سرعان ما تذيع في البلدان العربية كلها وتنوه بها الصحف تنويهاً مناسباً بلغة صحيحة . وكان كبار الكتاب هم المشرفين على الصحافة في البلاد العربية خلافاً لما هي الحال عليه اليوم .

وعلى الرغم من تقادم العهد على هذا الكتاب وتطور اصول علم الاجتماع لا تزال فيه مادة مفيدة للمطالعة . وللمؤلف كتاب صغير في الاشتراكية .

وقد ذكر نقولا حداد في مقدمة كتابه علم الاجتماع انه سمع بوجود كتاب في علم الاجتماع للدكتور عبد الرحمن الشهبندر (١٨٨٢ – ١٩٤٠) ولكنه لم يره . ونحن نظن ان الدكتور الشهبندر كان في ذلك العهد ينشر مقالات له تباعاً في مجلة « المقتطف » ثم طبعها في كتابه المشهور « القضايا الاجتماعية الكبرى في العالم العربي » سنة ١٩٣٦ واهداه لذكرى الشهداء الذين سقطوا في ميادين الشرف في العالم العربي دفاعاً عن الحرية والاستقلال «منذ سنة ١٩١٥ الى سنة ١٩٣٥ » واهم الموضوعات التي يعالجها الكتاب هي : المدنية ، المرأة والرجل ، مصير الاسرة الشرقية ، الاسرة الشيوعية ، الدولة والحكومة والرعية ، بناء الدولة ، ثم يعرض جملة من المذاهب السياسية والاجتماعية لبعض المفكرين اليونان ولابن خلدون ولكثير من المفكرين الغربيين المحدثين ويتكلم ايضاً على الحرب العالمية الاولى وما اتصل بها من ثورات وعلى الاشتراكية والبلشفية وعلى الفاشستية والنازية والكمالية ويبحث ايضاً اصلح اشكال الحكم في العالم العربي وحاجتنا الى التجانس والوطنية وعوامل التجانس والعوامل المعنوية ووحدة الامم والزعامة وصفة الزعيم الى غير ذلك من البحوث المفيدة .

واذا كنا لا نرضى عن بعض آرائه ولا سيما حين ينوه بالفاشستية والنازية والكمالية اذ كانت رائجة في ذلك العهد فيقول : « وحسبنا مثالا نحتذي به الاقليات الفاشستية والنازية والكمالية في بادىء امرها فهي التي انقذت ايطاليا والمانيا وتركيا من الانحلال ومن سلطة المجالس النيابية الجوفاء واضاعتها اثمن الاوقات في القال والقيل على غير جدوى »(١) ولكن كان اذا دعا لفكرة اقام عليها في كثير من الاحيان الدليل والبرهان فهو مثلاً بعد ان يلفت « الانظار الى خطأ الذين يحاربون

١) ص ٩٧

الفكرة العربية العامة ويتطرفون في اقليميتهم »(١) يقول : « وبديهي اننا كلما وسعنا مجتمعنا العربي ونوعنا اقاليمه فتحنا اسواقاً جديدة للنبغاء منا او لمن كانت فيهم قابلية النبوغ كامنة وشتان بين من يخدم قطراً فيه ثلاثة ملايين او اربعة ملايين من البشر كسورية او العراق وبين من يخدم عالماً عربياً يمتد من المحيط الى المحيط . وكما ان القرية الصغيرة لا تنمي الخبراء من اهل الاختصاص لانهم لا يجدون فيها الزبائن الكافين لشراء فنونهم كذلك القطر الصغير يميت النبوغ لانه عاجز عن تحمل نبوغهم وتغذيته بالمال والاقبال . ولاهون على الاقاليم القطبية الجليدية ان تربي الطاووس من ان تنمي (بريدة) او (عنترة) او (ينبغ) المهندس او الكيماوي »(٢) .

والدكتور عبد الرحمن الشهبندر تخرج بالجامعة الامريكية وحياته حافلة بالنضال ، دخل في جمعية الاتحاد والترقي بعد الدستور العثماني فلما اتجهت سياستها الى تتريك العرب ناوأها ولما نشبت الحرب العالمية توارى ونزح الى القاهرة ثم رجع الى سورية عام ١٩١٩ وصار وزيراً للخارجية فيها عام ١٩٢٠ ثم غادر سورية بعد موقعة ميسلون الى مصر . وقد رجع الى سورية ايضاً وقام بنشاط سياسي فيها ابان الانتداب فاعتقله الفرنسيون في جزيرة ارواد سنتين وبضعة اشهر ، ثم اطلق فعاد الى النشاط السياسي . ولما اتقدت ثورة سورية ١٩٢٥ فر الى جبل الدروز معقل الثورة ثم الى القاهرة سنة ١٩٢٧ واشتغل بالطب زمناً وكان الى جانب حرفته يطالع كثيراً من الكتب الاجتماعية والسياسية المكتوبة باللغة الانكليزية وقد نقل الى العربية كتاب « السياسة الدولية » لدايزل بورنس وكذلك كتب كتاباً عن الثورة السورية بعنوان « ثورة سورية الكبرى » بحث فيه اسرار الثورة وعواملها ونتائجها .

١) ص ١٠

٢) ص ١٠١ - ١٠٢

هذا وقد ذهب في زمن الانتداب الفرنسي فريق من الطلاب للدراسة في فرنسا وتخصص بعضهم في علم الاجتماع . ومن هؤلاء السيد كاظم داغستاني فلقد كانت رسالته في الدكتوراه « دراسة اجتماعية الاسرة المسلمة المعاصرة في سورية » بالفرنسية، باريس ١٩٣٢، قدم لها المستشرق غود فروا دومومبين ثم تلاه السيد خالد شاتيلا فعالج في رسالته موضوعا مشابها للموضوع السابق عنوانه « الزواج عند المسلمين في سورية » قدم لها الاستاذ مارسيل موس السكرتير العام لمعهد الانثولوجيا في جامعة باريس ، طبعت بباريس سنة ١٩٣٦، وكانت سورية اذ ذاك تشمل اربع حكومات مستقلة اداريا تحت الانتداب الفرنسي وهي : سورية ولبنان والعلويون وجبل الدروز ، وهو يعلن انه اعتمد عند دراسته للزواج لدى الدروز والبدو ما كان قد صنفه بوركهارت وموزل . والقارىء للرسالة سواء كان شرقيا او غربياً يتسلى عندما يجد بعض الفقرات التي يستشهد بها المؤلف مأخوذة مما كتبه بعض الذين زاروا الشرق فهو يورد مثلاً جملة للكاتبة الفرنسية مارسيل تينايير حين وصفت زيارتها لتركيا وهي هذه : « البطء في الشرق هو ضربة لازب في الآداب العامة فالناس المهذبون حقاً ليسوا ابداً عجلين ولا تبدو قط عليهم العجلة . وكل احتفال عندهم يقتضي بادىء ذي بدء احاديث لا تنتهي وثناء متبادلا بل يقتضي صمتا يتأمل المخاطب فيه بابتسامه » (١) ليطبقها على سورية .

واذا ذكرنا هذا النص فلنتبين اي شكل اخذت الدراسات الاجتماعية ابان الانتداب ولا شك ان هذا يختلف عن اللهجة الجدية التي وجدناها عند المؤلفين السابقين وكأن المؤلف قد استعار للنظر في قضايا بلاده هنا عيني هذه السائحة

---

(١) ص ١٩ من كتاب شاتيلا

المتجولة الفرنسية العربية بل كان المؤلف في بحثه يستعير احيانا نظارتي اساتذته الاجانب الذين اعتادوا ان يقوموا بدراسات اثنولوجية وان ينقل بعضهم عن بعض ما شاهده البعض الآخر عند الاقوام البدائية البعيدة . غفلوا جميعاً عن ربط العادات بالتطور الاجتماعي وبالنظام الاقتصادي .

وكان آخرون يدرسون في اوربا اذ ذاك فقد قدم محسن البرازي اطروحة في الحقوق عنوانها « الاسلام والاشتراكية » باريس ١٩٢٩ ونجيب الارمنازي قدم اطروحة في الحقوق ايضا عنوانها « الاسلام والحقوق الدولية » باريس ١٩٢٩ وعبد الكريم الحامي قدم اطروحة في الحقوق عنوانها « الزواج والطلاق في الشرع الاسلامي » ليون ١٩٣١ .

ثم استمرت البعثات تترى الى اوروبا . وقد قدم كامل عياد رسالة جيدة عن ابن خلدون (اشتوتغارت ١٩٣٠) .

ولم تلبث الفتاة السورية ان لحقت بالرجل السوري في التحصيل العالي فلقد قدمت مارسيل عيسى رسالة بعنوان « نظرية سبنسر في الدين ومصادرها » سنة ١٩٤٦ بجامعة باريس ونالت درجة مشرف جداً .

تناولت هذه الاطروحة اصلاً من الاصلين الاساسيين للدين وهما عبادة القوى الطبيعية وعبادة الارواح ونظرية سبنسر في الدين ترجع اصل الدين الى عبادة الارواح .

ان هربرت سبنسر هو صاحب نظرية التطور المشهورة وهو قد نقل فكرة التطور من الميدان العلمي الى الميدان الفلسفي ونظريته في الدين التي عرضها في

كتابه « مبادىء علم الاجتماع » تعتمد على نظريته في التطور فأوضحت الاطروحة ذلك وبينت انه لا يمكن فهم نظرية سبنسر في الدين الا على ضوء فكرة التطور بل انها في نظره مثال من الامثلة الدالة على صحة نظرية التطور .

بدأت الاطروحة بعرض النظرية . وخلاصتهـا ان عبادة الارواح نشأت عن تأويل الاحلام التي ينسب اليها البدائيون صفة الواقع . فقد لاحظ هؤلاء البدائيون ان الجسم يبقى في مكانه اثناء الاحـلام ، ولذلك لا بد للجسم ان يكون له مثيل او نظير آخر يميز عنه يرى ويسمع ويفعل ما يرى ويسمع ويفعل في الحلم .

وهذا المثيل يتحول الى روح بعد الموت . وتتمتع الارواح بقدرة خارقة تفوق قوة الاحياء . ولهذا تتدخل في شؤون الاحياء لصالحهم او لضررهم تبعاً لطبائع الارواح انفسهم التي قد تكون طيبة صالحة او شريرة مؤذية . وهـذا الاعتقاد بوجود الارواح الناجم عن تأويل الاحلام والاعتقاد بتأثيرها على النحو المذكور قد ادى الى عبادة الاجداد . وكانت تقصد هـذه العبادة الى تأمين مساعدة الارواح الطيبة التي كانت على الاغلب ارواح الاجداد فهم يريدون الخير لاحفادهم .

وهكذا جعلت نظرية سبنسر في الدين عبادة الاجداد اساسا لكل العبادات ولا سيا عبادة الحيوانات وعبادة النبات .

ولما انتهت الاطروحة من عرض النظرية تناولت نقد الطريقة التي اتبعها سبنسر في دعم نظريته فبينت انهـا ترتكز على نظرية التطور وانها طريقة قبلية apriori اي سابقة للتجربة تبدأ بانشاء الفكرة ثم تجد في نظرية التطور ما يدعم هـذه الفكرة ثم تورد الظواهر التي تثبت صحتها وبذلك يتضح ان هـذه الطريقة ليست بالطريقة العلمية التي تبـدأ بملاحظة الظواهر ثم تفرض تفسيراً لها ثم تختبر صحة هذا التفسير .

هذا مع العلم ان الطريقة التي تتبع الآن في دراسة الظواهر الانسانية ومنها الظواهر الاجتماعية والتي لم تكن معروفة اذ ذاك اصبحت تعتمد على الفهم الى جانب التفسير اي انها تحاول الكشف عن معاني الظواهر الانسانية الى جانب تعليلها بردها الى اسبابها .

وبعد اذ تدرس الاطروحة الطريقة تعمد الى دراسة المصادر التي ارتكزت عليها النظرية والى نقد هذه المصادر . وهذه الدراسة تؤلف القسم الاساسي من الاطروحة حين تأتي بنتائج جديدة قيمة . وقد انتهى نقد المصادر الى النقاط التالية :

١ – انتقى سبنسر من المصادر التي اعتمد عليها ما كان يدعم نظريته واغفل قصداً سواها .

٢ – نسق الحوادث تنسيقاً خاصاً يجعلها تؤيد نظريته .

٣ – قام بتعميمات سريعة .

٤ – لم يفرق في تأويله للحوادث والظواهر بين معنى الظاهرة الحقيقي ومعناها المجازي .

٥ – اول الحوادث والظواهر تأويلاً اجمالياً .

وقد درست الاطروحات بنوع خاص الاسس التي تستند اليها نظرية سبنسر في الدين مثل تأويل الاحلام وقدرة الموت على تحويل المثيل الى روح ، وتقدم عبادة الاجداد على باقي العبادات واسفرت دراسة هذه الاسس عن النتائج التالية :

١ – عدم توافر الامكانات الفكرية لدى البدائيين بحيث تؤهلهم لان يحللوا الاحلام على النحو الذي يريده سبنسر كما انه من البعيد ان تكون

الاحلام قد استرعت اهتمامهم الى ذلك الحد ، وهم في الواقع لم يذهبوا الى التفكير في امور حيوية اخرى اكثر اهمية من الاحلام .

٢ ـ ان الاحلام التي استرعت اهتمام البدائيين كانت في الواقع الاحلام التي تنبىء بالمستقبل .

٣ ـ ان بناء الدين على اعتقاد خاطىء الا وهو ان ما يجري في الاحلام قد حصل فعلاً يجدد للدين اصلاً هزيلاً غير مقبول لتفسير ظاهرة هامة مثل الدين وهو ما هو عليه من المكانة في حياة الانسان منذ ان وجد على الارض .

وهكذا سلطت الاطروحة الاضواء على نظرية هامة في اصل الدين وهي نظرية سبنسر وبينت نواقصها ومواطن ضعفها .

وقد تفتحت الآفاق عقب استقلال سورية للطلاب فأصبحوا ينتجعون لتحصيلهم العالي البلد الذي يريدونه . وقد قدمت السيدة زاهدة حميد باشا اطروحة في جامعة جورج تاون بالولايات المتحدة عنوانها « ابن خلدون مبدع علم الاجتماع وواضع اسسه » بالانكليزية سنة ١٩٥١ .

الى جانب هؤلاء الرواد الاوائل على اختلاف مراتبهم في البحوث كانت تقوم دراسات جدية وجديدة تتناول القضايا القومية والعربية والانسانية . فهي تاريخية او فلسفية او تنزع منزعاً علمياً اجتماعياً عند معالجتها امراً من تلك الامور . ويصعب علينا ان نتعقب في هذا الصدد تلك المؤلفات . ولكن لا بد لنا من ان ننوه بالاستاذ ساطع الحصري فلقد وضع دراسة مهمة عن مقدمة ابن خلدون كما اصدر كتباً متداولة في القومية العربية . وكذلك الاستاذ محمد عزة دروزة المؤرخ الكبير للقضايا القومية العربية وامثالهم ممن يجمعون بين الاطلاع الواسع والعمق والدأب والاتجاه المخلص .

وآخرون اتجهوا الى الكتابة الادبية الاجتماعية الوعظية امثال الشيخ علي الطنطاوي ، او الى الكتابة الاجتماعية والتاريخية التي تعتمد على وصف بعض المناطق امثال المحامي عبد القادر عياش الذي يصدر في « دير الزور » «وادي الفرات» وقد نشر رسائل كثيرة جيدة في وصف عادات تلك المنطقة وفي تاريخها .

على ان الافضل الآن وقد وصلنا الى هذا الحد من تتبع البحوث الاجتماعية ، ان نعي فنتبينها لدى الاحزاب السياسية ثم لدى هيئات الدولة المختلفة في الوقت الحاضر .

القسم الثاني

الاحزاب السياسية الرئيسية

نبحث النشاط الاجتماعي العلمي لدى الحزب الشيوعي وحزب البعث وجماعة الاخوان المسلمين لان هذه كانت اكثر الاحزاب عناية بالنشر والتأليف والترجمة في الميدان الاجتماعي .

يا عمال العالم اتحدوا

الاتصال بين العالم العربي وروسيا قديم الا انه كان ضعيفاً . ولقد قوي بعد ثورة ١٩٠٥ التي لم يكتب لها النجاح . وكان من سبل ذلك الاتصال بعض الضباط العرب الذين كانوا في الجيش العثماني والذين اسرهم الروس . كان لفريق منهم شأن وطني بعد اذ تأثروا بالافكار الثورية ، فبدأوا يتمردون على السلطة العثمانية في الذهاب الى الجزيرة العربية ولا سيما اليمن لقمع بعض الحركات التحررية التي كانت تقوم بها اسرة حميد الدين .

وفي زمن تلك الثورة تمردت الدارعة بوتمكين على القيصرية الروسية . وهـذا التمرد ترك اثراً في نفوس الضباط العرب الذين كانوا يشتغلون في البحرية العثمانية .

كذلك كانت الحروب التحررية في البلقان مثل بلغاريا واليونان ذات تأثير في الفكر التحرري العربي اذ حفزت الضباط العرب الذين كانوا في الجيش العثماني على التفكير ومناهضة نير السيطرة العثمانية فاشتغلوا في سبيل تكوين الجمعيات العربية فتألف بعضها علناً وبعضها سراً .

ثم دفع مؤتمر باريس الحركات العربية الثورية الى الامام اذ بلور التفكير العربي في توجيهه نحو الانفصال عن الامبراطورية العثمانية ونوه بضرورة استقلال البلاد العربية .

ولقد كانت القضية العربية تتخذ في بادىء الامر شكل اتجاه نحو الاستقلال الذاتي وتنادي بمطالب خاصة مثل عدم ارسال المجندين العرب الى خارج مناطقهم وبان تصرف اموال الضرائب التي كانت تجبى من البلاد العربية في البلاد العربية نفسها ، وبالتعليم باللغة العربية في المدارس الرسمية كما سبق . كانت الجماهير الشعبية في البلاد العربية مأخوذة بالتبعية العثمانية وكانت الحركات الفكرية السياسية هي التي لخصناها سابقاً .

ثم دخلت الحركات العربية التحررية مرحلة جديدة من النضال مع ثورة ١٩١٧ . ولقد كان لتأثير ثورة تشرين الاول (اكتوبر) هذه عدة جوانب . ولا شك ان حب العرب للحرية حب قديم متأصل في نفوسهم . فلم تكد الحرب العالمية الاولى تضع اوزارها حتى نكث الحلفاء بعهودهم للعرب . واقتسموا تركة الرجل المريض وابرم الحلفاء اتفاقية سيكس بيكو وتوزعوا بها الوان النفوذ في بعض البلاد العربية . وكانت تلك الالوان كلها تختلف اسماء وتتفق في طبيعتها الاستعمارية . ومن المعلوم ان ثورة تشرين الاول تنادي بتساوي الشعوب وبحريتها وتناهض الاستعمار وتدعو لتقويضه في كل مكان . وهكذا نجد احلام العرب في الاستقلال

حجبها سواد الاستعمار وأخر تحققها على حين بعض النظريات الثورية بدعوتها كانت تناوئ الاستعمار فكان من الطبيعي ان يضرم الوطنيون العرب ثورات متعددة كثورة مصر سنة ١٩١٨ وثورة العراق سنة ١٩٢٠ وثورات سورية المتعددة التي اهمها ثورة ١٩٢٥ . والذي يهمنا هنا تتبع نشوء المنظمات السياسية ذات التفكير الثوري التقدمي في سورية واثرها العلمي الاجتماعي .

اقدم حركة ماركسية نشأت في الشرق الاوسط كانت في تركيا سنة ١٩١٩ اذ اسهم قادة الحزب الشيوعي التركي مع لينين في انشاء الاممية الثالثة . اما في العالم العربي فاقدم حركة ماركسية نشأت في مصر سنة ١٩٢٢ اذ تأسس الحزب الشيوعي المصري (١). كان في مصر نشاط يساري بين العمال والفلاحين اذ نشأت فيها مجالس ثورية من عمال وفلاحين ومثقفين . ثم دخلت الحركة الماركسية سورية ولبنان والعراق في وقت واحد تقريبا . واول نقابة عربية تألفت في سورية ولبنان كانت نقابة عمال التبغ في بكفيا في احدى سنوات العشرين من هذا القرن . ثم بدأ يتسرب التفكير الثوري الى البلدين وذلك بتأثير الفكر الاشتراكي الروسي من جهة وبتأثير الحزب الشيوعي المصري من جهة اخرى اذ هاجر قسم من افراد الحزب المصري الشيوعي الى لبنان وكانوا من اصل لبناني . كانت هجرتهم هجرة الاياب فنقل هؤلاء معهم التفكير العمالي والتفكير النقابي. كذلك ازداد التسرب بالاحتكاك من وراء الانتداب مع الفكر الفرنسي . فكان كل ذلك بمثابة البذور للتفكير اليساري في سورية . فنجد الماركسية من سنة ١٩٢٥ الى سنة ١٩٣١

١) انظر تطور الحركة الوطنية المصرية من ١٨٨٢ الى ١٩٥٦ تأليف شهدي عطية الشافعي سنة ١٩٥٧ .

عبارة عن حلقات في لبنان وسورية لان البلدين كانا يؤلفان معاً وحدة فكرية ونضالية مشتركة .

كانت ثمة ثلاث حلقات متفرقة في البلاد : الشباب الاشتراكي - وجريدة ثقافية تسمى الانسانية تصدر في بيروت ومجموعة العمال النقابيين فالتقت الفئات الثلاث هذه والتفت ومنها نشأ الحزب الشيوعي في سورية ولبنان واعلن تأسيسه رسمياً سنة ١٩٣٠ .

الى جانب هذا التطور السياسي كان ثمة تطور في الحياة الاجتماعية اذ بدأت تظهر نقابات السكة الحديد ونقابات اعمال المطابع . واول نقابة ظهرت في سورية نقابة عمال التبغ والتنباك ونقابة عمال النسيج الآلي . وحوالى سنة ١٩٢٣ كان الحزب يصدر جريدة الفجر الاحمر . واول كتاب ماركسي ترجم الى العربية هو « البيان الشيوعي » ترجمه خالد بكداش سنة ١٩٣٣ ثم حوالي سنة ١٩٣٥ ظهرت مجلة «الطليعة» في دمشق وجريدة « صوت الشعب » في دمشق ايضاً تحملان طابعاً تقدمياً واضحاً وشرعتا تكتبان المقالات في هذا الاتجاه وتترجمان بعض الكتب . ولم تكد « صوت الشعب » تظهر في دمشق حتى منعت من الصدور فبدأت تظهر في بيروت . وكانت هذه الجريدة تنشر مقالات قادة الحزب من سوريين ولبنانيين مثل خالد بكداش ونقولا شاوي وفرج الله الحلو . وكان النشاط في هذه المرحلة على النضال التحرري اكثر انصبابا منه على النضال الاجتماعي لان تلك المرحلة كانت تقتضي التحرر الوطني . وكانت الدعاية للاشتراكية على انها نظام اجتماعي واقتصادي تكاد تكون مقصورة على المثقفين والعمال المتنورين دون ان تتسرب تسرباً واضحاً وواسعاً الى جماهير العمال والفلاحين .

ثم اتت مرحلة جديدة توكدت بعد الحرب العالمية الثانية وبعد جلاء الفرنسيين . فلقد انحلت قضية البلاد الكبرى اذ زال الاستعمار .

وانعقد مؤتمر للحزب الشيوعي في سورية ولبنان سنة ١٩٤٣ فأقر ميثاقاً وطنياً تحت شعار جديد وهو « وطن حر وشعب سعيد » . وفي هـذه الفترة بدأت الطبقة العمالية في سورية تباشر نضالاً وطنياً واسعاً . ولا غرو ان تظهر اذ ذاك اهداف جديدة بين فئات الشعب وهي النضال الاجتماعي لعدالة اجتماعية ومطالب الفلاحين في الارض ومطالب العمال في الاجور . ولقد كان نضال العمال مع ذلك ضعيفاً وكانت الاقطاعية الممثلة في غالبية المجلس النيابي قوية ووقعت اضرابات كثيرة في مختلف البلاد – على ان دولة سورية الفتية شاركت عقب استقلالها في نشاط الهيئات العالمية ومنها مكتب العمل الدولي . ولقد استطاعت الطبقة العاملة سنة ١٩٤٦ . ان تنتزع قانون العمل وكان الحادث الاول من نوعه في الشرق الاوسط اذ بحث في عقود العمل وضمانات العامل وحمايته فيما يخص ساعـات العمل وتحديد الاجور والاجازات السنوية والمرضية وتنظيم العمل بالنسبة للمراهقين والنساء كما بحث في المنظمات المهنية اي في النقابات والاتحادات النقابية ولجـان المهن المختلطة للعمال ولارباب العمل، وبحث في فض منازعات العرب وفي المصالحـة والتحكيم الاجباريين وفي طوارىء العمل وامراض المهنة ومكاتب الاستخدام وغير ذلـك من الاحكام . كان قانون العمل هـذا خطوة الى الامام في تنظيم قضايا العمال وتخفيف الضغط عنهم على نسق قوانين العمل في البلاد الغربية .

من خصائص الحزب الشيوعي انه كان يوجه اهتمامه في الداخل حول بعض النقاط والقضايا ليزيد الوعي الشعبي في ميدانها وانه كان يعرف الناس بمـا يجري في داخل البلاد الاشتراكية ولا سيما الاتحـاد السوفييتي ، وانه يتتبع جميع الحركات العالمية ويقف منها الموقف المناسب الذي يراه يتفق مع سياسته العامة .

ومع انهيار النازية ورجحان كفة الاشتراكية بعـد معركة ستالينغراد بدأت تظهر حركات اشتراكية في العالم كله وايضاً في سورية .

نشأ حزب البعث سنة ١٩٤٣ بـدمشق ونشأ الحزب العربي الاشتراكي سنة ١٩٥٠ بحماة وكانت عبارة عن مجموعة من الشباب الاشتراكي اول الامر شعارهم النضال ضد الاقطاعيين في تلك المنطقة - ولم يلبثوا ان تألفوا حزباً .

في هذه الفترة الاخيرة انتشر كثير من الكتب اليسارية تبحث في المجالات الفلسفية والسياسية والاجتماعية والادبية . ومن المعلوم ان علم الاجتماع في نظر الماركسية علم اجتماع ملتزم فهو يعنى بتكوين الانسان الماركسي وهو ينظر الى البحث الاجتماعي العلمي على انه جزء من المادية التاريخية التي تشرح صراع الطبقات وتتفهم تناقضات المجتمع بغية حلها . وهكذا لا نستطيع اذا كنا مخلصين لطريقة البحث الموضوعة الا ان نلم بوجهة نظره من حيث التطور التاريخي ومن حيث التنويه بمختلف الدراسات الفلسفية والسياسية والاجتماعية اليسارية على انها من علم الاجتماع الماركسي .

لقد ترجمت مؤلفات عن المادية الجدلية لستالين ترجمها خالد بكداش في كراسات صغيرة من اجل التوزيع والنشر الواسع كما الفت كتب وترجمت اخرى لتعريف الناس بالنظام الاشتراكي وبالدستور السوفييتي . ومن الكتب المهمة التي ترجمت «الطبقة والامة» لمليز رمين وفصل من كتاب «مبادىء الاقتصاد السياسي» بعنوان «تطور المجتمع منذ بدء التاريخ» لسيغال و« الاستعمار اعلى مراحل الرأسمالية » للينين « وتاريخ الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي » وكذلك « الاجور والاسعار والارباح» لماركس . و« الامميات الثلاث » وهلم جرا . . .

وكانت الترجمات تظهر احياناً بدون اسماء المترجمين . وربما يكون المترجم سوريا أو لبنانياً أو تكون لجنة اشرفت على الترجمة . وخصائص هذه الترجمات انها كانت تتناول كتباً مهمة ومقالات رئيسية في الفكر الماركسي وتعتمد في النقل لغة

بسيطة مفهومة مع دقة كبيرة . وكانت في الاغلب تنقل عن اللغة الفرنسية بسبب شيوع الثقافة الفرنسية في سورية . على ان بعض تلك الكتب كان يترجمها اختصاصيون في الاتحاد السوفيتي وتنشر في العالم العربي .

ثم بدأت الانقلابات السياسية تتوالى على سورية فاخرت فترة الديكتاتورية النشر العلمي في هذا المضار . لقد وقع انقلاب حسني الزعيم ١٩٤٩ وتلاه انقلاب سامي الحناوي ثم وقع انقلاب الشيشكلي سنة ١٩٥١ وامتد حكمه حتى سنة ١٩٥٤ . وقد صدر في مطلع سنة ١٩٥١ تقرير للسيد خالد بكداش بعنوان «لاجل النضال بنجاح في سبيل السلم والاستقلال والديمقراطية يجب الاتجاه بحزم نحو العمال والفلاحين» . ونظراً لاهمية هذا التقرير نشره الحزب مرة ثانية بطبعة معدلة وبعنوان « حزب العمال والفلاحين » .

ثم تلت ذلك العهد مرحلة من اهم المراحل في تطور سورية نحو الفكر التقدمي ونحو الاشتراكية عملياً ونظرياً من سنة ١٩٥٤ الى بداية الوحدة اذ انطلق الفكر الماركسي يتقدم ويتوطد بسرعة وبذكاء عملي ، وذلك انه استطاع ان يتعاون مع مختلف القوى التقدمية في سورية وأن يتخلى لها عن مصالح سريعة ناظراً من وراء ذلك الى خدمة الاشتراكية العلمية على المدى البعيد . وحصلت معارك نضالية ذات طابع طبقي واسعة النطاق في منطقة العلويين وفي حماة والجزيرة ضد الاقطاعيين ومنها الاستيلاء على الارض وطرد الاقطاعيين منها . وقد تمكن الفلاحون بنضالهم ودعم النواب التقدميين من اصدار قانون يمنع تهجير الفلاحين من الارض وتمكنوا من اعادة النظر في ضريبة العشر التي كان يأخذها الاقطاعي فمنعت . كذلك برز تأثير انضمام القوى التقدمية وتحالفها في جميع وقائع الانتخابات النيابية .

وبدأت تظهر جمعيات تعاونية للفلاحين . وكذلك اتسع النضال العمالي وقوي ،

فقد احتفظ العمال بحق الاضراب وحددت الاجور وساعات العمل كما حددت السن الدنيا لعمل الصغار . ونشأت جمعيات نسوية كان نشاطها اجتماعياً يسارياً واسع النطاق وعميق الاثر كرابطة المرأة السورية لحماية الامومة والطفولة . وكذلك نشأت جمعيات الصداقات بين سورية والبلاد الاشتراكية . وكان قد سبق تأليف بعضها قبلاً ثم حل

وفي هذه المرحلة ايضاً بدأ البحث عن قطاع عام للدولة وعن ضرورة الاصلاح الزراعي وعن التأميم . وفي هـذا الميدان نجد بحوثاً قيمة في خطب المجلس النيابي ولا سيما خطب النواب التقدميين ، وخاصة تلـك الخطب التي تتناول بحث الميزانية والتنمية ومعركة مصفاة النفط التي انشئت في حمص .

واتسع المجال للنشر والترجمة والخطب والمقالات . يضاف الى ذلـك نشاط كبير في الوفود وتبادل الزيارات وكذلك صدور جرائد يسارية مثـل جريدة « النور » وجريدة « الطليعة » وهي غير مجلة الطليعة التي كانت قد توقفت . وعمد الشيوعيون الى التعاون مـع هيئات كثيرة علمية وانشأوا دوراً للنشر . ومن المناسب هنا ان نشير الى دار ابن الوليد للترجمة والتأليف والنشر وقد انشئت في حمص وذلـك « لتعريف الشعب على خير ما انتجه الفكر الانساني التقدمي » حسب شعارها التي اعلنته . وكذلك نوهت على انها تسعى للامور الآتية :

« تبعث المعرفة في سبيل الحياة والشعب

تبعث التراث العربي وتربطه بالفكر المعاصر

تعمل على توجيه الفكر العربي لمكافحة الاستعمار وما يخلق من امراض قاتلة

تربط الفكر العربي بالتراث الانساني الاكبر

تربط الفكر بالعمل » .

واليك المنشورات التي طبعتها ونشرتها :

عنوان الكتاب	اسم المؤلف	اسم المترجم
معركة التروستات	هنري بيري	نجاح ساعاتي السباعي
اصول الحرية	روجيه غارودي	بدر الدين السباعي
دور الفرد في التاريخ	بليخانوف	احسان سركيس
الصين في طريق الاشتراكية		بدر الدين السباعي ونجاح ساعاتي السباعي
اغاثة الامة او تاريخ المجاعات في مصر	تقي الدين المقريزي	
مخاطر ازمة ومخاطر حرب	هنري كلود	بدر الدين السباعي
ستراتيجية الحرب الثورية	ماوتسي تونغ	دار ابن الوليد
الفن والحياة الاجتماعية	بليخانوف	احسان حصني
حق الامم في تقرير مصيرها	لينين	دار ابن الوليد
الاشتراكية الخيالية والاشتراكية العلمية	انجلز	عبد النافع طليمات
الحرب والشعوب		بدر الدين السباعي
ابطال المقامات في الادب العربي		عبد النافع طليمات
الانسان قاهر الطبيعة	م . ايلين	بدر الدين السباعي ونوري حجو الرفاعي

ومن مزايا هذه الكتب انها صيغت بلغة بسيطة قريبة من الفهم كما قدمنا وتعالج موضوعات اجتماعية وسياسية واقتصادية من وجهة نظر يسارية .

يضاف الى ذلك ان بعضها من تأليف المفكرين العرب القدماء ، مثل المؤرخ المشهور المقريزي ولكنها انتخبت الالحاح على وجهة خاصة في التاريخ . وبعضها مثل

كتاب ابطال المقامات في الادب العربي انتبه مؤلفه لاختلال توزيع الثروة في بعض العهود العربية ولنشوء تيارات ادبية تشف عن ذلـك الاختلال كأدب الكدية مثلاً . ان معالجة التاريخ والقضايا الاجتماعية من هذه الوجهة ،وهي الوجهة الاقتصادية، كفيلة بتنبيه الافكار عـلى نقاط جديدة مهمة وهي بصرف النظر عن الناحية السياسية جديرة بالاهتمام وهي لا تعدم نفعاً ولا جدوى . على ان اولئك المترجمين لا ينبغي ان يكونوا بالضرورة شيوعيين جميعاً لان الشيوعيين لهم اساليب خاصة يتبنونها لخدمة آرائهم ومجتمعهم ، فهم يستطيعون ان يتعاونوا مع كثيرين اذا وجدوا فائدة اجتماعية في هذا التعاون .

وكذلك اعتمد الماركسيون عـلى دور اخرى للنشر وهي دار الفارابي في بيروت ولها فرع في دمشق ودار الفكر الجديـد بدمشق ودار دمشق واعتمد السوريون منهم نشر كتب لهم في بعض الدور اللبنانية للنشر كدار القلم واصدروا بعض الكتب عن طريق صحفهم ومطابعهم ايضاً .

وحباً في تتبع هذه الحركة من الناحية العلمية نورد فيما يلي اهم منشورات تلك الدور على ان بعضها لم يذكر مترجمه ، وقد اشترك في وضع بعضها وترجمته لبنانيون آثرنا ان نشير اليهم حرصاً على استكمال الفائدة وتمام تسجيل هذه الحركـة .

دار الفكر الجديد

اسم الكتاب	اسم المؤلف	اسم المترجم
المؤامرة الكبرى على روسيا	البير كان، ميشال سايرز	
نفطنا السليب	يوسف خطار الحلو (لبناني)	
الزعيم فوستر يعترف بجرائمه	فايان	
الاقتصاد الاستعماري للبترول	كاتب الماني	احسان الجابري
ثورة العراق	حسين مروة (لبناني)	
العاميات الشعبية في لبنان	يوسف خطار الحلو (لبنان)	
حزب العمال والفلاحين	خالد بكداش	
الخيانة العظمى	البير كان	احمد غربية (لبنان)
البيان الشيوعي	ماركس، انجلز	خالد بكداش

دار القلم

اسم الكتاب	اسم المؤلف	اسم المترجم
دور الحقوقيين في تطوير القانون	حبيب نمر (لبنان)	
الاجور والاسعار والارباح	كارل ماركس	
حول الماركسية في علم اللغة	ستالين	
حول تاريخ تطور الفلسفة	جدانوف	
من الازمة الاقتصادية الى الحرب	هنري كلود	بدر الدين السباعي

العالمية الثانية

تطور المجتمع منذ بدء التاريخ	سيغال
الطبقة والامة	ي . غليزرمين
في قلب العواصة	وصفي البني
الاشتراكية البسيطة	جبران مسوح

دار الفارابي

اسم الكتاب	اسم المؤلف	اسم المترجم
المادية التاريخية والمادية الديالكتيكية	ستالين	خالد بكداش
تاريخ الحزب الشيوعي (البلشفي) في الاتحاد السوفييتي		
دور الافكار التقدمية تطوير المجتمع	ف. كونستانتينوف	عبد المعين ملوحي
المؤامرة على المجر وروسيا	وزير الثقافة المجري	
البيان الشيوعي	كارل ماركس ،فريدريك انجلز	خالد بكداش
مسألة الحل الصحيح للتناقضات داخل الشعب	ماوتسي تونغ	
٤٠ عاماً من الثورة		
اسس اللينينية	ستالين	
دور النقابات	لينين	
القضايا الاقتصادية للاشتراكية في الاتحاد السوفييتي	ستالين	

الاستعمار اعلى مراحل الرأسمالية	لينين	
حي بن يقظان	ابن طفيل	دراسة عبد الهادي حكيم

دار المعجم العربي

في النشاط العملي	ماوتسي تونغ	
جمال الدين الافغاني	ثابت مدلجي	
المنطق الديالكتيكي والمنطق الشكلي	كيدروف	

دار دمشق

الدولة والثورة	لينين	الدكتور فؤاد ايوب
خطوة الى الامام خطوتان الى الوراء	لينين	الدكتور فؤاد ايوب
ما العمل	لينين	احسان حصني
حركة التحرر الوطني في الشرق	لينين	الياس مرقص
خطتان للاشتراكية الديموقراطية في الثورة الديموقراطية	لينين	انطون حمصي
مختارات الماركسية والثورة والاشتراكية والحرب	لينين	الياس مرقص
مؤلفات مختارة لماوتسي تونغ (جزآن)		الدكتور فؤاد ايوب
حول الحزب	ليوشاوشي	مأمون ابو الذهب
كيف تصبح مناضلاً جيداً	ليوشاوشي	
ثلاثون عاماً من حياة الحزب الشيوعي الصيني	هو كياو مو	الياس مرقص

الثورة الصينية	ماوتسي تونغ	الياس مرقص
في الممارسة والتناقض	ماوتسي تونغ	الدكتور فؤاد ايوب
البيان الشيوعي	كارل ماركس	الدكتور فؤاد ايوب
علاقة الفن بالواقع	نيدو شيفين	الدكتور فؤاد ايوب
اود فيج فيورباخ ونهاية الفلسفة الكلاسيكية الالمانية	فريدريك انجلز	جورج استور
تطور المجتمع منذ بدء التاريخ	سيفال	
الطريق البولوني الى الاشتراكية	اوسكر لانج	الياس مرقص
اليساري	كاود الزمان	احسان مراش
لينين	ستالين	الدكتور فؤاد ايوب
الانسان اثمن رأسمال	ستالين	عبد الرزاق جعفر
ام لينين	اركفناتور	اليان ديراني
فلسفة التاريخ المفهوم المادي للتاريخ	بليخانوف	الياس مرقص
الاشتراكية الخيالية في القرن التاسع عشر	بليخانوف	حنا عبود
الاقتصاد المنهاجي	جان روموف	احمد مراد

لنتابع الآن تطور الحركة الفكرية الماركسية ابان الوحدة بين سورية ومصر. لقد اصدرت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوري في كانون الثاني سنة ١٩٥٨ قراراً بينت فيه افضلية الاتحاد وان الاتحاد ينبغي ان يرتكز على تقوية النضال العربي ضد الاستعمار وتوطيد الديمقراطية والحريات في كل من البلدين وتطوير اقتصاد كل من البلدين. وتنفيذ اتفاقات الاغا. الاقتصادي المعقودة بين سورية والاتحاد السوفياتي والمساواة بين البلدين. وقد اعلنت الوحدة في ٢٢ شباط ١٩٥٨. وبعد

اعلانها ببضعة شهور اعلن الحزب الشيوعي برنامجه ذا النقاط الثلاث عشرة وهو يشمل رأيه في تلك المرحلة ثم نشر السيد خالد بكداش باسمه مجموعة من الدراسات والمقالات خلال الوحدة في بعض المجلات الاجنبية والعربية منها مقال عنوانه « اتجاهات في حركة التحرر الوطني العربية » وآخر بعنوان « الوحدة المصرية السورية . . . » وكذلك « دراسة حول الاصلاح الزراعي في مصر وسورية » ثم اعلن الحزب برنامجاً له في اوائل سنة ١٩٦١ وكان النشر الماركسي قد انقطع في سورية في فترة الوحدة فانتقل الى لبنان . ونشرت جريدة « الاخبار » البيروتية جميع تلك البحوث كما نشرت غيرها .

وانتهت الوحدة في ٢٨ ايلول ١٩٦١ . وكان نضال الماركسيين قد تغير على الصعيد الاجتماعي فاتجه في نظرهم الى التوعية لحقيقة الاشتراكية مع الاصرار على برامج الاصلاح الزراعي وعلى التأميم .

واعقب عهد الكزبري والدواليبي انفصام الوحدة . فجرت فيه محاولات جدية لتصفية الاصلاح الزراعي والتأميم ، وقامت فيه نضالات اجتماعية واضرابات عمال لصون تلك المكاسب . وفي جريدة « الصدى العام » الدمشقية وهي التي كانت تدعى في السابق « الرأي العام » وكذلك في جريدة « الطليعة » الدمشقية بحوث مدبجوها سوريون عمدوا خصوصاً للدفاع عن التأميم وقطاع الدولة والاصلاح الزراعي وتأميم المصارف والشركة الخماسية وحق العمال في الارباح وتمثيلهم في مجالس الادارات وكان ذلك العهد يريد الاجهاز على تلك الانجازات .

ولقد دعم هذا النضال فريق من النواب والوزراء الاشتراكيين والتقدميين من جناح السيد اكرم الحوراني وآخرون مثلهم .

والجدير بالذكر ان السيد اكرم الحوراني ورفاقه كانوا قادة حزب البعث الى جانب السيدين ميشيل عفلق وصلاح الدين البيطار ورفاقهما .

أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة

أبان الحرب العالمية الثانية وفي اعقابها المباشرة ، وجد العرب انفسهم حائرين وسط دول كبرى ، تستعمر اجزاء وطنهم ، وتقول بمذاهب اجتماعية واقتصادية متعددة مختلفة وكان النضال العربي في بعض وجوهه اذ ذاك دون مستوى التفكير في تلك المذاهب ودون مستوى الشمول ، وكان محصوراً في النطاق الاقليمي القطري ومقتصراً على مكافحة الاجنبي دون ان تكون له مادة ايجابية يستند اليها لبناء المستقبل بعد التحرر . وكانت جماهير الشعب مع حماستها لا تسلك جميع سبل النضال الممكنة ، لان قيادة النضال لم تكن شعبية ولم تأخذ بعين الاعتبار مصلحة الشعب ومطالبه الاجتماعية ... بل فرطت في كثير من حقوقه ومطالبه واهدافه . في تلك الظروف كان الجيل العربي الشاب الواعي مطالباً بأن يخرج امته من ذلك التبعثر والفراغ ، وان ينقلها الى صميم الواقع ليلهب حماسة الجماهير ويربط بين مصلحتها ومصلحة الوطن ، وليرتفع بالروح القومية الى الجو العالي الذي يتكافأ مع ماضي امتنا العظيم (١) وقد جاءت هذه الافكار والنوازع في قلوب فئة من المثقفين الواعين المتطلعين بآمالهم الى مستقبل عربي يسهم في مركب الحضارة . وكان في طليعة هؤلاء الاستاذان ميشيل عفلق وصلاح البيطار . وقد كان الاستاذ عفلق في البداية يزاول اعمال الفكر والكتابة الادبية الاجتماعية الراقية ، ولكنه وجد كما يجد كل تفكير صحيح ان البيان الصحيح يستقي ينابيعه الاولى القوية من السياسة ، فاتجه

(١) ميشيل عفلق : « في سبيل البعث » طبعة ١٩٦٣ ص ١١٦ ، ١١٥

اليها وعمد الى تأمل الحياة العربية السياسية والاجتماعية اذ ذاك . وكانت كتاباته تنادي جميعها بالتحرر من الاستعمار وبوحدة البلدان العربية ، كما كانت البحوث الاقتصادية اذ ذاك تدعو الى الاشتراكية . وقد ولد حزب البعث العربي الاشتراكي حوالي ١٩٤٢ وكان شعاره : امة عربية واحدة ، ذات رسالة خالدة . واتخذت القومية العربية مضموناً واقعياً ثورياً عندما حددت الفكرة القومية العربية بأنها الوحدة العربية والحرية والاشتراكية . ولا ينكر احد ان هذا الحزب قد اثر تأثيراً عميقاً بشعاراته وافكاره الفلسفية والاجتماعية بين جماهير المتعلمين والطلاب وصبغ بها طائفة من الكتب ذات النزعة الفكرية الاجتماعية . لذلك نرى من الضرورة ان نلم بمبادئه وموجز افكاره ، وكأننا بذلك نلخص اهم الاعتبارات الواردة في تلك الكتب مع انها من قبيل الفلسفة القومية الاجتماعية لا من علم الاجتماع الصرف . على ان بعض اجزاء الفلسفة القومية لا تقل قيمة عن بعض مكتسبات علم الاجتماع ان لم تكن أشد منها دلالة على التغير الحضاري والاجتماعي .

ان البعث العربي : حركة قومية شعبية انقلابية تناضل في سبيل الوحدة العربية والحرية والاشتراكية وتتلخص مبادئه في النقاط الآتية :

١ – العرب امة واحدة ، لها حقها الطبيعي في ان تحيا في دولة واحدة ، وان تكون حرة في توجيه مقدراتها .

٢ – الامة العربية وحدة ثقافية ، ويشكل الوطن العربي وحدة سياسية اقتصادية لا تتجزأ .

٣ – تختص الامة العربية بمزايا متجلية في نهضاتها المتعاقبة ، وتتسم بخصب الحيوية والابداع وقابلية الانبعاث .

٤ – الامة العربية ذات رسالة خاصة ، تظهر بأشكال متجددة متكاملة في مراحل التاريخ ، ترمي الى تجديد القيم الانسانية وحفز التقدم وتنمية الانسجام والتعاون بين الامم .

٥ – الانسانية مجموع متضامن تشترك عناصره في انشاء القيم وابداع الحضارة فالعرب يتغذون من الحضارة العالمية ويغذونها . ويمدون يد الاخاء الى الامم الاخرى ، ويتعاونون معها على ايجاد نظم عادلة تضمن لجميع الشعوب الرفاهية والسلام والسمو في الخلق والروح .

٦ – البعث العربي الاشتراكي حزب عربي شامل ، تؤسس له فروع في سائر الاقطار العربية ، وهو لا يعالج السياسة القطرية الا من وجهة نظر المصلحة العربية العليا .

٧ – يؤمن الحزب بأن القومية حقيقة حية خالدة وفكرتها هي ارادة الشعب العربي ان يتحرر ويتوحد وان تعطى له الفرصة لتحقيق الشخصية العربية في التاريخ ، وان يتعاون مع سائر الامم على كل ما يضمن للانسانية سيرها القويم الى الخير والرفاهية .

٨ – يؤمن الحزب بأن الاشتراكية ضرورة منبعثة من صميم القومية العربية ، ويعتبرها النظام الامثل الذي يسمح للشعب العربي بتحقيق امكاناته وتفتح عبقريته على أكمل وجه ، فيضمن للامة نمواً مطرداً في انتاجها المعنوي والمادي ، وتآخيا وثيقاً بين افرادها .

٩ – يؤمن الحزب ان السيادة هي ملك الشعب وانه وحده مصدر كل سلطة وقيادة ، وان قيمة الدولة ناجمة عن انبثاقها من ارادة الجماهير ، كما ان قدسيتها متوقفة على مدى حريتهم في اختيارها ، وهو يعمل على رفع

المستوى العقلي والثقـافي والاخلاقي والاقتصادي والصحي لدى الشعب، لكي يستطيع الشعور بشخصيته وممارسة حقوقه .

١٠ – يرى الحزب ان تحقيق اهـداف الحزب القومية وبناء الاشتراكية ، لا يمكن ان يتم الا عن طريق الانقلاب والنضال . وان الاعتماد على التطور البطيء والاكتفاء بالاصلاح الجزئي السطحي يهددان هـذه الاهداف بالفشل والضياع .

١١ – العربي هو من كانت لغته العربية ، وعاش في الارض العربية ، او تطلع الى الحياة فيها ، وآمن بانتسابه الى الامة العربية .

١٢ – الرابطة القومية هي الرابطة الوحيدة القائمة في الدولة العربية التي تكفل الانسجام بين المواطنين ، وانصارهم في بوتقة واحدة ، وتكافح سائر العصبيات المذهبية والطائفية والقبلية والعرقية والاقليمية .

١٣ – تتمتع المرأة العربية بحقوق المواطنين كلها ، ويعمل الحزب لرفع مستواها لتصبح جديرة بتمتعها بهذه الحقوق .

وهذه النقاط السابقة نجدها في دستور الحزب الوارد في كتاب « نضال البعث » الجزء الاول الذي طبع في تموز سنة ١٩٦٣ وضم جميع البيانات ومراحـل النضال السياسي والاجتماعي للحزب . هذا ويشمل الجزء الاول من هذا الكتاب مرحلة النضال من الاستقلال الى نكبـة فلسطين والانقلاب العسكري الاول (انقلاب حسني الزعيم) اي من سنة ١٩٤٣ – ١٩٤٩ . ويصور الجزء الثاني منه نضال الحزب من الجمعية التأسيسية الى مقاومة الديكتاتورية العسكرية والاحلاف الاستعمارية اي من سنة ١٩٤٩ – ١٩٥٤ .

وقد نشر الحزب سلسلة مقالات وبيانات واحاديث مختلفة للاستاذ ميشال عفلق جمعت في كتاب « معركة المصير الواحد » سنه ١٩٥٨ وكتاب « في سبيل البعث » عـام ١٩٥٩ ثم اعيد طبعه موسعاً سنة ١٩٦٣ كما جمعت بعض احاديث ومقالات وبيانات للاستاذ صلاح الدين البيطار في كتاب « السياسة العربية بين المبدأ والتطبيق » طبع سنة ١٩٦٠ .

وقد اشترك عدد من المفكرين في تجلية افكار الحزب وتوضيح معالمها . ومن ابرزهم الدكتور عبدالله عبد الدائم الاستاذ في جامعة دمشق في كتبه التالية :

١ – دروب القومية العربيـة ، دار الآداب بـيروت ١٩٥٩
٢ – التربية القومية ، دار الآداب بـيروت ١٩٦٠
٣ – القومية والانسانية ، دار الآداب بـيروت ١٩٥٧
٤ – الجيل العربي الجديد ، دار العلم للملايين بيروت ١٩٦١
٥ – الاشتراكية والديمقراطية ، دار الآداب بـيروت ١٩٦١

بالاضافة الى كتبه الاخرى التي تبحث في التربية على وجه العموم . ومن خصائص هذا الحزب ان افراده يطلعون على مكتسبات المعرفة في الغرب ليتفهموا في ضوئها اوضاع البلاد . فهم قد يعمدون الى ترجمة الكتب المفيدة وقد اسهم في هذا المضار العربي الاشتراكي الدكتور جمال الاتاسي في مقالاته وابحاثه وكتبه وقـد ترجم الدكتور جمال الاتاسي « تاريخ الاشتراكية الاوروبية » تأليف ابلي هاليفي وراجع الترجمة الدكتور بديع الكسم ، نشرته وزارة الثقافة والارشاد القومي سنة ١٩٦٢ وكذلك اسهم بعض اساتذة الجامعة السورية امثال الاستاذ حافظ الجمالي والدكتور بديع الكسم والدكتور الدروبي والاستاذ عبد الكريم زهـور في مقالاتهم وآرائهم وكتبهم القومية والتربوية وفي محاضراتهم في توضيح مبادئ الحزب ودعم مواقفه السياسية والاجتماعية والفكرية .

وكان قد انضم الى حزب البعث الحزب الاشتراكي الذي كان يتزعمه السيد اكرم الحوراني حوالي سنة ١٩٥٠ كما قدمنا ولكن الحوراني وجماعته قد اختلفوا مع الحزب في فترة الانفصال التي تلت الوحدة بين مصر وسورية لتباين في الآراء القومية وفي المواقف السياسية .

وهناك طائفة من المدرسين في المدارس الثانوية كان لهم نصيب كبير في اشاعة مبادئ الحزب وانتشارها بين الطلاب ، وقسم منهم قد تخرج في الجامعة ، وبدأ يمارس الكتابة والتفكير الاجتماعي الى جانب التدريس .

نعود الى تلخيص الافكار الرئيسية للحزب كما جاءت في اكثر تلك الكتب التي نوهنا بها آنفاً اذ كان يصعب تعقب تفاصيلها .

١ – فكرة القومية العربية

ليست القومية نظرية من النظريات ، تستورد من الخارج ، يمكن الاخذ بها كما يمكن رفضها ، وتكون عرضة لتقلبات المنطق والذوق والهوى ، ينادى بها حيناً ، ويؤثر فيها غيرها من النظريات والدعوات حيناً آخر . بل هي واقع حي متداخل الاجزاء ، هي اساس حياة الامة العربية تعبر عن شخصيتها انها التربة التي تنمو فيها الامة العربية في كل ميادينها الفكرية والفنية والدينية . تتمثل في اعمال العرب الفكرية الماضية وآلامهم الحاضرة ، وفي فضائلهم ، وفي تاريخ العرب الذي يقرر ابرز اتجاهاتهم ويغذي معظم احلامهم وآمالهم واهدافهم .

« ان القومية العربية ليست نظرية ، ولكنها مبعث النظريات ، ولا هي وليدة الفكر بل مرضعته ، وليست مستعبدة الفن بل منبعه وروحه ، وليس بين الحرية

وبينها تضاد ، لانها هي الحرية ، اذا مــا انطلقت في سيرها الطبيعي وتحققت مل‍ء قدرتها (١) » .

« والقومية التي ننادي بها ، هي حب قبل كل شيء ، هي نفس العاطفة التي تربط الفرد بأهــل بيته ، لان الوطن بيت كبير والامة اسرة واسعة . والقومية ككل حب تفعم القلب فرحاً ، وتشيع الامل في جوانب النفس ، ويود من يشعر بهــا لو ان الناس يشاركونه في هذه الغبطة التي تسمو به فوق انانيته الضيقة وتقربه من افق الخير والكمال ، وهي لذلك غريبة عن ارادة الشر ، وابعد مــا تكون عن البغضاء . اذ ان الذي يشعر بقدسيتها ينقاد في الوقت نفسه الى تقديسها عند سائر الشعوب فتكون هكذا خير طريق الى الانسانية الصحيحة . وكما ان الحب لا يوجد الا مقرونا بالتضحية فكذلك القومية ، والتضحية في سبيلها تقود الى البطولة ، اذ ان الذي يضحي من اجل امته ، دفاعاً عن مجدها الغابر وسعادة مستقبلها لارفع نفسا وأخصب حياة من الذي يحصر تضحيته في شخص واحد (٢) » .

« القومية قدر محبب ... القومية للشعب كالاسم للشخص ، والملامح الوجه ، هي قدر قاهر يسير مجموعة من البشر في مجرى من الحوادث والظروف فريد ، وينسج عليه غلافاً من الصفات متميز الشكل » (٣) .

---

١) كتاب في سبيل البعث للاستاذ ميشيل عفلق طبعة سنة ١٩٥٩ ص ٢٧ وطبعة سنة ١٩٦٣ ص ٤٣

٢) كتاب في سبيل البعث للاستاذ ميشيل عفلق طبعة ١٩٥٩ ص ٢٩ وطبعة ١٩٦٣ ص ٤٥

٣) في سبيل البعث طبعة ١٩٥٩ ص ٣١ وطبعة ١٩٦٣ ص ٤٧

« فمفهومنا بعيد جداً عن مفهوم القومية النازية التي تؤمن بان هناك عرقاً مفضلاً، وله ميزات خاصة يجب ان يتطهر من كل شيء، وبالتالي ان يضطهد كل من لا تتوفر له الشروط من حيث النسب والعادات المعينة . فالعروبـة هي انسانية ونحن نفهم من قوميتنا العربية بانها الانسانية الصحيحة ، وبانهـا تقديس لقوميات الآخرين فنقدس هذا الشعور عند كل شعب آخر ». (١)

« القومية المتعصبة هي ايضا من النتاج الاستعماري في بلادنا » . (٢)

« ان القومية العربية لدى البعث ، هي واقع بديهي يفرض نفسه دون حاجة الى نقاش او نضال .... اما النظرية القومية فهي التعبير المتطور عن هذه الفكرة الخالدة حسب الزمان والظروف ، وان هذه النظرية تتمثل اليوم حسب اعتقادنا في الحرية والاشتراكية والوحدة . » (٣)

« فالقومية العربية ليست مرحلة نضال مشترك ، او شعاراً لهذه المرحـلة ، تنتهي بانتهاء النضال او بانتهاء دواعيه ليعود كل قطر بعد ذلك الى شخصيتـه الخاصة .... وما دمنا نؤمن بان الاقطار العربية هي في حالة ثورة وتقدم وتفتح، فنضالها متزايد، ووضوح شخصياتها العربية الموحدة متزايد ايضا بنسبة نجاح نضالها. ان النضال المشترك هو اليوم في الواقع الشعار للقومية العربية المتفتحة المنبعثـة من جديد ، فهي التي خلقت هذا النضال وهي تغذيه » . (٤)

---

١) في سبيل البعث طبعة ١٩٦٣ ص ٩٨ وطبعة ١٩٥٩ ص ١٦٨

٢) في سبيل البعث طبعة ١٩٦٣ ص ١٠١ وطبعة ١٩٥٩ ص ١٧١

٣) في سبيل البعث طبعة ١٩٦٣ ص ١٠٢ وطبعة ١٩٥٩ ص ٢١١

٤) في سبيل البعث طبعة ١٩٦٣ ص ١٠٥ ، ١٠٦ وطبعة ١٩٥٩ ص ٢١٤ ، ٢١٥

ويفهم من ذلك ما خلاصته : ان القومية العربية كل لا يتجزأ ، فهي حياة العرب المادية ، وهي حياتهم الروحية ، هي مطالبهم الاقتصادية العادلة ، ومطالبهم الاجتماعية العادلة ، هي حقوق الشعب العربي ومطالبه القومية المشروعة ، هي خبزه ورفاهيته ، هي استقلال وطنه وسيادته ، هي وحدة وطنه وتوحيده بعد التمزيق والتجزئة .

ان التيار الشعبي الذي يحرك الجماهير العربية في كل قطر عربي يفهم بدوره ان القومية العربية هي الاشتراكية وهي الديمقراطية ، وانها قومية انسانية ، تتلافى اخطاء الماضي ، وتصلح كل ما كان في الماضي سبباً للتفرقة داخل امتنا ومجتمعنا . هذه القومية ، ليست وقفا على العرب فحسب ، وانما هي صورة لانسانية جديدة . اي ان لكل امة في العالم الحق بأن يكون لها شخصيتها الحرة المستقلة ، وان يكون هناك انفتاح بين القوميات وان يكون هناك انسانية جديدة ، تقوم على قوميات تقدمية حرة متضامنة لا استعمار فيها ولا عنصرية ولا تميز . فهي لا تنحصر بالعرب ، وانما لها نزوع انساني ...

و « القومية التي تخرج من تجربة الشعوب التي عانت الظلم وعانت الاستعمار وتحررت دون ان يستنفد الحقد ألمها وتجربتها اي التي عانت تجربة الظلم والتأخر ، وتطالب بتجربة ايجابية متفائلة ، هذه القومية هي التي تطبق القيم الانسانية في حدودها . فالقومية هي المسرح الواقعي لتحقيق الانسانية ، والانسانية التي تقفز من فوق القومية تكون خيالية لا تجد ارضاً تستقر عليها » (١) .

والخلاصة ان الفكرة القومية العربية فكرة حية قائمة في النفوس ، عامرة في

---

(١) في سبيل البعث ص ١١٩ طبعة ١٩٦٣ والفقرة من حديث ألقي في الرباط طبعة ١٩٦٠ لا يوجد في طبعة ١٩٥٩ .

القلوب ، وايمان الشعب العربي بها اكبر دليل على قوتها وصحتها ، وبداهتها في النفوس خير شاهد على يقينها (٢) .

٢ ـ معنى الرسالة الخالدة : الرسالة شيء ملازم للامة ، من حق كل امة ان تطمح الى بلوغها ، كما يحق لكل فرد ان يطمح الى المروءة والبطولة . ولكن ليست رسالات الامم متساوية في درجة النضج ، وفي مدى التحقيق والشمول . ومعنى الرسالة للامة : هو ان تخرج من نطاق النشاط المادي والانانية الضيقة ، وترتفع الى مستوى التوجيه الانساني والاشعاع على غيرها من الامم . فالرسالة استعداد ونزوع اكثر من كونها اهدافاً معينة محددة . انها تجربة اخلاقية ونفسية تقوم بها امة عظيمة ، وتضع في هذه التجربة كل حياتها .

وعلى هذا فالرسالة العربية الخالدة ليست حضارة وقيماً معينة يستطيع العرب في المستقبل القريب عندما يبلغون المستوى الراقي السليم المبدع ان يقدموها وينشروها بين البشر ، بل الرسالة الخالدة هي الاقبال منذ الآن على معالجة مصيرهم وحاضرهم معالجة جدية جريئة ، هي ان يتطلع العرب الى بعث امتهم . فهذا خير ما يقدمونه للانسان لان القيم الانسانية لا يمكن ان تخصب وتثمر الا في امة سليمة . الرسالة العربية الخالدة ، هي في فهم هذا الحاضر وتلبية ندائه والاستجابة لضروراته .

« اما الرسالة الخالدة فالقصد منها ان هذه الامة لا تعترف بواقعها السيء ، وموقفها المنفعل ، ولا تتنازل عن مرتبتها الاصيلة بين الامم ، بل تصر على انها لا تزال هي هي في جوهرها . تلك الامة التي بلغت في ازمان متعددة مختلفة من التاريخ درجة تبليغ رسالتها فهي اذن بصلتها ببعضها وبماضيها ولا تزال واحدة ولا تزال فيها الكفاءة

---

٢) التربية القومية للدكتور عبد الله عبد الدايم ص ٤٤

لاسترجاع تلك المرتبة التي فقدتها موقتاً . . فهذه الامة التي افصحت عن نفسها وعن شعورهـا بالحياة افصاحاً متعدداً متنوعاً في تشريع حمورابي ، وشعر الجاهلية ، ودين محمد ، وثقافة عصر المأمون ، فيها شعور واحد يهزها في مختلف الازمان ، ولها هدف واحد بالرغم من فترات الانقطاع والانحراف » (١) .

اذا عرف العرب حاضرهم بصدق واخلاص وتغلبوا عـلى ضعفهم وتقاعسهم ونفسيتهم السطحية الزائفة ، لا يكونون قد بنوا امتهم فحسب وانشأوا كياناً قومياً بل يكونون قد قدموا للانسانية اعظم رسالة . عندها لا تكون الرسالة حضارة فحسب ، بل كنزاً روحياً ، ودفقة حياة .

٣ — الانقلابية : ان ما آل اليه المجتمع العربي من انحراف وتأخر وانحطاط وتشويه ، كان نتيجة لفتور الروح العربية ونضوبها في فترة من الزمن لعوامل كثيرة . والعرب بحاجة الى بذل جهد ومشقة كبيرة ليتحرروا من الزيف الذي اصابهم ، ولا يكون ذلـك الا بالنضال ، فالنضال « الذي هو التعبير العملي عن فكرة الانقلاب انما يقصد به ان تغالب الامة العربية نفسها بعد تلك الغفوة الطويلة ، بعد ذلـك الاسترخاء . . . (٢) و« ان النضال بمعناه العميق هو السبيل الى بعث الروح العربية وتحقيق الانقلاب العربي . . » (٣) « لان التبديل السطحي الذي لا يمس الروح والذي لا يفتح الفكر ، والذي لا يهز الخلـق ويقومه ، والذي لا يفجر الايمان نتيجة المصاعب ، ان هذا التبديل السطحي لا يلبث ان يتحول الى مـا كان عليه » (٤) ويعود الى الواقع الفاسد .

---

(١) في سبيل البعث طبعة ١٩٦٣ ص ١٤٠ وفي طبعة سنة ١٩٥٩ ص ٧٧

(٢) ، (٣) ، (٤) ، من فصل البعث العربي هو الانقلاب من كتاب في سبيل طبعة ١٩٦٣ ص ١٥٩ — ١٦٣ وطبعة ١٩٥٩ ص ١٠١ — ١٠٥ .

اما النضال فهو يخلق المناضلين الذين يصبح الانقلاب شيئاً حياً في نفوسهم وعقولهم واخلاقهم ويكون في حقيقته امتحاناً للنفوس القومية المثالية التي تتعفف عن المصلحة الشخصية ، وتترفع عن الاستمتاع بالملذات . فالانقلاب نقيض الاصلاح والتطور البطيء . والشروط اللازمة للانقلاب تقوم على الوعي اولاً وعلى الشعور بالمسؤولية ثانياً ، وعلى الايمان اخيراً .

والبعث حركة انقلابية عربية ، تنبع من شعوره بفقر الواقع العربي وفساده وضرورة تبديله ، والقيام بانقلاب يرجع الى الامة حقيقتها ، ويظهر كفاءتها الحقيقية واخلاقها . . . .

فالانقلاب صراع ومعاركة للعقلية والمصالح السائدة . والبعث يولد هذا الصراع .

٤ – الاشتراكية العربية : ليست الاشتراكية العربية باكثر من نظام اقتصادي ، مستمد من روح الامة العربية ، متكيف مع حاجاتها ونهضتها الحديثة ، مراع لجميع الشروط والظروف المحيطة بالامة العربية . وعلى هذا تقتصر الاشتراكية العربية على ايجاد نظام اقتصادي معقول عادي ، يحول دون الاحقاد والنزعات الداخلية ، ودون استثمار طبقة لاخرى وما ينتج عنه من فقر وجهل وشلل لنشاط عدد كبير من افراد الشعب العربي .

فالاشتراكية العربية خادمة للقومية العربية ، وعنصر هام في بعثها . وهي ليست النظرة الموجهة لكل الحياة بل هي فرع الاصل الذي هو الفكرة القومية . فاشتراكية البعث تلائم المجتمع القومي الحي الذي الذي له ماضيه وحاضره ومستقبله المرتبط بارضه .

مزايا الاشتراكية العربية :

١ – « اما الاشتراكية في البعث العربي فيقتصر معناها على التنظيم الاقتصادي الذي يهدف الى اعادة النظر في توزيع الثروة في الوطن العربي ووضع

اسس وقواعد الاقتصاد بضمن المساواة والعدالة الاقتصادية بين المواطنين ويضمن تحقيق الانقلاب في الانتاج ووسائله . » (١)

٢ — ان الاشتراكية العربية نابعة من حاجات المجتمع العربي وشروطه التاريخية، واوضاعه الحاضرة الخاصة .

٣ — الاشتراكية العربية روحية مرتبطة بالحركات الفكرية والروحية التي ظهرت على الارض العربية .

٤ — تعتمد الاشتراكية العربيــة على الفرد وتحرر شخصيته ، اذ تؤمن بالحرية الشخصية وبالمبادهة الفردية، لذلك تحترم الملكية الفردية، ولكنها تحددها بقيود ثقيلة تزيل المحاذير التي تنشأ عنها .

٥ — تعترف الاشتراكية العربية بحق الارث ضمن قيود ، تبقيه مجرد حق معنوي لا يسمح باساءة استعمال الفرد لثروة الوطن واستغـلاله لجهود الآخرين . وان مصلحة الامة العربية ومجاراتها للامم الراقية، يتطلب تحقيق الاشتراكية.

وقد اوضح دستور الحزب السياسة الاقتصادية للبعث بما خلاصته :

١ ـ الثروة الاقتصادية في الوطن العربي ملك الامة. والتوزيع الراهن للثروات غير عادل . يمنع الحزب استثمار الآخرين . المؤسسات ذات النفع العام ، وموارد الطبيعة الكبرى ووسائل النقل ملك الامة، تديرها الدولة مباشرة، وتلغى الشركات والامتيازات الاجنبية .

---

١) في سبيل البعث طبعة ١٩٥٩ ص ٩٧ وطبعة ١٩٦٣ ص ٢٠٨

٢ – تحدد الملكيتان الزراعية والصناعية بما يتناسب مع مقدرة المالك على الاستثمار دون استثمار جهود الآخرين، وذلك في ظل اشراف الدولة .

٣ ـ تشرف الدولة اشرافا مباشراً على التجارتين الداخلية والخارجية لالغاء الاستثمار بين المنتج والمستهلك . يلغى الربا بين المواطنين .

٤ – التملك والارث حقان طبيعيان ومصونان في حدود المصلحة القومية .

٥ ـ يصنع الوطن العربي حسب امكانيات كل قطر، ويجب توافر المواد الاولية فيه .

وقد اكد المؤتمر السادس للحزب في بيانه على الاشتراكية العلمية، وهاجم بعض الاشتراكية الفوغائية الغامضة، واكد على ضرورة التحويل الاشتراكي في الوطن العربي، وخاصة في سورية والعراق(١) حيث الحزب قد قبض فيهما على زمام الحكم .

٥ ـ فكرة الحرية عند البعث : يعتبر الحزب ان ازدهار الوطن متوقف على حرية الفرد، ومدى الانسجام بين تطوره والمصلحة القومية، لذا فان حرية الكلام والاجتماع والاعتقاد والفن مقدسة لا يمكن لاية سلطة ان تنتقصها . ويعتبر الحزب ان الاستعمار عمل اجرامي يكافحه العرب ويسعون الى مساعدة الشعوب المناضلة في سبيل حريتها .

« الحرية تعني تحقيق حرية الانسان العربي، اي اطلاق ارادته الحقيقية . فهي حرية داخلية صميمية تتناول تحرير النفس من كل القيود النفسية والاجتماعية

---

١) هكذا كتب قبل الحوادث الاخيرة

والسياسية والفكرية والوصول بالفرد للحالة الحرة التي يستطيع بها ان يظهر جوهره وامكاناته . ومن هـذا المفهوم الداخلي العميق للحرية تتفرع فكرة التحرر من الاستعمار ، كقيد خارجي ، ومن الظروف الاجتماعية كالفقر والجهل والخرافات كقيود داخلية ، ومن الارهاب والتعسف والاستبداد من قبل السلطة الحاكمة . وجدير بالملاحظة ان مفهوم الحرية هذا اخلاقي مرتبط بمبدأ اعلى ، لذلك فحرية الفرد لا تعني غير حرية الجانب الانساني فيه . انها تحرير الاستعداد للخير ونزعة الحق ، وامكانات التقدم والاصلاح والفضيلة . وهي كبح وتحديد ومقاومة لرواسب الشر والفساد والرذيلة والانانية وكل ما هو منخفض . لذلك فحرية الفرد لا يمكن ان تكون على حساب المجموع وضد الصالح العام . انها لا تعني الانفلات من القانون الاخلاقي وتحكيم النزوات والشهوات والارادة الطائشة والميول والانانية . وهذا ما يميزها عن المفهوم الغربي » (١) .

٦ — فكرة الوحدة العربية : تعني الوحدة العربية وحدة الشعب العربي العضوية ، بكيان مستقل واحد ، وتكوين ارادة موحدة للامة تتجسد في الدولة العربية. الوحدة من حيث المبدأ تستند الى حقيقة موضوعية هي وحدة الامة العربية . وهي في اثناء تحقيقها تعتبر الضمانة الوحيدة للمحافظة على الخطوات التقدمية في الاستقلال والاصلاح الاجتماعي . وذلك لان الوحدة تعني توحيد القوى الثورية العربية .

والوحدة ليست الوحدة السياسية فقط ، وان كانت ضرورة اساسية ، ولكنها وحدة الشعب ووحدة المجتمع بشكل عضوي تتوافر فيها وحدة الشعور والاتجاه

(١) في سبيل البعث طبعة ١٩٦٣ ، ص ٨ ، ٩ وكذلك الصفحتين في طبعة ١٩٥٩ والكلام من تقديم الدكتور سعدون حمادي للكتاب.

والفكرة والعواطف والنظرة للحياة ، وتتحقق فيها وحدة الاقتصاد ووحـدة القوة العسكرية والتنظيم الشعبي .

* * *

هذه خلاصة الاعتبارات الفلسفية القومية والاجتماعية عند هذا الحزب وهو في غمرة نضاله البناء. وفي الوقت الذي بلغ فيه الى اوج مراحله بالنسبة لتاريخه الماضي الذي يمتد على عشرين سنة .

ولكن ثمة حركات اخرى اجتماعية وتحريرية دينية اصطبغت عـلى الرغم من بدايتها الاجتماعية والتحريرية الدينية بالصبغة السياسية ونوهت ايضاً بالاشتراكية وهي قد اثرت من خلال دعوتها في جماهير الشعب المتدينة واستندت في دعوتها الى الشعور الديني العميق لدى تلك الجماهير ، الا وهي حركة الاخوان المسلمين .

الله اكبر ولله الحمد

في اواخر القرن التاسع عشر الميلادي ومع غرة القرن العشرين بدأت يقظة فكرية عميقة تداعب اجفان الشرق التي اذبلها طول السبات ، وكانت سورية احد اقاليم الامبراطورية العثمانية آنذاك - تتقرى منافذ النور لتضع خطواتها على الطريق الواضح المستقيم ، وعلى اثر حركة الانفتاح الفكري والحضاري على بلاد الغرب وحضارته الصناعية الحديثة الوافدة بفعل الاستعمار وارسالياته ومدارسه العلمانية والتبشيرية او بفعل ابناء هذه البلاد الذين توجهوا الى بلاد الحضارة الحديثة للدراسة والتحصيل ، على اثر هذه الحركة وبعد شعور عميق بضرورة التمرد على الاوضاع الاجتماعية المتأخرة والمتداعية آنذاك قام بالنسبة الى الشريعة وبوجه العموم في هذه البلاد اتجاهان متقابلان ومتضادان :

١ - اتجاه متمرد متطرف يدعو الى الاخذ بكل افكار الغربيين وتمثل حضارتهم والانسياق وراء قافلتهم واهمال المنابع الاصلية في امتنا ، وهذه فئة المنبهرين بحضارة الغرب وثقافته واوضاعه الاجتماعية من الذين لم يتثقفوا ثقافة دينية اسلامية صحيحة وكاملة .

٢ - واتجاه يعتكف على القديم ولا يكاد يبرحه فهو متقوقع على نفسه ان صح هذا التعبير يمقت كل جديد ويعده بدعة في الدين وانحرافاً عن سننه

المستقيم وهو بذلك يمثل العقلية المغلقة التي اخذت من الدين رسومه وقشوره واهملت حقيقته ولبابه .

وبين هذين الاتجاهين المتضادين اللذين لم يستطع ان يوجه كل منهما دفة الحياة في بلادنا الوجهة الصالحة المتميزة ظهر اتجاه جديد يصح ان ندعوه تركيباً للاتجاهين السابقين فنشأ جيل حديث مثقف ثقافة حديثة تدفعه دوافع دينية عميقة وحاول شق طريق جديد لبعث الاسلام وعرضه عرضاً جديداً واظهار مرونته التي يستطيع بها التكيف مع ظروف الحياة الحديثة وملاءمة الحضارة والثقافة الجديدة .

وكانت بشائر هـذه الحركة الاسلامية تتسم بسمة « التجديد السلفي » اي تجديد حياتنـا الحاضرة عن طريق الرجوع الى الاصول والى فهم الاسلام فهما سلفياً خالصاً . وكان اظهر ممثلي هذا الاتجاه علمـاء افذاذ مشهورون نوهنا بهم فيما سبق اكثر من مرة وهم :

الشيخ جمال الدين القاسمي ، والشيـخ عبد الرحمن الكواكبي ، والشيخ طاهر الجزائري والسيـد محب الدين الخطيب وهؤلاء كلهم سوريون . والشيخ رشيد رضا والامير شكيب ارسلان وهما لبنانيان برح الاول منهما الى مصر وأقام فيها . وشهرة هؤلاء الاشخاص واسعة في الاوساط الناشئة وذيوع مؤلفاتهم العلمية والاجتماعية والسياسية كبيرة . وانمـا اذكرهم هنـا لان الاخوان المسلمين يعتبرونهم في مضمار التجديد الديني النظري اسلافهم .

ولقد فتح هؤلاء العلماء اذهان المثقفين الجدد وغذوا افكارهم وانتقدوا بقوة وجرأة الاوضاع الاجتماعية الجامدة والمنحرفة عن طريق الاسلام .

انتقدوا الاستبداد السياسي والطغيان الاجتماعي ودعوا الى الحرية والعدالة الاجتماعية والى الحكم الشوري الشعبي (طبائع الاستبداد ـ ام القرى) لعبد الرحمن الكواكبي ، ووصفوا حالة التخلف الاجتماعي في العالم الاسلامي ونبهوا الى خطر المستعمرين والمبشرين ومكائدهم واساليبهم في استعمار المسلمين والسيطرة عليهم (حاضر العالم الاسلامي لشكيب ارسلان) وقاموا بتوضيح تعاليم الاسلام وتجديد مفاهيمه وتجريدها مما علق بها خلال العصور من تزييف وتزوير ومن جهل وتلبيس ومن انحراف وخروج وكانوا بذلك دعاة تجديد سلفي كما قلنا .

ولقد اثر محب الدين الخطيب خاصة بجريدة الفتح الاسبوعية التي كان يصدرها في القاهرة بعد ان نزح اليها .

وتخرج من حلقات هؤلاء الرجال العلمية ومن مدرستهم الفكرية جيل جديد ناضج الفكرة عميق النظرة واعي البصيرة غزير العلم ، وكان من حسن الحظ ان تسلح اكثر هذا الجيل بسلاح الثقافة الاجنبية الحديثة فدرسها ـ سواء كان ذلك في منابعها الاصلية او عن طريق الكتب المترجمة والمحاضرات الملقاة ـ وتعمق فيها حتى انه لم يعد مغمض العينين عما يجري في عصره ، وحتى لا يؤتى مما يجهل . فالاخوان وامثالهم يلتمسون اسلافهم في اولئك العلماء الاعلام .

وبدا وعي هذا الجيل يتجه نحو انشاء منظمات اسلامية تتعاون فيها الجهود وتتحد لتسير في وجهة واحدة وتبلور جزء منها اول الامر في « جمعية التمدن الاسلامي » التي تأسست عام ١٩٣٠ م وكانت ولا تزال تصدر مجلتها الشهرية ومنشوراتها المتعددة وتقوم ببعض المحاضرات العامة في مواضيع متعددة ، كلها تدور حول الاسلام وحياتنا الاجتماعية . غير ان هذه الجمعية انحصر نشاطها في مجال التثقيف الديني .

وفي سنة ١٩٣٥ تأسست جمعية الشبان المسلمين بدمشق الى جانب جمعيات اسلامية مماثلة في بقية المدن السورية تأسست بالتتالي :

دار الارقم في حلب ـ والانصار في دير الزور ـ والاخوان المسلمون في حماة وشباب محمد في حمص وغيرها باسماء مختلفة ومتعددة . الا انها كانت تجمعها وحدة الهدف وكانت تتصل فيما بينها اتصالات جزئية ونتيجة هذه الاتصالات المختلفة ولاتحادها في الهدف والموضوع انضوت جميع هذه الحركات المحلية تحت اسم واحد هو رابطة شباب محمد (ص) الذي تحول فيما بعد الى اسم « الاخوان المسلمون » .

والذي يجب ان يلاحظ هنا ان الحركة الاسلامية في سورية نشأت متميزة ومستقلة عن حركة الاخوان في مصر كما ظهر من خلال عرضنا السابق فهي لم تكن ملحقة ولا تابعة لحركة الاخوان في مصر ولم تظهر بتأثير حركة مصر وانما نشأت نتيجة لازدياد الوعي الاسلامي في سورية وتبلوره . وكل ما نستطيع قوله : ان حركة الاخوان عندنا قد تأثرت واقتبست بعض الشيء عن جمعية الشبان المسلمين وجماعة الاخوان المسلمين في مصر في نظامها وأسلوبها في العمل ، الا انه غلب عليها في النهاية التأثر باتجاه جماعة الاخوان لانها كانت اقرب اليها في طبيعة تصورها للاسلام وعملها من اجله اذ انها كانت تفهم الاسلام وقضيته في العصر الحاضر على انهما بعث للكيان والتراث الاسلامي وليست اعمالا خيرية او نشاطا رياضياً او مجرد دعاية فحسب كما كانت تظهر به جمعية الشبان المسلمين . والحقيقة هي ان حركة الاخوان المسلمين في سورية لم تبدأ عملها وتنظيماتها الشاملة الا بعيد الحرب العالمية الثانية اي في عام ١٩٤٣ م حين بدأ يظهر نشاط الاحزاب السياسية في الميدان القومي الوطني والاقتصادي .

وقد تمثلت اهداف الحركة في نواح ثلاث :

١ – الناحية الفكرية والثقافية : فقامت تحاول تجديد مفاهيم الاسلام وعرضه عرضاً حديثاً وتكشف عما خفي من كنوزه وروائعه وعما عظم من حضارته وتراثه وسبقه واولويته في شتى المجالات والنواحي وكان اهم ما عنيت به من امر الفكر والثقافة والاجتماع :

١ ـ اصلاح العقيدة مما علق بها من آثار الجهالات والخرافات ٠

٢ ـ تجديد مفهوم الاسلام ومبادئه الحية الشاملة .

٣ ـ تحرير التعليم الديني من قيوده .

٤ ـ وقد راج الكلام على مبادىء الاشتراكية عندئذ فنشأت الدعوة للاشتراكية الاسلامية من اجل اصلاح الواقع المتخلف واقامة الحياة الاجتماعية على اساس من عدالة الاسلام وحلوله الموضوعية المنصفة .

وتتمثل الدعوة الى هذه الناحية بطرق مختلفة منها :

١ – اقامة حلقات دراسية يديرها شبان مثقفون ثقافة حديثة ، ومنهم من درس في اوربا يبحث فيها ابرز مشكلات الحياة الحديثة في المجتمع الاسلامي كالاشتراكية والرأسمالية والمرأة والديمقراطية ونظام الحكم وحقوق العمال في الاسلام . .

وقد اشترك في هذه الحلقات الطلاب الجامعيون والثانويون والعمال واصحاب المهن الحرة . كما كانت تدرس بعض الكتب القديمة في الحديث والتفسير والفقه . . .

ب – محاضرات عامة وحفلات في المناسبة ، ومحاضرات دورية اسبوعية ، تلقى فيها موضوعات هامة تعالج هذه النواحي

ج ـ اصدار بعض النشرات التوجيهية والثقافية من امثال :

اهدافنا واعمالنا	طبعت سنة ١٩٥١	للدكتور مصطفى السباعي
منهجنا في الاصلاح	١٩٤٨	〃 〃 〃 〃
دعوة الاسلام واقعية لا خيالية	١٩٥٥	〃 〃 〃 〃
المرونة والتطور في التشريع الاسلامي	١٩٥٥	〃 〃 〃 〃

د ـ اصدار الكتب والمؤلفات الفكرية والثقافية :

ابرز الكتب هنا هي للدكتور مصطفى السباعي المراقب العام للاخوان ، منها « اخلاقنا الاجتماعيــة » وقد تكلم فيها على اهم الاخلاق الفردية والاجتماعية الاسلامية التي يجب التحلي بها ونبه الى اضدادها وانحرافاتها . و « من روائع حضارتنا » . و « الدين والدولة في الاسلام » و « مشروعية الارث في الاسلام » و « نظــام السلم والحرب في الاسلام » و « هكذا علمتني الحياة » ولقد كان الدكتور السباعي من اكبر العاملين على انشاء كلية الشريعة . فلما انشئت سمي عميدها في بادىء الامر وهو الآن استاذ فيها . وسنعود مرة ثانية الى الكلام عن كتبه عند بحث كلية الشريعة

هـ - هذا الى جانب العمل في ميدان الصحافة :

- فقد اصدرت الجماعة جريدة المنار من سنة ١٩٤٧ ـ ١٩٤٩ وكانت جريدة ثقافيــة فكرية . ولم تقتصر على الناحية السياسية والاخبارية : وكانت تحوي مقالات وابحاثاً هامة عن الاسلام وتعاليمه وطريقته في معالجة الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية .

- ثم اصدرت جريدة الشهاب الاسبوعية سنة ١٩٥٥ وكانت جريدة حافلة

بالموضوعات القيمة الفكرية والاجتماعية وقد توقفت عن الصدور سنة ١٩٥٧ .

- استمرت باصدار مجلة « المسلمون » التي كانت تصدر في مصر وهي مجلة اسلامية راقية ، فيها من الموضوعات الاسلامية العامة والدراسات العميقة ما تعد معها مصدراً من مصادر الفكر الاسلامي الحديث .

- ثم اصدرت مجلة حضارة الاسلام ١٩٥٦ وهي على غرار مجلة « المسلمون » الا انها اكثر تنوعاً . وهي لا تزال تصدر حتى الآن .

- ثم اصدرت جريدة اللواء في السنة الماضية وقد توقفت عن الصدور لاسباب سياسية .

و - ابرز من في جماعة الاخوان .

- ويجدر بنا هنا ان نذكر طائفة من مفكري الاخوان وكتابهم الذين انتجوا في ميدان الفكر والاجتماع والادب وتمثل انتاجهم بمحاضرات عامة حيناً وبمقالات في الصحف والمجلات الاسلامية حيناً آخر :

الاستاذ عصام العطار ، القى دروساً ومحاضرات كثيرة ونشر بعض المقالات التوجيهية في جريدة الشهاب وفي جريدة اللواء وحرر باب الادب والنقد في مجلة حضارة الاسلام . والاستاذ عبد القادر السبسبي ، عنده كتاب مخطوط عن تاريخ الرق في العالم والاسلام ، وقد نشر ابحاثاً فقهية وقانونية في الصحف والمجلات الاسلامية .

والاستاذ عمر عودة الخطيب ، له مقالات وابحاث اسلامية وادبية في مجلة الرسالة القديمة كما ان له مقالات وقصصاً اسلامية في مجلة حضارة

الاسلام وفي جريدة اللواء ومجلات اخرى ولديه قصص طويلة لم تنشر بعد مقتبسة من التاريخ الاسلامي

الدكتور نبيل الطويل ، له كتاب أحاديث في الصحة . وهو الآن يطبع كتاباً ترجمه عن الفرنسية يتعلق بالنظام الاقتصادي والاسلام

الاستاذ عبد الكريم عثمان ، الف « حياة الغزالي ومؤلفاته »و« الدراسات النفسية عند الفلاسفة المسلمين وخاصة عند الغزالي » .

٢ ـ الناحية الاجتماعية :

١ ـ تبني حركة العمال ، وافهامهم حقوقهم وواجباتهم وقد انشأت لهم الدعوة المدارس وشجعتهم على تأسيس النقابات الخ . .

٢ ـ مدارس العمال ، عملت على تعليم العمال وتحريرهم من الجهل والامية وقد تقدم منهم كثيرون الى فحوص الشهادات العامة ونجحوا .

٣ ـ المعهد العربي في دمشق وفي غيرها من المحافظات .

٤ ـ الاندية الرياضية في جميع المحافظات .

٥ ـ الفتوة ، عن طريق تأسيس فرق الفتوة وتدريب الفتيان على فنون المقاومة والانضباط العسكري وغير ذلك .

٦ ـ رفع مستوى القرية اولا عن طريق زيارة القرى وبث الوعي الاجتماعي والديني والصحي وثانياً عن طريق الدعوة الى اصلاح الريف وانصاف الفلاحين وقانون تحديد الملكية الزراعية .

٧ ـ اعمال التعاون الخيري ، كجمع التبرعات والاعانات وتوزيعها على المحتاجين وتنظيم ايام في السنة تسمى بيوم الفقير .

٣ - الناحية السياسية : اسهم الاخوان اسهاما ايجابياً في جميع القضايا الوطنية وخاصة في ما يلي :

١ ـ القضية الوطنية في سورية : اذ قام الاخوان بقسطهم من النضال الوطني ايام الاستعمار الفرنسي وعدوان قواته . وكانت فتوتهم تحمل الطعام والسلاح الى جنود الدرك وتسعف الجرحى منهم كما كان اعضاؤهم في مقدمة المناضلين .

٢ ـ الوقوف امام كل انحراف وطني : ويتجلى نضال الاخـوان الوطني في نقطة بارزة ، وهي المحافظة على النظام الجمهوري وصيانته من كل زوال او طغيان .

فحاربوا مشروع سورية الكبرى ، وحاربوا قديماً مشروع اتحـاد سورية مع العراق الا بشرطين : المحافظة على نظام سورية الجمهوري ، وبقاء سورية حرة من قيود المعاهدة العراقية ومن كل قيد استعماري .

٣ ـ تأييد القضايا العربية بمختلف الوسائل كالبرقيات والمحاضرات والمقالات والمؤتمرات . وفي مقدمة هذه القضايا : قضية الجلاء ، ووحدة وادي النيل . وقضية نضال المغرب العربي ضد الاستعمار الفرنسي . وقد ايد الاخوان وثبة العراق الشقيق وغضبته على المطامع الاستعمارية التي تجلت في معاهدة « جبر بيفن » واثار الاخوان في مذكرتهم الى مجلس الجامعة العربية المنعقـد بتاريخ ٩ شعبان ١٣٧٠ و ١٥ ايار ١٩٥١ قضية

الامارات العربية على الخليج الفارسي وطالبوا الجامعة بوجوب العمل لتحريرها واستقلالها .

اما قضية فلسطين وما قدم الاخوان بشأنها فلا يحتاج الى دليل . ويجد المطلع بحثاً مفصلاً عن ذلك في رسالة (اهدافنا واعمالنا) تحت عنوان اعمال الدعوة . ونضيف الى ذلك ما يلي :

- لقد كان الاخوان اول من نادى بوجوب الوقوف موقف الحياد بين المعسكرين المتخاصمين والاستفادة من ذلك .

- لقد كان الاخوان في طليعة من نادي بوجوب شراء الاسلحة من اي مصدر كان ، ولو كان ذلك من دول الشرق الشيوعي .

لقد كان الاخوان في طليعة من نادى بوجوب الاصلاح الزراعي على اساس تحديد الملكية الزراعية والدعوة الى اشتراكية اسلامية .

- لقد كان الاخوان دائماً ضد الاستعمار واحلافه ومعاهداته وكانوا في صف النضال المرير ضده .

لقد كان الاخوان من دعاة الحرية السياسية ومن المدافعين المخلصين عن الحكم الشوري وعن النظام الجمهوري وكانوا يقاسون من عهود الطغيان والاستبداد دائماً ما يعرفه الجميع .

- لقد كان الاخوان مع حركات المقاومة الوطنية للاستعمار في كل البلاد العربية والاسلامية ووقوفهم الى جانب مصر ايام العدوان الثلاثي ١٩٥٦ مع خلافهم آنذاك مع النظام العسكري القائم اكبر شاهد وبرهان .

ويستطيع الباحث ان يجد كل ذلك في نشرات الاخــوان وصحفهم وفي محاضر جلسات المجالس النيابية منذ عام ١٩٤٧ م

وهذه بعض النشرات السياسية في ذلك :

— من حوادث العدوان اليهودي على سورية .

— العدوان اليهودي على الحدود العربية

— نداء الذكرى وبيان الاخوان المسلمين بمناسبة الذكرى الثالثة لتقسيم فلسطين .

— لماذا اخفقت الجامعة العربية وكيف تصبح اداة نافعة للعرب ؟

— معركة القناة وآثارها في رأي الاخوان المسلمين

ان نشاط الاخوان قد اصطبغ بالسياسة اصطباغاً عميقاً مــع ان حركتهم في بدايتها كانت اجتماعية ثقافية وكان نشاطهم صنوا لنشاط « جمعية التمدن الاسلامي » كما ذكرنا . ولا بد لنا هنا من ان نذكر شيئاً من نشاط هذه الجمعية في الميدان الفكري الاجتماعي .

جمعية التمدن الاسلامي

كانت هذه الجمعية اسبق من حركة الاخوان وقد نصت المادة الثالثة من نظامها القديم على ما يلي : « غاية هذه الجمعية هي المحافظــة على التعاليم والآداب الدينية والاهتمام بالشؤون الاسلامية ونشر الفضيلة والاخلاق الحميدة ودرء كل رذيلة وبث المعارف وما تنطوي عليه الثقافة من معانيها الشاملة والقيام بالمشاريع الخيرية كالاسعاف والبر والاحسان وتوجيه الجهود للاصلاح والنهضة الاجتماعية بصورة عامة » .

وقد قامت الجمعية بمحاضرات القت بعضها في ردهة المجمع العلمي العربي واصدرت نشرات في موضوعات ومناسبات عديدة من الاصلاح والف بعض اعضائها كتباً في الثقافة الاسلامية والتوجيه مثل « سبل الاسلام » و « الثقافة العربية » و « الاسلام ونهضة الاندلس » للاستاذ احمد مظهر العظمة ، ونشرت ايضاً « اهداف الصهيونية » للاستاذ فريدريك زريق و « نظرة العجلان في اغراض القرآن » و « تذكرة الحج والعمرة على المذاهب الاربعة » للاستاذ محمد بن كمال الخطيب » ، و « عبقرية الاسلام في التربية » و « كيف نربي اطفالنا » للاستاذ محمود مهدي استانبولي وغيرها . وقد اصدرت مجلة « التمدن الاسلامي » فكانت لسان حالها في دعوتها الاصلاحية الشاملة بمعناها الاساسي العام واهتمت الى جانب ذلك بالثقافة العلمية ايا كان نوعها وذلك بالاضافة الى عنايتها بالقضايا العامة المختلفة .

وانما ذكرنا هذه الجمعية هنا لانها قد تتعاون مع الاخوان في خدمة الاغراض الاجتماعية العامة وفي الصعيد الثقافي . على ان ثمة جمعيات ثقافية واجتماعية وعلمية متعددة في سورية لا يتسع المجال هنا لتعقب وجوه نشاطها في الميدان العلمي الاجتماعي وسنعمد الى ذكر اشهرها في القسم الاخير من هذا البحث حيث نسرد اسماء التآليف والمقالات الاجتماعية ، فنفرد لها فصلاً خاصاً اذ ذاك .

لقد تتبعنا اهم الاحزاب التي انتشرت في سورية واصدرت نشرات وكتباً تعالج القضايا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بحسب وجهات نظرها وان ثمة احزاباً سياسية اخرى كان لها بعض التأثير في الميدان السياسي والاجتماعي مثل « عصبة العمل القومي » التي تأسست سنة ١٩٣٣ و « الحزب السوري القومي الاجتماعي » الذي تأسس سنة ١٩٣٢ و « الحزب التعاوني الاشتراكي » الذي ظهر عام ١٩٤٠ و « حزب الشعب » الذي انشىء عـام ١٩٤٨ و « الحزب الوطني » الذي انشيء عام ١٩٤٧ و « حزب

التحرير » الذي اسسه الشيشكلي . وللاطلاع على مبادئ هذه الاحزاب ونشاطها يمكن الرجوع الى الكتاب الذي نشرته دار الرواد بدمشق سنة ١٩٥٤ وعنوانه « الاحزاب السياسية في سورية » .

ثم ظهرت حركات سياسية جديدة مثل « حركة القوميين العرب » و « الوحدويين الاشتراكيين » و « الجبهة العربية المتحدة » وغيرهم لكن هؤلاء كتبوا مقالات متعددة ولم يتح لهم المجال الكافي للقيام بدراسات علمية في مجال السياسة والاجتماع .

ومع ذلك فان بعض الرجالات من تلك الاحزاب التي اشرنا اليها قد تبوأوا مناصب سياسية عالية في الدولة وكتبوا مذكراتهم عن نضالهم السياسي امثال لطفي الحفار من رجالات البلاد البارزين في الكتلة الوطنية ثم في الحزب الوطني ، وقد تقلد رئاسة الوزارة السورية مع وزارة المعارف في ايار ١٩٣٩ وانتخب نائباً عن دمشق عدة مرات ونشر كتاباً بعنوان « ذكريات » ضمنه بعض خطبه وافكاره .

وكذلك الدكتور عبد الرحمن الكيالي في الكتلة الوطنية ثم في الحزب الوطني وقد شغل وزارة العدلية والمعارف والاشغال العامة وانتخب نائباً عن حلب في المجلس النيابي السوري عن دورتي ١٩٣٦ ، ١٩٤٣ ، نشر عدة كتب منها « رد الكتلة الوطنية على بيانات بونسو » ثم نشر كتابه الكبير وهو « المراحل » في اربعة اجزاء الجزء الاول يبحث في الانتداب الفرنسي والنضال الوطني من عام ١٩٢٦ الى نهاية ١٩٣٩ والثاني يصف الكفاح الوطني في عهد دي مارتل من ١٩٣٣ - ١٩٣٤ والثالث يتعقب هذا العهد ايضاً من ١٩٣٤ - ١٩٣٩ . وقد ظهر الكتاب في السنوات ١٩٥٨ - ١٩٥٩ - ١٩٦٠ . وهو تاريخ يسجل اهم الوقائع

والوثائق لتلك الفترات مع تعليقات ثمينة . ولا شك ان هذا الكتاب يبقى مرجعاً اصلياً لمن يريد دراسة تلك « المراحل » الزمنية من الوجهة التاريخية والقومية والاجتماعية والاقتصادية وما شابهها . وهو في الخلاصة صفحات تاريخية للجهاد السياسي خلال ثلاث عشرة سنة اثبت المؤلف فيها ما وقع من حوادث وما جرى من وقائع وهو يذكر نضال الكتلة الوطنية وما كان لحركتها من اثر وما لمقاومتها من خدمات وصفات واهداف على ان لهذا الطبيب السياسي كتباً اخرى في موضوعات فكرية مثل « شريعة حمورابي أقدم الشرائع » .

ومن المعلوم ان هذه الاحزاب الاخيرة التي ذكرناها قد تداعت وتفرق رجالاتها منذ قيام الوحدة وان كان هذا التداعي والتفرق بدت مظاهرهما قبيل ذلك العهد حين اشتد النضال التقدمي الاشتراكي وتعاونت فئات الاحزاب اليسارية على اختلافها في كسب جماهير الشعب عند الانتخابات العامة .

في مقابل هذه الاحزاب السياسية المختلفة التي كانت تتبارى في الميدان الفكري والاجتماعي وتتنازع على الحكم تنازعاً شديداً كانت الهيئات الحكومية في جميع العهود تحقق على رغم اشغالها الكثيرة المتفاوتة مكاسب متعددة ومتضامنة في صعيد البحث والتأليف الاجتماعيين عن طريق رجالاتها ومؤسساتها الفرعية . وسنتناول ذلك في الفصل الآتي :

هيئات الدولة ووجوه نشاطها في الميدان العلمي والاجتماعي

الجيش في سورية مدرسة اجتماعية واسعة وهو لذلك مصدر تثقيف عميق وتغيير جدي يدخل على سلوك الافراد واتجاهاتهم فهو يعرفهم بحقوقهم وواجبهم وعلاقتهم القومية والانسانية . وسنتكلم هنا على ادارتين مهمتين في التثقيف والبحث الاجتماعيين وهما: ادارة الشؤون العامة والتوجيه المعنوي وادارة التعبئة العامة .

ادارة الشؤون العامة والتوجيه المعنوي

منذ ان تحرر الجيش الوطني في سورية بعد جلاء الاستعمار الفرنسي اهتمت قيادته بالمحيط الاجتماعي والنفسي الذي يربطه باوساط الشعب ولهذا انشأت بتاريخ ١٦ / ٥ / ١٩٥٩ دائرة خاصة باسم « الفرع الثقافي العسكري » لم تلبث ان اتسعت وزاد نشاطها حتى تحولت في عهد الوحدة مع مصر الى ادارة مستقلة تتبع قيادة الجيش مباشرة في صلاحياتها ، ولها ميزانية مستقلة ايضاً . ثم اصبح اسمها « ادارة الشؤون العامة والتوجيه المعنوي » وغايتها بوجه عام الاشراف على مختلف الشؤون الثقافية والاجتماعية والمعنوية في الجيش العربي السوري واعداد خطط في التوجيه وفي التثقيف وكذلك دراسة المشكلات النفسية والمعنوية للقوات المسلحة في الجيش وازالة اسباب وجودها وتشجيع الانتاج الفكري للعسكريين والمدنيين في حدود مهمة الادارة واصدار المجلات والنشرات الدورية وغير الدورية مما يحقق الغاية ،

ومكافحة الامية في الجيش والعمل على رفع المستوى الثقافي للعسكريين الى غير ذلك من مهام واهداف

وهكذا انطلقت ادارة الشؤون العامة للتوجيه المعنوي فأنشأت مكاتب للسينما الثابتة والمتحركة (استديوهات) توزع جريدة ناطقة لمختلف قطاعات الحياة ، واقامت مسرحاً عسكرياً وفرقاً تمثيلية متنقلة واسهمت في التلفزيون والاذاعة ببرامج خاصة عن الجندي ونشطت في تأسيس المكتبات الثقافية في مختلف القطاعات العسكرية ورعت عدة جمعيات خيرية وغير ذلك .

واصدرت الادارة « المجلة العسكرية »وهي تهتم بالبحوث الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والتاريخية الى جانب البحوث العسكرية والعلمية على مستوى الضباط والقادة .

وكذلك اصدرت « مجلة الجندي » وهي مؤسسة صحفية تعالج قضايا المجتمع السياسية والفنية والفكرية والادبية .

ولقد استطاعت ادارة الشؤون العامة للتوجيه المعنوي ان تسهم في تنشيط الوعي الاجتماعي والثقافي وان ترعى الفكر وان تشجع البحوث المختلفة . ومن اهم ما انجزته في الميدان الثقافي الاجتماعي الى جانب مجلتيها الانفتين اصدار « المعجم العسكري » وهو عمل ضخم في موضوعه ويشتمل على تعابير كثيرة مستعملة في الحياة الاجتماعية الى جانب التعابير العسكرية . وهو قاموس عام على نسختين : الاولى من الانكليزية الى العربية والثانية من الفرنسية الى العربية . وكذلك تجري الادارة مناظرات ثقافية سنوية بين مختلف افراد الجيش تحت اشراف لجان من النخبة المفكرة في البلاد وتتناول المناظرات اسئلة تاريخية وثقافية واجتماعية وادبية عامة .

وقد تعاقدت الادارة مع عدد من الاساتذة والمفكرين لالقاء محاضرات علمية في اندية الضباط وبعض هذه المحاضرات اقتصادية واجتماعية .

وكذلك تجري مسابقة سنوية في البحوث القومية وقد فاز في المسابقة الاولى الرائد احسان الهندي ونال جائزة الفي ليرة سورية على كتابه « كفاح الشعب العربي السوري » كما نال السيد فارس زرزور الجائزة الثانية في نفس الموضوع ، هذا وان المسابقة الثانية المزمع اجراؤها موضوعها « الجندي العربي في التاريخ » .

وربما كان من المفيد ان نعطي امثلة على الابحاث التي عالجتها « مجلة الجندي » فلقد عالجت مشكلة الاحداث الجانحين وحاولت ان تتبين اسبابها ودوافعها وان تضع لها العلاج ، وكذلك عالجت « مجلة الجندي » مشكلة السجون والسجناء والصم والبكم والصحة والمواطن والمساكن والتعليم والتأميم والغزل المدني والامية وتقاليد الزواج في سلسلة من التحقيقات الصحفية قام بها محرروها ، وكذلك التعاونيات الاستهلاكية وازمة اجور السكن وقصة املاك الدولة وايضا الصناعات الريفية والجمعيات النسوية ونشاطها والمنظمات الكشفية والفتوة وبيوت الشباب ومشكلة الزواج والطلاق وكل ذلك في تحقيقات صحفية ايضا ، واولت المجلة ايضا عنايتها للنشاط العمالي والفلاحي في المدينة والريف ، كما صورت الاحوال المعيشية للجندي الرابض على حدود العدو الدخيل ، ولم تهمل المجلة مناسبات تاريخية في حياة الامة العربية فعالجت المشكلة الجزائرية في زمن الحرب والسلم وذكرى اسكندرون ومشكلة فلسطين وشهداء ايار ويوم العمال العالمي ، وقد اهتمت المجلة بالبحوث الفكرية المختلفة ومن جملة المقالات التي نشرتها : « الدفاع عن حرية الفكر » الدكتور جميل صليبا ، و « صفحات من الادب السياسي في بلادنا » للاستاذ محمد المبارك و « مظاهر الحضارة العربية » الدكتور خالد الصوفي و « سباق التطور »

للاستاذ احمد القادري و « اللغة والبيان » لكاتب هذه السطور و «رسالة من عربي بعيد » لمؤلف هذه السطور ايضا وغير ذلك .

بيد ان الجهاز الواسع في الدولة الذي يحصي القوى البشرية والاقتصادية ويزاد مرجعا مهما للباحث الاجتماعي هو « ادارة التعبئة العامة »

ادارة التعبئة العامة

انشئت هذه الادارة ابان الوحدة وقامت بعمل مهم وجليل وهو حصر ممكنات الدولة وتقويمها بقطاعيها العام والخاص من قوى بشرية ومرافق وخدمات ومجالات اقتصادية طبيعية كانت او انتاجية ، كما انها اشرفت على اصدار كتيبات تتناول بعض تلك الشؤون التي حصرتها مثل « صناعات الغازات السائلة » و « صناعة الاسمنت » و « البترول » في الصناعات الكيماوية و « صناعة السكر » و « صناعة البيرة » في الصناعات الغذائية و « صناعة السجاد والبسط » و « صناعة الشرائط » و « صناعات الصوف » و « صناعة التريكو » ، و « صناعة البشاكير والمناشف » في صناعات الغزل والنسيج وكذلك « صناعات الجلود والثروة الحيوانية » و « الواردات المعدنية واطارات الكاوتشوك » .

ولا يخفى ما في حصر هذه المرافق من فائدة للباحث الاجتماعي والاقتصادي، والمديرية تفكر في تحليل نتائج التعداد الذي جرى في سورية سنة ١٩٦٠ وربما تتعاون في ذلك مع بعض الهيئات العلمية .

وقد جمعت ايضا فيما جمعت الكفايات العلمية ، وحسب المرء ان يرجع الى اضباراتها ليتبين عدد الاختصاصات الاجتماعية المتوافرة مع العلم ان هذه الارقام مقربة

بالنقص لا تشمل الا من استجاب الاسئلة الموجهة اليه ، لان ثمة بين الناس غير مستجيبين . وامثال تلك الارقام تشير الى مدى الاختصاص الواقع في سورية . ويرجع تفاوته بعض الشيء الى التفاوت الزمني في انشاء كليات الجامعة . على ان الباحث الاجتماعي يحتاج الى معرفة عدد الاطباء والمهندسين ومختلف الاختصاصات اذا اراد ان يقوم بدراسة اجتماعية واسعة وعندئذ لا بد له من ان يعول في ذلك على اعمال ادارة التعبئة .

مثل هذا النشاط العلمي الثقافي والاجتماعي يدعم مهمات بعض الوزارات بالاضافة الى انه بمثابة الركن لكثير من البحوث .

ان جميع الوزارات تحتوي على هيئات دراسية تتناول القضايا الاجتماعية كل باختصاصها . ولهذا يصح ان نعرض نشاط كل وزارة في ميدانها الذي يتصل بالحياة الاجتماعية ونذكر ما انجزته من بحوث . ولكن ذلك شأن يطول ، لذلك نقتصر على ايراد البحوث والدراسات والكتب والنشرات وما الى ذلك مما انجزته وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل ، ووزارة التخطيط ، ووزارة الثقافة ، ووزارة التربية والتعليم لننتقل الى المجمع العلمي العربي والى جامعة دمشق والى المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب والعلوم الاجتماعية .

وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل

هذه الوزارة بنت وزارة الاقتصاد الوطني ، لان هذه الوزارة الاخيرة كانت تسمى سنة ١٩٤٦ وزارة الاقتصاد والزراعة وكانت فيها مديرية التجارة والصناعة والعمل ثم اسست فيها مديرية للعمل مستقلة سنة ١٩٤٧ . وفي هذه السنة انفصلت

وزارة الزراعة عن وزارة الاقتصاد . كذلك نشأت وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل سنة ١٩٥٦ ثم ظهرت وزارة الصناعة بعد الوحدة في سنة ١٩٥٩ ، فوزارة الاقتصاد تبدو كأنها ام لعدة وزارات .

ولقد عمدت وزارة الاقتصاد الى تنظيم دورة تدريبية العاملين في مضمار رعاية الاحداث الجانحين والمشردين بين (٩ - ٢١) نيسان ١٩٥٥ ، جمعت المحاضرات التي القاها فيها المختصون السوريون وغيرهم في كتاب مطبوع .

اما الآن ففي وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل مديريات متعددة مختصة بالبحوث الاجتماعية وبقضايا العمال ، وتتبع الوزارة مؤسسة التأمينات الاجتماعية التي تأسست سنة ١٩٥٩ . وهذه اهم وجوه نشاطها الاجتماعي العلمي .

لقد انشأت الوزارة مركزاً تدريبياً للمرشدين الريفيين سنة ١٩٥٩ ونظمت فيه منذ انشائه اربع دورات تدريبية كان مجموع الطلاب الذين اشتركوا فيها ستة وستين . ومن جملة الموضوعات التي درسوها علم الاجتماع الريفي والخدمة الاجتماعية والاحصاء الى جانب امور عملية متعددة . وقد اصدرت في سنة ١٩٦١ نشرة تشرح فيها مشروعات انعاش الريف ، تذكر فيها المراكز الاجتماعية التي انشأتها وما تنوي انشاءه منها ايضاً بالاضافة الى وجوه النشاط الاخرى .

وكذلك اصدرت وزارة الاقتصاد الوطني في البداية مجلة شهرية باسم « مجلة العمل والشؤون الاجتماعية » صدر العدد الاول منها في نيسان ١٩٤٩ ثم اصبحت تصدر كل شهرين منذ حزيران ١٩٥٢ . وفي ايار سنة ١٩٥٦ اصبحت تصدر عن وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل وبقيت تصدر عن وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل

حتى آب ١٩٥٨ اذ صدر العـدد الاخير منها باسم العددين ٣ ، ٤ وشمل اشهر ايار وحزيران وتموز سنة ١٩٥٨ ثم توقفت نهائياً .

كانت هذه المجلة تنشر التقارير الرسمية والتشريـع الاجتماعي والعمالي ومقالات متنوعة تدور موضوعاتها حول تحسين شروط العمل واوضاع العمال وقد ظهر منها ثلاثة اعداد خاصة : عدد خاص بتعاونيـات الحرف وثان خاص بتعاونيات العمال وثالث خاص بالدورة الاربعين لمؤتمر العمل الدولي .

وقد قامت الوزارة بثلاث دراسات اجتماعية ولكنها اكتفت بطبعها على الآلة الناسخة وهي :

أ – حياة المرأة الاجتماعية في الجمهورية العربية السورية .

ب ـ دراسة اجتماعية عن المكفوفين في الجمهورية العربية السورية .

جـ – دراسة اجتماعية احصائية عن الصم وعن البكم وعن الصم البكم

هذا وان مديرية العمل والشؤون الاجتماعية اولا ثم وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل ثانيا قد اشتركت منذ استقلال سورية في جميع مؤتمرات مكتب العمـل الدولي التي تعقد سنوياً في حزيران بجنيف، واشتركت ايضاً في المؤتمرات الاجتماعية التي تعقدها الجامعة العربية . وهي تشرف على الجمعيات والاندية في سورية وبعضها ذات نشاط ثقافي واجتماعي علمي . واخيرا اسست سنة ١٩٦١ المعهد العالي للخدمة الاجتماعية واشرفت عليه سنتين ثم رأت الدولة الحاقـه بالجامعة ليكون في عداد كلياتها .

وخلاصة القول ان هذه الوزارة بطبيعتها قد طغى نشاطها الاجتماعي والعمالي من جهة الاشراف والتنظيم على نشاطها العلمي . وهي تشعر بضرورة زيادة جهودها في الميدان العلمي هذا .

وزارة التخطيط

انشئت وزارة التخطيط ابان الوحدة سنة ١٩٥٨ والحقت بها مديرية الاحصاء التي كانت قبلاً تابعة لوزارة الاقتصاد الوطني ام بعض الوزارات كما ذكرنا سابقاً . وبذلك تبدو لنا هذه الوزارة بمديرية الاحصاء التي تشمل عليها اهم الوزارات في اتصالها بالدراسات الاجتماعية .

اولاً – مديرية الاحصاء :

ولقد انجزت هذه المديرية من الدراسات والنشرات ما يلي :

١ – تقدير نسبة زيادة السكان بالاستناد الى عينة صغيرة ١٩٥٦ (حين كانت المديرية تابعة لوزارة الاقتصاد) .

٢ – تقدير الدخل القومي حسب القطاعات المختلفة عام ١٩٥٦

٣ – بحث ميزانية الاسرة ١٩٦١ / ١٩٦٢

٤ – بحث القوة العاملة ١٩٦١ / ١٩٦٢

٥ – بحث العينة الزراعية لعام ١٩٦٢ (البيانات الاساسية عن الزراعة السورية)

٦ – بحث العينة الزراعية لعام ١٩٦٣ (البيانات اللازمة للدخل القومي والحسابات القومية)

٧ – حصر الانتاج الصناعي (سنويا بالاشتراك مع ادارة التعبئة العامة) .

واغلب هذه البحوث مستند الى اعتماد عينات تابعة للاصول العلمية المتداولة . وقد اعتمدت العينة العشوائيـة المنتظمة Systematic Random Sampling في بحثي ميزانية الاسرة والقوة العاملة والعينة الطبقية المتعددة الدرجات Multistage-Stratified Sampling في بحث العينة الزراعية .

ولم تظهر بهذه البحوث كتب وانما اقتصر على نسخها لان غايتها كانت تخطيطية .

٨–وتصدر مديرية الاحصاء نشرات دورية مطبوعة سنوية وشهرية بالاحصاءات المختلفة للبلاد .

٩ – واهم عمل انجزته هو تعداد السكان في ايلول ١٩٦٠ ابان الوحدة ايضاً حين جرى التعداد في الاقليمين معاً وظهرت منه حتى الآن بضعة كتب لبعض المحافظات وتفكر مديرية الاحصاء في تحليل نتائجه ونشرها وقد تتعاون في ذلك مع ادارة التعبئة العامة وغيرها .

١٠ – ومن الاعمال المهمة التي قامت بها مديرية الاحصاء انها انشأت مركز التدريب الاحصائي عام ١٩٥٤ ولا تزال تشرف عليه اذ يتخرج فيه كل سنة فئات من الموظفين يطلعون على طرق الاحصاء بانواعها نظرية وعملية ثم يرجعون الى مناصبهم في وزاراتهم بعد ان اكتسبوا تلك الخبرة العلمية والعملية .

ومما يدرسه الطلاب في المركز التحليل الاحصائي والاحصاء الحيوي والاجتماعي والزراعي والاقتصادي والصحي والمالي وكلها ادوات طيعة وجيدة مفيدة في البحث والتنقيب الاجتماعيين . وحسب المرء ان يتأمل الرسائل التي قدمها الطلاب منذ

تأسيس المركز حتى الآن ليتبين اهمية هذه البحوث وقربها من الواقع الاجتماعي الذي نعيش فيه والجدول مثبت في آخر بحثنا هذا .

ثانياً – مديرية التخطيط ومديرية البرامج وتتبع التنفيذ :

ولقد انجزت هاتان المديريتان :

١ – اعداد مذكرات في النواحي الاجتماعية استند عليها في اعداد خطة التنمية الاجتماعية والاقتصادية :

– دراسة بداية تطور الدخل القومي .

– تصميم الجداول اللازمة لقياس القوة البشرية وقوة العمل وتزيد بها القوى البشرية القادرة على العمل لا التي تعمل فعلاً .

– دراسة عن نشر الوعي التخطيطي في سورية .

– تقدير القوى البشرية والعاملة في سورية .

– تقدير الاستهلاك العام في سورية .

– تطور الاستهلاك الحكومي بين ١٩٥٨ – ١٩٦٢

– تقديرات العناصر المختلفة للقوة البشرية وفق العينة العملية المأخوذة من التعداد العام للسكان في سورية عام ١٩٦٠ .

– تطور مدخرات قطاع الاعمال المنظم (الشركات) في سورية ١٩٥٨/١٩٦٠

– تقرير عن مؤتمر التخطيط للتنمية الاجتماعية في الدول العربية الذي عقدته هيئة الامم المتحدة في بيروت بين ٦ و١٢ تشرين الثاني ١٩٦١ .

- مذكرة حول التقدير المبدئي للدخل القومي في سورية عام ١٩٦١

- مذكرة عن تطور الدخل القومي واستعمالاته ١٩٦٠ / ١٩٦١

- الدخل القومي المتولد عن استثمارات خطة السنة الثانية ١٩٦١ / ١٩٦٢

- دراسة تحليلية عن السكان واليد العاملة في سورية .

ولا يخفى ان هنالك مذكرات عدة تتناول النواحي الاقتصادية المختلفة (الانتاج الزراعي والانتاج العام، الموارد المالية) وهي بطبيعة الامر تمس المشاكل الاجتماعية وتدخل في صميم البحوث الاجتماعية .

والى جانب هذا كله تقوم مديرية التخطيط باعداد خطط خمسية وسنوية تتناول تنمية المجتمع السوري من مختلف النواحي .

وتلك المذكرات قد اعدت ونشرت نسخاً على الآلة لغرض مساعدة العاملين في اعداد الخطة على انجاز اعمالهم .

اما الخطة الخمسية فهي مطبوعة في كتاب ظهر سنة ١٩٦٠ وترجم الى اللغة الانكليزية وبعد الآن ترجمت لجميع الخطط السنوية الى اللغة الانكليزية و كذلك لوصف ما تحقق منها وجرى انجازه سنة بعد سنة . وكذلك لا بد هنا من ان نشير الى ان بعض التغيرات الطفيفة قد ادخل الى الخطة الخمسية والسنوية وذلك بتأثير متطلبات الواقع ومقتضيات التنفيذ والى ان الخطط السنوية تراعي عند اعدادها اهداف الخطة الخمسية وما ظهر عند التنفيذ من تعديلات .

٢) المشروعات التي اعدت لتنفيذها في القطاعات الاجتماعية (تعليم، صحة ، السكان ،

مرافق عامة، البحث العلمي، شؤون اجتماعية وعمالية . . . ويجدر بمن يريد الاطلاع على خطط تلك المشروعات الرجوع الى الخطط الخمسية والسنوية التي نوهنا بها

وزارة الثقافة والارشاد القومي

انشئت وزارة الثقافة والارشاد القومي بتاريخ ٢٣/ ١١/ ١٩٥٨ في اوائل الوحدة واولت تعميم المعرفة وتيسير سبل الثقافة الشعبية اهتماماً بالغاً ، فاصدرت سبعة كتب من التراث القديم المخطوط ، بعضها تدخل موضوعاتها في البحوث الاجتماعية كما يتبين من جدول الكتب المثبت ، واصدرت حتى الآن ستين كتابا مؤلفاً ومترجما في اثنتي عشرة سلسلة مختلفة الموضوعات ، بعضها اجتماعي ايضا . وابتاعت على سبيل تشجيع المؤلفين والناشرين مئتي كتاب بلغ عدد نسخهـا اكثر من عشرة آلاف نسخة . وبلغ عدد المحاضرات التي نظمتهـا الوزارة مائتين وثلاث عشرة محاضرة وثلاثمائة وثماني وخمسين ندوة ما عدا محاضرات المراكز الثقافية وانشأت اربعة وعشرين مركزاً ثقافيا الحقت بها سبع وحدات متنقلة . واصدرت مجلة المعرفة سنة ١٩٦٢ ، تقصر القسم الاول من كل عدد منها على العلوم الاجتماعية تنويها باهميتها .

وانشأت معاهد للثقافة الشعبية بلـغ عددها في العام الدراسي ١٩٦٢ خمسة وثلاثين معهداً .

وافتتحت صفوفا لمكافحة الامية بلغ عددها في العام الدراسي ١٩٦٣ — ١٩٦٤ مائة وستين صفا الى غير ذلك من الاعمال التثقيفية والتوجيهيـة المفيدة مما يدخل في نشاطها .

ويهمنا هنا ما نشرته الوزارة من الكتب في العلوم الاجتماعية وهذه اهمها :

الكتب التي اصدرتها الوزارة في العلوم الاجتماعية :
أ ـ سلسلة التراث القديم :

١ – مجمع الآداب في معجم الالقاب (القسم الاول والثاني من الجزء الرابع لعبد الرزاق الفوطي ، تحقيق الدكتور مصطفى جواد عام ١٩٦٢) .

٢ – اعلام الورى بمن ولي نائبا من الاتراك بدمشق الشام الكبرى (لمحمد بن طولون الصالحي الدمشقي تحقيق محمد احمد دهمان عام ١٩٦٣) .

٣ – برنامج شيوخ الرعيني (للفخار الرعيني ، تحقيق ابراهيم شبوح عام ١٩٦٢)

ب ـ سلسلة الثقافة الشعبية :

١ ـ الوطن العربي ، تأليف انور الرفاعي ، نشر دار الفكر سنة ١٩٦٠

٢ – التعاونيات ، تأليف الدكتور عدنان شومان ، نشر دار الفكر سنة ١٩٦٠

٣ – ابناؤنا ، تأليف حسن ملا عثمان ، نشر دار الفكر سنة ١٩٦١

٤ – افريقية الغربية في ظل الاسلام ، تأليف نعيم قداح ، مراجعة عمر الحكيم ، نشر مكتبة اطلس عام ١٩٦٢ .

جـ ـ سلسلة رواد التحرير العربي :

ثورة الشيخ صالح العلي ، تأليف عبد اللطيف اليونس ، نشر دار اليقظة سنة ١٩٦١ .

د – سلسلة بلادنا :

١ – محافظة اللاذقية ، تأليف جبرائيل سعادة ، سنة ١٩٦١

٢ – محافظة السويداء ، تأليف شبلي العيسمي ومحمود الشوفي وداود النمر ، مراجعة عارف النكدي ، سنة ١٩٦٢ .

هـ – سلسلة الفكر العالمي

١ – تاريخ الاشتراكية الاوروبية ، تأليف ايلي هاليفي ، ترجمة الدكتور جمال الاتاسي مراجعة الدكتور بديع الكسم ، نشر مكتبة اطلس سنة ١٩٦٢ .

٢ – الرأي العام ، تأليف الفريد سوفي ، ترجمة الدكتور كامل عياد بمراجعة الدكتور جميل صليبا ، نشر دار دمشق سنة ١٩٦٢ .

٣ – تاريخ الحضارة الاوروبية ، تأليف كلود ديلماس ، ترجمة كوليت حبيب راجعها ابراهيم ابو حيدر ، من نشر صالة الفن الحديث العالمي ، سنة ١٩٦٣

السلسلة الفنية :

فنون وصناعات دمشقية ، تأليف منير كيال ، نشر صالة الفن الحديث العالمي ، سنة ١٩٦٢ .

سلاسل مختلفة :

١ – تاريخ المعرة لسليم الجندي ، سنة ١٩٦٣

٢ – المجتمع الشامي لفؤاد العادل ، سنة ١٩٦٢

٣ – تقاليد الزواج ، تأليف وزارة الثقافة ، نشر دار اليقظة سنة ١٩٦١

اهم المحاضرات الاجتماعية :

المحاضرة	المحاضر	المكان	التاريخ
العرب والشيوعية	زكي الارسوزي	حلب	١٤ ـ ٥ ـ ١٩٥٩
رسالة العرب الى العالم	زكي الارسوزي	اللاذقية	١٦ ـ ٥ ـ ١٩٥٩
الحضارة الحديثة واثرها على القيم الاخلاقية	الدكتور عادل العوا	حلب	٢٣ ـ ٢ ـ ١٩٦٠
مع العروبة ، رحلة الى الجنوب الشرقي من آسيا	الدكتور احمد السمان	اللاذقية	٣ ـ ١٢ ـ ١٩٥٩
التراث الحضاري	الدكتور قسطنطين زريق	مدرج جامعة دمشق	١٣ ـ ١٢ ـ ١٩٥٩
الادب في خدمة المجتمع	عبد المعين الملوحي	القامشلي	٢ ـ ١ ـ ١٩٦٠
دروس للانسان المعاصر من فلسفة الفارابي	الدكتور حسن صعب	دار الكتب الوطنية حلب	٢٧ ـ ٢ ـ ١٩٦٠
الادب الشعبي مقوماته وخصائصه	سامي الكيالي	دير الزور	٢١ ـ ٤ ـ ١٩٦٠
دور المواطن العربي في بناء المجتمع العربي الحديث	عبد المعين الملوحي	ادلب	١٠ ـ ١٢ ـ ١٩٦٠

التربية والمجتمع	الدكتور فاخر عاقل	السويداء	٢٧ ـ ٣ ـ ١٩٦١
الديمقراطية وسيادة القانون	الدكتور فؤاد شباط	اللاذقية	١٨ ـ ١١ ـ ١٩٦١
المجتمع السليم	الدكتور منير شوقي الرفاعي	القامشلي	٢٧ ـ ١٢ ـ ١٩٦١
هذا العصر المتفجر	الدكتور قسطنطين زريق	دمشق	٦ ـ ١ ـ ١٩٦٢
اخلاق العمل	الدكتور كامل عياد	اللاذقية	٨ ـ ١ ـ ١٩٦٢
العرافة والسحر لدى شعوب الشرق القديم	فيصل الصيرفي	الحسكة	٢٠ ـ ١ ـ ١٩٦٢
الآلة والمجتمع	عبد الكريم زهور	دير الزور	٢٥ ـ ١ ـ ١٩٦٢
العلم ومستقبل الانسان على الارض	الدكتور فؤاد صروف	دمشق	٣١ ـ ١ ـ ١٩٦٢

وقد اوردنا المحاضرات حسب الترتيب الزمني . وهي مطبوعة في الكتب التي اصدرتها الوزارة من مواسمها الثقافية . وعناوينها واسماء الذين القوها كافية للدلالة على انواع البحوث ومستواها . ولكننا مع ذلك نلاحظ ان هذه المحاضرات توجه في الغالب الى طائفة مثقفة من الناس . والذين كانوا يستمعون الى هذه المحاضرات هم تقريباً انفسهم لا يكادون يتغيرون الا في العدد ، يزيدون وينقصون بحسب شهرة المحاضر ونوع المحاضرة ، وربما فكرت وزارة الثقافة والارشاد في المستقبل كيف تستطيع ان تمس بمحاضراتها طبقات الشعب على اختلافها فتجد السبل اللازمة لذلك ، ويعالج محاضروها الموضوعات التي من شأنها ان تثقف تلك الطبقات وتزيد وعيها وتثير اهتمامها في القضايا الفكرية والاجتماعية .

كذلك نجد ان الكتب الاجتماعية التي اصدرتها الوزارة انما هي ثقافية عامة لا تحمل طابعاً معيناً ولا تسعى لان تمس جماهير الشعب ومختلف فئاته ، وربما تلافت الوزارة تلك الثلمة ايضاً في المستقبل .

وعلى غرار تلك الكتب والمحاضرات المتفاوتة نجد المقالات الاجتماعية المنشورة في مجلة المعرفة وهاكم اهمها :

السنة الاولى

العدد الاول ، آذار ١٩٦٢

دروس من تاريخنا لمحمد المبارك
الطابع الانساني للقومية العربية للدكتور جميل صليبا
الحرية وحدودها للدكتور عبد الله عبد الدائم
احياء تراثنا الشعبي بالفن لسامي الكيالي

العدد الثاني ، نيسان ١٩٦٢

الارناوقيمتها الرفيعة للدكتور سليم عبد الحق

العدد الرابع ، حزيران ١٩٦٢

الحضارتان : حضارة الادب وحضارة العلم ، لشارلز سنو (ترجمة)
اهمية الكشف الاثري في علم التاريخ لجبرائيل سعادة

العدد الخامس ، تموز ١٩٦٢

الحساسية المفرطة للمجتمع السوري للدكتور مدني الخيمي

ابن خلدون ظهوره في امريكا ، لموسى الخوري

العدد السادس ، آب ١٩٦٢

المجتمع العربي للدكتور احمد شوكة الشطي

العدد العاشر ، كانون الاول ١٩٦٢

هل ضاقت الارض بسكانها ؟ للدكتور عبد الكريم اليافي

العدد الثاني عشر ، شباط ١٩٦٣

العلم الحديث واثره في المجتمع ، الدكتور كامل عياد

السنة الثانية

العدد الاول ، آذار ١٩٦٣

مع مشكلات العالم العربي – القات عدو اليمن الاكبر ، اوصفي زكريا

العدد الثالث ، ايار ١٩٦٣

العالم الحديث ومصير الانسان والحضارة ، لموسى الخوري

العدد الخامس ، تموز ١٩٦٣

اثر الحضارة العربية في البرازيل للمؤرخ البرازيلي جلبرتو فريدي ترجمة موسى كريم .
الآلة ومشكلات العصر الحديث ، لاديب اللجمي

العدد السابع ، ايلول ١٩٦٣

الاشتراكية ومفهوم الطبقات الاجتماعية ، لاديب اللجمي

وزارة التربية والتعليم

ان وزارة التربية والتعليم تدرس العلوم الاجتماعية من تاريخ وجغرافية وتربية وطنية وعلم النفس وعلم الاجتماع ودراسة المجتمع والاقتصاد والاحصاء في مختلف مدارسها الاعدادية والثانوية ودور المعلمين والمعلمات والمعهدين العاليين التابعين لها (المعهد العالي الصناعي في دمشق ـ والمعهد الصناعي التدريبي في حلب) .

ولا نحتاج الى الدخول في تفصيل المناهج والساعات المخصصة لهذه المواد فذلك يسهل الاطلاع عليه بالرجوع الى الوزارة ، وانما نريد التنويه بالتأليف العلمي في هذه الميادين ولا سيما في علم الاجتماع ودراسة المجتمع .

ان التأليف العلمي في التاريخ والجغرافية وامثالها قديم نسبياً وطرقه متفاوتة ومستواه الاعدادي والثانوي معلوم ، ولذلك نفرغ لبحث التأليف في علم الاجتماع ودراسة المجتمع خاصة في هذه المرحلة التعليمية .

ولقد اممت وزارة التربية والتعليم جميع الكتب المدرسية في العام الدراسي ١٩٥٣ ـ ١٩٥٤ بعد ان بدأت بتأميم بعض الكتب في عام ١٩٤٩ واصبح المبدأ المتخذ في تأليف الكتب المدرسية قائماً على النجاح في مسابقة خاصة تعقد لهذا الغرض وتقدم فيها الكتب طبقاً لقواعد ومناهج مسماة .

ولا بد هنا من ان نشير الى اسماء المؤلفين الذين اشتركوا في هذا المضمار وقررت الوزارة تدريس كتبهم .

الكتب المدرسية الاجتماعية منذ طبق مبدأ التأميم

١ - علم دراسة المجتمع وتطبيقه على العالم العربي : طبع عدة مرات ومسه بعض التعديل واشترك في وضعه وتعديله الاساتذة : احمد القادري ، عدنان السبيعي وانطون المقدسي والمرحوم وفيق العظمة . وضع للصف الاول الثانوي (العاشر سابقاً) ١٩٥٥ (مؤمم) .

٢ - علم الاجتماع (الصف الثاني الثانوي) اشترك في وضعه الاساتذة : احمد القادري ، وعدنان السبيعي والمرحوم وفيق العظمة ، ١٩٥٦ (مؤمم) .

٣ - المجتمع العربي في سورية (الصف الاول الثانوي) : اشترك في وضعه الاستاذان عدنان السبيعي والمرحوم وفيق العظمة ، ١٩٥٦ ، (مؤمم) .

٤ - المجتمع العربي ومشكلاته (الصف الثاني الثانوي) : اشترك في وضعه الاساتذة عدنان السبيعي ، احمد القادري والمرحوم وفيق العظمة ، ١٩٥٦ ، (مؤمم) .

٥ - مجتمع الجمهورية العربية السورية ومشكلاته (الصف الاول الثانوي) : اشترك في وضعه الاساتذة : حافظ الجمالي ، الياس شوك ، زين الاعسر ، ١٩٦٢ - ١٩٦٣ ، (مؤمم) .

٦ - المجتمع وخدمة البيئة في الجمهورية العربية السورية : (الصف الثاني من دور المعلمين) : للاساتذة احمد رستم وجوزيف كبة ، فخر الدين القلا ، ١٩٦١ - ١٩٦٢ ، (مؤمم) .

٧ - المجتمع ومشكلاته وخدمة البيئة : للاساتذة : احمد رستم وانطون رحمة

والياس شوك وفخر الدين القلا وجوزيف كبه ، ١٩٥٩ – ١٩٦٠ ، (حر)

٨ ـ المجتمع ومشكلاته (الصف الثالث بدور المعلمين) : وضعه الاساتذة : حافظ الجمالي ، تيسير شيخ الارض ، نعيم الرفاعي (١٩٥٩ – ١٩٦٠) (مؤمم) .

١٠ـ المجتمع العربي وخدمة البيئة (الصف الاول بدور المعلمين) : للاساتذة حسن ملا عثمان ، احمد رستم ، جوزف كبة ، ١٩٦١ – ١٩٦٢ ، (مؤمم)

١١ـ التربية وعلم النفس : للسيدة بلقيس عوض والاستاذ اديب يوسف ، ١٩٥٨ ، وضع لدور المعلمين والمعلمات (الصف الثاني والثالث) ، (مؤمم)

١٢ - الموجز في علم النفس (الصف الثاني عشر) : للاستاذين سامي الدروبي عبدالله عبد الدايم ، ١٩٥٥ ، (مؤمم) .

ـ١٣ الموجز في علم النفس (الصف الثالث ثانوي) : واضعه عدنان السبيعي سنة ١٩٥٦ (مؤمم)

١٤ـ كيف نعلم اطفالنا في المدرسة الابتدائية : للاساتذة : صالح جمال ، بلقيس عوض ، عبدالله تاج الدين ، اديب يوسف ، طبع ثلاث مرات آخرها سنة ١٩٦٢ ، (مؤمم) .

١٥ـ دراسات في التربية وعلم النفس : وضعه نعيم الرفاعي ، بلقيس عوض ، غالب سكر ، ١٩٥٩ ، (مؤمم) .

وجميع هذه الكتب مقتبسة من كتب غربية وعربية . وهي مرحلة أدت اليها

مراحل سابقة في التعليم ، فمن المعلوم ان المناهج العلمية الحديثة قد جرت على الاهتمام بمواد الفلسفة منذ عام ١٩٣٠ وما بعده حتى الاستقلال الذي تم سنة ١٩٤٦ وفي تلك المرحلة عاد من اوروبا اساتذة مختصون في الفلسفة وعلم الاجتماع وعلم النفس ، نقتصر منهم على من كان اختصاصه في علم الفلسفة والاجتماع وعلم النفس. كان من ابرزهم الدكتور جميل صليبا الرائد الاول . ومن جملة ما علمه المنطق الذي يشتمل على اصول علم النفس وعلم الاجتماع وألف في ذلك كتاب « المنطق » المعد للتدريس الثانوي الى جانب كتابه في « علم النفس » ايضاً . ثم اشرف على ما كان يدعى لجنة التربية والتعليم ثم كان امينا عاما للوزارة ثم انتقل عميداً لكلية التربية بالجامعة .

وكذلك الدكتور كامل عياد درس في المانيا ولكنه درس الفلسفة والاخلاق في (الثانويات) وعلم الاجتماع في دور المعلمين ، ثم انتقل استاذاً في كلية التربية بالجامعة واشترك هو والدكتور صليبا في تحقيق بعض الكتب الفلسفية القديمة مثل كتاب « المنقذ من الضلال » للغزالي و« حي ابن يقظان » لابن طفيل .

ثم توالت عودة البعثات . ومن الذين عادوا من اوروبا الاستاذ حافظ الجمالي درس مادة الفلسفة وألف للثانويات عدة كتب منها :

١ ـ الاخلاق والمعلومات المدنية	لصف الكفاءة سنة ١٩٤٧
٢ ـ مبادىء الاخلاق	لصف البكالوريا سنة ١٩٥٨
٣ ـ الاخلاق	لصف البكالوريا سنة ١٩٤٥
٤ ـ علم النفس العام	لصف البكالوريا سنة ١٩٤٧
٥ ـ علم النفس التربوي	لدور المعلمين سنة ١٩٤٩

ثم دخل الهيئة التدريسية بكلية التربية

وكذلك الاستاذ فاخر عاقل الذى هيأ رسالة الماجستير في بيروت ثم اكمل تحصيله العالي في انكلترة . ولما رجع انصرف الى التفتيش في المدارس الابتدائية ثم دخل الجامعة يدرس في كلية التربية احدى مواد علم النفس. وهو الآن رئيس قسم علم النفس .

وكذلك الاستاذ انطون مقدسي من ابرز الاساتذة اشترك في كتاب « دراسة المجتمع » الذي اشرنا اليه ، كتب فيه بحث الحياة الاقتصادية ويقع في (٩٠) صفحة وعرض فيه اهم النظريات عامة وبالنسبة لسوريا خاصة على ضوء التحليل النظري الاقتصادي وهو كذلك بحث فيه المشكلة الزراعية والمشكلة الصناعية والتجارة والعمال والنظام التعاوني الاشتراكي ، وكذلك كتب بحث القومية في الكتاب نفسه في نحو (٤٥) صفحة وحلل فيه فكرة القومية تحليلا علميا وعرض اهم نظريات القوميات وملخص البحوث فيها .

ولا ننسى الاستاذ الكبير زكي الارسوزي الذي كان رسول القومية في لواء الاسكندرون قبل استلابه ، ثم نزح الى دمشق ودرس في مدارسها الثانوية ودور المعلمين فيها واثر باحاديثه وافكاره تأثيرا عميقا في الناشئة . فقد كانت ندواته التي في خارج المدرسة كثيرة الفائدة والتوجيه . والف كتبا متعددة عرض فيها فلسفته اللغوية والاجتماعية والقومية .

ومن رسائله القيمة :

١ ـ العبقرية العربية في لسانها ، دمشق ١٩٤٣

٢ ـ المدنية والثقافة ، دمشق ١٩٥١

٣ ـ اللغة والفن ، دمشق ١٩٥٤

٤ ـ متى يكون الحكم ديمقراطياً ، دمشق

٥ ـ مشاكلنا القومية ومواقف الاحزاب منها ، دمشق

٦ ـ بعث الامة العربية ورسالتها الى العالم . وغيرها .

وهذه الرسائل لم تكتب للتدريس ولا تقابل منهجاً مدرسياً وانما هي من الفلسفة القومية الاجتماعيــة . ولقد كانت كتب الاستاذ الارسوزي ومحاضراته واحاديثه المفعمة بالفكر العميق والاخلاص الصافي ينبوعاً ثقافياً خيراً ويعد من المفكرين الذين اثروا في نشوء حزب البعث . وكذلك الاستاذة الدكتورة مارسيل عبدي التي سبق الكلام على اطروحتها في علم الاجتماع .

ثم اخذت الوفود الدراسية ترجع من مختلف الاقطـار ، وامسك بزمام الدراسة بعد الاستقلال طائفة منهم . ونلاحظ ان التغير في المناهج حصل سنة ١٩٤٦ باشراف الاستاذ ساطع الحصري الذي وحد بين شهادتي الدرجة الثانوية الاولى والثانية فاصبحت البكالوريا موحدة وقلت العناية بالفلسفة وزاد الالحاح على دراسة المجتمع على الشكل الذي رأيناه عند عرض الكتب المؤمئ اليها آنفاً .

ومن الاساتذة الذين وجهوا الدراسات النفسية والاجتماعية الاستاذ احمد القادري ، درس في مصر واشترك مـع الاستاذ انطون مقدسي في تأليف كتاب علم دراسة المجتمع وتطبيقاته في العالم العربي كما اشترك مع الاستاذ عدنان السبيعي في كتابة « المجتمع العربي في سورية » ، وألف كتاباً في علم الاجتماع يتسم بالاتجـاه العلمي النظري البحت وألف كتاباً في الاخلاق والتربية الوطنية بالاشتراك مع المرحوم وفيق العظمة ، وقد شارك في دورة التخطيط التربوي في المركز الاقليمي لتدريب

كبار موظفي التربية والتعليم ببيروت سنة ١٩٦١ - ١٩٦٢ ، واشترك في عدة مؤتمرات منها مؤتمر التعليم الريفي في بيروت سنة ١٩٥٧ وقدم بحثاً فيه طبع في الكتاب الذي يضم اعمال المؤتمر ، واشترك في مؤتمر التربية الوطنية الذي عقدته اللجنة الثقافية الجامعة العربية في دمشق عام ١٩٥٨ ، واشترك في مؤتمر اسس التربية في العالم العربي الذي عقد في القاهرة سنة ١٩٦١ ، واشترك اخيراً في مؤتمر المعلمين العرب الذي عقد في مدينة الجزائر سنة ١٩٦٣ والقى بحثاً بعنوان « دور المعلم في بناء القومية » .

وكذلك يجب ان ننوه بالاستاذ عدنان السبيعي فهو زيادة على الكتب التي اشترك في تأليفها وسبق ذكرها ترجم كتاب « علم الاجتماع التجريبي » Sociologie Experimentale لمؤلفه بول دركان Paul Des Cates والمؤلف من اتباع مدرسة الاصلاح الاجتماعي التي يرأسها لوبلي المشهور بدراساته المونوغرافية لاسر العمال وقد تمت الترجمة بالاشتراك مع الاستاذ خليل شطا ، طبع الكتاب سنة ١٩٥٣ وقدم له الدكتور جميل صليبا .

والف ايضاً كتاب « المدخل الى فلسفة القيم » سنة ١٩٥٤ بتكليف من وزارة التربية والتعليم ليدرس في صف الشهادة الثانوية .

والف كتاب « نظريات الالزام الاخلاقي » سنة ١٩٥٧ طبقاً لمناهج اتفاق الوحدة الثقافية (دمشق ـ القاهرة ـ عمان) وقرر الكتاب في الصف الثاني الثانوي والف كتاب « مبادىء الفلسفة والاخلاق » سنة ١٩٦٢ طبقاً للمناهج الموحدة في الجمهورية العربية المتحدة ، تلك المناهج التي وضعت عام ١٩٦١ وهو مخصص للصف الثالث الثانوي الادبي ، اهم موضوعاته الفلسفة والعلم ، الانسان والقيم مع التوسع في قيمة الخير .

ولكل ممن ذكرنا من الاساتذة مقالات في الصحف والمجلات تتناول الفرد والمجتمع والتربية والتعليم ومختلف النواحي الاجتماعية بالتحليل والبحث وفي بعضها تظهر مواهب مؤلفيها ووجهات نظرهم .

وثمة عدد من الاساتذة عمدوا الى ترجمة بعض الكتب التي ليست مقررة مناهجها في التعليم ولكنها تفيد في ميدانه .

ولعل من اهم الاعمال التأليفية لوزارة التربية والتعليم اصدارها مجلة « المعلم العربي » في سنة ١٩٤٨ وهي لا تزال تصدر حتى الآن وتعنى بشؤون التعليم والتربية . وقد صنع للمقالات التي ظهرت فيها فهرس عام ابان الوحدة عام ١٩٦١ (يضم المقالات من عام ١٩٤٨ الى ١٩٥٨ بحسب الموضوعات والمؤلفين ويسهل الرجوع الى اهم المقالات الاجتماعية التي وردت في اعداد المجلة) كذلك اصدرت هذه المجلة كتباً خاصة من اهمها كتاب « الطفل السوري وبعض حالاته وشذوذه » تأليف ج . فالنتاين وتعريب الاساتذة نعيم الرفاعي وامين المصري وبلقيس عوض .

ثم بدأت الجامعة السورية بكلياتها الحديثة التي انشئت سنة ١٩٤٦ مثل كلية الآداب تخرج افواجاً من الاساتذة في الفلسفة وعلم الاجتماع والنفس والتربية فشغلوا فراغاً كبيراً في التعليم كان يحصل بسبب زيادة السكان ، ولم يلبثوا ان شاركوا في التأليف الكتب المدرسية كما سلف عند ذكر الكتب المؤممة ، وكذلك في تأليف بعض الكتب الحرة .

لقد ذكرنا اسماء الاساتذة تيسير شيخ الارض ، وعزت الاعسر واحمد رستم ، وانطون رحمة ، ومنهم الكثيرون الذين كتبوا بحوثاً ومقالات وكتباً كالاساتذين

انور العقاد وسهيل العثمان اللذين اشتركا في تأليف « الطاقة العربية » وهـو دراسة للمجتمع العربي وبعضهم يتابع تحصيله في بلاد الغرب .

هذا ومن الهيئات العلمية العالية التي تتبع وزارة التربية والتعليم المجمـع العلمي العربي بدمشق .

المجمع العلمي العربي

عقب انتهاء الحرب العالمية الاولى نعمت البلاد بفترة قصيرة من الحرية والاستقلال كما نوهنا بذلك وتحفزت فيها الهمم ونشطت القوى الى البناء والتشييد في مختلف الميادين ولا سيما في ميادين العلم والادب والاجتماع

ذلك انه لما انتهت الثورة العربية الى تأسيس الحكومة الفيصلية العربية في ربوع الشام في ٥ تشرين الاول ١٩١٨ واجهت مصاعب جمة من جملتها قضية اللغة العربية لان اللغة الرسمية في البلاد كانت اللغة التركية فكان على الحكومة الفيصلية العربية ان تتدارك هذا النقص فاستحدثت دروساً خاصة بالموظفين تقصد الى تعليم الانشاء العربي وانبرت طائفة من الادباء والشيوخ تراجع كتب اللغة والادب لايجاد مصطلحات حديثة تخالف الالفاظ التركية والاعجمية التي كانت شائعة في الدواوين . فتألفت لهـذا الغرض لجان عديدة من جملتها شعبة الترجمة والتأليف (من ٢٨ تشرين الثاني ١٩١٨ الى شباط ١٩١٩) مهمتها تدبر امر اللغة العربية التي اصبحت رسمية ونشر الثقافة بين الموظفين واستبدال المصطلحات التركية بالعربية وكان من اول الاعضاء العاملين في شعبة الترجمة والتأليف : امين سويـد وانيس سلوم وعز الدين علم الدين التنوخي وعيسى اسكندر المعلوف (زحلة) وسعيد الكرمي (مفتي طول كرم السابق) .

وقام بتدريس الوظفين العربيـة والانشاء لفيف من المختصين منهم : سليم الجندي وأنيس سلوم وخليل مردم ولقد اشترك ايضاً في الحركة اللغوية آخرون منهم عبد القادر المغربي وفارس الخوري ورشيد بقدونس وعبد الرحمن شهبندر واديب التقي وحبيب اصطفان وعجاج نويهض ونخلة زريق .

ثم رأت الحكومة العربية ان تجمع فروع الثقافة في دائرة واحدة فضمت امور المعارف العامة الى اعمال شعبة الترجمة والتأليف وسمتها جميعـاً « ديوان المعارف » وذلك في ١٢ شباط ١٩١٩ واسندت رئاسته الى محمد كرد علي صاحب جريدة المقتبس .

كانت مهمة ديوان المعارف هذا : « النظر في امور المعارف وتأسيس دار الآثار والعناية بالمكاتب ولا سيا دار الكتب الظاهرية » كما جاء في تقرير محمد كرد علي عن المجمع سنة ١٩٢٢ .

ولما اتسعت اعمال ديوان المعارف وازدادت حركة التأليف والترجمة ووضـع المصطلحات قامت الدولة الحديثة بقسمة الديوان قسمين : الاول يختص باعمال المعارف العامة والثاني يختص بامور اللغة والمكتبات والآثار وذلك في ٨ حزيران ١٩١٩ . وهكذا ولد المجمع العلمي كما دعاه حاكم سورية العسكري العام اذ ذاك علي رضا الركابي في كتابه الى رئيس ديوان المعارف وعهد في رئاسته الى محمد كرد علي وكان اول من سمي من اعضائه امين سويد وانيس سلوم وسعيد الكرمي وعبدالقادر المغربي وعيسى اسكندر المعلوف ومتري قندلفت وعز الدين علم الدين التنوخي ثم انضم اليهم الشيخ طاهر الجزائري بعـد عودته من مصر في تشرين الاول ١٩١٩ ، واتخذ المجمع مقراً له المدرسة العادلية التي مر ذكرها آنفاً والتي دعت الفقه والعربية منذ انشئت عام ٦١٩ هـ .

واهداف المجمع تنحصر في ما يأتي :

١ ـ النظر في اللغة العربية واوضاعها العصرية ونشر آدابها واحياء مخطوطاتها وتعريب ما ينقصها من كتب العلوم والصناعات والفنون عن اللغات الاوروبية ، وتأليف ما يحتاج اليه من الكتب وتأسيس دار كتب عامة .

٢ ـ جمع الآثار القديمة عربية وغير عربية وتأسيس متحف لها .

٣ ـ اصدار مجلة خاصة بالمجمع ينشر فيها افكاره واعماله وتكون رابطة بينه وبين المؤسسات المماثلة (لزيادة التفصيل يرجع الى كتاب تاريخ المجمع العلمي العربي للاستاذ احمد الفتيح ، من منشورات المجمع العلمي دمشق ١٣٧٥ هـ ـ ١٩٥٦ م)

ولا شك ان تتبع وجوه نشاط المجمع يؤتي فوائد جلى في تعرف التغيرات الاجتماعية عامة ولا سيما في خدمة اللغة وفي جمع الكتب المطبوعة والمخطوطة على اختلاف انواعها وفي جمع التحف والآثار ولكننا نطوي ذكر ذلك كله مقتصرين على التنويه بمنشورات المجمع العلمي التي اصدرها وباهمية مجلته التي لا تزال تصدر حتى الآن والتي هي مرجع ضخم لتقصي البحوث الاجتماعية والمقالات التاريخية والحضارية وغيرها في تلك الحقبة .

ولا يخفى ان اللغة والالفاظ العربية هي قوالب المعاني بها تتجسد البحوث والافكار سواء كانت اجتماعية او غيرها . ولذلك يجدر التنويه باهمية المصطلحات التي وضعها المجمع العلمي مكان كثير من المصطلحات الاجنبية عامة واحيائه الكثير من الالفاظ اللغوية مما تفخر به دمشق وكان سبباً لتقدم اللغة بعدئذ في المدارس الرسمية وبالجامعة

عند انشائها . وكثير من المغربين كانوا اذ ذاك اساتذة في الجامعة واعضاء في المجمع العلمي . يضاف الى ذلك ان عضوية المجمع لم تكن محلية وبجونه كانت مفتوحة لكبار العلماء في البلاد العربية والمستشرقين الاجانب المشهورين ، وهكذا لم يكن المجمع مغلقاً على ذاته وانما كان دائم الصلات بجميع الباحثين ممن يخدمون اللغة العربية والحضارة العربية . والذي يرجع الى اعداد مجلة المجمع يتبين سعة ذلك الاتصال وعمق تلك الخدمة . مثل ذلك يحتاج في التفصيل ان يقصر على بحث خاص . ولذلك لن نتعرض له ههنا وانما نكتفي بان نورد مطبوعاته في الميدان الاجتماعي بوجه عام :

١ ـ محاضرات المجمع العلمي العربي في ثلاثة اجزاء تصور ما قام به من نشاط في ميدان المحاضرات وفيها بحوث اجتماعية وتاريخية وحضارية مهمة .

٢ ـ نشوار المحاضرة ، الجزآن الثاني والثامن لابي علي الحسن التنوخي . اما الجزء الثاني فطبع بدمشق عام ١٩٣٢ . والثامن قبله سنة ١٩٣٠ وذلك بتحقيق المستشرق مرجليوث . وهذان الجزآن من اهم الكتب الادبية التاريخية الاجتماعية اذ كانا يصوران حياة العصر الذي عاش فيه المؤلف . وقد قضى المؤلف خمسة عشر عاما في وضع كتابه كله ، وذكر انه تعمد الا يذكر شيئا ورد في كتب اخرى سابقة له . وكان يكتب فيستعمل بعض الالفاظ الشائعة في عصره ولو لم تكن عربية الدلالة على بعض مرافق الحياة وقد عمد اللغوي الكبير احمد تيمور باشا في سلسلة من المقالات تتبع تلك الالفاظ وشرحها وهي لم ترد في معاجم اللغة نشرها في مجلة المجمع . وقد ذكرنا لمأ من تلك الروايات عندما بحثنا تطور المجتمع من خلال تطور الفكاهة في كتابنا « دراسات فنية في الادب العربي » ، ولا يخفى ان نشوارا معناها الخلاصة .

٣ – المهرجان الالفي لابي العلاء المعري ، طبع بدمشق سنة ١٩٤٥ ، ويحتوي في جملته على بحوث تاريخية واجتماعية لعصر ابي العلاء ولافكاره .

٤ ـ تاريخ حكماء الاسلام لظهير الدين البيهقي بتحقيق محمد كرد علي ، طبع بدمشق سنة ١٩٤٦ ، وهو تراجم لعدد وافر من حكماء الاسلام كما يدل عليه لفظه ومرجع مهم في هذا الشأن .

٥ ـ المستجاد من فعلات الاجواد لابي المحسن التنوخي بتحقيق محمد كرد علي ، طبع بدمشق ١٩٤٦ ، وهو يصور الافعال والخصال الحميدة التي شاعت في العرب والاسلام .

٦ ـ الاشربة لابن قتيبة بتحقيق محمد كرد علي ، طبع بدمشق عام ١٩٤٧ . ولا يخفى اهمية هذا البحث في تبين احوال العرب القديمة في هذا الشأن واختلاف وجهات نظرهم في الشراب .

٧ ـ البيزرة لبازدار العزيز بالله الفاطمي بتحقيق محمد كرد علي ، طبع بدمشق عام ١٩٥٢ ، وهو كتاب يصف عادات العرب في الصيد وادواته وما الى ذلك .

٨ – غوطة دمشق تأليف محمد كرد علي ، طبع بدمشق عام ١٩٤٩ يذكر فيها تاريخ غوطة دمشق واحوال اهلها المختلفة من اجتماعية وغيرها ، وهو مرجع اصلي في هذا الموضوع وبحثه قائم على التحري التاريخي وعلى مشاهداته الخاصة التي عاناها المؤلف .

٩ ـ كنوز الاجداد تأليف محمد كرد علي ، طبع بدمشق عام ١٩٥٠ يترجم طائفة من الاعلام والمفكرين ويعلق عليها .

١٠ ـ الدارس في تاريخ المدارس لمؤلفه النعيمي وبتحقيق جعفر الحسيني ، طبع الجزء الاول بدمشق عام ١٩٤٨ والثاني فيها عام ١٩٥١ وهو بحث شامل عن المدارس ودور القرآن والحديث وغيرها من دور العلم والمعرفة التي كانت مزدهرة بدمشق ، ولا شك ان هذا العدد الكبير الضخم يصور لنا جوانب من تلك الحياة العلمية والاجتماعية في هذه البلاد .

١١ – الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي في جزأين بتحقيق الدكتور جميل صليبا ، طبع الاول بدمشق عام ١٩٤٩ والثاني فيها عام ١٩٥١ .

١٢ – فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (قسم التاريخ) وضعه الدكتور يوسف العش طبع بدمشق عام ١٩٤٧ وهو يضم بين دفتيه عدداً كبيراً من كتب التاريخ والاجتماع المحفوظة بدار الكتب الظاهرية .

١٣ – تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ، يعمل المجمع على تحقيقه وطبعه وهو في الاصل ثمانون مجلدة . وقد ظهر حتى اليوم المجلدة الاولى بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد طبعت بدمشق عام ١٩٥١ والمجلدة الثانية (القسم الاول لنفس المحقق) طبعت بدمشق عام ١٩٥٤ ، والمجلدة الثامنة طبع بتحقيق الاستاذ محمد احمد الدهمان وسيوزع قريباً . واهمية هذا الكتاب انه يترجم لكل من وطئت قدماه دمشق من علماء وادباء وحكام وغيرهم ترجمة وافية وهو في ذلك مرجع كبير لتاريخ الحياة الاجتماعية وغيرها في هذه المدينة وغيرها ولا يكاد يسد موضعه كتاب آخر في هذا الشأن .

١٤ – امراء دمشق في الاسلام لصلاح الدين الصفدي بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد، طبع بدمشق عام ١٩٥٥ ، واسمه كاف في الدلالة على موضوعه واهميته .

١٥ – قضاة دمشق لشمس الدين بن طولون بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ، طبع بدمشق عام ١٩٥٦ ، ولا يخفى على احد مكانة القضاة في الحياة الاجتماعية والسياسية في الحضارة الاسلامية اذ بلغ القضاة شأوا كبيراً في التأثير الاجتماعي والسياسي ، ويذكر صاحب نشوار المحاضرة كيف انهارت اركان الخلافة العباسية ببداية انهيار نظام القضاء . وكل بحث في هذا الشأن لا يعدم صدى بعيداً في تجلية ما غمض ومضى من هذا الركن الاساسي في نظام الدولة قديماً .

١٦ – الزيارات بدمشق القاضي محمود العدوي بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد طبع بدمشق ١٩٥٦ . يصور لنا بعض ما كان تعتمده جماهير الشعب المؤمنة في الزيارة من مدافن الاولياء والصالحين ومقاماتهم .

١٧ – تراجم الاعيان من الابناء الزمان للبوريني بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد طبع بدمشق ١٩٥٠ .

١٨ – طرفة الاصحاب في معرفة الانساب لعمر بن يوسف بن رسول الملك الاشرف بتحقيق المستشرق سترستين طبع بدمشق عام ١٩٤٩ ، ومكانة الانساب عند العرب ذات اهمية كبرى في ربط القبائل وافخاذها ولا شك ان ما ندعوه اليوم بعلم السكان (الديموغرافيا) يشتمل في بحوثه على امثال ذلك .

١٩ – تاريخ داريا للقاضي عبد الجبار الخولاني بتحقيق سعيد الافغاني ، طبع بدمشق عام ١٩٥٠ .

تاريخ المجمع العلمي العربي تأليف احمد الفتيح ، طبع عام ١٩٥٦ ، وقد اشرنا اليه في مستهل هذا البحث .

٢١ ـ رسالة التبصر بالتجارة للجاحظ بتحقيق حسن حسني عبد الوهاب طبعت بدمشق عام ١٩٣٢ .

٢٢ - الثقافة الاسلامية في الهند (اسمه معارف العوارف في انواع العلوم والمعارف) لعبد الحي الحسني الندوي، طبع بدمشق عام ١٩٥٨ .

٢٣ - كتاب النفس لابن باجه الاندلسي بتحقيق الدكتور محمد صغير حسن المعصومي طبع بدمشق ١٩٦٠

٢٤ ـ رسالة ابن فضلان في وصف الرحلة الى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة بتحقيق الدكتور سامي الدهان طبعت بدمشق عام ١٩٥٩ . ومن المعلوم ان ابن فضلان كان سفير الخليفة العباسي المقتدر الى البلغار الذين كانوا يعيشون على سواحل نهر اتل (الفولغا) ، ففي الرسالة وصف لحياتهم الاجتماعية كما كانت اذ ذاك وتسجيل لكثير من الاخبار المفيدة وثم في معجم البلدان لياقوت اشارة وتلخيص لما جاء في تلك الرحلة في مادة بلغار وقد كان سبب هذه الرحلة ان هؤلاء الاقوام اعتنقوا الاسلام وارادوا من الخليفة ان يرسل اليهم من يعلمهم اصول الديانة فأرسل اليهم الخليفة وفداً على رأسه ابن فضلان . ويجب ان نضيف نحن ان هؤلاء البلغار نزح قسم منهم الى الشمال وتوطن في البلد المعروف اليوم بجمهورية قازان في الاتحاد السوفيتي والف شعب هذه الجمهورية ولا يزال كثيرون منهم يعرفون اصلهم ، فالشعب في الجمهورية القازانية اغلبهم من البلغار ولكنهم اخذوا لفظ قازان التتري على حين ان القسم الآخر من الشعب البلغاري القديم نزح الى الجنوب وهناك قاوم ستالين ابان حكمه فشرد هذا اكثرهم في سيبيريا . اما ما يسمى اليوم ببلغاريا فان قسماً ضئيلاً من اولئك البلغار القدماء نزح الى البلاد المعروفة باسم بلغاريا وحكم

الشعب السلافي الذي كان يعيش فيها واعطاه التنظيم العسكري والاداري والاسم ولكنه لم يلبث ان تمثله الشعب السلافي في تلك البلاد .

٢٥ – حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر لعبد الرزاق البيطار ، ثلاثة اجزاء صدر منها جزءان بتحقيق الاستاذ محمد بهجة البيطار ، الاول طبع بدمشق ١٩٦١ والثاني طبع فيها ١٩٦٣ ، وهو كتاب يصور الحياة الاجتماعية في العالم العربي في ذلك القرن الهجري .

٢٦ – سفر خالد بن الوليد من العراق الى الشام لطـه الهاشمي . طبع بدمشق عام ١٩٥٣ .

٢٧ – محمد كرد علي ، حياته وآثاره للدكتور سامي الدهان ، طبع بدمشق عام ١٩٥٥ ، وهو يبين جهد اول رئيس للمجمع ونشاطه الحافـل في ميادين الادب والتاريخ والصحافة والحياة الاجتماعية .

٢٨ – رسالة حي بن يقظان مع شرحها لابن سينا بتحقيق محمد صغير حسن المعصومي طبعت بدمشق عام ١٩٥٥ وهي غير رسالة ابن طفيل .

٢٩ – مجلة المجمع العلمي العربي وقد نوهنا بها انفاً وقد صدر منها ثمانية وثلاثون مجلداً من عام ١٩٢٠ الى هذا العام ١٩٦٣ وهي مصدر حافـل بالابحاث التاريخيـة والاجتماعية والادبية واللغوية وامثالها . ومثل هذا العدد الكبير لا يستطيع الباحث ان يرجع الى مختلف الموضوعات فيه الا بفهرس مفصل دقيق بها ، وقد كلف المجمع العلمي العربي الاستاذ عمر رضا كحالة ان يضع فهرساً مطولاً للمجلة المذكورة فعمد الاستاذ كحالة الى ذلـك ، فوضع ثلاثة اجزاء كبيرة كل جزء يقع في نحو من ثمانمائة صفحة ، يتناول الجزء منها فهرسا لعشر مجلدات من المجلة ، وبذلك سهل على الباحثين مصاعب الرجوع . وهذا الفهرس يحوي ثمانية اقسام :

١ ـ الموضوعات

٢ ـ الكتب والمجلات والجرائد المقرظة المنتقدة

٣ ـ الالفاظ التي وضعها المجمع العلمي العربي وعربها .

٤ ـ كتاب المقالات ومؤلفي الكتب المنشورة في المجلة

٥ ـ الرجال والنساء .

٦ ـ الكتب والمجلات والجرائد الوارد ذكرها في المجلة

٧ ـ الدول والشعوب والقبائل والمذاهب

٨ ـ البلدان والامكنة

هذا ومن المفيد ان نعقب على وجوه نشاط المجمع بجانب من نشاط العلماء الذين قاموا منفردين سواء كانوا من اعضاء المجمع او موظفين فيه : نريد هنا اولاً ان نشيد بكتاب خطط الشام لمحمد كرد علي وهو سجل واسع لتاريخ الاقطار الشامية حسب الاصطلاح الذي كان دارجا اذ ذاك في ستة مجلدات يبحث في تاريخ الشام منذ القديم الى عهودها الاخيرة مضمنا له بحوثا اجتماعية عامة وادبية وعمرانية وكان المؤلف يعتمد على ما يطالعه ويدونه مدفوعا احياناً بعاطفته الحية لبلاده والمحبة لامته وربما خرج في ذلك عن الشروط القاسية التي تفرض على المؤرخ المحقق

وكذلك نذكر الامير مصطفى الشهابي رئيس المجمع الحالي فانه الى جانب معجم الالفاظ الزراعية الذي وضعه عالج بعض القضايا القومية الاجتماعية ، اذ نشر كتابين هما عبارة عن محاضرات القاها في معهد الدراسات العربية العالية وهي اولا :

محاضرات في الاستعمار في جزأين ، الاول سنة ١٩٥٥ والثاني ١٩٥٦ ، وثانياً : القومية العربية ، تاريخها وقوامها ومراميها طبع في القاهرة سنة ١٩٦١ ،

والى ذلك كله نريد ان ننوه باعمال الاستاذ رضا كحالة الذي سبق ان ذكرنا له فهرسته لمجلة المجمع ، تلك الاعمال الواسعة الشاقة التي ينوء بها عمل جماعة وهي :

١ — افريقية الغربية البريطانية ، وهي رحلة قام بها المؤلف سنة ١٩٢٧ الى تلك الاصقاع ودون فيهاما رآه وسمعه عن احوال تلك البلاد الاجتماعية والعمرانية والاقتصادية الخ . . وهي تذكرنا بكتب الرحالة العرب القدماء . وتصل ما انقطع في هذا النمط من التأليف . طبعت بدمشق ١٩٣٠ .

٢ — العالم الاسلامي وهو في مجلدين يؤرخ فيه للعرب والاسلام حتى العصر الحاضر ، طبع ثانية في دمشق عام ١٩٥٨ .

٣ — سيف الله خالد بن الوليد ، طبع ثانية بدمشق عام ١٩٥٩ .

٤ — اعلام النساء في خمسة مجلدات ، طبع ثانية بدمشق عام ١٩٦٠ .

٥ — جغرافية شبه جزيرة العرب ، طبع بدمشق عام ١٩٤٥ ، وانما ذكرناه لانه يشتمل على بحوث واوصاف اجتماعية لشبه الجزيرة .

٦ — معجم قبائل العرب القديمة والحديثة في ثلاثة مجلدات .

٧ — معجم المؤلفين في خمسة عشر مجلدا وعنوان هذا الكتاب وعدد اجزائه يظهران مدى الجهد الواسع فيه ويجعلان منه مرجعا اصليا للباحثين على اختلاف انواعهم .

٨ – تحقيق كتاب معرة النعمان لسليم الجندي ، وقد صدر منه الجزء الاول من منشورات وزارة الثقافة والارشاد عام ١٩٦٣ ، وسلف ان ذكرنا في منشوراتها .

ولا يسعنا عند ختام الكلام عن المجمع العلمي العربي الا ان نتمنى له ان يتابع خطته الاولى وان يكون حاضره خليقاً ببداية عهده وماضيه العلمي الحافل .

هذا وشأن جامعة دمشق لا يقل في الاهمية والعلو عن شأن المجمع ، الا ان نشاطها منصرف الى التعليم العالي .

جامعة دمشق

على الضفة اليمنى لنهر بردى عند دخوله مدينة دمشق تقوم هذه الجامعة بهيكلها الراسخ الرصين الضخم وجدرانها العريضة العالية وسقوفها الآجرية الحمر وادواحها الغضة الخضر ، في جو متعدد الالوان كأفاصيغ من الياقوت والزمرد واللازورد والماس وسائر الاحجار الكريمة التي في الوطن العربي ، ويخيل للمتأمل كأن جامعة دمشق لو خيرت مكاناً لما اختارت اجمل من هذا الموقع المستشرف البديع لتكون عند مدخل المدينة وفي محياها عنواناً لنهضة سورية ورمزاً الى تقديس هذه البلاد للثقافة والعلم والمعرفة ، او كأنما وقفت الجامعة عن كثب من بردى تتراءى في مياهه المنسابة الحالمة كأنها نرجس يتراءى في مياه الينابيع ، وتشرد ذوائبهـا في نسماته الطرية المنعشة ، او كأنها تنصت الى حديث يسره اليها هذا النهر عن تاريخ هذه البلاد الثقافي الخالد تالده وطارفه ، غابره وحاضره .

لقد استطاعت سورية في عهد الانتداب وعلى الرغم منه ان تنظم شؤونهـا

الثقافية والعلمية والتربوية شيئاً فشيئاً على الاساليب الحديثة ، وذلك في ميدان التعليم الابتدائي والتعليم الثانوي ، كما ان قسم الجامعة الذي جدد انشاؤه سنة ١٩١٩ في عهد الاستقلال القصير الذي تلا الحرب العالمية الاولى استمر وتقدم بعض الشيء . الا ان التقدم الكبير في مجال النهضة الفكرية عامة انما حصل بعد جلاء القوات الفرنسية ومنذ عهد الاستقلال الحديث ، نجد هذه النهضة واضحة المعالم بينة القسمات اذا تتبعنا زيادة عدد المدارس الابتدائية والاعدادية والثانوية والمهنية على اختلافها ولكننا لا ندخل في هذه التفاصيل وانما نخص الكلام بتوسع الجامعة السورية الضخم وبتدريس العلوم الاجتماعية فيها .

لقد كانت الجامعة مؤلفة من كليتي الطب والحقوق منذ ان انشئتا مجددتين سنة ١٩١٩ ، ولقد بلغ عدد طلاب الطب سنة ١٩٤٤ـ١٩٤٥ اي عشية الاستقلال ٣٩٦ وبلغ عدد طلاب الحقوق ٤٠١ وعددهم جميعاً ٧٩٧ ولم تمض سنة واحدة على الاستقلال وجلاء القوات الاجنبية حتى احدثت كليات الهندسة والاداب والعلوم والمعهد العالي للمعلمين (الذي اطلق عليه في العام الدراسي ١٩٥٣ - ١٩٥٤ اسم كلية التربية) وانضافت في هذه السنة نفسها كلية جديدة هي كلية الشريعة ، ولقد ازداد عدد طلاب الجامعة ازدياداً هائلاً فبلغوا في عام ١٩٥٦ ـ ١٩٥٧ الرقم ٦٥٣٥ ، ويبدو ان التعليم العالي لهذا الاتساع وبازدياد عدد الطلاب الضخم كأنما نشط من عقال منذ الاستقلال .

ولقد دخلت الجامعة السورية طوراً جديداً ابان الوحدة فزادت ميزانيتها على اربعة عشر مليوناً سنة ١٩٦٠ - ١٩٦١ وهو رقم لم تعهده من قبل اذ كانت تقارب المليون في سنة ١٩٤٤ - ١٩٤٥ . واضيفت اليها عدة كليات جديدة منها كلية التجارة التي انشئت باسم معهد العلوم التجارية سنة ١٩٥٦ وكان ملحقاً بكلية الحقوق ، كما انشئت في حلب سنة ١٩٦٠ ـ ١٩٦١ جامعة جديدة اضيفت اليها كلية الهندسة

التي كانت من قبل تابعة للجامعة السورية وبدل عندئذ اسم الجامعة السورية فاصبح جامعة دمشق واضيف اليها اخيراً في صيف ١٩٦٣ المعهد العالي للخدمـــة الاجتماعية الذي انشأته وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل كما الحق بها المعهد العالي للفنون الجميلة، وكانت وزارة التربية والتعليم انشأته بتوصية من المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعيـــة . وشرع عدد طلاب جامعة دمشق هذه السنة ١٩٦٣ – ١٩٦٤ يقترب من ثلاثين الفاً .

ولقد تعاقب على رئاسة الجامعـــة اجتماعيون وحقوقيون الى جانب الاطباء ، نذكر في طليعتهم الاستاذ الدكتور قسطنطين زريق من ١٦/٥/١٩٤٩ الى ١٤/٥/١٩٥٢ وهو من اعلام اساتذة الجامعة الاميركية في بيروت بل من اعلام المفكرين العرب في العصر الحاضر . وبالاضافة الى شهرته في علم التاريخ وغيره نذكر بعض كتبه التي لها صلة وثيقة بالقضايا الاجتماعية الراهنة :

١ ـ الوعي القومي (بيروت ، ١٩٣٨ ، ط . ث . ١٩٣٨)

مجموعة مقالات (معنى الوعي القومي ، المرأة العربية في الحياة القوميـــة ، القومية والجنس ، العمل القومي والمشاريع الاجتماعية ، القومية العربية والدين ، التراث الثقافي العربي : حفظه واحياؤه ، ثقافتنا العلمية ، الأدب التوجيهي وحاجتنا اليه ، الثقافة الصحيحة وعناصرها ، كيف نحمي ثقافتنا ، ازمة الروح ، الجهاد الاكبر) .

٢ ـ أي غد ؟ (بيروت ، ١٩٥٧)

مجموعة مقالات (المفكر العربي وتبعاتـــه ، المجتمع التقدمي ، نحن والتنظيم ، التربية في المجتمع العربي ، العرب والثقافة الحديثة ، نحو ثقافة عربية افضل) .

٣ – هذا العصر المتفجر (بيروت ، ١٩٦٣)

مجموعة مقالات (هذا العصر المتفجر، التراث الحضاري ، التبادل الحضاري بين الشرق والغرب (١)، دور الجامعة في الحياة الوطنية ، المجتمع العربي بين الامس واليوم، مبادىء الانعاش الاجتماعي، تفرغ الباحثين والمفكرين، اداء الثمن) .

وكذلك صار رئيسا للجامعة ابان الوحدة من ١/١١/١٩٥٨ الى ١٦/١/١٩٦٢، الدكتور حكمت هاشم .

ترجم كتاب« المدخل الى علم النفس الجماعي » لشارل باوندل سنة ١٩٥٣، طبع دار المعارف بمصر ، ترجمة جيدة .

ثم تلاه الدكتور احمد السمان من ٢٢/١/١٩٦١ وهو الرئيس الحالي وقد كان عميداً لكلية الحقوق وله كتب في الاقتصاد السياسي مشهورة نذكر منها :

١ – موجز الاقتصاد السياسي : مطبعة جامعة دمشق ١٩٥٧

يتضمن هذا الكتاب مقدمة في اصل علم الاقتصاد والتعريف به وطبيعته وتصنيفه ، ثم يعالج الكتاب تاريخ الفكر الاقتصادي ونطاق الحياة

---

١) نشرت اصلا بالانكليزية بعنوان : "Conditions for the Mutual Appreciation of Eastern-Western Cultural Values", in **Cultural Values: Eastern and Western,** published by the National Education Association of the U.S.A., (Washingthon, 1959).

الاقتصادية وبحث الانتاج وعوامله والمشاريع والمصارف والنقد والاسعار والصلات بين النقد والاسعار .

٢ - الوقائع والنظريات الاقتصادية في العصر الحديث : مطبعة جامعة دمشق ، ١٩٤٥ .

٣ - محاضرات في اقتصاديات سورية : من منشورات معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٥٥

٤ - المجتمع العربي : دمشق ، دار الفكر ، ١٩٦٢

هذا ومن الامور التي يجدر التنويه بها الآن ادخال مادة المجتمع العربي في جميع الكليات ابان الوحدة فاصبحت هذه المادة تدرس في الصفوف الاولى من الكليات والغاية منها زيادة وعي الطلاب من الناحية القومية والاجتماعية والانسانيـة ، الا ان هذه الكليات في جامعات الجمهورية المتحدة لم تتساو في تفهم المراد من تلك المادة فأصبح ثم تنازع على تدريس هذه المادة واختلط الامر بعض الاحيان ، اما في جامعة دمشق فلم تلحق هذه المادة بكرسي علم الاجتماع بل بقي امر تدريسهـا من اختصاص الكليات منفردة فاتجه التدريس في بعضها الى الناحية الجغرافية ، وفي بعضها الآخر الى الناحية الاقتصادية للبلاد العربية ، وربما كان من افضل البحوث التي كتبت في الموضوع وطبعت ما ألفه الدكتور احمد السمان وذكرناه وكذلك الدكتور احمد شوكت الشطي الاستاذ في كلية الطب وعالج فيه التراث الطبي العربي الغابر ، اذ اصدر كتابين سنة ١٩٦٣ هما ثمرة تدريسه هذه المادة احدهما « مجموعة ابحاث في الحضارة العربية الاسلامية والمجتمع العربي » والآخر « مجموعة ابحاث عن الطب وعلومه في الحضارة العربية الاسلامية والمجتمع العربي » .

هذا وان جامعة حلب حديثة وليس فيها كلية تتناول العلوم الاجتماعية بالتدريس الا كلية الحقوق و كلية الزراعــة التي تدرس علم الاجتماع الريفي ولم تنشر هاتان الكليتان كتبا في هذا الشأن حتى الآن ولذلك قصرنا الكلام على التآليف الاجتماعية في كليات جامعة دمشق .

كلية الحقوق

هي مع المعهد الطبي من اقدم الكليات في جامعة دمشق وكانت تسمى قديماً مدرسة الحقوق ولقدمها كانت ثمراتها العلمية غزيرة وان طرأ عليهـا عدة تطورات . وهي مؤلفة في الوقت الحاضر من عدة اقسام: قسم الاقتصاد وقسم القانون الدولي، وقسم القانون المدني وقسم القانون العام (القانون الدستوري والقانون الاداري) ، وقسم تاريخ القانون والقانون الرومـاني ، وقسم القانون التجاري ، وقسم القانون الجزائي واصول المحاكمات الجزائية .

ويطول بنا البحث اذ اردنا ان نتعقب جميع المؤلفـات التي صدرت في كل قسم من هذه الاقسام حتى اننا نخشى عندئـذ ان نثقل على القارىء وان نخرج بالتفصيل عن مهيع بحثنا اللاحب ولا سيما ان كل قسم من هذه الاقسام له ماض حافل نسبياً بالمؤلفات والآثار العلمية القيمة . كيف يجوز ان نمر هنا دون ان ننوه بالاساتذة الاوائل الكبار امثال شاكر الحنبلي وفارس الخوري وفائز الخوري وعثمان سلطان وسعيد محاسن وعبد القادر العظم وسامي الميداني وابي اليسر عابدين وغيرهم ممن راجت مؤلفاتهم وعرفوا بالاساتذة وازدهى بهم التأليف القانوني الحديث في سورية ؟ او لم نر كيف الف الاستاذ عارف النكدي الموجز في علم الاجتماع وكان استاذاً

هذه المادة الا ان هذه المادة اصبحت لا تدرس في كلية الحقوق . اذن لن نوفي هذا الجانب حقه من البيان لطوله واختلاف النظر الى الصلة بينه وبين علم الاجتماع ولكننا مع ذلك لا بد من ان نشير الى بعض الكتب الحديثة ومؤلفيها والى الصفة الغالبة في تطور التأليف فلقد زادت كميته واتجه نحو التجدد والاختصاص . ولقد تكون الجيل الاول في العهد العثماني فكانت مراجعه في اللغة التركية ثم اتى جيل آخر مراجعه على الاغلب بالفرنسية، والآن نجد ان الجيل الحاضر اصبح تألف من الدارسين في مختلف بلاد الغرب ذات الثقافة اللاتينية والانكلوسكسونية ، ويزيد بصفة خاصة عدد من يكمل تحصيله في الولايات المتحدة الامريكية ممن يهيأ للدخول في الهيئة التدريسية .

واليك جدولا بالكتب المفيدة في هذا الموضوع

- الحقوق الدولية العامة : الدكتور فؤاد شباط ، عميد كلية الحقوق، مطبعة جامعة دمشق ١٩٥٩ . يبحث هذا الكتاب في الدولة وعناصرها واشكالها وفي حقوقها وواجباتها ومدى مسؤولياتها وزوالها ثم يتناول الاتحادات الاقليمية والقارية والعالمية ، ويشرح الاملاك الدولية العامة ، وينتهي به المطاف الى بحث العلاقات الدولية ، ويضيف المؤلف الى نهاية كتابه عددا من الملاحق والوثائق الدولية .
- طبقات المجتمع الاسلامي : للدكتور منير العجلاني وقد وسعه وسماه « الاسلام واصول الحكم » .
- مفهوم الدولة : للدكتور مصطفى البارودي ، مطبعة جامعة دمشق ، ١٩٥١
- الوجيز في الحقوق الدولية الخاصة : للدكتور ماجد الحلواني ، مطبعة جامعة دمشق ، ١٩٦٢ .

- الوجيز في الحقوق الادارية : للدكتور عدنان العجلاني في ثلاثة مجلدات ، دمشق ، ١٩٦١ .

- الحقوق الدستورية : لمصطفى البارودي ، ١٩٥٧ .

- الفرد والدولة : للدكتور مصطفى البارودي ، دمشق ، ١٩٥٥ .

- الوجيز في الحقوق الادارية : للدكتور مصطفى البارودي ، دمشق ١٩٥١

- الوجيز في الحقوق المدنية : الدكتور عدنان القوتلي ، مطبعة جامعة دمشق ، ١٩٦١ في (حزيران)

- القانون المدني (الحقوق العينية) : للدكتور مأمون الكزبري ، مطبعة جامعة دمشق ، ١٩٦١ (في حزيران)

- مدخل الى دراسة الحقوق الجزائية العامة : للدكتور عبد الوهاب حومد ، ١٩٤٨

- الحقوق الجزائية العامة : للدكتور عبد الوهاب حومد ، ١٩٤٨

- اصول المحاكمات الجزائية : الدكتور عبد الوهاب حومد ، ١٩٥٧

- التشريع الجمركي : للدكتور رزق الله انطاكي ، ١٩٥١

لقد تعاون الدكتور رزق الله انطاكي والدكتور نهاد السباعي في اصدار موسوعة الحقوق التجارية وهي تشتمل على الاجزاء الآتية :

الجزء الاول : الشركات التجارية ـ شركات الاسهم ، ١٩٥٢

الجزء الثاني الشركات التجارية (شركات الاموال) ، ١٩٥٢،

الجزء الثالث : المصارف والاعمال المصرفية ، طبعة حديثة ، ١٩٦٣

الجزء الرابع : الاسناد التجارية ، ١٩٥٧

الجزء الخامس : الحقوق التجارية البحرية ، ١٩٦٢

الجزء السادس : اعمال التأمين ١٩٦٣ (طبعة حديثة)

الجزء السابع : الحقوق الجوية ، ١٩٦٣

ولهما ايضاً « الوسيط في الحقوق التجارية البرية » في جزأين ١٩٦٢-١٩٦٣ والوجيز في الحقوق التجارية ، ١٩٦٣

- موجز نظام الضرائب في سورية : للدكتور رشيد الدقر ، ١٩٤٩

- علم المالية العامة : للدكتور رشيد الدقر ، ١٩٥١

- موازنة الدولة : للدكتور رشيد الدقر ، ١٩٥٨

- تشريعات الضرائب : للدكتور رشيد الدقر ، ١٩٦٠

- التعاون : للدكتور رشيد الدقر ، ١٩٦٠

- تاريخ المذاهب الاقتصادية الكبرى : للدكتور فؤاد دهمان ، ١٩٥٩

- تشريع العمل : للدكتور فؤاد دهمان ، ١٩٦٠

- موجز الاقتصاد السياسي : للدكتور فؤاد دهمان ، ١٩٥٩

- الجرائم الواقعة على أمن الدولة : للدكتور محمد الفاضل ، الطبعة الاولى ١٩٥٨ والثانية ١٩٦٣ (نال هذا الكتاب جائزة الدولة التشجيعية في القانون

الجنائي من العلوم الاجتماعية عام ١٩٦٠ ، وينطوي على اوفى تحليل صدر عندنا باللغة العربية لمفهوم « امن الدولة » وأدق شرح لجميع انماط السلوك البشري الماس بشخصية الدولة ، ويتضمن مقدمة تاريخية في التطور التاريخي للجرائم الواقعة على امن الدولة ، وفي احكامها العامة ، وخصائصها المميزة ، وخمسة ابواب يبحث فيها احكام المؤامرة والاعتداء ويشرح جرائم الخيانة والتجسس والصلات غير المشروعة بالعدو والجرائم الماسة بالقانون الدولي وافعال النيل من هيبة الدولة ومن الشعور القومي ، ويتخلل ذلك كله دراسات مقارنة واسعة في التشريعات الاستثنائية توضح تاريخ البلاد التشريعي والقضائي والسياسي . وفي خاتمة الكتاب ثبت وافٍ المظان في اللغات الثلاث : العربية والافرنسية والانكليزية) .

- الجرائم الواقعة على الاشخاص : للدكتور محمد الفاضل ، الطبعة الاولى ١٩٥٩ ، والثانية ١٩٦٢ . (يتضمن هذا الكتاب تحليلاً مطولاً لاحكام « جرائم الدم » وشرحاً مفصلاً « للجرائم الواقعة على حياة الانسان وسلامته » ويعالج النصوص التشريعية التي تصون الذات الانسانية عبر العصور والاحقاب في الشرائع القديمة والحديثة . وفيه بحث طريف في النظريات القانونية للعلاقة السببية بين السلوك المجرم والنتيجة الجرمية الضارة ، وحلول للمشاكل الدقيقة الناشئة عن الركنين المادي والمعنوي للقتل والايذاء وما يلحق بهما . والكتاب فوق هذا يضع الجرائم الواقعة على حياة الانسان وسلامته في اطارها التاريخي والاجتماعي ويدرسها دراسة مقارنة مستوعبة . ويلحق بالكتاب ثبت طويل بالمصادر العربية والاجنبية وفهرس تحليلي) .
- محاضرات في الجرائم السياسية : للدكتور محمد الفاضل ، الطبعة الاولى في القاهرة ١٩٦٢ ، والثانية في جامعة دمشق ، ١٩٦٢ .

(في هذا الكتاب دراسة حقوقية انتقادية للمحاولات العلمية والجهود التشريعية والقضائية والفقهية للتعريف بـ « الجريمة السياسية » وتحديد محتواها ، ورسم الضوابط الآيلة الى تمييزها عن « الجريمة العادية » ثم ينتقل الكتاب الى بحث نشوئها وتطورها التاريخي عبر الاعصر وصلتهـا بالمجتمعات البشرية في شتى مراحلها ، ثم يستجلي الاحكام الاستثنائية الخاصة بها ، والقواعد القانونية التي تميزها عن سائر الفصائل الاخرى ، ويرسم بعد ذلك صورها ومظاهرها في الجرائم المقترفة ضد الدولة سواء مست شخصية الدولة في الخارج في علاقتها بغيرها من الدول الاخرى في المجتمع الدولي ، ام امست شخصيتها في الداخل في صلاتها بالافراد والجماعـات . وفي الكتاب دراسة علمية سائغة لانماط الاجرام السياسي في المجتمـع الدولي قديمه وحديثه ، وكيف آل الامر في نهاية المطاف الى ظهور طائفة جديدة من الجرائم السياسية تتخطى الحدود التقليدية المرسومة لها في الاطار القومي لتصيب ببلواهـا المجتمع العالمي من حيث هو وسلامة الانسانية جمعاء ، وهي الجرائم الدولية، وتتجلى صورها الغالبة في جرائم الحرب ، والجرائم الموجهة ضد السلام وضد امن الانسانية وسلامتها) .

- المبادىء العامة في قانون العقوبات للدكتور محمد الفاضل ، الطبعة الاولى ١٩٦٢، والثانية ١٩٦٣ (يشتمل هذا الكتاب على مجموعة القواعد والنظريات العامة التي تشيد الدولة عليها اسس التجريم والمعاقبة وتفصح فيها عن شرائط المسؤولية الجزائيـة في المجتمعات البشرية ، ويتناول الجريمة وتطور مفاهيمها ويعـدد اصنافها ويشرح اركانها ويحلل ظاهرتي الشروع والاشتراك فيها ويبحث في الاجزية من عقوبات وتـدابير احترازية وفي اسباب التبرير والاباحـة وموانع العقاب والاعذار المحـلة وظروف التشديد والتخفيف واسباب سقوط

الجرائم والعقوبات ، وبين خصائص القانون الجزائي ومكانته من سائر فروع علم الحقـوق ، ويحلل خصائصه وحدود تطبيقه من حيث الزمان والمكان والاشخاص ثم يفيض في بحث الجرم في الاطار القانوني الاجتماعي) .

- الوجيز في اصول المحاكمات الجزائية : للدكتور محمد الفاضل ، الطبعة الاولى ١٩٦١ والثانية ١٩٦٣ (ينطوي هذا الكتاب على دراسة قواعـد التشريع الاصولي وتحليله في حالتي السكون والحركة . فيعمد بادىء ذي بدء ، الى استنباط القواعد الاساسية التي تخضع لها الدعوى الجزائية ، وصلاتهـا بالدعوى المدنية ثم يبادر ثانياً ، الى وصف الاجهزة الادارية والقضائيـة التي تتعاور الدعوى الجزائية والفرقاء الذين يتدخلون فيها ويظهرون على مسرحها ، ثم يتفحص ثالثاً واخيراً كيف توضـع هذه القواعد الاساسية موضع التطبيق على الصعيد العلمي وكيف تسير هذه الاجهزة المختلفة ، وتؤدي اعمالها وما هو الدور الذي يقوم به كل طرف من اطراف الدعوى الجزائية منذ اكتشاف الجريمة والمباشرة بالتعقيب والملاحقة حتى صدور الحكم النهائي البات) .

وفي الكتاب بحث شائق حول علاقة النظام القضائي بوضـع الدولة الاجتماعي والاقتصادي والمرحلة الحضارية التي تجتازها وكيف تتأثر قواعد اصول المحاكمات بهذه الاوضاع جميعها .

وانما شرحنا موضوعات هذه الكتب لانها قريبة الصـلة بعلم الاجتماع اذ كان هذا العلم يتناول في جملة بحوثه المسؤولية والجزاء ، ويحللها تحليلاً اجتماعياً وكذلك اصلة هذه البحوث بعلم الجرائم الذي تقدم في هذا العصر . اما مؤلفات الاستاذين مصطفى الزرقا والدكتور معروف الدواليبي فقد تقدم الكلام عليها آنفـاً . وهما بالاضافة الى تعليمهما في كلية الحقوق يحاضران في كلية الشريعة .

كلية الشريعة

تأسست كلية الشريعة بناء على فقرة وردت في دستور عام ١٩٥١ ونصت على ان الفقه الاسلامي هو المصدر الرئيسي للتشريع ، وبناء على ذلك وبعد جهود شاقة قامت كلية الشريعة في عام ١٩٥٤ كما ذكرنا فرعا من فروع جامعة دمشق .

اما الدراسات الاجتماعية فكانت بالاضافة الى الفقه والتشريع ما يلي :

١ ـ نظام الاسلام ٢ ـ علم الاجتماع والاخلاق ٣ ـ المجتمع العربي

٤ ـ تاريخ الفرق والاديان ٥ ـ تاريخ المذاهب الاقتصادية والاقتصاد السياسي

اما النتاج العلمي الاجتماعي مما طبع باشراف الكلية وبتأليف اساتذتها والمدرسين فيها فهو كما يلي :

الاستاذ مصطفى السباعي ، سمي عميد الكلية اول الامر وهو استاذ فيها الآن كما سبق الف :

١ ـ شرح قانون الاحوال الشخصية (المعمول به في سورية) في ثلاثة اجزاء

٢ ـ السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي

٣ ـ المرأة بين الفقه والقانون

٤ ـ العدالة الاجتماعية في الاسلام

٥ ـ اشتراكية الاسلام (وقد نال هذا الكتاب ابان الوحدة جائزة الدولة التشجيعية)

وذلك كله زيادة على نشاط المؤلف الواسع في حركة الاخوان المسلمين التي ذكرناها آنفا وعلى نشراته المتعددة وخطبه الملهبة وكتبه التوجيهية ، وقد اصدر مجلة « حضارة الاسلام » وهي لا تزال تصدر حتى الآن .

الاستاذ محمد المبارك وهو عميد كلية الشريعة الآن وكتبه التي تتصل بالتفكير الاجتماعي هي :

١ - الامة العربية في معركة تحقيق الذات
٢ - نحو انسانية سعيدة
٣ - ذاتية الاسلام امام المذاهب والعقائد
٤ - الدولة عند ابن تيمية
٥ - محاضرة مطبوعة بعنوان « نحو وعي اسلامي جديد » .

والدكتور محمد اديب الصالح : حقق كتاب « تخريج الفروع على الاصول » للزنجاني (المتوفي سنة ٦٥٦ هـ)

والدكتور فوزي فيض الله : الف كتاب « المسؤولية التقصيرية بين الفقه الاسلامي والقانون » .

والدكتور يوسف العش : ترجم كتاب « الدولة العربية » للمستشرق الالماني ولهاوزن . ومن المعلوم ان هذا الكتاب ترجم ايضا وطبع في مصر .

والسيد عبد الرحمن الصابوني : كتب « مدى حرية الزوجين في الطلاق في الفقه الاسلامي » وهو رسالة دكتوراه في مصر .

والسيد وهبة الزحيلي : كتب « آثار الحرب في الفقه الاسلامي » وهو رسالة دكتوراه في مصر

والسيد محمود عجاج خطيب : ألف « السنة قبل التدوين » وهو رسالة الماجستير.

وثمة كتب لغوية ودينية اخرى اقل صلة بالبحوث الاجتماعية . وتشرف كلية الشريعة هذه على كتابة موسوعة الفقه الاسلامي وعلى فهرسة كتاب حاشيــة ابن عابدين المشهورة التي ذكرناها آنفا باسم « رد المحتار » (لما يطبــع) وعلى فهرسة كتاب المحلي لابن حزم (قيد الطبع) .

كلية التربية

ومثل كلية الشريعة في تحملها عبء التوجيه الروحي كلية التربية . ولقد كانت معهداً عالياً كما اسلفنا اسس سنة ١٩٤٦ يدرس فيه طائفة من طلاب كلية العلوم وكلية الآداب ومن المتخرجين فيها اصول التدريس ويقومون ببعض التطبيقات والدراسات المسلكية ، ثم انقلب الى كلية واصبح فيــه قسم خاص يهيء الطلاب للاجازة في التربية ، فهم يدرسون السنة الاولى (شهادة الثقافة العامة) في كلية الاداب ويعدون بعدها فيه شهادة علم النفس التربوي ، وشهادة علم الاجتماع ، وشهادة علم التربية ، على ان صدور اللائحة التنفيذية سنة ١٩٥٩ حذف ذلك وجعل الكليــة مركزا الدراسات التربوية التي تلي شهادة الاجازة (الليسانس) .

ويتمتع عميد الكلية الدكتور جميل صليبا بشهرة واسعة ، وله بالاضافة الى ما سبق ايراده عند الكلام على وزارة التربية والتعليم :

١ ـ كتاب من الخيال الى الحقيقة ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٤٧

٢ ـ الاتجاهات الفكرية في بلاد الشام واثرها في الادب الحديث (من منشورات معهد الدراسات العربية العالية) القاهرة ١٩٥٨

٣ - مستقبل التربية في الشرق العربي ، جامعة دمشق ١٩٦٢ (وهو من اوسع البحوث واهمها في هذا الميدان) .

٤ - ابن خلدون : مقال في دائرة المعارف البستانية ، المجلد ٣ ، بيروت . كما ان له مقالات وبحوثاً في مختلف ميادين الفلسفة .

وثمة فريق من الاساتذة شهروا ببحوثهم منهم من تقدمت اسماؤهم عند الكلام على وزارة التربية أو عند الكلام على الاحزاب ومنهم :

- الاستاذ فاخر عاقل : كتاب علم النفس (دراسة التكيف البشري) ، دمشق ١٩٥٥

- الدكتور عزة النص : ولقد جمع محاضراته التي القاها في معهد الدراسات العربية العالية بعنوان « احوال السكان في العالم العربي » سنة ١٩٥٥ وكانت دراسته لها جغرافية سكانية وقيمتها انها نبهت على اهمية هذه البحوث ، وكان قبلاً قدم رسالة الدكتوراه بحث فيها « سكان سورية » باريس سنة ١٩٥١ من الوجهتين الجغرافية والديموغرافية) وبحثه ألصق بالجغرافية البشرية منه بالاصول الديموغرافية .

- الاستاذ حافظ الجمالي : ولقد ترجم كتاب كلينبرغ في « علم النفس الاجتماعي » في مجلدين ظهر الجزء الاول منه سنة ١٩٦٢ والثاني قيد الطبع . وقد الف كتاب « علم الاجتماع » لطلاب الجامعة وطبعه عام ١٩٥٥ .

وقد كلفته لجنة الترجمة في بيروت وهي تابعة للاونيسكو بترجمة كتاب « تقسيم العمل الاجتماعي » لعالم الاجتماع الفرنسي الشهير دركهايم . كذلك

كلفته الدوائر المختصة في الاونيسكو بترجمة كتاب « اصالة الحضارات » عن الفرنسية وقد ظهر باقلام فئة من المختصين في البحوث الحضارية ، وكان المفروض أن يطبع في القاهرة .

- الدكتور عبدالله عبد الدايم : فالى جانب نشره كتبا متعددة في قضايا القومية التي ذكرناها آنفاً فله كتب « المدخل الى التربية التجريبية » مطبعة جامعة دمشق ١٩٥٤ ، ثم نقل عن الفرنسية « الجامع في التربية العامة » لروني اوبير ، ورسالته في الدكتوراه بباريس تبحث « التوجيه المدرسي » .

- الدكتور سامي الدروبي : من اغزر الاساتذة انتاجاً في نقل امهات الكتب الفلسفية وغيرها الى العربية . ومن اهم ما ترجم جملة من مؤلفات برغسون الفيلسوف الفرنسي المشهور ، والقد ترك الآن كلية التربية ليشتغل سفيراً في وزارة الخارجية .

- الدكتور نزهة الشاق : حاضر في مادة الاحصاء بكلية التربية وكلية الآداب واخرج كتابه « مبادىء الاحصاء الاجتماعي » ، دمشق ١٩٥٦

- الدكتور منير مشابك : اشتغل مدرسا في كلية التربية ، تخرج من الجامعة السورية وهيأ الدكتوراه في جامعة باريس وكان موضوعها عن « العلويين وعاداتهم » كتبها بسرعة ، فلما عاد ودخل في الهيئة التدريسية بكلية التربية اكب على التأليف فاخرج « المطول في علم السوسيولوجيا » ، مطبعة جامعة دمشق ١٩٥٩ في عدة اجزاء ظهر بعضها . فيها طرف من الدعوى وتسرع كبير في النقل .

والى جانب كلية التربية وبجوارها في جامعة دمشق تقوم :

كلية الآداب

تشمل من جملة اقسامها على قسم الجغرافية وقسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية اما الاقسام الاخرى كقسم اللغة العربية فان الاساتذة والمدرسين فيه قد يعالجون بعض القضايا الاجتماعية ، ومنهم الاستاذ سعيد الافغاني الذي كتب « الاسلام والمرأة » المطبعة الهاشمية ١٩٤٥ و« عائشة والسياسة » و«اسواق العرب » . لنتكلم على الاقسام الاجتماعية .

آ – قسم الجغرافية : يدخل في بحثنا هذا من جهة تدريسه الجغرافية البشرية ، ولقد ظهر في هذا القسم كتاب بعنوان « المدخل لدراسة الجغرافية البشرية » من تأليف الدكتور صلاح الدين عمر باشا والدكتور اديب دباغ ، وكذلك كتاب الوجيز في الجغرافيا الاقتصادية للدكتور صلاح الدين عمر باشا سنة ١٩٦٣ .

ب – قسم التاريخ : الكتب التي اصدرها اساتذته والمدرسون فيه هي :

١ – الدكتور جورج حداد : الف عدة كتب من اهمها « المدخل الى تاريخ الحضارة » بجزأين طبع جامعة دمشق ، الاول سنة ١٩٥١ والثاني سنة ١٩٥٤ ورسالته في الدكتوراه كان قد قدمها في الولايات المتحدة بالانكليزية وموضوعها « دراسات في الحياة الاجتماعية في العصر الهيليني الروماني » في سنة ١٩٤٩

٢ – الدكتور نور الدين حاطوم : الف « الرأي الفرنسي وحوادث سورية (١٨٦٠ – ١٨٦١) » هي رسالة دكتوراه في جامعة باريس سنة ١٩٤٥

وترجم « تاريخ القرن العشرين » عن الفرنسية للاستاذ رونوفن ، طبـع في جامعة دمشق للمرة الثالثة سنة ١٩٦٠

و « التاريخ الدبلوماسي » عن الفرنسية للاستاذ روزويل ، طبع بجامعة دمشق ١٩٦٠ ، وله كتب اخرى قيد الطبع .

٣ ـ الدكتور نبيه العاقل : كانت رسالته في الدكتوراه بجامعـة لندن ١٩٥٩ « دراسات في التاريخ الاجتماعي للدولة الاموية كما يكشف عنها كتاب الاغاني »

٤ ـ الدكتور عبد الكريم رافق : قدم رسالة الدكتوراه الى جامعـة لندن ١٩٦٣ بعنوان « ولاية دمشق من ١٧٢٣ الى ١٧٨٣ مـع اهتمام خاص بآثار العظم » وقـد اشترك الدكتور رافق مع الدكتور حداد في ترجمة كتاب الجزء الاول من تاريخ سورية للاستاذ فيليب حتي .

٥ ـ الدكتور احمد بدر : رسالته في الدكتوراه بجامعة مدريد سنة ١٩٦٣ عنوانهـا « بنو نصر في القرن السابع الهجري (فترة نشوء وتوطيد دولة غرناطة) » ولقد كتب كتاباً آخر عنوانه : « الناصر لدين الله السلطان يوسف ابو يعقوب المريني وعلاقاته مع اسبانيا » .

٦ ـ الدكتور صلاح مدني : قدم رسالة اساسية للدكتوراه لجامعة باريس تموز ١٩٥٢ عنوانها « الحملة المصرية على بلاد الشام والادارة في الحكم المصري (١٨٣٢ — ١٨٤٠) » ورسالة ثانوية للدكتوراه في تموز ١٩٥٢ عنوانها : « الادارة العثمانية في بلاد الشام كما رآها المراقبون الاجانب في مطلع القرن التاسع عشر . »

٧ – الدكتور احمد طربين له :

١ ـ الوحدة العربية (١٩١٦ـ١٩٤٥) وهو بحث يرصد التطورات السياسية في منطقة المشرق العربي وما اتسع الدول العربية من العمل الوحدة العربية ، التي تحققت اخيراً في شكل من اشكال الاتحاد وهو جامعة الدول العربية ، والكتاب يقع في حوالي ٥٠٠ صفحة ويعتبر مكملاً لكتاب يقظة العرب لمؤلفه جورج انطونيوس وقد نشره معهد الدراسات العربية العالية سنة ١٩٥٩ .

٢ ـ « محاضرات في تاريخ قضية فلسطين منذ نشوء الحركة الصهيونية حتى نشوب الثورة الكبرى سنة ١٩٣٦ » ويقع في ٢٢٠ صفحة تقريباً ويعالج القضية الفلسطينية بالاستناد الى الوثائق والكتب الرسمية والنشرات الشعبية التي تنشر لاول مرة .

٣ ـ مخطوط عن حريق دمشق في عهد السلطان المملوكي برقوق سنة ٧٩١ هجرية نشر في مجلة المجمع العلمي لمؤلفه ابن حجة الحموي .

٤ ـ قدم رسالة الدكتوراه الى جامعة عين شمس بالقاهرة سنة ١٩٦٠ وموضوعها « ازمة الحكم في جبل لبنان منذ ١٨٤٢ حتى عام ١٨٨٢ اي منذ سقوط الاسرة الشهابية حتى استقرار عهد المتصرفية » .

ﺟ ـ قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية : لعله اهم الاقسام في معالجة القضايا الاجتماعية والبحوث العلمية في هذا الشأن . واذا كان الدكتور عادل العوا قد اتجه الى معالجة البحوث الاخلاقية فألف « المذاهب الاخلاقية » في جزأين

و«القيمة الاخلاقية» و «الوجدان» وترجم كتاب «المدنية: سرابها ويقينها» من تأليف جورج باستيد و «الفكر والتاريخ» لبيير هنري سيمون، فان الدكتور بديع الكسم اختص بالدراسات الفلسفية واطروحته بالفرنسية «فكرة البرهان الميتافيزيائي» فيها عمق واطلاع واسع، جنيف ١٩٥٨

وكاتب هذه السطور هو الذي يشغل الآن كرسي علم الاجتماع في جامعة دمشق وهو الى تدريسه هذه المادة يشترك في تدريس طرائق العلوم كما يقوم بتدريس بعض المواد الاخرى في كلية الآداب وهذه البحوث لا تخلو من صلة بالموضوع الذي نعالجه • فطرائق العلوم تشتمل على طرائق علم الاجتماع ومناهجه كما تشتمل على النظر في اصول العلوم الدقيقة ولا سيما الفيزياء. ومن المعلوم ان بعض المذاهب الاجتماعية اراد اصحابها ان يقيموا بحوثهم على اسس تشبه اسس العلوم الدقيقة. ولذلك كان البحث في اصول العلوم سبيلاً الى تجلية مدى التشابه بين اصول العلوم الاجتماعية واصول العلوم الدقيقة ومدى التفاوت بينها ايضاً. الم يدع دركهايم ان الظواهر الاجتماعية ينبغي ان ينظر اليها على انها اشياء. ? او لم يناد هو واتباعه بحتمية الظواهر الطبيعية وكان العلم على حد تعبيرهم حتمياً بالبداهة؟ لذلك كان كل تغيير في اعتبارات اصول العلم الحديث ولا سيما في الفيزياء لا يعدم اثراً في تغيير وجهة النظر في البحث الاجتماعي. فالحتمية ظهرت احصائية في الفيزياء تبطنها لا حتمية خفيفة تمس الكهرب ودقائق المادة والنور. وكذلك الحتمية في الظواهر الانسانية احصائية احتمالية، فاصول العلوم عامة والكتابة فيها ذات شأن في البحوث الاجتماعية وفي بيان اصولها ولو على سبيل المقايسة والموازنة لان الاشياء تزداد معرفة بعضها بالقياس الى بعضها الآخر. ولهذا لا نستغرب ان ينصح بعض

اساتذة العلوم الاجتماعية للطلاب في جامعة دمشق ان يطالعوا كتب « الفيزياء الحديثة والفلسفة » ليتبينوا اساليب العلم الحديث ووجهات نظره في قواعد البحث .

على ان من اهم الكتب في علم الاجتماع بجامعة دمشق الكتابين الآتيين :

١ – « تمهيد في علم الاجتماع » يطبع الآن المرة الرابعة في جامعة دمشق، الطبعة الاولى سنة ١٩٥٢ ، واهميته ان يلخص في قسمه الاول تاريخ الدراسات الاجتماعية ويعرض في قسمه الثاني مختلف النظريات والمدارس الاجتماعية الحديثة ذاكراً مزاياها وخصائصها وما وجه اليها من انتقادات ويتناول المؤلف في كل طبعة تجديد الكتاب باضافة بعض البحوث المفيدة . ولما كان موضوعنا يقتضي تقويم الكتب الاجتماعية وكان هذا الكتاب جم التداول بين ايدي الطلاب اسمح لنفسي ان اورد التعليق الذي كتبه عليه في طبعته الثالثة لسنة ١٩٥٧ الدكتور مصطفى فهمي في مجلة « المجلة » العدد ٢٢ اكتوبر ١٩٥٨ وهو ما يأتي : « تصفحت هذا المؤلف القيم ، وهو في نظري اول مؤلف عربي في علم الاجتماع يوضح وجهة النظر العربية البحتة لسببين :

الاول : تحكم المؤلف في طريقة عرض الموضوعات وعدم تقيده وتقليده المؤلفات الغربيـة وتحرره من المؤلفين الاجانب في كتب علم الاجتماع مع التزامه طرائق البحث العلمـي الموضوعي دون سواها . والآخر : تقصيه اصول النظريات الاجتماعية عند العرب ، ففي الوقت الذي وقف فيه المؤلفون العرب والغربيون عند التنويه بفضل ابن خلدون ، انطلق الدكتور

اليافي الى ما قبل ذلك مستقصياً اصول التفكير الاجتماعي لدى العرب سواء فلاسفتهم كالفارابي ، او الرحالة الجغرافيون كاليعقوبي والمسعودي والبشاري والبيروني والشريف الادريسي وابن بطوطة وابن جبير . ومع ذلك فان المؤلف لم يبالغ حين عرض فضل هؤلاء العرب بل حدد بالدقة مدى هذا الفضل فقال عن الفارابي انه : «بحث في الحياة الاجتماعية ، واجتلى بعض نواحيها ، الا ان بحثه كان تصوراً في الغالب مستنداً الى افكار سابقة شأنه في ذلك شأن اكثر الفلاسفة» . . . وقال عن الرحالة الجغرافيين والمؤرخين : « ان الاوصاف والاخبار التي كان يسردها الرحالة الجغرافيون والمؤرخون كانت مفيدة في مجـال المباحث الاجتماعية برغم ما يشوبها احياناً من اغراب ومبالغة ، فقد كانت تعتمد على الوصف الواقعـي في الغالب ، وتستدعي المقايسة والموازنة ، وتمهد بذلك تمهيداً قوياً لنشوء علم يبحث الحياة الاجتماعية او العمران البشري ، وهو علم العمران كما يسميه ابن خلدون . »

« ولقد كان المؤلف الفاضل موفقاً عندما قال عن الدراسات الاجتماعية عند العرب يهمنا هنا الدراسات الاجتماعيـة في تلك الحضارة – اي الحضارة العربية – فاذا التمسناها وجدناها كاغلب الكنوز الفكرية العربية لم تتح لها من يوفونها حقهـا من الفحص والتدقيق والترتيب والتحليل . وحقاً لقد كان المؤلف اول من حـاول ايفاءها حقها من الفحص والتدقيق والترتيب والتحليل ، واروع مثل على ذلك تحليله لآراء ونظريات ابن خلدون ، فقد كان موفقاً في ذلك الى ابعد حدود التوفيق بفضل رجوعه الى المصدر الاصلي نفسه واعتماده الكلي على النصوص الواردة على لسان ابن خلدون ، ولم يغفـل تحليل تاريخ حياته ووصف حال العصر الذي عاش فيه ليعطي القارىء صورة سليمة للجو الذي عاش فيه ابن خلدون ، كما تتبع اراءه الاجتماعية

واستنتج بذور النظريات الاجتماعية الحديثة ، ووصل الى تعداد حوالي خمس نظريات اجتماعية ، وخرج من ذلك الى نتيجة يقرها معه الاجتماعيون وهي : ان ابن خلدون قد اسس علم الاجتماع واعياً لهذا التأسيس وحاول ان يتبين النسق الذي تجري عليه الحوادث التاريخية مثلما تتطلب فلسفة التاريخ ، كل ذلك بطريقة موضوعية .

ولم تكن دقة المؤلف الجليل في عرض الدراسات الاجتماعية في الفلسفة الحديثة باقل من دقته في عرضه لفضل العرب في الدراسات الاجتماعية ، فلقد استعرضها من مكيافيلي الى اوغست كونت موفقاً في العرض والتحليل ودقة الاستنتاج .

واذا كان المؤلف الفاضل قد تأثر في بحوثه بالمدرسة الفرنسية التي وضعت الاسس العلمية الموضوعية لعلم الاجتماع فانه لم يغفل الاشارة الى المدرسة الاميركية (ص ٣٧١ - ٣٧٨) ، والتنويه باهم اتجاهاتها ولا سيما دراسة الرأي العام (ص ٤٠٠) والسوسيومتريا (علم تنظيم الجماعات من الداخل اي بحسب فئاتهم) ، ولا شك ان ضيق المجال لم يسمح للمؤلف الفاضل بالاسهاب في عرض الاتجاهات الاخرى المتعددة للمدرسة الاجتماعية الاميركية .

ومن المزايا التي امتاز بها المؤلف القيم ان مؤلفه جعل صلة الاجتماع بالعلوم الاخرى في الخاتمة ، فطالما جعل المؤلفون هذا البحث في المقدمة ، وهي سنة سار عليها المؤلفون في جميع العلوم على السواء ، ولم اكن اخفي نقدي لهذه السنة العقيمة ، اذ ان صلة اي علم بغيره من العلوم تمثل ناحية فلسفية معقدة وليس من الحكمة مواجهة القارىء بها بادىء ذي بدء ، فالحكمة تقضي بتأخير هذه الناحية الى النهاية حتى ينضج فكر القارىء ويستوعب ماهية العلم واصوله وحقيقته اولا ثم يتمكن من هضم الناحية الفلسفية البحتة .

وكان بودي لو تخلى المؤلف الجليل عن تواضعه عند ذكره المراجع ، فقد شاء ان يكتفي بذكر المراجع الاضافية فقط ، اما المراجع الاساسية وهي الاغلبية فلم يثبتها في قائمة المراجع في نهاية الكتاب . صحيح انها وردت اثناء البحث ، ولكن جمعها في صعيد واحد يخدم القارئ اجل خدمة

واني اختم تعليقي كما بدأته بالتصريح بان هذا المؤلف القيم هو حجر الزاوية في التأليف العربي لعلم الاجتماع . وقد تم وضعه من وجهة النظر العربية الصميمة متحرراً من شوائب المؤلفات الغربية التي تجاهلت فضل الثقافة العربية على الدراسات الاجتماعية ، فجاء هذا المؤلف القيم جامعاً بين الحسنيين : الاشادة بما لمفكري العربية من فضل ، والتنويه بما قدمه الغرب في سبيل تقدم علم الاجتماع »

٢ ـ ولما كلفت تدريس علم الاجتماع بكلية الآداب نقبت عن دعائم علمية تستند الى الاحصاء والقياس الكمي في هذا الميدان فقادني البحث الى معالجة قضايا السكان وطبعت اول الامر كتاباً « في علم السكان » سنة ١٩٥١ ، لقي ثناء في بيانه وعرض موضوعاته من قبل الادباء والمفكرين ، ويسرني ان اشير هنا الى ما كتبه اديب الشام الكبير الاستاذ شفيق جبري في مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد ٢٦ سنة ١٩٥١ ، ص ٦٠٣ – ٦٠٥) طاوياً صفحاً من ايراده لمحض ثنائه .

ولم البث ان عرفت عيوب الكتاب في طبعته الاولى فوجدت من الضرورة ان الم فيه باصول الديمغرافية وبقواعدها العلمية فاعدت النظر ثانية وثالثة وانشأت الكتاب خلقاً جديداً سنة ١٩٥٩ وجعلته حقيقاً بالدراسة الجامعية واوردت في نهايته معجماً للمصطلحات العربية التي استعملتها فيه ، ولقد كتب عنه الدكتور مصطفى فهمي في مجلة « المجلة » ايضا العدد ٢٩ مايو ١٩٥٩ ، اسمح لنفسي ايضا ان اورد ما كتبه كي اعرض كتابي هذا بالعين التي يراه بها الباحثون :

« ان كل ما صدر بالعربية عن السكان كان دراسات تطبيقية لاحوال السكان في بلد او اكثر من البلاد العربية ، اما بحث شؤون السكان بحثا علميا نظريا يشمل قواعده ونظرياته فلم تظفر بمثله اللغة العربية ، الى ان صدر مؤلف في علم السكان للدكتور عبد الكريم اليافي استاذ الفلسفة والاجتماع بجامعة دمشق وعضو المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب والعلوم الاجتماعية ، فكان اول مؤلف بالعربية يعالج علم السكان كفرع من العلوم الاجتماعية .

ويمتاز علم السكان بانه احرص العلوم الاجتماعية على الصفة العلمية في البحث والمنهج لانه يدرس مجموعة الافراد في المجتمع وخصائصهم الحيوية والاجتماعية من الوجهة الكمية ، وعلى حد تعبير المؤلف : « ان دراسات علم السكان اشد المباحث الاجتماعية دخولا في مضمار العلم واكثرها التصاقا باوصافه » .

ولبيان اهمية هذا العلم ذكر المؤلف كيف ان كل انسان يتصور نفسه في كثير من الاحيان قطباً لحياة نفسية أو اجتماعية خاصة به أو بذويه معاً ، بيد انه من المفيد ومن الطريف ايضاً ان يشعر كيف انه مرتبط بهذه الكتلة الحية البشرية التي هي مجموعة ابناء وطنه ، والى مدى يقع هذا الارتباط اذا اعتبر نفسه عنصرا من هذه المجموعة التي لها وظائفها وقوانينها .

وعلم السكان يقابل في العلوم الحيوية علم التشريح وعلم وظائف الاعضاء وعلم الحياة ، فهو يشمل دراسة الافراد في المجتمع ودراسة وظائفه وتاريخ نموه وتطوره

وفي مقدمة الكتاب حدد المؤلف لنفسه غايتين رئيسيتين هما :

١ ـ دراسة قضايا السكان من عدد وكثافة واعمار وولادات وزواج ووفيات وهجرة وما شابه ذلك ولا سيما نواحيها الاجتماعية والاقتصادية .

٢ - الحرص على وجهة النظر العربية وتمهيد اصول هذا العلم في لغتنا وجعله عربياً في بيانه بل في صميم بنيانه .

فهل حقق المؤلف هاتين الغايتين ؟

اما الغاية الاولى فقد تحققت فعلاً بما حواه الكتاب من بحوث شملت العوامل المؤثرة في السكان دينياً وسياسياً واقتصادياً ونفسياً ومناهج معرفة السكان واحوالهم والاحصاء، وتطور الحياة الاجتماعية وسكان الريف والحضر وتركيب السكان من حيث الجنس والاعمار واثر العوامل الاقتصادية في المواليد ومشاكل الاسرة والزواج من حيث ضبط النسل وتحسينه والطلاق ووفيات الاطفال وعدد السكان الموافق والاجل المتوسط وتجديد الاجيال والهجرة وانواعها المختلفة وقد عرض المؤلف الفاضل هذه المسائل عرضاً علمياً دقيقاً مصحوباً بالنظريات الحديثة وآراء العلماء التي بسطها في وضوح وامانة : وشرحها شرحاً جمع بين التبسيط والتمكن العلمي ونم على غزارة المادة وسعة الاطلاع وصفاء الذهن وحسن الترتيب والتبويب .

اما الغاية الاخرى وهي الحرص على وجهة النظر العربية فقد تجلت في اكثر من مناسبة في ثنايا الكتاب ، ففي باب تطور الدراسات الديموغرافية لم يقتصر على ذكر جهود علماء الغرب امثال دوركايم وموسس وادولف كوست الفرنسيين ، واوجين ديربيل البلجيكي وكوارادوجيني الايطالي وملتس الانجليزي، بل اشار الى جهود العلماء العرب ص ٣٢ ـ ٣٨ وفي مقدمتهم ابن خلدون واعتبره الرائد الاول في مباحث علم السكان . هذا في حين ان المؤلفات الغربية طالما تنكر فضل العرب حين تذكر فلسفة اي علم من العلوم وتاريخه فتشير الى فضل اليونان والرومان والاوروبيين متخطية في تجاهل فضل العرب .

وفي باب الهجرة انتهزها المؤلف فرصة سانحة واشار في اسهاب الى الهجرة الصهيونية (١٦٩ - ٢٨٨) محللا لبواعثها السياسية والتاريخية وخطرها على القومية العربية ، كما بحث المؤلف احوال السكان في كل من الاقليم السوري والاقليم المصري باعتبارها اجزاء في دولة واحدة فكان اول تطبيق علمي عملي على الوحدة السورية المصرية ، وشاءت عروبة المؤلف الا ان تفرد باباً مستقلا عن احوال السكان في البلاد العربية وخصائصهم القومية . كما اورد في ختام مؤلفه القيم معجماً للمصطلحات الديموغرافية بالعربية والفرنسية والانجليزية شمل اكثر من مائة مصطلح علمي في صميم علم السكان ، كما اشار الى القواعد اللغوية التي اتبعها في تعريب المصطلحات العلمية .

ونظرة الى المراجع العلمية التي اعتمد عليها المؤلف تدل على مدى الجهد المضني الذي بذله ، فلم تقتصر المراجع على ما نشر عن علم السكان بالعربية والفرنسية والانكليزية بل شملت المجلات العلمية والدوريات الدولية وتقارير قسم مباحث السكان بالمجلس الاقتصادي والاجتماعي بالامم المتحدة »

ولقد تأملت الادب العربي مدة من الزمن ثم نشرت سنة ١٩٦٣ « دراسات فنية في الادب العربي » من اهم فصوله واوسعها « تطور المجتمع العربي من خلال تطور الفكاهة » ابرزت فيه اول الامر الجانب الاجتماعي للفكاهة ، اذ كانت تشف عن علاقة المرء بآخر او عن موقفه تجاه المجتمع وتبينت حقيقة تلك العلاقة هل تزيد في تقارب الافراد او تباعد بينهم . وبالاستناد الى ذلك درست تطور المجتمع العربي في القديم مستندا الى ما جاء من فكاهة في كتب الاداب القديمة والى اخبار المشهورين بالفكاهة في تاريخ الادب العربي ، ولما كانت الدراسة تتناول علاقات الافراد بعضهم ببعض فقد كانت تنتظم بطبيعة الحال في عداد علم الاجتماع الشكلي ، ولست اعرف احداً سبق الى هذا النوع من الدراسة الادبية الاجتماعية وان كان

كثير من الباحثين نوهوا بصفة الضحك الاجتماعية وفي طليعتهم الفيلسوف الفرنسي برغسون او كان آخرون توسعوا في ميدان الدراسات الشكلية للعلاقات الاجتماعية ولكنهم لم يعوا الفكاهة منها .

ولقد دعيت لالقاء محاضرات في معهد الدراسات العربية العالية التابع لجامعة الدول العربية تتناول قضايا السكان في البلاد العربية من الوجهة الديموغرافية ونشر المعهد تلك المحاضرات الثماني في كتاب « المجتمع العربي ومقاييس السكان » وكان القصد فيه المقايسة بين المعايير السكانية في البلاد العربية والاجنبية وقد يتضح كثير من امورنا بموازنتها مع الامور الجارية لدى الامم الاخرى ومن المعلوم ان نظريات السكان يختلف علماء الغرب وعلماء الشرق في مواقفهم تلقاءها ولا سيما ازاء النظرية المتوسية فعالجها هذا الكتاب الصغير من وجهة النظر العربية الصرف وهو ينتهي بالمقالة التي نشرتها في مجلة « المعرفة » السورية بعنوان : « هل ضاقت الارض بسكانها ؟ » لانها اوضحت موقفنا في هذا الشأن وهي مضافة الى المحاضرات الثماني وتؤلف خاتمة الكتاب .

واشترك مؤلف هذه السطور في عدة مؤتمرات وقدم بحوثاً فيها او تقارير عنها فمن جملة البحوث التي يراها مفيدة ما كتبه « حول وفيات الرّضع وبعض العلاقات الرياضية بينها وبين الاجل المتوسط » وقدمه الى المؤتمر السادس عشر للمعهد العالمي لعلم الاجتماع المنعقد في مدينة (Beoune) بفرنسا سنة ١٩٥٤ . وذكرت في مستهله رأي العالم الاجتماعي المشهور سوروكين وهو : « ان الولادات القليلة التي ترافقها قلة في الوفيات معناها زوال عامل الاصطفاء الطبيعي او اضعافه اي معناها بتعبير آخر تعمير الضعفاء الذين كانوا يهلكون في حالة كثرة الوفيات المرافقة لكثرة

الولادات » (١) ويؤيد سوركين وجهة نظره بحجتين : الاولى ان نسب الوفيات في فئات الاعمار التي تتجاوز الثانية والثلاثين سنة اضعف في البلاد التي ترتفع فيها وفيات الرضع منها في البلاد المتقدمـة التي تكون وفيات الرضع فيها منخفضة . وهذا عنده لا يمكن تفسيره باعتماد عامـل الاصطفاء .

والثانية ان الفحص الطبي للشبان المسوقين الى الجندية في المانيـا وانكلترا وفرنسا يكشف عن نسبة بينهم من اولي الامراض التي تعفيهم من الجندية اكبر منها في روسيا .

ولقد ناقشت هذا الرأي من مختلف الجوانب لانتهي الى خلاف ما تصوره هـذا العالم الاجتماعي وقطع به . وافضل ان ارجع القارىء الى اعمال المؤتمر والى خلاصة هذه المناقشة كما اوردتها « في علم السكان » طبعته الثالثة . اما الحجتان اللتان يقدمها سوركين فواهيتان لان يوازن بين المانيا وفرنسا وانكلترا في الارقام الاحصائية من جهة وبين بلاد البلقان وهنغاريا من جهة ثانية . وتلك الارقام ليست سواء في الدقة والضبط لانهـا في بلاد البلقان وهنغاريا وروسيا قبـل النظام الاشتراكي لم تكن مضبوطـة . ولو قابل في نسب الوفيات بين السويد مثلاً وفرنسا وهما دولتان متقاربتان في دقـة الاحصاءات الديموغرافية لوجد ان نسب الوفيات في السويد اقل منها في فرنسا وذلك في جميع الاعمار . ولا تختلف النتيجـة بالنسبة لالمانيا وانكلترا بدلاً من فرنسا في هذا الشأن .

ثم ان جداول الامراض التي تحول الاعفاء من خدمة العلم تتفاوت بتفاوت البلدان ، وكان يلزم الانتباه لذلك عند الموازنة . . . الى غير ذلك من الملاحظات .

---

١) النظريات المعاصرة في علم الاجتماع . اصل انكليزي ص ٣١٦

واشترك كاتب هذه السطور في مؤتمر الخبراء لتعليم العلوم الاجتماعية المنعقد بدمشق من ٢٣ ـ ٣٠ آب ١٩٥٤ وكلفته اليونسكو تقديم بحث فيه عن تدريس العلوم الاجتماعية في سورية كما كلفت زميله الدكتور عدنان القوتلي تقديم بحث مماثل عن تدريس العلوم الحقوقية والاقتصادية في سورية ايضا .

واشترك المؤلف ايضاً في مؤتمر دراسة الرأي العام والاسواق المنعقد في كونستانس بجنوب المانيا الغربية في نهاية صيف ١٩٥٥ وقدم تقريراً مفصلاً عنه نشر في « مجلة كلية التربية » بدمشق سنة ١٩٥٥ .

واشترك ايضا في مؤتمر زغرب بيوغوسلافيا من ١١ ـ ١٩ نيسان ١٩٥٦ تناولت بحوث المؤتمر « مكانة الطبقة المتوسطة في بلاد البحر الابيض المتوسط ذات التقدم الاجتماعي والاقتصادي السريع » ويراد بهذا الوصف ما كان من البلاد متخلفا بعض التخلف وبدأ يستيقظ للحياة الحديثة ويتقدم في مضمارها تقدماً حثيثاً . وكانت جمعية علم الاجتماع العالمية هي التي نظمت المؤتمر وقد حضره مندوب عن الولايات المتحدة هو استاذ الاقتصاد في جامعة هارفرد ومندوب عن الاتحاد السوفيتي وهو عضو في اكاديمية العلوم بموسكو وكان للهيئات العالمية مندوبون فيه ايضا وقد قدم كاتب هذه السطور بحثا عن « مكانة الطبقة المتوسطة في التقدم الاقتصادي والاجتماعي في سورية » .

واشترك في اعمال الدورة السادسة لحلقة الدراسات الاجتماعية للدول العربية المنعقدة في ليبيا بين ١٨ و٢٥ تموز ١٩٥٩ . وكان موضوع الحلقة البيت العربي بتفريعاته التالية :

١ ـ اسس البيت العربي ومقوماته

٢ – الخدمات الخاصة بالبيت العربي .

٣ – التشريعات الخاصة بالبيت العربي .

٤ – المشكلات التي تواجه البيت العربي .

٥ – برنامج النهوض بالبيت العربي .

وقد قدم بحثاً عن البيت العربي ووفيات الاطفال كانت هذه اول دورة لحلقة الدراسات الاجتماعية العربية تعقد مستقلة عن اشراف هيئة الامم المتحدة (المجلس الاقتصادي والاجتماعي) .

وكذلك نظمت اليونسكو مائدة مستديرة في القاهرة من ١٨ – ٢٦ تشرين الثاني ١٩٥٩ للبلاد العربية من اجل بحث التغير الاجتماعي وتقدم الصناعة ، وقد قدمنا بتكليف اليونسكو بحثاً تناول هذا الموضوع مقصوراً على الاقليم السوري كما كانت تدعى سورية اذ ذاك .

وثمة وجوه نشاط علمية اجتماعية اخرى يطول تعقبها . واذا اسهبت شيئاً في ذكر ما تقدم فليس ذلك من قبيل حساب المرء نفسه حين يوكل اليه بعض المهمات بعد اداء نصيب منها وهو في غمار اداء نصيب آخر .

وجملة القول ان جامعة دمشق في تاريخ النهضة العلمية الحديثة تبدو كالمنارة الشماء . لقد كانت الثكنة الحميدية مقراً للجنود الاتراك ثم مقراً للجنود الفرنسيين يثير غبار ساحاتها وقع احذيتهم العسكرية وحوافر خيولهم ثم اصبحت واحة خضراء حين صارت مقراً للجامعة سنة ١٩٤٦ عقب الاستقلال فوراً . او ليست اقامة جامعة دمشق في هذه الثكنة عنوان فخار دائم للمجتمع السوري الذي اراد ان يستبدل بالظلمة

النور وبالاستعمار الحرية وبالحروب السلام وبالجهالة العلم والعرفان وبالجند الواغلين الاجانب مهجه الكريمة واكباده العزيزة وابنائه وبناته الناشئين ؟

ومن الهيئات التي نشأت في غرة الوحدة وكان لها ولا يزال نشاط علمي اجتماعي بارز المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية .

المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية

يأتي هذا المجلس في طليعة الهيئات التنظيمية الحديثة على صعيد الفكر الصرف ، وكما يدل عليه اسمه تشمل رعايته للعلوم الاجتماعية في الدولة . ولنتبين بايجاز لمحة عن تاريخه ومدى نشاطه في هذا المضمار .

في سنة ١٩٥٦ صدر قانون رقم ٤ في جمهورية مصر بانشاء مجلس اعلى لرعاية الفنون والاداب فقط .

وفي سنة ١٩٥٨ عقب وحدة مصر وسورية صدر قرار جمهوري رقم ١١٢٥ ، يجعل احكام القانون رقم ٤ تسري على الاقليم السوري زيادة على الاقليم المصري. وفي الوقت نفسه يعهد هذا القرار في رعاية العلوم الاجتماعية الى هذا المجلس الذي يصبح اسمه المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب والعلوم الاجتماعية . ولقد كان انتداء المسؤولين لرعاية هذه العلوم الاجتماعية امرا ضروريا لمكانة هذه العلوم المتعاظمة الشأن في الوقت الحاضر .

ان المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب والعلوم الاجتماعية هيئة مستقلة تابعة لرئاسة الجمهورية في الاصل وظيفته متابعة جهود الهيئات الحكومية وغير الحكومية العاملة

في ميادين الفنون والاداب والعلوم الاجتماعية ، وربط هذه الجهود بعضهـا ببعض وتشجيع العاملين في هذه الميادين والعمل على رفع مستوى الانتاج الفكري فيها .

ولكننا نقتصر هنا على نشاطه الذي يمس العلوم الاجتماعية .

فهو يتقصى حاجات البلاد في عهد نهضتها الحاضرة في نواحي الانتاج الاجتماعي ويتابع حالة الانتاج في البلاد ويعرضها بصفة دورية .

ثم انه يجمع البيانات عن جهود الهيئات الحكومية وغير الحكوميـة في نواحي العلوم الاجتماعية ، وفيما يتصل بدراستها وممارستها .

وهو يدرس السياسة العامة للدولة في تقويم تلك الجهود وتشجيعها والارتفاع بمستوى الكفاية الانتاجية فيها وما يتعلق بهذه السياسة من تشريعات او قرارات او ميزانيات ويضع ما يلائم تحقيق هذه السياسة من الخطط والمشروعات

وهو كذلك يعمل على تحديد مقاييس الجودة ومعاييرهـا في مختلف نواحي الانتاج الفكري الاجتماعي وعلى توحيد الاسس التي تقوم عليها المسابقات والاعانات والجوائز كما يتولى منح هذه الجوائز والاعانات او يشير بالرأي على الهيئات الحكومية التي تتولى منحها .

واذا كان المجلس ذا ثلاث شعب : شعبة الاداب وشعبة الفنون وشعبة العلوم الاجتماعية ، فان شعبة العلوم الاجتماعية اوسع الشعب واكبرها ، اذ كانت تضم ست لجان وهي : الفلسفة وعلم الاجتماع ، والقانون ، والعلوم السياسية ، والجغرافية والتاريخ والاثار ، والتربية وعلم النفس ، والاقتصاد .

ولما انفصمت الوحدة بين الاقليمين كادت الاهواء السياسية تعصف بهذا المجلس فتأتي عليه ، ولكنه مع ذلك بقي صامداً ولا يزال يتابع نشاطه .

ولا شك ان العمل العلمي البعيد الامد يحتاج الى ان يكون بأمن من الاضطرابات السياسية العاصفة .

ولقد كان نشاط المجلس واسعاً في مختلف جوانبه بالاقليمين ولا سيما من الوجهة التخطيطية . ويطول بنا الامر اذا اردنا ان نتعقب جميع جوانب نشاطه ولا سيما ما كان منها تخطيطياً . ولكن لا بد من ان نشير الى بعض منجزاته مما يتعلق بالجانب الاجتماعي .

فلقد اقيم مهرجان للغزالي بمناسبة الذكرى المئوية التاسعة لميلاده من ٢٧ الى ٣١ آذار (مارس) ١٩٦١ (متأخر سنتين عن موعد تلك الذكرى) ، القيت فيه جملة بحوث .

بعض هذه البحوث تناول جوانب التفكير الاجتماعي كالبحث الذي قدمه كاتب هذه السطور وموضوعه « المال وقضية تحديده من الغزالي » ابان فيه موقف الغزالي من ذلك وقايسه بآراء الفقهاء المسلمين غيره ، وبالآراء الحديثة المتضاربة من غربية رأسمالية وماركسية وكذلك بموقف الكنيسة الكاثوليكية والمذهب البروتستنتي . وهذه المقايسة زادت في ايضاح الموضوع وابرزت بعض الشيء اتصال تلك الآراء بامر الحياة الاجتماعية القائمة في البلاد التي ظهرت فيها مما يكشف عن اهمية بحوث « اجتماعية المعرفة » . والقيت في المهرجان نفسه بعض البحوث الاثرية كالذي قدمه الاستاذ خالد معاذ تناول فيه حالة دمشق حين كان الغزالي فيها . وبعض البحوث النفسية كالبحث الذي قدمه عبد الكريم عثمان عن « وظائف النفس عند الغزالي »

وهذا كله الى جانب البحوث الكثيرة الفلسفية والفقهية والاقتصادية التي قدمها المشتركون في المهرجان من ابناء البلاد العربية ومن غيرها ، لان المهرجان كان له صفة عالمية . وكان المشتركون بدعوة من المجلس وبضيافته . وقد طبع المجلس بحوثه في كتاب ، واشرفت على المهرجان وتنظيمه لجنة الفلسفة والاجتماع .

وتلاه مهرجان آخر دعي « مهرجان الفقه الاسلامي وذكرى ابن تيمية » اشرفت على تنظيمه لجنة القانون بالمجلس وقد ذكرنا آنفاً بحث « عقد التأمين » الذي القاه فيه الاستاذ مصطفى الزرقا .

واقام المجلس مهرجاناً احيا فيه ذكرى عبد الحميد الزهراوي ورفيق سلوم والدكتورة عزة الجندي في مدينة حمص اذ كان هؤلاء الثلاثة من ابناء المدينة المخلصين . وهم جميعاً من الكتاب الاجتماعيين والمناضلين ثم ذهبوا شهداء مقاومتهم للحكم التركي . وقد اشرفت على المهرجان لجنة النثر . وهذا معناه ان بعض اللجـان من الشعب الاخرى في المجلس كانت تقوم احياناً بنشاط علمي اجتماعي . والمجلس الآن بدمشق يجمع آثار عبد الحميد الزهراوي ويطبعها في كتاب .

ولقد ألف المجلس لجنة فرعية موقتة من الدكتور عبد المنعم الشافعي الاحصائي المعروف ومن كاتب هذه السطور الذي كان مقرر لجنة الفلسفة والاجتماع في الاقليمين وبناء على اقتراح هذه اللجنة الاخيرة وذلك لوضع نص باللغة العربية للمعجم الديموغرافي المتعدد اللغـات الذي ظهر باشراف قسم السكان بالمجلس الاقتصادي والاجتماعي التابع لمنظمة الامم المتحدة . وحصل الانفصال بين الاقليمين قبل ان ينتهي وضع النص العربي ولكن العمل استمر مع ذلك . ودعا المجلس الاعلى بالقاهرة . كاتب هذه السطور في ٢ آذار ١٩٦٣ فانهى هو ورفيقه وضع النص والمعجم الآن قيـد

الطبع . ولا شك ان ظهوره باللغة العربية يساعد على توحيد المصطلحات بين البلاد العربية في علم السكان وعلى ايضاح غامضها لان كل مصطلح يوجد بجانبه تفسيره وتعريفه كما انه زاد في ثروة المصطلحات العربية اذ وضع طائفة جديدة منها تحتاج اليها البحوث الحديثة وكل ذلك مما سوف يشق الطريق امام الباحثين في هذا المضمار باللغة العربية وتهيئة بحوث جديدة مهمة .

وقد خططت لجنة من اللجان وما زالت تضع الخطط وتقدم المقترحات في مختلف المجالات التي تدخل في رعايتها . ويكفي ان يرجع الباحث الى اضبارات اللجان حتى يطلع على سعة ذلك . وقد وضعت لجنة الفلسفة والاجتماع خططا لوضع معجم اجتماعي وخططا لدراسة بعض المناطق وفي طليعتها منطقة الجزيرة دراسة واسعة .

ولما حصل الانفصال ولزم تمويل سد الفرات طلبت حكومة المانيا الاتحادية من حكومة سورية لزوم دراسة منطقة الجزيرة دراسة اجتماعية وتعاقدت الحكومة السورية بطريقة شركة « نديكو » مع المعهد الاجتماعي للبلاد الحارة وشبه الحارة في مدينة واجيننجن « بالاراضي المنخفضة » وقد اجرى هذا المعهد الدراسة واخذ محتوياتها الى الاراضي المنخفضة . وهو الآن يعد تقريره النهائي . الا ان اهمية المسح الاجتماعي هي في صفته الدورية لتبيين التطور الحاصل . ولا شك ان السلطة التي تعاقدت مع المعهد الانف ليست اختصاصية ولا لها اطلاع ، ولم تسمع في المدة السالفة بما خططه المجلس الاعلى وعزمه على القيام بتلك الدراسة ، والا لكانت جعلت الدراسة تجري باشراف المجلس ولكان هذا الاشراف اشد ضبطا للنتائج وانتحليلها تحليلا صحيحاً ، اذ كانت العادات تختلف والاجوبة بالعربية اكثر فهما لها ابناء البلاد وهذا دليل على وجوب التعاون الوثيق بين المسؤولين السياسيين والعلماء في جميع العهود ، لا في عهد واحد فقط .

وقد عقد المجلس حلقة للقانون والعلوم السياسية بالقاهرة في الفترة من ٢٣ – ٢٧ تشرين الاول ١٩٦٠ اشرفت عليها لجنة القانون والعلوم السياسية .

وعقد المجلس زيادة على ذلك في القاهرة « حلقة الدراسات الاقتصادية العربية » في القاهرة من ٢٥ – ٢٩ كانون الثاني(يناير)١٩٦١ اشرفت عليها لجنة الاقتصاد فعمدت الى الاغراض الآتية :

١ – توثيق الصلات بين المعنيين بالدراسات الاقتصادية في البلاد العربية ، بغية رفع مستوى المعرفة الاقتصادية وتبادل المعلومات والبحوث والاخصائيين .

٢ – نشر الوعي الاقتصادي في مختلف الاوساط العربية .

٣ – دراسة اقتصاديات البلاد العربية في مختلف نواحيها دراسة علمية .

٤ – بحث المشكلات الاقتصادية للبلاد العربية والتماس حلولها .

وكذلك نظم المجلس حلقة كان موضوعها « اسس التربية والتعليم في العالم العربي » بالقاهرة في صيف ١٩٦١ اشرفت على تنظيمها لجنة علم النفس والتربية .

ولما انفصمت عرى الوحدة انقطع التعاون بين الاقليمين في الشؤون الثقافية عامة الا ما كان من استكمال المعجم الديمغرافي الذي تابعه بدأب مؤلف هذه السطور .

تعقيب

مما سلف ومما نحن محققون له نستخرج الامور الآتية :

١ – على الرغم من تقدم جامعة دمشق واتساعها فان فيها ثغرات واضحة في تعليم العلوم الاجتماعية :

أ — اختلاط تعليم هذه العلوم بالفلسفة في كلية الاداب . نحن لا ننكر اهمية تدريس الفلسفة وفائدتها للمختصين في العلوم الاجتماعية ، وهو ما نحن حريصون عليه ولكن مجرد تأمل قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية وتوزيع البرامج التدريسية فيه كاف لاظهار النقص فالطلاب فيه يدرسون في السنة الاولى علم الاجتماع العام والاخلاق ومبادىء الفلسفة ، وفي السنة الثانية علم النفس العام وعلم الجمال وفي السنة الثالثة الفلسفة العامة والمنطق وفي الرابعة تاريخ الفلسفة . وبهذا الشكل تغلب على القسم الصفة الفلسفية الى حد ان الطلاب المتخرجين فيه لا يملكون الثقافة الاجتماعية الكافية للاستفادة منهم في المجال الاجتماعي ولا في البحث الاجتماعي .

هـذا وان تدريس الفلسفة كما ذكرنا قد قـل في المدارس الثانوية ودور المعلمين وزادت الدراسات الاجتماعية فيها فكان الاحرى تلقاء ذلك ان تعمد الجامعة الى تعديل برامج هذا القسم ، ولاسيما ان طلبات بعض الوزارات كوزارة الشؤون الاجتماعية والعمل ووزارة الثقافة والارشاد اشتدت على المختصين في العلوم الاجتماعية

وقد وصى مؤتمر تعليم العلوم الاجتماعية الذي نظمته اليونسكو للشرق الاوسط وانعقـد في دمشق صيف ١٩٥٤ ومر ذكره بانشاء قسم للدراسات الاجتماعيـة الاقتصادية او للدراسات الاجتماعية النفسية . ثم وصى المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بذلك ايضاً ابان الوحدة ثم قدم اكثر من الفـومائتي طالب عريضة طويلة عقب الانفصال الى رئاسة الجمهورية تطالب بانشاء قسم للعلوم الاجتماعية اذ كان هـؤلاء الطلاب يريدون ان يختصوا في العلوم الاجتماعية المشتدة الاهمية والمكانة في الوقت الحاضر ووافقت كلية الآداب على الطلب ولكن لم يبت في ذلك حتى الآن . وربما كان الارجاء متعلقاً بقلة الاستقرار السياسي وبقلة الاختصاصيين المهيأين للتدريس .

ب - ثم ان الجامعة غبرت منذ مدة طويلة وهي تقتصر على مهمة التدريس ، وعلى تخريج الموظفين والمارسين لبعض الحرف كالطب والمحاماة . ولم تتوجه نحو اهم غاية للجامعات وابرزها وهي مهمة البحث والتنقيب والابداع الفكري الاصيل. فلا توجد في الجامعة مراكز بحث ولا ثمة حافز وتشجيع لاعضاء الهيئة التدريسية على البحث لا والسبل ولا الشروط الملائمة لذلك ، ولقد زاد عدد الطلاب زيادة كبيرة ولم يزد اعضاء الهيئة التدريسية الا قليلاً جداً .

وقد حاولنا مرات ان ندعم فكرة انشاء مركز للبحوث الاجتماعية تتبناه الجامعة سواء اعتمد الانشاء على المعونة الفنية من المجلس الاقتصادي والاجتماعي في منظمة الامم او من اليونسكو ام على تمويل الحكومة . ولكن سلطة الاساتذة علمية ولا تمس الانجاز والتحقيق .

ج - ويسرنا ان ننوه ان بعض الكليات الحديثة ككلية الصيدلة (وكانت قبلا قسما تابعا لكلية الطب) قد ادخلت تدريس علم الاجتماع وعلم النفس عندها ساعات قليلة تزود طلابها بنصيب من هذين العلمين مما لا غنى للمواطن عن الاطلاع عليه . ولكن كليات اخرى اشد حاجة لفسح صدرها لمثل هذا التعليم لا تزال مغلقة دونه على الرغم ان هذا النوع من التدريس كان حاصلاً فيها سابقاً . وقد اشرنا آنفاً الى كتاب عارف النكدي في علم الاجتماع وكان قد الفه لمدرسة الحقوق كما كانت تسمى من قبل .

د - ونستطيع ايضاً ان ننده بعدم تمكن كلية الآداب من فتح ابواب الماجستير والدكتوراه للطلاب حتى الآن مع ان انشاء هذه الدراسات قد تقرر منذ الوحدة. ولو انشئت تلك الشهادات لهيأ الطلاب بحوثاً مفيدة في هذا المجال تلافت بعض الشيء عدم وجود مركز للبحوث الاجتماعية .

٢ – ان المتتبع لنوعية التأليف الاجتماعي على العموم يلاحظ ان القديم المتصل بالحضارة العربية انما هو الاغلب تكرير لمكتسبات الماضي ، واعادته تتفاوت في الجودة وفي مقدار الاجتهاد والابتكار ، وان الجديد المنسوج على غرار الغرب نقل وتلخيص وعرض يختلف في مدى التفهم العميق والتمثل الدقيق ومقدار التأمل الشخصي والتعليق الذاتي من قبل المؤلف كما يختلف في مدى ادراك المؤلف للاصول البعيدة التي قامت عليها التيارات الفكرية الاجتماعية الغربية . واذا وازنا بين هذه التآليف في مختلف الاطوار الاخيرة نجد ان الكتب الاولى يحدها رغبة شديدة وحافز قوي في الكتابة والنشر واشاعة العلم ، وتحرّ للاساليب العربية الصحيحة الواضحة بلا لبس ، وان الكتب المتأخرة زادت كمياتها وتعددت ألوانها ولكن قلت الاصالة فيها . ويقصد قسم من مؤلفيها الى مجرد الربح ولا يبالون صحة اللغة وشفوف المعنى واتساق الاجزاء وائتلافها . وقد اتيح لنا ان نطالع كتباً مترجمة فلم نستطع ان نكمل مطالعتها لركة اساليبها واخطاء لغتها واستغلاق المعاني الاصلية على مترجميها او واضعيها . والتملك من نواحي اللغات والعلوم امر اساسي في الترجمة . ثم ينضاف الى ذلك اضطراب المصطلحات الجديدة بين المؤلفين والمترجمين حتى في البلد العربي الواحد . وهذا يقتضي التعاون بين المؤلفين والمترجمين حتى في البلد العربي الواحد . وهذا يقتضي التعاون بين البلدان العربية لوضع المعاجم في هذا الميدان على ان يكون المشرفون على الوضع ممن فقهوا اللغة العربية والاجنبية لا أن ينصرفوا الى وضع الالفاظ باللهجات المحلية .

٣ – ان كل اتصال بين العلماء في البلاد العربية من شأنه ان يساعد على ازدهار البحوث والدراسات الاجتماعية والتآليف فيها .

لقد رأينا فيما سبق كيف هاجر السوريون واللبنانيون الى مصر وأسهموا حقاً في

رفع معالم الصداقة والتآلف الاجتماعي ونقلوا الشيء الكثير من ثقافة الغرب بالتعاون مع زملائهم من اعلام النهضة المصرية .

وبصرف النظر عن النواحي السياسية التي نحن بعيدون عنها نرى ان الوحدة بين سورية ومصر كان لها اثر طيب بين الاساتذة والعلماء . ولقد جرى التعاون وثيقاً في المهرجانات التي اقيمت وكذلك في التخطيط الاجتماعي الذي صنعه المجلس الاعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، ولئن استفادت سورية من بعض التنظيمات فان السوريين كانوا المتقدمين بكثير من المقترحات . وقد بذلوا جهودا كبيرة لم تقصد الى الظهور والدعوى في هذا المجال .

بيد اننا في المضمار العلمي العربي نطمح ، الى ابعد من ذلك . يشعر كل منا حين يشترك في المؤتمرات الاجتماعية العالمية ان هنالك جبهات علمية ومدارس فكرية في الميادين الاجتماعية . وما احرانا ان يتعاون المختصون منا في المجال العلمي الاجتماعي لدراسة اوضاعنا وأحوالنا في الشرق الاوسط وفيها بعض التشابه من جهة كما انها لتطورها السريع تستلزم الدراسة والتسجيل قبل تغير صفاتها وتبدل ملامحها . وفي هذا التعاون اشاعة لاساليب البحث العلمية الصحيحة واغناء للبحوث الانسانيـة في هذا العصر .

هذا وان اكثر البلاد العربية مشتركة في المنظمات الدولية ، وتغدق هذه المنظمات اموالا طائلة علـى الهيئات العلمية التي تعد المؤتمرات وتشرف عليهـا بعد ان تشتهر وتثبت خطاها على صعيـد البحث العلمي . ويكفي ان نجري بالتعاون شوطا في هذا الميدان حتى تتبوأ البلاد العربية مكانتها العلمية التي هي خليقـة بها والتي تدعو اليها الظروف الحاضرة المتقابلة بين الشرق والغرب ، فتمين البلاد التي هي شبيهة بها في مرحلة التقدم الحضاري .

٤ – ان الباحثين الاجتماعيين في العهد الحالي يجرون متأخرين وراء الساسة او هم في معزل عنهم لا في سورية وحدها بل في اكثر البلاد العربية ، مع انهم جديرون لاهمية بحوثهم وتفكيرهم ان يكونوا منائر للسائرين ينيرون شعاب السير في طريق المستقبل . وربما كنا متأخرين عن اسلافنا الكتاب الاجتماعيين الذين يمكن حقاً وصفهم بالملتزمين .

ثم اننا لاحظنا ان اكثر الحركات السياسية والانقلابات والحروب في بلاد العالم من مغباتها على الاغلب زيادة سيطرة الدولة على الافراد والاشراف عليهم . وهذا بطبيعة الامر من شأنه ان يحد الفكر ويحول دون نموه وايراقه وازدهاره . ولا شك ان حكومات البلاد العربية على خلاف ذلك سوف تزيد دعمها للباحثين وتهيء لهم سبل اللقاء والتعاون لان من خصائص اللقاء المعرفة والعلم وتبادل المعلومات والتجارب .

٥ – اصبحت العلوم الاجتماعية في العصر الحاضر متسعة جداً ، وتعتمد على الاختصاص الدقيق والاجهزة العلمية والآلية المتقدمة . ولقد اصبحت بعض الوزارات والهيئات تمارس بحوث البحث الاجتماعي وتنجزها على اساس علمي حديث . ولكن هذه الظاهرة ايضا تتطلب من الباحثين ان يكونوا متواضعين وان يضموا جهودهم ويتعاونوا مع زملائهم ويشتركوا في تجهيز هيئات للدراسات الاجتماعية لان العلم كله في العصر الحاضر اصبح من ثمرات التعاون ودعم الحكومات وتعهد المجتمع .

هذا وان تقدم الغربيين في الحقيقة مترتب على الاجهزة الضخمة والتمويل الواسع والتفرغ للبحوث وعلى ان حاضرهم ابن امسهم الحضاري القريب لا على تفوق شخصي عند الافراد . وفي خضم الصراع الفكري الاجتماعي العقائدي قد يتهيأ العرب ان يقدموا مرة جديدة شيئاً للانسانية في هذا السبيل اذا عرفوا ان يضموا جهودهم . ويتيسر ذلك على طريق انشاء جمعيات للعلوم الاجتماعية واتحادات ومراكز للبحث وندوات ومجلات وتبادل الجامعات الاساتذة وامثال ذلك .

خاتمة

يروى في الاساطير السومرية القديمة ان جلجميش ارتحل يتعلم كيف يتخلص من هذا المصير ويفوز بالخلود ، وقد شهد صديقه انكيدو يموت فتملكه الفزع .

« ويلقى في طريقه فتاة مقدسة اسمها سيدورى ، فتنذره بعبث السعي في طلب الخلود وتقول :

يا جلجميش ! لماذا تجري هكذا ؟ انك لن تدرك الحياة التي تسعى اليها ابداً فآلهة الحب مذ خلقت الفانين كتبت عليهم الموت . اما الحياة فقد اذخرتها في ايديها .

يا جلجميش ! فلتشبع بطنك
ولتبتهج طوال الليل والنهار
ولينشر كل يوم تقضيه حولك البهجة والغبطة
ولترقص آناء الليل واطراف النهار ، ولتعزف لك الانغام على مزمار الناب .
لتكن ثيابك نظيفة ورأسك مغسولاً ، ولتستحم في الماء ، وليجدك العطف على الصغير الذي يمسك بيدك .
ولتكن زوجك بالمثل قرة عين لك .
فهذا ذخر الانسان ! »

ان السوريين في العصر الحاضر اعقــل من جلجميش . فأنهم واثقون انهم اذا كتب لاحد الاجيال الخلود فلن يكتب لهم اذ كان الخلود من وجهة النظر الاجتماعية متصلاً بدرجة حضارة المجتمع ومدى تقدمه .

ولهذا نجدهم في وقتنا هذا يعكف من استطاع منهم على تحقيق نصائح سيدوري كلها او بعضها على الاقل .

ولكنهم في الحقيقة ليسوا كذلك . ذلك انه في تاريخ العالم حين ارادت السماء ان تتصل بالارض وحين تهيأت الارض للارتفاع واستعدت لذلك الاتصال اتاحت نقاط الاتصال المتعددة في بلاد العرب وعن طريق بعض الافذاذ آلهة كانوا او انبياء . وعندئذ اشرقت تعاليمهم ولا تزال مشرقة في بقاع المعمورة جمعاء ، تسكب الخير وتفيض بالعطاء ، وتواسي روح الانسان وتمسح عنه في اشد مواطن اليأس واحلك مواقع الشدة . واي خلود اكبر من هذا ؟

